المجلد السادس من مجموعة التفاسير

١٢٧

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 1603/6

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب

٢٢٧

هذا ابن الكمال

اذ قال بدل من احسن القصص بدل الاشتمال على انه مفعول • او نصب باضمار اذكر يوسف اسم عبراني اذ لو كان عربيا لصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف • وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان القراءة المشهورة شهدت بعجمته

لابيه يعقوب عليه السلام يا ابت اصله يا ابي عوضت تاء التانيث عن الياء لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت في الوقف هاء وقرئ بالفتح لانها حركة اصلها ولم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح نزل منزلة الاسم فوجب تحريكها ككاف الخطاب اولانه كان ابتا فحذفت الالف واكتفي بالفتحة • وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض عنه • وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض كقولك يا ثبة اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لا لانه لو كانت في اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس لانه يجوز ان يكون ارهاصا ليوسف عليهما السلام او كرامة لا يلزمهما ان يطلع عليها صاحبها واما اطلاع الناس عليه فانما يلزم ان لو كان سجودهم مجتمعين في الارض ولا دلالة عليه فيما ذكر بل لان قوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي صريحان فيه احد عشر وقرئ بسكون الشين لاجتماع ست فتحات وروي بسكون العين لطول الاسم وكثرة الحركات كوكبا نصب على التمييز والشمس والقمر وانما اخرهما عن الكواكب ليعطفهما عليها بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على سائر الطوالع رايتهم لي ساجدين استينافا فبيانه حالهم التي راها عليها وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم ويجوز ان يكون الاول لبيان مشاهدتهم في المنام على وجه التفصيل والثاني لبيان مشاهدتهم جملة مجتمعين في السجود له فالاعادة للافادة وتقديم الظرف للاهتمام والعناية لما هو الاهم وفي ضمنه رعاية الفاصلة انتهى

من تفسير النسفي

اذ قال بدل اشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص • او التقدير اذكر اذ قال يوسف اسم عبراني لا عربي اذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف لابيه يعقوب يا ابت ابت شامي وهي تاء تانيث عوضت عن ياء الاضافة لتناسبهما فان كل واحد منهما زيادة في آخر الاسم ولهذا تقلب هاء في الوقف وجاز الحاق تاء التانيث بالمذكر كما في رجل ربعة • وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة • ومن فتح التاء فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلامي اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية احد عشر كوكبا اسماؤها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم • جريان • والطارق والذيال • وقابس • وعمودان • والفليق • والمصبح • والضروح • والفرغ • ووثاب • وذو الكتفين • والشمس والقمر هما ابواه او ابوه وخالته والكواكب اخوته • قيل الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر واجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين لانه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤية لان الاولى تتعلق بالذات والثانية بالحال او الثانية كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان اباه قال كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين اي متواضعين وهو حال • وكان ابن ثنتي عشرة سنة وكان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة او ثمانون انتهى المدارك

من تفسير ابو السعود

اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص • او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصود من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصود • ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة المشهور بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام • وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها اولان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة • وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض • وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك • هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤيته دون رأى فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل عم فاخبره بذلك فقال صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم • جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها • وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته • وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام • وقد يجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر • ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته • وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل • وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود • وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة انتهى ابو السعود •

من تفسير العيون

قوله اذ قال يوسف ظرف لفعل مقدر ويوسف اسم عبري لا عربي ولهذا لا ينصرف لخلوه عن سبب آخر سوى العلمية اي اذكر وقت قول يوسف لابيه يعقوب يا ابت بكسر التاء العوض عن ياء الاضافة وبالفتح لان اصله يا ابتاه اني رايت في المنام من الرؤيا احد عشر كوكبا اي نجما من نجوم السماء • ونصب كوكبا تمييز • قيل جاء يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم حرثان والطارق والذيال والقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والقمر والشمس نزلت من السماء وسجدت له فقال له اليهودي اي والله انها لاسماؤها ورايت الشمس والقمر ايضا فيه وانما اخر الشمس والقمر بالعطف على الكواكب بيانا لفضلهما على غيرهما • ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع في المفعول عند من قال به ثم استانف على تقدير كيف رايتهم بقوله رايتهم لي ساجدين نصب على الحال من ضمير المفعول وجمعهم جمع العقلاء لانه اخبر عنهم بفعل من يعقل وهو السجود وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنث والقمر مذكر وكان يوسف ابن عشر سنة حين رأى انتهى

هذه الرؤياء ليلة القدر في ليلة الجمعة فلما قصها على ابيه قال له ابوه يا بني لا تقصص الآية انتهى العيون

قال يا بني صغره للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب
بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه تعالى مبلغا جليلا
من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى
سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية في
اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من
افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب
عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت
اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اي فيفعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا
راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير
وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب
آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل
انما جيء باللام لتضمنه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد
اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني
علاته الاحد عشر وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وريابون ويشجر ودينة بنو
يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة
وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل
التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس
بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن
معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا وبعضا ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالوا جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف
كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم
على ذلك ولما نبهه عليه السلام على ان رؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان
يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او يوغروا سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على
وجه اجمالي فقال وكذلك اي مثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من
سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبجمعيتها وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك بجناب
كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة
ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المشابهة
المتحققة بين الصور المرئية في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس
ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته
له لكنه لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مستانف غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد
مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى
ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا
اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث
اسم جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا
الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آئلا الى ما يذكره

على ان يكون من الباء

المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف
من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله
تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك
منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره
عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق
الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخائل
بان من وفقه الله تعالى بمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل
امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن
نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف
المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بين المعاينة
في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر
وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به
ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة
بها يظهر آثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة
من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم
النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره
وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم
الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهل من
بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدي بانوارها من نعم الله تعالى
عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم
بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك
فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال
انتهى ابو السعود

الصحيح

قال يا بني بفتح الياء حيث كان حفص لا تقصص
رؤياك هي بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها
في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث
كما في القربة والقربى على اخوتك فيكيدوا لك
جواب النهي اي ان قصصتها عليهم كادوك
عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه
للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف
عليه حسد الاخوة وانما لم يقل فيكيدوك
كما قال فكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى
الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف
وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر
وهو كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
ظاهر العداوة فيحملهم على الكيد وكذلك
ومثل ذلك الاجتباء الذي دل عليه رؤياك
يجتبيك ربك يصطفيك والاجتباء
الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا
حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض
جمعته ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في
حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من
تأويل الاحاديث اي تأويل الرؤيا وتأويلها
عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر
الناس للرؤيا او تأويل احاديث الانبياء
وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس
بجمع احدوثة ويتم نعمته عليك وعلى آل
يعقوب بان وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة اي جعلهم في الدنيا ملوكا ونقلهم عنها
الى الدرجات العلى في الجنة وآل يعقوب
اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل
تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال
آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن اهله

قال يا بني تصغير ابن للشفقة او لصغر السن لا تقصص
رؤياك الرؤيا في المنام والرؤية في العين والرأي في
القلب والرؤيا كالرؤية غير ان احديهما مختصة بما يكون
في النوم والاخرى بما يكون في اليقظة وفرق بينهما بحرفي
التأنيث كالقربى والقربة على اخوتك فيكيدوا لك
منصوب باضمار ان جوابا للنهي والمعنى ان قصصت
عليهم رؤياك كادوك لانهم يعلمون تأويلها فيحتالون
في اهلاكك وانما اوتي باللام ولم يقل فيكيدوك
كما قيل فكيدوني لانه ضمن معنى فعل يتعدى باللام
نحو احتال ليفيد معنى الفعلين مبالغة وتاكيدا في
التحذير ولذلك اكده بالمصدر والكيد الاخذ على
خفاء كيدا منكورا بعيدا عن فهمك وهو معنى تنكيرها
وابهامها والمقصود زيادة مبالغة في التخويف
ولذلك استأنف قوله ان الشيطان للانسان
عدو مبين على تقدير سؤال كان يوسف استبعد
وقوع الكيد في حقه من اخوته فازال استبعاده ببيان
منشأه يعني ان الشيطان ظاهر العداوة للانسان
لما فعل بآدم وحوا فهو يحمل على الكيد وكل شر ليورط
من يحمله فلا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك محله النصب
على المصدر اي ومثل ذلك الاجتباء الذي اجتباك
للرؤيا من سائر المخلوقات فضلا عن اقربائك
لما هو اعظم منها واصل الاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء
ثم استأنف بقوله ويعلمك لئلا يكون داخلا في حكم
التشبيه اي وهو يعلمك من تأويل الاحاديث اي
تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة
واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وانما سمي
التعبير تأويلا لانه يؤول ما رآه الى ما ذكره وكان
يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها و
يجوز ان يراد بتأويل الاحاديث تبيين معاني كتب الله
وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس
من اغراضها ومقاصدها وسميت احاديث لانه يحدث
بها عن الله تعالى ورسله عليهم السلام والاحاديث
مبني على واحده المستعمل وهو الحديث كانهم جمعوا حديثا
على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة
واقاطيع والقول بانه اسم جمع للحديث مردود بانه
لم يأت اسم جمع على هذا الوزن واما اباطيل فجمع
لا واحد له كعباديد وشماطيط ويتم نعمته عليك
بالنبوة او يوصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب
سائر بنيه قيل يستدل على شرفهم ونبوتهم بضوء الكواكب
انتهى ابو المعين النسفي رحمه الله

من تفسير ابن كمال رحمه الله

كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق تذكير لكونه من
حفدة الانبياء الكرام عليهم السلام • وتلويح الى معنى الولد
سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به • ومن ههنا ظهر وجه
رجحان اضافة الابوين اليه دون يعقوب عليهما السلام
وايضا في اضافتهما الى يعقوب عم تغليب اسحاق
على ابراهيم عليهما السلام بخلاف ما اذا اضيفا الى يوسف عم
والمراد بالابوين الجد وابو الجد لانهما في الاصالة في حكم الاب
ومن ثم يقولون ابن فلان لمن بينه وبين فلان عدة
آباء • واتمام النعمة في حقهما بالنبوة ورفع الدرجات
في الاخرة • وقيل على ابراهيم عم بالخلة والانجاء من النار
وعلى اسحاق عليه السلام بالانجاء من الذبح والفداء
بذبح عظيم ان ربك عليم يعلم من يستحق الاجتباء • حكيم
يفعل الاشياء على ما ينبغي فلا يتم نعمته الا على من يستحقه
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل
على قدرة الله تعالى وحكمته للسائلين للطالبين لها او
دلائل على نبوته عم للذين سألوا من اليهود عنها
فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب
وانما جمع لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى والمراد باخوته
عليه السلام بنو علاتة العشرة اذ قالوا ليوسف واخوه
بنيامين • وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة
من الطرفين • واشادوا بهذه الاضافة الى ان تسبب
فضيلته عند ابيهم اختصاصه بيوسف عم فذكرهم
زيادة محبة ابيهم له ليس حسدا منهم عليه بل حسدا
على يوسف عم لانها ايضا يرجع الى زيادة محبته له
ولهذا خصوا لتفضل • وفائدة لام الابتداء في يوسف
عليه السلام تحقيق مضمون الجملة وتأكيده اي زيادة
محبته لهما امر محقق لا شبهة فيه احب الى ابينا منا
انما وحد احب مع كونهما اثنين لان افعل من كذا لا يتغير
عن صيغة الواحد المذكر لان تمامه بمن ولا يثنى
الاسم ولا يجمع ولا يؤنث قبل تمامه • ولا بد في التعرف
بالكلام من المطابقة وفي المضاف جاز الامران ونحن
عصبة اي يفضلهما في المحبة علينا والحال انا جماعة
كفاة اقوياء نقوم بمصالحه ومنافعه وهما صغيران
لا كفاية بهما ولا منفعة فنحن احق بزيادة المحبة منهما
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لانهم
جماعة تعصب بهم الامور ويستكفى النوائب ان ابانا
لفي ضلال مبين لفي ذهاب عن وجه الصواب في رأيه
هذا بايثار اثنين من الضعفاء على عشرة من الاقوياء ۝

من تفسير النسفي رحمه الله

وانما علم يعقوب ان يوسف عليهما السلام يكون
نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب
فلذلك قال وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل اراد الجد وابا الجد ابراهيم واسحق
عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من
يحق له الاجتباء حكيم يضع الاشياء مواضعها
لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم
آيات علامات ودلالات على قدرة الله تعالى
وحكمته في كل شيء • آية مكي للسائلين لمن سأل
عن قصتهم وعرفها او آيات على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم
من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب • واساميهم
يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي
وريالون ويشجر ودينة امهم ليا • ودان
ونفتالي وجاد واشر من سريتين
زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل
فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء و
فيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة • ارادوا ان زيادة
محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه • وانما قالوا اخوه
وهم اخوته ايضا لان امهما كانت واحدة • وانما قال
احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين
الواحد وما فوقه وبين المذكر والمؤنث ولا بد من
الفرق مع لام التعريف واذا اضيف ساغ الامران
والواو في ونحن عصبة للحال اي انه يفضلهما في
المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة
رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما
لفضلنا بالكثرة والمنفعة ان ابانا لفي ضلال مبين
غلط في تدبير امر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين

ابو السعود رحمه الله

كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك • وهي نعمة الرسالة
والنبوة واتمامها على ابراهيم عم باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد • وعلى اسحق بانجائه من
الذبح وفدائه بذبح عظيم • وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه • وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة
النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه بمثل ما وقع في جانب المشبه به من كل وجه
من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك • والتعبير عنهما بالاب
مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام • وتذكير معنى الولد سر ابيه
ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ما ذكر من اتمام النعمة من
غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة
ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء
وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته • والتعرض لعنوان الربوبية
في الموضعين لتربية تحقيق وقوع ما ذكر من الافاعيل وهي الاجتباء وتعليم تأويل الاحاديث واتمام النعمة هذا •
وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام • ويتم نعمته عليك بالنبوة • او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك
بالرسالة له فتأمل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد ههنا اما جميعهم فان
لبنيامين ايضا حصة من القصة • او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور
رحاها آيات علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين
لكل من سأل عن قصتهم وعرفها • او للطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون
بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون • فالمراد بالقصة نفس المقصوص • او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله من المشركين
او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب
فالمراد اقتصاصها • وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في
الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان
لقوله آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى • وقرأ ابن كثير آية • وفي بعض
المصاحف عبرة • وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من
بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين • وانما لم يذكر باسمه تلويحا
بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين • الا يرى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من
غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من كذا
لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث • نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف
جاز الامران • وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده ونحن عصبة اي والحال انا
جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة • والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا •
سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من
كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته
مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخائل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما
رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم
اقتلوا يوسف الخ ۝
مع استوائهم في الانتساب • فالغلو في الاسناد بزيادة حرف في التأكيد وفي المسند
بوصف الضلال بالظهور وجعله ظرفا له عم وذلك لزيادة تأثرهم عن التفصيل المذكور
روي انه كان احب الى ابيه لما يرى فيه من المخائل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا تضاعف له المحبة
ولم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف الخ انتهى ابو السعود

اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا • وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية الصنعة فكانهم رضوا بذلك كما يرون ان القائل شمعون • او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع • او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذكر القول • وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اى ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر اى يخلص **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم فى محبته احد • فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا على يخل • او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله ولا تكفروا الحق • وايثار الخطاب فى لكم للمبالغة فى حملهم على القبول فان اعتناء المرء بما يهمه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل **من بعده** من بعد يوسف اى من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه • او صالحين فى امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذى قال فلن ابرح الارض حتى ياذن لى ابى او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين • وقيل روبيل • وهو استيناف مبنى على سؤال من سال وقال ءاتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتى الضيع ام خالفهم فى ذلك احد فقيل قال قائل منهم **لا تقتلوا يوسف** اظهره فى مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولويته ما عرضه عليهم بقوله **والقوه فى غيابت الجب** اى فى قعره وغوره • سمى بها لغيبته عن عين الناظر • والجب البئر التى لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شئ • وقرا نافع فى غيابات الجب فى الموضعين كان لتلك الجب غيابات • او اراد بالجب الجنس اى فى بعض غيابات الجب • وقرئ غيابات وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شئ مشرف على الضياع **بعض السيارة** اى بعض طائفة تسير فى الارض • والالام فى السيارة كما فى الجب وما فيهما • وفى البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذى هو تنائى يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره • وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم • ومنه قطعت بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** بمشورتى لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات • او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة • ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك ام لا اجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج فى تضاعيفه قبولهم له بما سيجئ من قوله واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب فقيل **قالوا يا ابانا** خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عن رايه فى حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغى فكانهم قالوا **ما لك** اى اى شئ لك **لا تامنا** اى لا تجعلنا امناء **على يوسف** مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا **وانا له لناصحون** مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط • والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام • وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام

وفيما ذكر قرينة على انه اشار بقوله فى غيابت الجب الى بئر قد عرفوها فى ديارهم ولذلك عرفها • انتهى

وقرئ تلتقطه بالتاء الفوقانية على المعنى لان بعض السيارة سيارة **ان كنتم فاعلين** ما يفرق بينه وبين ابيه • فهذا هو الراى لان هذا القدر يكفى فيه • ولما كان اول كلام هذا القائل على نظر الشفقة اتى فى اخره بما يناسبه حيث قال ان كنتم **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف** لم تخافنا عليه **وانا له لناصحون** ونحن نشفق عليه ونريد له الخير وما وجد منا فى حقه الا النصح والمحبة ارادوا استنزاله عن رايه فى حفظه منهم لما احس بالحسد • انتهى ابن كمال

اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله تعالى اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف • وقيل الامر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا امرين **او اطرحوه ارضا** منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها عن الوصف ولهذا الابهام نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل لكم وجه ابيكم** يقبل عليكم اقبالة واحدة ولا يلتفت عنكم الى غيركم • والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها • فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه • وان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك **وتكونوا** مجزوم عطف على يخل لكم **من بعده** من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل • او التغريب او من بعد قتله او طرحه • فيرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى مما جنيتم عليه او يصلح حالكم عند ابيكم **قال قائل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم رايا **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم **والقوه فى غيابة الجب** فى قعر البئر وما غاب منه عن الناظر غيابات وكذا ما بعده مدنى **يلتقطه بعض السيارة** بعض الاقوام الذين يسيرون فى الطريق **ان كنتم فاعلين** به شيئا **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا** بالاشمام **على يوسف وانا له لناصحون** اى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه • وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف واستنزاله عن رايه وعادته فى حفظه منهم • وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه

انتهى النسفى رحمه الله عليه

اقتلوا يوسف من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا **او اطرحوه ارضا** منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها • ولابهامها نصب نصب الظروف المبهمة • و المعتبر فيها ان لا يكون محدودا بالحدود ومخصوصا بالاقطار • ولا ينافيه التقييد بنوع من القيود **يخل** جزم لانه جواب الامر ومعناه يخلص ويصف **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته لا يلتفت عنكم الى غيركم • وذكر الوجه لتصوير اقباله عليهم لان من اقبل على الشئ يكون وجهه فى جانبه • ويجوز ان يكون المراد بالوجه الذات كما فى قوله ويبقى وجه ربك لانه اذا اصفت محبته لهم يكون لهم وحده غير مشترك فيه **وتكونوا** جزم عطفا على يخل • او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع **من بعده** من بعد يوسف عنه • اى من بعد قتله او طرحه او الفراغ من امره **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى عما جنيتم عليه • او ذوى صلاح فى امر دنياكم لانتظامه بخلو وجه ابيكم لكم او بصلاح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه له **قال قائل منهم** ابهمه سترا على القائلين بقتله عن حذرا عن سوء الظن من السامعين بخصوصهم وهم انبياء عليهم السلام • ومن لم يتنبه لهذا قال يعنى يهوذا كان هذا القائل احسنهم رايا حيث كان من الامرين الذين عزموا على ان يفعلوا واحدا منهما لما راى فى احدهما افراطا وفى الاخر تفريطا نظرا الى غرضهم لعدم قدرتهم فى نوبة واحدة على تبعيد يوسف عليه السلام عن ديارهم **لا تقتلوا يوسف** فان القتل عظيم والغرض يحصل بدونه • ولم يصرح بالنهى عن الامر الاخر احالة له على دلالة ما اختاره عليه كانه قال مقصودكم الذى يتم به غرضكم هو هذا **والقوه فى غيابت الجب** وقرئ غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات • الجب البئر الذى لم يطو • انما سمى جبا لانه ليس فيه غير جب الارض اى قطعها • و غيابته اسفله الذى يغيب ما وقع فيه وقعره **يلتقطه** الالتقاط اخذ الشئ من حيث لا يحتسب لا الاخذ مطلقا ولهذا حسن موقعه ههنا وفى قوله فالتقطه ال فرعون **بعض السيارة** اى بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية بعيدة فتستريحوا منه • والسيارة جمع سيار وهو كثير السير فى الارض • وانما اختار صيغة المبالغة لانه المناسب لما قصده من الاذهاب الى ديار بعيدة

ارسله معنا غدا في الصحراء • وفي لفظ ارسله دليل
على ان يعقوب عم كان يمسك يوسف عم ويصحبه
دائما نرتع الرتع الاتساع في الملاذ بالذهاب في جهاته
من اليمين والشمال • وقيل اصل الرتع التصرف في
الشهوات يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في
شهواته ونلعب المراد من اللعب ههنا هو الاستباق
والانتضال ويتدربون بذلك لقتال العدو •
وانما سموه لعبا لانه بصورة اللعب • ولم يكن يريدوا
به اللهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق ولو كان
مرادهم اللهو لما اقرهم عليه يعقوب عم • وقرئ
نرتع بالنون وكسر العين من ارتعى يرتعي • وقرئ
بالكسر والياء فيه وفي يلعب • وقرئ يلعب بالياء
والسكون على اسناد الفعل الى يوسف عم لصغره •
وما يعبر عنه باللعب يناسب اسناده الى الصغير
خاف يعقوب عم على يوسف عم الضيعة من
جهة الجوع فامنوه عن ذلك بقولهم نرتع اي نتسع
في اكل الفواكه ونحوها • وخاف عليه ان يكلفوه
امرا يشق عليه ويشتد فامنوه ايضا عن ذلك بقولهم
ونلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة • وخاف
عليه الضيعة بتركهم حفظه فامنوه عن ذلك بقولهم
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به ذهابكم لعلة صبري عنه وشدة مفارقته
على واخاف ان ياكله الذئب واخاف عليه عدوة الذئب
وكانت الارض مذأبة • الحزن الم القلب بفوت
والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه كانه يقول
لا اصبر عن رؤيته ولا طاقة لي بفرقته هذا اذا كانت
الحالة حالة السلامة فكيف ومع هذا الخارف ان
ياكله الذئب • وقيل راى في المنام ان الذئب
قد شد على يوسف عم فكان يحذره فقال ذلك
وقد لقنهم العلة • وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل •
وقيل اشتقاقه من تذاءب الريح اذا هبت من كل جهة
لانه يخيط في مشيته ويضطرب • وقال الاصمعي
ان اشتقاق تذاءبت من الذئب لان الذئب يفعله
في عدوه وهذا اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون
لاشتغالكم بالرتع واللعب وقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب اعتذر لهم يعقوب عم
بشيئين احدهما عاجل في الحال وهو ما يلحقه
من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني
خوفه عليه من الذئب ان يغفلوا عنه برتعهم و
لعبهم • وعدل اخوة يوسف عم عن الاول لقصر
مدة الحزن وايامهم انهم يرجعون به اليه عن قريب
واجابوا عن الثاني لانه السبب القوي في منعه عن
الذهاب بهم • اللام موطئة للقسم والقسم محذوف

ارسله معنا غدا يرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها
والرتعة السعة ونلعب نتفرج بما يباح كالصيد
والرمي والركض بالياء فيهما مدني وكوفي •
وبالنون فيهما مكي وشامي وابو عمرو • وبكسر العين
حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي وانا له
لحافظون من ان يناله مكروه قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به اي يحزنني ذهابكم به واللام
لام الابتداء واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه
غافلون اعتذر اليهم بان ذهابهم به مما يحزنه
لانه كان لا يصبر عنه ساعة وانه يخاف عليه
من عدو الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم
قالوا لئن اكله الذئب اللام موطئة للقسم
والقسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب
والواو في ونحن عصبة اي فرقة مجتمعة مقتدرة
على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم
مجزئ عن جزاء الشرط اي ان لم نقدر على حفظ
بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها
واجابوا عن عذره الثاني دون الاول لان ذلك
كان يغيظهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
في غيابة الجب اي عزموا على القائه في البئر وهي بئر
على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف
وتقديره فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم
لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة وضربوه
وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما ارادوا القاءه
في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق
بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه
ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على ابيهم ودلوه في
البئر وكان فيها ماء فسقط به ثم اوى الى صخرة فقام
عليها وهو يبكي وكان يهوذا ياتيه بالطعام

ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب
فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه عليهم الصلوة والسلام
انتهى المدارك

تقديره والله لئن اكله الذئب والواو في ونحن عصبة اي فرقة
مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن
جزاء الشرط مغبونون ضعفا لا غناء بهم • او مستحقون ان يدعى عليهم
بالخسار والدمار • ويقال خسرهم الله حين اكل بعضهم الذئب وهم حاضرون
وقيل انا لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرنا فلما ذهبوا به
متصل بمحذوف تقديره فاذن لهم وارسله معهم فلما فصحة واجمعوا ان يجعلوه
اي عزموا عليه • ولا يقال اجمع الا اذا قويت الدواعي الى الفعل من غير صارف
ومنه الاجماع وكانه ماخوذ من اجماع الدواعي ولما لم يكن مرادهم من القائه
في البئر اهلاكه كان التعبير عنه بالجعل فيه افصح في غيابة الجب قيل هو
بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام ولا يخالفه القول بانها
بارض الاردن لان كنعان ناحية من نواحي الاردن ومنزل له عم كان فيها
وكذا القول بانها كانت بين مصر ومدين لان مدين ايضا كان من ارض الاردن
في جوار كنعان • واما القول بانها بين بيت المقدس فلا صحة له لانهم جاءوا
الى منزلهم عشاء ذلك اليوم وبينه وبين بيت المقدس مراحل • وقرئ في
غيابات وهي لا توجد في التي تطوى ومنه ظهر وجه ابتنا الجب على البئر وجواب
لما محذوف للمبالغة مع الايجاز اي فعلوا به من الاذى والاهانة ما لا يمكن وصفه
او لا يحتمل سماعه وتفصيله مذكور في كتب التفاسير انتهى ابن كمال

ابو السعود افندي رحمه الله

ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها
فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل
ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو • وانما عبروا عن ذلك
باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عم
بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عم • وقرئ نرتع ونلعب بالنون
وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى • ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب • وقرئ
نرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد
من ايراد الجملة الاسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم
له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استئناف مبني على سؤال من
يقول فماذا قال يعقوب عم فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء

كما في قوله تعالى انّ ربك ليحكم بينهم **ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك
اخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة • والحزن الم القلب بفوت المحبوب
والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه • ولذلك اسند الاول الى الذهاب به
المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف • والثاني الى ما يتوقع نزوله من
اكل الذئب • وقيل رأى في المنام ان قد شد عليه عليه السلام ذئب وكان يحذره
فقال ذلك • وقد لقنهم العلة اي البلاء موكل بالمنطق • وقرأ ابن كثير ونافع
في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل • وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا • وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب • وقال الاصمعي
الامر بالعكس وهو الظاهر لفظا ومعنى **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب
او لقلة اهتمامكم بحفظه **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** اي والحال انا جماعة
كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا
واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله **انا اذا لخاسرون**
جواب مجزي عن الجزاء اي انا لكون ضعفا وخورا وعجزا • او مستحقون
للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا • او مستحقون لان يدعى
علينا بالخسار والدمار • ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم
وهم حضور • وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت
مواشينا اذن وخسرناها • وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عن من
اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم
يأتون به عن قريب **فلما ذهبوا به واجمعوا** اي ازمعوا **ان يجعلوه** مفعول اجمعوا يقال
اجمع الامر • ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها
في غيابت الجب قيل هي بئر بارض الاردن • وقيل بين مصر ومدين • وقيل على ثلاثة فراسخ
من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان مدين كذلك •
واما ما يقال من انها بين بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم
اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب
لما محذوف ايذانا بظهوره وايذانا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا
به من الاذية ما فعلوا • يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فتعلق بشفيرها فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها
فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا على ابيه
فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه

اسم مدينة باعلى شام

فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا
ان يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم • ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار
وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق
الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة
فالبسه اياه انتهى ابو السعود رحمه الله

ابو السعود افندي رحمه الله

واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل
ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى • وقيل كان اذ ذاك مدركا • قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم
والاول ادخل في التسلية • روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا
بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال
له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب
وبعتموه بثمن بخس • ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا انسناه بالوحي و
ازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش
لا انيس له • وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير
وجاءوا اباهم عشاء اي اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي
عشوا من البكاء **يبكون** متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي • وقد يشترك الافتعال والتفاعل
كالانتضال والتناضل ونظائرهما **وتركنا يوسف عند متاعنا** اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها
فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع
عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما
اذا لم يتباعدوا عنه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في
مامننا ومجمعنا بمرأى منا وما فارقناه
الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما انت بمؤمن لنا** بمصدق لنا في هذه المقالة
الدالة على عدم تقصيرنا في امره **ولو كنا** عندك او في اعتقادك **صادقين** موصوفين بالصدق والثقة
لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا • وكلمة لو في امثال هذه المواقع
لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق
مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على
نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة
عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى
اولو كنا كارهين **وجاءوا على قميصه** محله النصب على الظرفية من قوله **بدم** اي جاءوا فوق قميصه بدم
كما يقال جاء على جماله باحمال • او على الحالية منه والخلاف في تقديم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال
ظرفا **كذب** مصدر وصف به الدم مبالغة • او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه • او بمعنى
ذي كذب اي ملابس للكذب • وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين • او مفعول له
وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر • وقيل طري

اي دم طري

قال ابن جني اصل من الكذب وهو النوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه
روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح
باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ● وقيل كان في قميص يوسف عم
ثلث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عم
حين قد من دبر   انتهى ابو السعود رحمه الله

روي ان يعقوب عم لما سمع بخبر يوسف عم صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه ● وقيل كان في قميص يوسف عم ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم
والقاه على وجهه فارتد بصيرا ● ودليلا على براءة يوسف عم حين قد من دبر ● ومحل على قميصه
النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم قال يعقوب عم بل سولت لكم انتهى المدارك
من يوثق بقولنا عند الكل واما انت فلسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف فلا تسلم لنا
ولذلك اكدوه بزيادة الباء والتقييد بقوله ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا ● وانما حذف الظرف لان ذكره مقدما يفيد
المعنى لافادة الاختصاص الذي لا يناسب المقام وذكره موخرا يفسد اللفظ لانه يفوت محافظة
رؤس الآي ويضيع رعاية الفواصل وهي من شرائط حسن نظام الكلام وفضل الفصل وجاءوا على
قميصه بدم في محل النصب من الدم ومنع تقديمها على صاحبها المجرور في غير الظرف ● وجوز نصبه على
الظرف بمعنى فوق واورد عليه بان العامل فيه جاءوا وليس فوق القميص ظرفا لهم بخلاف فوق
الجمال في قولك جاء على جماله بالجمال ومبناه على ان يكون الباء للمصاحبة كما في ذهب الله بنورهم واما كانت
للتعدية كما في ولو جئنا بمثله مددا فلا يلزم المحذور المذكور ولا وجه للحمل على الاول لسبق الاخبار عن مجيئهم

لسبق الاخبار عن مجيئهم كذب وصف بالمصدر مبالغة
او مصدر اريد به المفعول اي مكذوب فيه كالخلقة يراد
به المخلوق به وتقديم ذي في مثل هذا المقام يترك الكلام
عن منزلة البلاغة ● وقرئ بالنصب على الحال من الواو
اي جاءوا كاذبين ● وكذب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري
وروي انه عليه السلام لما رأى قميصه غير ممزق قال
وما رايت ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه
ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم الاية   اسمعيل الكمال

واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى
يحيى وعيسى عليهما السلام • وقيل كان اذ ذاك
مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتحدثن اخوتك
بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو
شانك وكبرياء سلطانك • وذلك انهم حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فقال
انه لتخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم
يقال له يوسف وانكم القيتموه في غيابت الجب
وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن
بخس • او يتعلق وهم لا يشعرون باوحينا
اي انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة
وهم لا يشعرون وجاؤا اباهم عشاء للاستتار
والتجسر على الاعتذار يبكون حال • عن الاعمش
لا تصدق باكية بعد اخوة يوسف • فلما سمع
صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم
في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق
في العدو او في الرمي • والافتعال والتفاعل
يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا
عندك من اهل الصدق والثقة لشدة
محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا
غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه بدم كذب
ذي كذب • او وصف بالمصدر مبالغة كانه
نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو
الكذب بعينه والزور بذاته • روي انهم ذبحوا
سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه • • •

اي عن الاخوة قميص
يا ره ليدا

واوحينا اليه يعني في البئر فهو معطوف على محذوف
تقديره والقوه في غيابت الجب فالواو فصيحة قيل
اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى عيسى ويحيى عليهما السلام
وقيل كان اذ ذاك مدركا لتنبئنهم بامرهم هذا
بالتوبيخ • وذلك قوله عم لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
وفيه تبشير بحسن حاله في المآل وبما يؤول اليه
امره من علو شانه ورفعته مكانا ايناسا له وتطييبا
لنفسه وهم لا يشعرون انك يوسف لطول العهد
المغير للهيئات والاشكال وبعد الحال عن اوهامهم
على ما دل عليه قوله فعرفهم وهم له منكرون • ومن وهم
انه اشارة الى هذا القول فقد وهم وما فهم ما فيه
من التوبيخ فالقول ما قال حذام وهو المناسب
للمقام كما لا يخفى على ذوي الافهام • ويؤيد الاشارة
الى الامر المذكور ههنا لتضمنها الدلالة على ما فيه من
القباحة الفاحشة • وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه
وعيد لهم يقول العرب لمن يتوعده مجازاة سوء فعله
لانبئنك ولاعرفنك يعني لاجازينك وهذا شايع
في سائر الالسنة ايضا وهم لا يشعرون على هذه القراءة
متعلق باوحينا وجاؤا اباهم عشاء وقرئ عشيا
وهو تصغير عشية وعشاء بالضم والقصر جمع اعشى
اي عشوا من البكاء • وفيه ضعف لان قدر ما بكوا في
ذلك اليوم لا يعشو منه الانسان والعشاء آخر النهار
الى نصف الليل • ومنه اشتق الاعشى لانه يستضيء
ببصر ضعيف اي جاؤا ليلا وذلك ليكونوا اقدر على
الاعتذار في الظلمة • ولهذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل
فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب
فتتلجلج في الاعتذار يبكون حال معناه متباكين
دون باكين لان البكاء جريان الدمع من العينين عند
حال الحزن ولا حزن بهم الا انهم اظهروا صورة البكاء
ليوهموا انهم صادقون • روي انه عم لما سمع صوت تباكيهم
فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق في العدو او الرمي والافتعال
والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء
والترامي وتركنا يوسف عند متاعنا اي تركناه عند
الرحل ليحفظه فاكله الذئب الفاء للتعقيب بلا تراخ
ولا بد من اعتبار في الاعتذار عن عدم التدارك و
ما انت بمؤمن لنا قد عرفت ان الايمان اذا كان بمعنى التسليم
يتعدى باللام • واذا كان بمعنى التصديق يتعدى بالذات
او بالباء • وتقديم انت وايلاؤه حرف النفي لا دعائهم ان
غيره مصدق لنا لانا مشهورون بالصدق موثوقون بقولنا

قال بل سولت لكم انفسكم كذا قالوا والذي عندك ان امارة الكذب قلة الدم المذكور من التشكيك ومن التعبير بكونه على القميص ولو كانت الامارة عدم تمزق القميص لكان هو بالتعرض احق بل اضرب عن مقدر يقتضيه المقام ويدل عليه سياق الكلام وبه تمام الانتظام فهو كالفاء الفصيحة • والتسويل تحسين الشيء وتزيينه وتحسينه الى الانسان ليفعله او يقوله امرا اي امرا منكرا لا يحتمل التعريف والتوصيف فصبر اي فحقي صبر كقوله • فقلت من ايا امر اي فعليه جميل في الحديث المرفوع الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا حاجة الى تخصيص الشكوى بالتي تكون الى غير الله اذ ليس في كلامه عم وعد بالصبر الجميل والله المستعان على ما تصفون اي المطلوب منه العون على كشف ما التبس من امركم • هذا هو المناسب لقوله فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا لا ما قيل على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف عم كما لا يخفى • وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون • وفي صيغة المبالغة دلالة على انهم جاؤا من بعيد • والمراد بجيئهم الى قرب البئر بدلالة السياق واللحاق • والظاهر من قولهم يلتقطه بعض السيارة انها كانت قريبة من الطريق العام • قيل كان ذلك بعد ثلث من القائه فيها فارسلوا اي الى البئر واردهم هو الذي يصير الى الماء ليستقي منه فادلى دلوه تقول ادليت الدلو اذا ارسلتها ليملاء فتدلى بها يوسف عم فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون قال يا بشرى هذا غلام بشر اصحابه بانه وجد عبدا ومعنى النداء التنبيه اي انتبهوا لفرصتي وسروري • قيل نادى رجلا اسمه بشرى بانه وجد عبدا • ورده قراءة بشراي فانه لو كان اسما علما لم يكن مضافا الى ضمير المتكلم واسروه اي الوارد واصحابه عن سائر الرفقة بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة • والبضاعة ما يضع من المال اي قطع منه للتجارة • وعن ابن عباس رض ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا ابق فاشتروه منهم وسكت يوسف عم مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من الاختلال لحسن نظم المقال ٨٧

قال يعقوب بل سولت زينت او سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه فصبر جميل خبر مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وهو ما لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر • وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه • وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عم فارسلوا واردهم هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه ارسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه قال يا بشرى كان في نادي البشرى كانه يقول تعالى فهذا اوانك • غيرهم بشراي على اضافتها الى نفسه • او هو اسم غلامه فناداه مضافا الى نفسه هذا غلام قيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم واسروه الضمير للوارد واصحابه • اي اخفوه من الرفقة • او لاخوة يوسف فانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة حال اي اخفوه متاعا للتجار والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس منخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا يعدون ما دون الاربعين ويزنون الاربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف او معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته •

[illegible]

٨٧ ولا اشكال من جهة ان التعبير المذكور لا يناسب الحال والله عليم بما يعملون وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم وشروه باعوه بثمن التنكير للتقليل بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها • وفيه تصريح بما قصد بالتنكير وتنبيه على انه لم يقصد به المبالغة في القلة وكانوا فيه في يوسف عم من الزاهدين الزهد خلاف الرغبة • يقال زهد في الشيء وعن الشيء وذلك لانهم كانوا التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه من يده مستعجل في بيعه • وفيه متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وان ما بعد الجار لا يعمل فيما قبله كانه قيل وكانوا زهدوا فيه فحذف لدلالة من الزاهدين عليه اسمعيل بن كمال رحمه الله

ابو السعود رحمه الله

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قيل ما قال يعقوب هل صدقهم بما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رض • والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه • قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره • واصله مهموز • وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل • او فصبر جميل اجمل او امثل • وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله • وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي • وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا • وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه عم لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه • والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب البحري من مدين بل الى المكان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر • والظاهر ان الجب كان في الامم المبتاء فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله تعالى وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قولهم فيما سلف يلتقطه بعض السيارة • وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه • وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عم فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ليستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي • وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى الجمع اعني الجب للايذان بان ذكر معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج قال استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الكلأ • وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه • وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما لا فتحة الراء حمزة والكسائي • وقرأ ورش بين اللفظين • وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة • وقيل اخفوه امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر • وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه

اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن • فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما • وعن السدي انها كانت
اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه
بما ذكر من الثمن البخس • وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له
مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن • ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على
ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية ذهاب ما لهم لما لاح في اذهانهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال
المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم اياه انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء • وفيه متعلق بالزاهدين
ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه
لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول • انتهى ابو السعود افندي رحمه الله

وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير • وبيان كونه من مصر
لترتيب ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس
وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس
بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى • وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة
لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات • وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والآية
من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء • واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا و
زوجي نعل وثوبين ابيضين • وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه
وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ • وكان سنه اذ ذاك سبع
عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث عشرة سنة • واستوزره
الريان وهو ابن ثلاثين سنة • وآتاه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة • وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا • وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها • واللام متعلقة
بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في
ضياعنا واموالنا ويستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه
من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره
وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز
وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا
يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا • ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما
في محل الآخر قال الله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم
فيها • او مكنا لهم في الارض الخ • والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز • او مكانا عليا في قلبه
حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه • جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر • ولعله عبارة
عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة
في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن
لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام
كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه
ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة
فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى • ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات
او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة
حميدة هذا • ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز • واما التمكين
في جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك
اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون
ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم

امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد
تشبيه هذا الجعل به • فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما
لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها • ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل •
وهكذا ينبغي ان يحقق المقام • واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر
بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه
المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له • ولم يتعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه
العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لكلا له
وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة
اللهم الا ان يراد بتعليم تأويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب
الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض مصر
ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء
فيقضي بها فيما بين اهلها • والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متأخر
عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد
الى الحق في نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على
امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراده ان يقول له كن فيكون
فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا • او متول على امر يوسف عليه السلام
لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى
له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فيأتون ويذرون
زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل • او لا يعلمون
لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين • وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ
الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل • او حكما
بين الناس وفقها ونبوة وعلما اي تفقها في الدين • وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما
لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء
كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرها كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء
لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من
يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة
الاحزان والشدائد • وقد فسر العلم بعلم تأويل الاحاديث ولا صحة له الا ان
يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان
يعد ايتاؤه من جملة الجزاء • واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها
في السجن بضع سنين • وفي تعليق الجزاء بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له و
تنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره
هل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ابو السعود افندي رحمه الله

عنفوان

وقال الذي اشتراه من مصر هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد امن بيوسف عم ومات في حيوته واشتراه بزمنة ورقا وحريرا ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامراته راعيل او زليخا • واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي • وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطئ فراشه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها فنستظهر به على ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا اي نتبناه ونقيمه مقام الولد • وكان قطفير عقيما • وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وكذلك اشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه • والكاف منصوب تقديره ومثل ذكر الانجاء والعطف مكنا ليوسف اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكناله في الارض ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذكر الانجاء والتمكين والله غالب على امره لا يمنع عما يشاء • او على امر يوسف بتبليغه ما اراد له دون ما اراد اخوته ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما بلغ اشده منتهى استداد قوته وهو ثماني عشرة سنة او احدى وعشرون اتيناه حكما وعلما حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في

وقال الذي اشتراه منهم وهو العزيز الذي كان على خزاين مصر وكان الملك يومئذ ريان بن وليد العمليق وقد امن بيوسف عليه السلام ومات في حيوته • وروي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة • واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة • ومبناه الغفلة عن لبثه في السجن بضع سنين • وكون السجن في منزل العزيز ياباه قوله ودخل معه السجن فتيان وانما قال من مصر تنبيها على انه غير المشتري الاول لامراته راعيل او زليخا • واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اي اجعلي مكان اقامته حسنا مرضيا • والاكرام الاحسان على جهة التعظيم ويلزمه الارضاء • وانما اضافه الى المثوى دون نفسه مبالغة في احسان تعهده لان من اكرم غيره لاجله كان اعظم منزلة ممن يكرم في نفسه عسى ان ينفعنا نفع مملوك مقبل لمالكه او نتخذه ولدا فينفع بنا قد تفرس فيه الرشد • فقال ذلك ولا دلالة فيه على انه كان عقيما لا يولد له وكذلك اي مثل ذلك التمكين من قلب العزيز حتى عطف عليه وامر امراته باكرام مثواه مكنا ليوسف في الارض مكنا له في ارض مصر اي جعلنا له مكانا فيها كناية عن حكومته فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على علة محذوفة اي مكنا له في الارض ليتصرف فيها بالعدل والحكمة ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا فيعبرها ويعرف الحوادث قبل وقوعها فيبني تدبير الامور عليها كما دبر الامر في سني مصر • او علة معللها محذوف اي ولنعلمه فعلنا ذلك والله غالب على امره لا يمنعه مانع ولا ينازعه منازع فيما يقصد ويريد هذا على عمومه ويدخل فيه امر يوسف دخولا اوليا فان اخوته ارادوا ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او حسن كلائته وعصمته وخفايا لطفه وعنايته ولما بلغ اشده الاشد منتهى اشتداد الجسم والقوة وكمال البنية وسن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين يؤيده قوله تعالى ولما بلغ اشده وبلغ اربعين سنة اتيناه حكما اي حكمة وهو العمل المؤيد بالعلم وعلما بتاويل الاحاديث • او حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على ان الله اتاه الحكم والعلم لاستحقاقه اياه باحسانه في العمل واتقائه في عنفوان الامر اسهابا لكمال

وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي في ارض مصر اي كما انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في ارض مصر فجعلناه على خزائنها معالم
اي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره قيل الهاء في امره كناية عن الله تعالى يقول ان الله غالب على امره يفعل ما يشاء لا يغلبه شيء ولا يرد حكمه راد • وقيل هي راجعة الى يوسف معناه والله مستول على امر يوسف بالتدبير والحياطة لا يكله الى احد حتى يبلغ منتهى امره فيه ولما بلغ اشده منتهى شبابه في شدته وقوته قال مجاهد ثلثا وثلثين سنة • وقال السدي ثلثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة • وقال الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة • وسئل مالك عن الاشد قال هو الحلم اتيناه حكما وعلما فالحكم النبوة والعلم الفقه في الدين وقيل حكما اصابة في القول وعلما بتاويل الرؤيا قيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم وكذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام معالم

اياك واياها مرتين فسمع هو تارة اعرض عن هذا فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان ذلك منه ايضا لما برأ نفسه من ذلك اسمى المدارك

من ابي السعود

وراودته التي هو في بيتها المراودة المطالبة من راد يرود اذا ذهب وجاء لطلب الشيء ومنه الرائد ويجوز ان يكون من الرويد وهو التمهل والرفق فالمراودة هي المطالبة على الرفق والتمهل وهي مفاعلة من واحد نحو داويت المريض وتعديتها بعن لتضمنه معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه من الاحتيال في اخراج ما في يده وهو يحفظه ويكره اخراجه نفى المجاوزة اي راودته ان يجاوز نفسه لا ان يقف عندها بان لا يطاوعها وانما قال التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها ولا بامرأة العزيز سترا على الحرم والتعرض لتعنيف السوء الى انسان تقول ربة البيت قال يا ربة البيت قومي غير صاغرة وفي ذكرها بالموصول توصل الى زيادة تقرير معنى الخبر ليفيد براءة يوسف عن السوء فان كونه في بيتها يقرر معنى المراودة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتغليق الاطباق بما يعسر فتحه والتشديد للتعدية لان غلقه ابواب غلقا لغة رديئة متروكة ذكره الجوهري وهو انه للتكثير او المبالغة في الاستيثاق فقدمه وقالت هيت لك اسم فعل معناه بادر واقبل واللام للبيان اي لك اقول هذا وقرئ هيئت على لفظ الفعل بمعنى تهيأت وعلى هذا اللام صلته قال معاذ الله مصدر اي اعوذ بالله معاذا انه ربي ان الشأن سيدي وبالكي احسن مثواي حين امرك بالاحسان الي فكيف اخونه في اهله من الايجاز البليغ حيث اكتفى بذكر المقتضي والتقدير في مثل هذا او الذهاب الى نوع من الايجاز من ضيق الفطن مما لا يخفى على ارباب الفطن انه لا يفلح الظالمون ويدخل فيهم الذي يجازي الحسن بالسيء دخولا اوليا وايثار صيغة الجمع لبيان ان جمعهم لا يفلح ولقد همت به اي بمخالطته لان الهم لا يتعلق بالاعيان وهم بها اي بمخالطتها ولو قيل وتهم بها بالمخالطة لكان اخص وكان انبأ عن الجواب المقدر اظهر لا انه فصل بين الهمين بذكر كل على حياله دلالة على افتراقهما حكما ثم مدحا وذما فالجمع بينهما ابطال لما هو المقصود من الكلام وهو التنبيه على انهما وان كانا مشتركين في اصل الخصوص الا ان احدهما ميل عن شهوة تبعها العقل فازدادت تسلطا وصارت ٥

من المدارك

وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اي طلبت يوسف ان يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت الابواب وكانت سبعة وقالت هيت لك هو اسم لتعال واقبل وهو مبني على الفتح وهيت لك مكي بناه على الضم هيت مدني وشامي واللام للبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله انه لا يفلح الظالمون الخائنون او الزناة او اراد بقوله انه ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم عزم وهم بها هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا يؤاخذ عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف ان يهم يقال هم بالامر اذا قصده وعزم عليه وجواب لولا ان رأى برهان ربه محذوف اي لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لان جواب لولا لا يتقدم عليه لانه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز ان يكون وهم بها داخلا في حكم القسم في قوله ولقد همت به ويجوز ان يكون خارجا ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا ظ

قوله تكه
اجفور دبكد

وصارت عزيمة قاهرة والثاني ميل عن شهوة قاصرة ردعه العقل فاضمحلت في الآخرة واذا كانا كذلك فالتلف بينهما عن طباق المقام بمراحل ولا خلاف في ان همها كان معصية لانها كانت مصرة واما همه فهو من قبيل ما يخطر في النفس ولا يثبت في الصدر وهو الذي رفع الله تعالى فيه المؤاخذة عن الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه فلا زلة فيه مع ان لزلة الانبياء عليهم حكما زيادة الوجل وشدة الحياء بالحجل والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد الامل وكونهم ائمة في الرجال لاهل الزلل لولا ان رأى برهان ربه ان رأى في موضع رفع والجواب محذوف ليعلم السامع به اي لولا رؤيته برهان ربه لامضى ما هم به ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها وظاهره يدل على انه شاهد امرا صرفه عما قصده حتى قيل انه رأى جبريل عليه السلام وقيل نحو ذلك وهذا الذي ذكره غير صحيح لان ذلك يقتضي الالجاء ويزول التكليف ولو كان كذلك لما استحق يوسف عليه السلام مدحا وثوابا على امتناعه عما هم به وقد مدحه بقوله انه من عبادنا المخلصين فالوجه ان يكون الرؤية بمعنى العلم والبرهان ما دل الله تعالى ليوسف عليه السلام على تحريم ما هم به انتهى

من تفسير ابو السعود

قوله وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج ابتداء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحدة نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن لمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتحمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك

قيل لو أحببه ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال

ولا ظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها و

استعصائه عليها مع كونه تحت ملكها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة و

النزاهة **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون

الافعال • وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** وقرئ بفتح الهاء وكسرها مع

فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط • وهيت كجير • وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر

واللام للبيان اى لك اقول هذا • كما في هلم لك • وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت

يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ • وهئت لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اى

اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه • وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل

بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهد

مما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء

وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي** تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى

يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعدا لتنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد تقبله

لما سولته لها نفسها • والضمير للشان ومدار موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره •

وفائدة تصدير الجملة به للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فانه

الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن

عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اى سيدي العزيز

احسن مثواي اى احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة

في حرمه • وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه • وقيل الضمير لله عز وجل وربي

خبره واحسن مثواي خبر ثانه • او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى انه الخالق هذا اكيف

اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة • وفيه تحذير لها عن عقاب الله تعالى وعلى التقديرين

ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضاء الامتناع عما دعته اليه ايذان

بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا

وقوله **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل • والفلاح الظفر • وقيل البقاء

في الخير • ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في

ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا • وقيل الزناة لانهم

ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى

قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت

ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك

ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما

يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها

عما كانت عليه بما في مقالته صلى الله عليه وسلم من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة

البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا

اختياريا • لا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم

افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما •

وانما عبر عنه بالهم بمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل

ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم

كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو

اثره من قوله عز وجل **لولا ان رأى برهان ربه** اى حجته الباهرة الدالة

وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يذكر ذنوب الانبياء في القرآن ليعيرهم ولكن ذكرها ليبين

موضع النعمة عليهم • ولئلا ييئس احد من رحمته • وقيل انه ابتلاهم بالذنوب ليتفرد

بالطاعات والعزة • وعن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى **وهم بها** قال حل سراويله

وقعد منها مقعد الرجل من المراة قال اذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد

مكتوب فيه وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت •

فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر ذلك الكف مكتوبا عليه ولا تقربوا الزنا انه

كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت • فلما ذهب عنهما الروع عادت وعاد

فراى ذلك الكف مكتوبا عليه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فقام هاربا وقامت •

فلما ذهب عنهما الروع عادت وعاد فقال تعالى لجبريل عم ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة

فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله

في الانبياء • وروي انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله • وقيل رفع يوسف راسه

الى سقف البيت حين هم بها فراى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا

الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي يتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان • وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا • وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا • وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم ح على معناه الحقيقي • فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا • وقد فسر همه عليه السلام بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها • وبرؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته • وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من اناملة • وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته • ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله سبحانه وتعالى لجبرئيل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء • وقيل رأى تمثال العزيز • وقيل وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك لنفرغ عنه الخ

انتهى ابو السعود رحمه الله

نكتة

الهم هو مقاربة الفعل من غير دخول فيه فهمها عزمها على المعصية والزنا • واما همه فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن • وعن مجاهد قال حل سراويله وجعل يعالج ثيابه هذا قول اكثر المتقدمين سعيد بن الجبير والحسن • وقال الضحاك جرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جيد يوسف وباليد الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما • وقال ابو عبيد قد انكر قوم هذا القول وقالوا هذا لا يليق بحال الانبياء • والقول ما قال متقدموا هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء بغير علم • وقال السدي وابن اسحق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي • قالت ما احسن عينيك قال هما اول ما يسيل على وجهي في قبري • قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب يأكله • وقيل انها قالت ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها وهم بها ثم ان الله تدارك عبده ونبيه بالبرهان الذي ذكره • وزعم بعض المتأخرين ان هذا لا يليق بحال الانبياء وقال تم الكلام عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ الخبر عن يوسف وقال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه على التقديم والتأخير اي لولا ان رأى برهان ربه لهم بها ولكنه رأى البرهان فلم يهم • وانكره النحاة وقالوا ان العرب لا تؤخر لولا عن الفعل فلا تقول لقد قمت لولا زيد وهو يريد لولا زيد لقمت • وقيل همت بيوسف ان يفترشها وهم بها يوسف اي تمنى ان تكون له زوجة وهذا التأويل وامثاله غير مرضية لمخالفتها اقاويل العلماء الذين يؤخذ عنهم الدين والعلم • وقال بعضهم ان القدر الذي فعله يوسف كان من الصغائر والصغائر يجوز على الانبياء • وروي ان يوسف عليه السلام لما دخل على الملك حين خرج من السجن واقرت المرأة قال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي الاية ⑤

من التيسير

فارادة يوسف عليه السلام بها معتمدا على اقتضاء الطبع البشرية لا مع العزم منه • والهم في الاصل عقد القلب على فعل شيء قبل ان يفعل من خير او شر • فهمها عزمها على المعصية من غير شروع فيها • وهمه حل الهميان وجلوسه مجلس الخاتن بكراهة • والفرق بينهما ان همها تم ثابت لكونه مع العزم وعقد القلب والرضاء فالعبد ماخوذ به • وهمه عارض معتبر الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم فان العبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل • وقيل همها ذنبها كبيرة لانه حقيقة عزمها وهم يوسف به يقدر حاله صغيرة والصغائر يجوز على الانبياء. انتهى

من النسفي رحمه الله

وقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء و
لو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه ● وقوله
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ● ولو كان كذلك
لخانه بالغيب ● وقوله ما علمنا عليه من سوء
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ● ولانه لو وجد
منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان
لآدم ونوح وداود وذي النون عليهم السلام
وقد سماه الله تعالى مخلصا ● فعلم بالقطع انه ثبت
في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة اولي العزم
ناظرا في دلائل التحريم حتى استحق من الله تعالى
الثناء ● ومحل الكاف في كذلك نصب اي مثل
ذلك التثبيت ثبتناه ● او رفع اي الامر مثل
ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء
الزنا انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام حيث
كان مدني وكوفي اي الذين اخلصهم الله تعالى
لطاعته وبكسرها غيرهم اي الذين اخلصوا
دينهم لله ● ومعنى من عبادنا اي هو مخلص
من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وتسابقا
الى الباب هي للطلب وهو للهرب على حذف الجار
وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه ●
او على تضمين استبقا معنى ابتدرا فنفر منها
يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه
لتمنعه الخروج ● ووحد الباب وان كان جمعه
في قوله وغلقت الابواب لانه اراد الباب البراني
الذي هو المخرج من الدار ● ولما هرب يوسف
جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه
فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب و
تبعته تمنعه والفيا سيدها لدى الباب
وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد ان يدخل

فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها
من الريبة ● ولتخويف يوسف طمعا في ان يواطئها
خيفة منها ومن مكرها حيث قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وهو الضرب
بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا
لانها قصدت العموم اي كل من اراد باهلك سوءا فحقه
ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من
تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب
ووجب عليه الدفع عن نفسه قال هي راودتني ● ا‍ه
المدارك

من ابن كمال رحمه الله

كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه ● او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من
عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته
وقرئ بالكسر اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي تسابقا اليه هو للخروج والهرب منها وهي لمنعه
منه واصل الفعل ولقد حسن موقعه حيث كان في
التعبير عن المراد ايضا سابقه الى القصد ● وانما وحد
الباب هنا لان بيانه تعدده فصله في هذا المقام بخلاف
ما سبق ● والاستباق الى الباب ينتظم الاستباق الى الكل
وقيل تعديته بالذات باعتبار تضمين التسابق معنى
التبادر اي تبادرا الباب طالبين السبق فسبقها
يوسف عليه السلام على ما دل عليه قوله وقدت قميصه من دبر
عطف على محذوف تقديره فادركته وقدت ● والقد
الشق طولا ● قيل ادركته قبل ان يخرج فقبضت في
اعلى قميصه فتخرق القميص عند طوقه ونزل الى اسفل
القميص ففي قوله قدت دون خرقت بيان انها جذبته
من اعلى القميص دون اسفله ولولا ذلك لكان المتبادر
الى الفهم خلاف ما هو الواقع وهو الجذب من الذيل فالقيد
المعتبر في القد اصاب المحز والفيا سيدها اي صادفا
بعلها تقول المرأة لبعلها سيدي لدى الباب لدى مخصوص
بالحضور ولا يتضمن معنى الاستحفاظ بخلاف عند فانه
يتضمنه ويستعمل في الغيبة ايضا ولهذا ذكر عند في قوله عند
متاعنا دون لدى فكل منهما صادق محزه قالت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي
ليس جزاؤه الا السجن او التعذيب ● او استفهامية اي اي
شيء جزاؤه الا السجن او التعذيب كقولك من في الدار
الا زيد ● ما عينت يوسف عليه السلام بل عممت حيث قالت
من اراد اي كل من اراد باهلك سوءا فما جزاؤه الا السجن
او التعذيب ليكون ابلغ فيما هو مراده من تخويف يوسف
عليه السلام وانما كان ابلغ ⊙

⊙ وانما كان ابلغ لانه كالدليل على استجابه للعقاب قالت ليبعلها لما رآها على تلك الهيئة المريبة ايهاما
انها فرت منه تبرئة لساحتها واغراء له بيوسف عليه السلام وحملا لنا طبة عليه اذ لم يواتها فارادت
تخويفه عسى ان يقضي وطرها خوفا من مكرها حين لم يقض حاجتها حبالها كعقولنا ولئن لم يفعل
ما آمره ليسجنن فجمعت بين كيديها ● وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ● والترديد بينه وبين
السجن يدل على عظم موقع السجن من ذوي الاقدار حيث قرنته بالعذاب الاليم ولما اعرت يوسف عليه السلام
واظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال هي راودتني الآية

جمعت ... اغرت ...

ابو السعود رحمه الله

كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اي
مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل ● او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنى لانه مفرط
القبح ● وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا
لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء ● وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات
العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما
سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق ● والمخلصون هم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه ● وعلى كلا
المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث
له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا
الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ● كذلك الخ اعتراض جيء به
بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك وقوله نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض والمعنى ولقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص
وكذلك وحد بعد الجمع فيما سلف ● وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم
او ضمن الاستباق معنى الابتدار ● واسناد السبق في ضمن الاستباق اليها مع ان مرادها مجرد
منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت
هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج ● او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط ● وقد قيل في
وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ● واسناد القد اليها خاصة مع ان
لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن
الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها
وان لم يكن مالكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما ● قيل الفياه مقبلا ● وقيل كان جالسا مع
ابن عم للمرأة لدى الباب اي البراني كما مر ● وروي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر
ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز
عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم
ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم ● قيل المراد به الضرب بالسياط ● او استفهامية اي اي
شيء جزاؤه غير ذلك او ذاك ● ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز
على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال
يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته
لها كرها عند يأسه عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من
الصاغرين ● ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه
غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لتحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون
الايالة وتخابر المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان
وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية
قال هي راودتني عن نفسي الآية

ابن كمال رحمه الله

ولما عزت يوسف عليه السلام واظهرت تهمته احتاج الى ازالة التهمة عن نفسه ولذلك قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاة • اي بغير الغيبة اذا كان غلبت عليه الحيا ان يشير اليها و يعينها بالاشارة لان في المواجهة بالقبيح ما ليس في الغيبة ولما تعارض قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناة ونصفه طلب الشاهد فالواو في وشهد شاهد من اهلها عاطفة على مقدر • قيل كان ابن عم او خال لها صبيا في المهد • وما قيل انه كان حكيما يرده ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف عليه السلام وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين • وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم للحجة عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين من قبيل المسامحة واحد شقي الكلام لتعين الاخر عند القائل بتنزيل المحتمل منزلة الظاهر لان الشق بالجذب في هذا الشق ايضا محتمل • ومن غفل عن هذا قال لانه يدل على انه قصدها فدفعته عن نفسها فقدت قميصه • او انه سرع خلفها فتعثر بذيله فانقد من قدامه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت قميصه فقدته • حكيت الشرطية بعد فعل الشهادة لانها نوع من القول فلا حاجة الى ارادة القول من الخارج • قيل استعارة الشهادة للشرطية المذكورة لادائها مؤدى الشهادة في اثبات قول يوسف عليه السلام وابطال قولها ومبناه الغفول عن ان القول المذكور معطوف على مقدر ينتظم امر الشهادة على الحقيقة وجواب الشرط فصدقت فكذبت وهو على اضمار قد • والجمع بين ان الاستقبال والماضي المحقق في الشرط والجزا على تاويل ان يعلم انه كان قميصه قد كقولك لمن تمنن عليك باحسانه ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل اي ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق • وقرئ من قبل ومن دبر لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتحة كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف و بسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر وعلم صدقه وكذبها قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن ايتها النسوة فالخطاب لها ولجواريها اولها ولسائر النساء فانها قد اشتهرت بشدة الحيل ان كيدكن عظيم

ابو المعين النسفي رحمه الله

قال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها زليخا ولم يفضحها وشهد شاهد من اهلها هو ابن عمتها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها زليخا ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف • وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا في المهد و سمي شهادة لانه ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به يوسف وبطل قولها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين • والتقدير وشهد شاهد فقال ان كان قميصه الخ وانما دل قد قميصه من قبل على انها صادقة لانه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فيشقه ولانه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق القميص من قبل • واما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقال لها دبر وانما جمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد فلما راى قطفير قميصه قد من دبر وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو الاحتيال لنيل الرجال من كيدكن الخطاب لها ولامثالها ان كيدكن عظيم لانهن الطف كيدا او اعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق • وعن بعض العلماء اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى قال ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به ثم قال لراعيل واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا • وانما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على

وعن بعض العلما اني اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس • وهذا لانهن يواجهن الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف حرف النداء لقربه وكمال فطنته وسرعة فهمه للحديث لذكائه • وقيل فيه تقريب له وتلطيف لمحله • وفيه نظر لان الاسم الظاهر على ما بين في كتب المعاني طريق الغيبة اعرض عن هذا اي عن هذا الامر اراد بالاعراض عنه كتمه وعدم التحدث به ثم اقبل على فعال واستغفري انت ثم ذكر سبب الاستغفار بقوله لذنبك ثم اكد ذلك بقوله انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب • يقال خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير تغليبا لتاكيد المتعمد فان النسوان في ... النسوان غالب

ابو السعود افندي رحمه الله

قال استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت • وانما قاله عليه السلام لتبرئة نفسه عما اسندته اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ورفع ما عرضته له من الامرين الامرين • وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عم لها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب • وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره • ويجوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق • وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة • وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببرائته وهو الاظهر فانه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين • ذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء • وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة • وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا ... وتسميتها شهادة مع انها لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لما ادتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها • اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبيل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا • واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما بالمشاهدة او باخبار ... فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ... صونا من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة بظاهرها بين نفعها ونفعه • واما الحقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده لمن قد القميص من قبل فيكون محالا لاستحالة ... ومن ضرورته تحقق كذبها • والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل في ... زوجني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر متحقق تنجيز • وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد • وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية • وقرئ بسكون العين فلما راى قميصه

قد بين ذلك كأنه لم يكن رأى بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر
وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى آخره
لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن
اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن تخصيص
عن الاضافة الى الارادة المصوبة بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب
للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند
ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع
من ان ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في
يوسف عليه السلام يأباه الخبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه
ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف
من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء
ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف عنه حرف النداء
لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحدث
به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت
عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم
يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة
انتهى ابو السعود

ابو السعود رحمه الله

وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب
وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث
اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثلة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث في المدينة
ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امرأة العزيز اي الملك يردن قطفير واضافتهن
لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة الخبر
بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي
لقصد الاشباع في لومها بقولهن تراود فتاها اي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه
عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثار صيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة
والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان
ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي
وتعبيرهن عن يوسف بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان
بل ربما يشعر بنوع عزة لا بانة بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك
لتربية ما مر من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دني قد تعذر
في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها
لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال
قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل
الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول
الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان
فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا
لدوام المراودة من حيث الانية مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ٥

٥ ومن حيث الانية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذلك القاصر وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن
الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت
من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين
واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين
المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطا عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين
اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال
ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها
فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة
منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق
والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث
كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي
طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن
المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد
باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشدوا
فاهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من
تكئ اذا اتكأ
انتهى ابو السعود

كمنتزاح في منتزح

النسفي رحمه الله

وقال نسوة جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولهذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه لتنال شهوتها منه قد شغفها حبا تمييز اي قد شغفها حبه يعني خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب انا لنريها في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت راعيل بمكرهن باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن وهيأت افتعلت من العتاد متكأ ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن فتقطعها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده

انتهى المدارك

ابن الكمال

وقال نسوة النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وضم النون لغة فيه في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر ويفهم منه كونهن فيها بخلاف ما اذا كان صفة لنسوة فانه لا يفهم منه معنى الاشاعة فيها فالوجه كونه ظرفا دون صفة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك والفتى الغلام وعرفه في المملوك وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة يعني انهن اشعن هذا الامر من حب راعيل ليوسف عم وصرحن باضافتها الى العزيز مبالغة في التشنيع لان النفوس اميل لسماع اخبار ذوي الاخطار وما يجري لهم واخترن صيغة المضارع لدلالتها على انه صار ذلك سجية لها تخادعه دائما عن نفسه ثم نبهن على علة دعوتهن المراودة وهي كونها والهة في حبه بقولهن قد شغفها حبا اي خرق حبها الشغاف وهو حجاب القلب حتى وصل الفؤاد وانتصب حبا على التمييز المنقول من الفاعل وفيه مبالغة بليغة في التعشق بذكر الشغاف والابهام والتبيين كانه من استيلاء حبه على قلبها وتمكن في حبة قلبها وسويدائه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران ثم نعين ذلك عليها بقولهن انا لنراها في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب مبين واضح للناس فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانه اخفينه كما يخفي الماكر مكره لما عرفت ان سياق الكلام يفصح عن الاشاعة بل لانه قلن ذلك ليرين يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت لهن متكأ اي سوت وهيأت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا والاول يناسب المقام لما فيه من مقابلة المكر بالمكر كانها قصدت بقعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان تقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها اذا بهتن ويشغلن عن انفسهن من الدهش والحيرة عند رؤيته لان المتكئ اذا دهش مال بتكائه فوقعت يده على يده وقرئ متكا مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ ومتكاء قطعه وهو الاترج اي ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا

انتهى

ابن الكمال رحمه الله

وآتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت سكينا يعالج به ما يحتاج الى قطعه مما قدم من اللحوم والفواكه وقالت ليوسف اخرج عليهن وذلك في حال ما كن يعالجن بالسكين فلما رأينه عطف على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه وحذفه هنا كحذف فضرب في قوله اضرب بعصاك الحجر فانفجرت • وفيه دلالة على سرعة امتثاله لامرها اذا كان بالمعروف أكبرنه أعظمنه وأعجبن من ذلك الجمال الباهر للعقول المدهش للقلوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف عليه السلام ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل معنى اكبرنه حضن يقال اكبرت المرأة اذا حاضت واصله دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر • والها. للسكت او ضمير يوسف عليه السلام على حذف اللام وايصال الفعل اي حضن له من شدة الشبق ومنه قول ابي الطيب خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين لفرط الدهش • والتضعيف للتكثير كان الجرح وقع مرارا في اليد الواحدة وصاحبتها لا تشعر به لما ذهلت بما رأت من جمال يوسف عم فكانها غابت عن حسها اثرت رؤيته عليه السلام فيهن ولم تؤثر في امرأة العزيز لطول الصحبة والاعتياد والنعت صفة اهل البداية وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وحاش اصله حاشى فخففت بحذف الالف وهي كلمة يفيد معنى التبرئة والتنزيه ومن زاد على هذا قوله في باب الاستثناء فقد خبط لما عرفت انه يفيد المعنى المذكور في غير مقام الاستثناء وانه في ذلك الباب لا يفيد الا معنى الاستثناء اذ لا فرق بين قولك قام القوم الا زيدا وقولك قام القوم حاشى زيد ثم انه مثل بقوله اساء القوم حاشى زيد ولم يدر ان معنى التنزيه انما استفيد لدلالة الكلام على براءة زيد من الاساءة لان حاشى في مقام الاستثناء يقتضي ذلك قطعا الا يرى انه لو ذكر بدل اساء فعلا آخر لا يفيد المعنى المذكور • واللام للبيان كما في قولك سقيا لك • وقرئ حاشى الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناصية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناصية لقد كما يتوهم ناصية الله سبحانه

٥

٨

الشيخ زاده رحمه الله

وآتت كل واحدة منهن سكينا وكانوا لا يأكلون في ذلك الزمان الا بالسكاكين كفعل الاعاجم وقالت اخرج عليهن بكسر التاء بصري وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران • وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة • وقيل اكبرن بمعنى حضن والها. للسكت اذ لا يقال النساء قد حضنه لانه لا يتعدى الى مفعول يقال اكبرت المرأة اذا حاضت • وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر • وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق • وقطعن ايديهن وجرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها اي اردن ان يقطعن الطعام الذي في ايديهن فدهشن لما رأينه فخدشن ايديهن وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد • وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله • وقراءة ابي عمرو وحاشا لله نحو سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرئ وينزه • وغيره حاش لله بحذف الالف الاخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية لما ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان لسماع

الجزء الثاني

٥

ما هذا بشرا لان مثل هذا الجمال غير معهود للبشر • واعمال ما بمعنى ليس لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم • واما قراءة بشرى اي بعيد مشترى بمعنى مشترى حاصل بشرا فلا يطابق قوله ان هذا الا ملك كريم لان هذه المشاهدة الرائعة بالحسن والهيئة في الجمال لا يكون الا للملك وقد ركز في الطباع ان لا احسن من الملك ولا اقبح من الشيطان وشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما اولان الجمع بين الجمال الرائع والعصمة البالغة لا يكون الا للملائكة انتهى ابن كمال رحمه الله

ابو السعود افندي رحمه الله

وآتت كل واحدة منهن سكينا تستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات • وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك • وفيه ايذان بسرعة امتثاله عم لامرها فيما لا يشاهد مفسدة من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر • وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء • وقيل معنى اكبرنه حضن والها. للسكت او ضمير راجع الى يوسف عم على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق • وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما عملن • وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع • واصله حاشا كما قراءة ابو عمرو في الدرج فحذف الالف الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله • وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة • وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقولك غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير • وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش للاله • وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال • وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اي بعيد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال انتهى ابو السعود

٥ ودلّت الآية على أن النسوة راودته عن نفسه ولذلك قال اذ راودتن يوسف عن نفسه • ويجوز ان يكون
اسنادا للدعوة والمراودة اليهن لانهن ينصحن له ويزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في
السجن والصغار • وقيل انما ابتلي يوسف عليه السلام بالسجن لانه تجلّد على الله تعالى وتصبر بقوله رب السجن
احب الي وكان حقه ان يسال العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر
والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على
العصمة اصب اليهن اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي • والصبوة
الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبوا الى الها الطيب نسيمها وروحها • وقرئ اصب من الصبابة
واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء
او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح انتهى بالكمال

ابو السعود افندي رحمه الله

قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من
الخروج في الحسن والجمال عن مراتب البشرية والاقتصار على الملكية • فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى
ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في
الافتتان به حيث رأيتن بحيلتي بنسبتي الى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك • او بالعنوان الذي
وصفنه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني • فهو خبر لمبتدأ محذوف اي فهو
ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفيّ ما قلتن فالآن قد علمتن من هو و
قولكن فينا • واما ما يقال تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في
الافتتان به فلا يلايم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما
صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال يحقق المعتذر قبل ظهور
معذرته • وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص
الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي تمشية مرامها ثم
بعدما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت
لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة
وهي بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها
كما في استمسك واستجمع الرأي • وفيه برهان نيّر على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه
بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا للابتهاج
بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل الى طرفها ثم زادت عليه ايضا انها
مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل
ما آمره اي امري به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير
فالضمير للموصول • او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه • فما مصدرية • فالضمير ليوسف • وعبرت
عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة •
اثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما بسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كأنه
لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونا بالخفيفة من الصاغرين اي الاذلاء في السجن • وقد قرئ
الفعلان بالتثقيل ولكن المشهور اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف • واللام
الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين • ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي
على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق
عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها • ولما كان هذا الابراق والارعاد مظنة
لسؤال سائل يقول فماذا صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن
الذي اوعدتني بالالقاء فيه • وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اي آثر عندي لانه مشقة
قليلة نافذة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه ٥

من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم • وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مرّ
من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها • فصيغة التفضيل ليست على
بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى
الايثار السجن • والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من
الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته •
واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها • وقيل
دعونه الى انفسهن • وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا • وكان الاولى به
ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر
والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان
تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي اميل الى اجابتهن • او الى
انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية • وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف
الله تعالى جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين رحمهم الله في قصر نيل الخيرات والنجاة
عن الشرور على جناب الله تعالى وسلب القوى والقدر عن انفسهم • ومبالغة في استدعاء
لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت
لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن

النسفي رحمه الله تعالى

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه تقول هو ذلك العبد
الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني
فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولا لعذرتنني
في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع
البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو
يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي
على ان يوسف عم بريء مما فسر به اولئك الفريق
الهم والبرهان • ثم قلن له اطع مولاتك فقالت راعيل
ولئن لم يفعل ما آمره الضمير راجع الى ما وهي موصولة
والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قوله امرتك
الخير • او ما مصدرية والضمير يرجع الى يوسف
اي ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري
ومقتضاه ليسجنن ليحبسن والالف في
وليكونا بدل من نون التاكيد الخفيفة من
الصاغرين مع السراق والسفاك والاباق
كما سرق قلبي وابق مني وسفك دمي بالفراق
فلا يهنأ له الطعام والشراب والنوم هنالك
كما منعني هنا كل ذلك • ومن لم يرض بمثلي
في الحرير على السرير اميرا حصل في الحصر على الحصير
حسيرا فلما سمع يوسف تهديدها قال رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه فاسند الدعوة
اليهن لانهن قلن له ما عليك لو اجبت مولاتك
وافتتنت كل واحدة به فدعته الى نفسها
سرا فالتجأ الى ربه وقال رب نزول السجن
احب الي من ركوب المعصية والا تصرف عني
كيدهن فزع منه الى الله تعالى في طلب العصمة اصب
اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى
ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب
نسيمها وروحها واكن من الجاهلين من الذين
لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو
نفع

ابن الكمال رحمه الله

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي به واللوم الوصف
بالقبيح على وجه التوبيخ والتشنيع • وذا اسم اشارة
واللام لبعد المشار اليه • وكن خطاب لتلك النسوة
والمعنى ان هذا الذي صدر من كن الاكبار وتقطيع
الايدي فيه ونفي البشرية عنه واثبات الملكية له
ذلك العبد الكنعاني لمتنني بسبب الافتتان به قبل
ان تصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتنه
لعذرتنني • او فهذا الذي لمتنني به • وانما قيل
ذلك وهو حاضر تعظيما له ورفعا بمنزلته في الحسن
واستبعادا لمحله • والغرض ان يثبت له استحقاق
ان يحب ويفتتن به ولقد راودته عن نفسه الاخبار
عن المراودة المذكورة مؤكدا بقد واللام يدل على انه
لم تخبر عنها قبل هنا • ثم قيل في تفسير فلما سمعت بمكرهن
انما سماه مكرا لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ليس بذاك فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت
لهن حين عرفت انهن عذرنها لما نفعا ونزهنا على الامانة عن ركبته
الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ و
التحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة
منها ونحوه استجمع الراي واستعجل الخطب • وهذا بيان
لما كان يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
انور منه على غاية عصمته ونزاهة طهارته • وفي الفاء
التعقيبية دلالة على انه ما صدر عن يوسف عليه السلام
من المراودة والاستعصام فعل يفصل عنه • فمن ههنا
تبين ان الواقع من جانبه عم مجرد هم عن اختياري
فما زيد على ذلك وذكر في كتب التفاسير والقصص مردود
بنص الكتاب فافهم والله الهادي الى الصواب ولئن لم يفعل
ما آمره اي ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير
او امري اياه ومعناه موجب امري ومقتضاه فيكون
الضمير له عليه السلام • واللام في لئن موطئة لقسم
محذوف وجوابه ليسجنن وجاءت النون المشددة
لانها اكد من الخفيفة ثم عطف عليه وليكونا بالنون
الخفيفة لان الصغار اخف من السجن • وقرئ بالنون
المشددة والاول اولى معنى لما تقدم ولفظا لان
النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك
لا يكون الا في الخفيفة من الصاغرين من الاذلاء من
صغر بكسر العين يصغر صغارا وصغرا • واما الضغير
فمن صغر بالضم يصغر صغرا قال رب السجن وقرئ بالفتح
على المصدر احب الي مما يدعونني من ركوب المعصية وهي
محبة الاختيار والايثار لا محبة النفس فانه نهى عما
تدعون اليه دليله قوله اصب اليهن

والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها • وقرئ
اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء • او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من
القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح انتهى ابو السعود

ابن الكمال رحمه الله

فاستجاب له ربه فاجاب الله تعالى دعاءه الذي ضمنه
قوله والا تصرف عني فان فيه معنى طلب الصرف والدعاء
باللطف فصرف عنه كيدهن بتثبيته على العصمة تعقيب
للاستجابة انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم
باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا ظهر لهم للعزيز واهله
من بعد ما راوا الايات هي الشواهد على براءته كشهادة
الصبي وقد القميص وما قطع النساء ايديهن فليس
منها كما لا يخفى وفاعل بدا مضمر لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي
هو ليسجننه وهو جواب قسم محذوف والقسم وجوابه
معمول لقول محذوف تقديره قائلين وما كان ذلك
الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة
وكان مطواعة حتى انساه ذلك بعد ما عاين من
الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما
اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها اي
لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وقرئ لتسجننه
بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه
او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان
كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه
او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين
وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي
عبدان للملك قال الزجاج يسمى المملوك فتا شيخا كان
او شابا والواو للعطف على محذوف تقديره
امضوا رايهم في سجنه فسجنوه ودخل معه اي في
صحبته السجن فان مع حقيقة فيها فلا يصرف عنها الى
المجاز الا لصارف كما في قوله تعالى واسلمت مع سليمان و
المعنى انه عليه السلام دخل السجن واتفق ان دخل معه
آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما
قصدا ان يسماه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني
اي ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية استحضارا
للصورة عند السامع اظهارا للاهتمام بتاويلها اعصر خمرا
وفي قراءة ابن مسعود رضه عنبا والاطلاق الخمر على العنب
مجاز من باب تسمية الشيء بما يؤول اليه ونكتة المجاز
بيان ان عصره كان للتخمير لا لامر آخر على وجه الايجاز و
قال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه نبئنا بتاويله شبه الاخبار بما سيقع
من الامور الغيبية بتفسير المشكل والايضاح عن معناه
لابهامه فسماه التاويل والضمير لما وقتا عليه جاريا مجرى
اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين
الذين يحسنون تعبير الرؤيا فان ذلك لانهما راياه تعبير
بعض اهل السجن او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا
بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه انتهى باكمله

طلبت

جلد

من النسفي رحمه الله

فاستجاب له ربه اي اجاب الله دعاءه فصرف عنه
كيدهن انه هو السميع بدعوات الملتجئين اليه العليم
بحاله وحال تهن ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره
عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم
راي والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا
الايات وهي الشواهد على براءته كقد القميص وشهادة
الصبي وغير ذلك ليسجننه لابلاء عذر الحال وارخاء
الستر على القيل والقال وما كان ذلك الا باستنزال
المراة لزوجها وكان مطواعا لها وجملا اذ لولا زمامه
في يدها وقد طمعت ان يذلله السجن ويسخره له
اذ خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون
فالجاه الخجل من الناس والوجل من الياس الى ان
رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب ليشتفي بخبره
اذا منعت من نظره حتى حين الى زمان كانها اقترحت
ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه ودخل
معه السجن فتيان عبدان للملك يوجد خبازه وشرابيه
بتهمة السم فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف
عليه السلام لان مع يدل على معنى الصحبة
تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب
ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له قال احدهما
اي شرابيه اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اي عنبا بما يؤول اليه او الخمر بلغة
عمان اسم للعنب وقال الآخر اي خبازه اني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله اي
بتاويل ما رايناه انا نريك من المحسنين من الذين
يحسنون عبارة الرؤيا او من المحسنين الى اهل السجن
فانك تداوي المرضى وتعزي الحزين وتوسع على الفقير
فاحسن الينا بتاويل ما راينا قيل انهما تحالما له ليمتحناه
فقال الشرابي اني رايت كاني في بستان فاذا باصل حبلة
عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك
وسقيته وقال الخباز اني رايت كان فوق راسي ثلاث
سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها اسود الدين
تنهش اي ترش

قوله وقال الآخر اني اراني الآية وكان رؤياه انه راى في منامه
كانه يخرج من مطبخ الملك وعلى راسه ثلث سلال من الخبز
فوقع طير على اعلاها واكل منها فقال له يوسف عليه السلام
بئس ما رايت اما خروجك من المطبخ فهو ان تخرج من عملك
واما ثلث سلال فهو ثلثة ايام تكون في السجن واما اكل الطير
من راسك فهو ان يخرجك الملك بعد ثلثة ايام ويصلبك
وتاكل الطير من راسك وهذا تعبيره كرماني

فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له
ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها
ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته
وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها اسيل ابو السعود بيضاوي
اقبر
اعلامه رحمه الله

فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر • وفى اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع للدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهى الشواهد الدالة على براءته عليه السلام • وفاعل بدا اما مصدره او الراى المفهوم من السياق • او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء • او راى • او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعة لها تقوده حيث شاءت • قال السدى انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم بانى راودته عن نفسه فاما ان تاذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها • وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه • او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراى المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادى الراى عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم • وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اى فى صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه روى ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك فى طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه • وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح فى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة • وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استئناف مبنى على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابى انى ارانى اى رايتنى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اى عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر • وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب • وفى قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير منه اى تنهش منه صفة للخبز • او استئناف مبنى على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤييين او ما رؤى باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى المتعدد كما فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ذلك والسر فى التعبير اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رؤى ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذى يدل على المشار اليه بالاعتبار الذى جرى عليه فى الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئنى بتاويله مستفسرا لما راه • وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم فى زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تاويلا حسنا • او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله • او من المحسنين الى اهل السجن اى فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روى انه عم كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك

قوله اعصر خمرا عنبا اعتصرها للملك وكان رؤياه انه راى فى منامه كانه يدخل كرما فراى فى الكرم حبلة حسنة فيها ثلث قضبان وعلى القضبان ثلث عناقيد العنب فجنى العنب فعصره وناوله الملك فقال له يوسف ما احسن ما رايت اما الكرم فهو العمل الذى كنت واما الحبلة فهى سلطانك على ذلك واما حسنها فهو عزتك وكرامتك فى ذلك العمل واما ثلثة قضبان على الحبلة فهى ثلثة ايام تكون فى السجن فتخرج فتعود الى عملك واما العنب التى عصرته وناولت الملك فهو ان يرد عملك ويكرمك ويحسن اليك من تفسير كرمانى

أن نشرك بالله من شيء اي شيء كان وتعميم مفعول نشرك وتأكيد النفي بزيادة من ليكونه كالبرهان
على امتناع اشراك الاصنام به تعالى على ابلغ الوجوه وانه اذا لم يصح الاشراك شيء ما به ولو كان اشرف
الاشياء فكيف باخسها وهي الجمادات ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحي والاختصاص بالنبوة
وعلى الناس بارسالنا اليهم لنهديهم اليه ونعلمهم ونزكيهم ولكن اكثر الناس المرسل اليهم لا يشكرون
فضل الله عليهم ولا يعرفون نعمة الهداية فكيف يشكرونها او من فضل الله تعالى علينا وعليهم بنصب الادلة
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون في الادلة اتباعا لاهوائهم ولا يستدلون بها ولا يتنبهون
لذلك الفضل فلا يشكرون تلك النعمة السنية

انتهى ابن الكمال

ابو السعود افندي

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما
ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك
بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق
المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل
لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول
فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم
يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور
المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه
من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤييين المتعلقين بالشراب والطعام وقد
جعل المعنى لما فهما من الرؤييين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل
ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة
وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار
فضله في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا وانه لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل
رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك
حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج [illegible]
عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره
ووقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليه من كلامهما
فكانه قال تأويل ما قصصتماه في طرف الثمام حيث رأيتماه في المنام واني ابين لكما كل جليل و
دقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي يأتيكما
كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه بذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل
الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد
في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي
لا يحوم حوله ادراك العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من
دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال تعالى اني
تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليل
لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية
لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس
تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا
عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير
عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى ٥

ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص
دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات
بسبب انه اتبع آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان
والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة
على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك
بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان
لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم
الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا
وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي
لا يوحدونه فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع
الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكرين
بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا الادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب
مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير
شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد
التي مهدها في الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك
القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها في ما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية
والنقلية انتهى ابو السعود

قصصتما

قصصتما

على ح

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله ببيان
ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل قبل
ان يأتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترض
ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء
وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من
الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما •
ويقول اليوم تأتيكما طعام من صفته كيت وكيت
فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما
التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح
اليهما الشرك • وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته
في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه
ان يقتبس منه لم يكن من باب التزكية ذلكما
اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله
عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالاخرة هم كافرون يجوز ان يكون كلاما
مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك و
اوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك وهم اهل مصر
ومن كان الفتيان على دينهم واتبعت ملة آبائي
ابراهيم واسحق ويعقوب وهي الملة الحنيفية و
تكريرهم للتوكيد • وذكر الآباء ليريهما انه من
بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي بما ذكر من
اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في اتباع قوله
والمراد به الترك ابتداء لا انه كان فيه ثم
تركه ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء
كان صنما او غيره ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله
علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
فضل الله كذا في ... ... لا يشهوه اسمى المدارك

فيشركون به

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه لما استعبراه اراد
ان يجعل ذلك ذريعة الى دعوتهما الى التوحيد فقدم
لذلك مقدمة باعثة اياهما على القبول وهي الاخبار
عن المغيبات كما هو طريقة الانبياء عليهم السلام
في انتهاز الفرصة في الدعوة الى الحق تعالى فقال
لا يأتيكما من عند الملك او واحد قائما او من غيرهم
ما تحتاجون عليه في السجن من الطعام الا نبأتكما
بتأويله اي ببيان هيئته وكيفيته قبل ان يأتيكما
فجعل ينبئهما كل يوم بما يحمل اليهما من الطعام قبل
ان يأتيهما ويقول اليوم يأتيكما كذا وكذا من الطعام
من صفته كيت وكيت فيكون كما اخبر • ويجوز ان يكون
الضمير في نبأتكما بتأويله راجعا الى ما استعبراه عنه
اي سانبئكم بتأويل ما قصصتما علي قبل ان
يأتيكما وظيفة الطعام الذي ترزقانه فكأنهما قالا له عمر
كيف تعلم ذلك وهو غيب فقال ذلكما اشارة
الى التأويل اي ذلكما التأويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله تعليل لما قبله وتشويق لهما الى الايمان
اي لاني تركت ملة قوم انتما على دينهم وهم اهل مصر
وكانوا مشركين وليس هو تركا بعد الكون فيها بل هو
الامتناع عنها اصلا وهم بالاخرة هم كافرون لما اراد
ان يحبب اليهما الايمان والتوحيد ويكره اليهما الكفر
والفسوق فقال هذه الكرامة لاني امتنعت عن
ملة قوم ليسوا من الايمان بالله في شيء ولا من
الايمان بالاخرة • وعدل عن الجملة الفعلية الى الاسمية
وكررهم وقدم الاخرة للدلالة على انهم قوم عادتهم
الكفر فهو لهم كالطبيعة لا امر عارض وانهم خصوصا
كافروه بالاخرة وان غيرهم مؤمنون وهم الذين على
ملة ابراهيم عليه السلام ولتخصيص كفرهم بالاخرة والجزاء
فان علمي التوحيد والمعاد هما اساس الدين وللتعريض
بان ما هم عليه من الظلم والكبائر لا يرتكبه الا من
هو كافر بدار الجزاء واتبعت ملة آبائي اطلاق
الاب على الجد وقدم وجهه ابراهيم واسحق ويعقوب
اي واتبعت ملة آبائي الانبياء عليهم السلام ويجوز ان يكون
اعني قوله اني تركت الخ ابتداء كلام لتمهيد الدعوة
بعد اظهار المعجزة • واثبات انه من بيت النبوة و
الشرف والكرامة ليقوي رغبتهما في قبول كلامه و
اتباعه ووثوقهما به ولهذا يجوز للعالم الخامل ان
يصف نفسه ليعرف فيقتبس منه ويهتدي بهديه
ما كان اي ما صح لنا معاشر الانبياء عليهم السلام

هذا ابن الكمال

يا صاحبي السجن ناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة واكتفى على الاتساع كما في قوله يا سارق الليلة أهل الدار ● ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله ءأرباب متكاثرة في العدد متفرقون بتفريق الغير المقهورون تحت قدرته خير أم الله الواحد القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ● مثل ضربه لعبادة الله تعالى وحده وعبادة الأصنام ● وبما قدمناه تبيّن وجه إصابة التوصيف بالقهار بحذره وكان الظاهر مقابلة الله بالآلهة ● وإنما عدل عنه للتنبيه على أن التعدد ينافي الألوهية ● ثم استطرد بعد هذا الاستفهام إلى الإخبار عن حقيقة ما تعبدون فقال ما تعبدون من دونه أي ما تعبدون شيئاً من دون الله ● والخطاب لهما ولمن على دينهما إلا أسماء سميتموها أي الأسماء بلا مسميات أحدثتموها أنتم وآباؤكم أي سميتم أشياء ليس فيها معنى الألوهية آلهة فعبدتموها باعتبار تلك الأسماء فكأنكم تعبدون تلك الأسماء الخالية من المسميات ما أنزل الله بها بتسميتها من سلطان من حجة تدل على تحقق مسمياتها إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله لأنه المستحق للعبادة بالذات من حيث أنه الواجب لذاته الموجد للكل المالك للأمر ● ثم بين ما حكم به فقال أمر أي على لسان أنبيائه عليهم السلام ألا تعبدوا إلا إياه الذي دلت عليه البراهين عقلاً ونقلاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالتهم ● تدرج في الدعوة فبدأ بتقبيح ملتهم في أعينهم وإبطالها أولاً ● ثم بتحسين ملة التوحيد وتنزيهها عليهم ● وبيان أنه من فضل الله تعالى تنفيراً وترغيباً ● ثم بيّن رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة بالتمثيل على طريق الخطابة ثم أبطل الشرك بأنه لا حجة عليه أصلاً لا عقلاً ولا نقلاً ● وأنه عبادة العدم البحت ثم صرح بأن الحق هو التوحيد وذلك هو الدين الثابت بالبرهان العقلي والسلطان النقلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ● ومن لا يعرف ذلك فهو الجاهل مطلقاً يا صاحبي السجن لما ألقى إليهما ما كان أهم وهو أمر الدين رجاء في إيمانهما ناداهما ثانياً لتجتمع أنفسهما لسماع الجواب أما أحدكما يريد الشرابي ● إنما لم يعينه صريحاً إبهاماً للأمر الآخر منهما أحكم واحترازاً عن المخاطبة بالقبيح ه

أبو المعين النسفي

يا صاحبي السجن يا ساكني السجن كقوله تعالى أصحاب النار أصحاب الجنة ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر أي ءأن يكون أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله تعالى وحده ولعبادة الأصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر من دونه من دون الله تعالى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسميات تحتها ● ومعنى سميتموها سميتم بها ● يقال سميته زيداً وسميته بزيد ● ما أنزل الله بها بتسميتها من سلطان حجة إن الحكم في أمر العبادة والدين إلا لله ثم بين ما حكم به فقال أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهذا يدل على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه ● ثم عبر الرؤيا فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمراً أي يعود إلى عمله وأما الآخر أي الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف عليه السلام قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر

انتهى المدارك

مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحّداه في قولهما نبئنا بتأويله ولأن الأمر أهمهما به وسجنا لأجله من سم الملك فإنهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما صورته المآل وعاقبته فتأمل ● وإنما أخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقاً لتعبيره وتأكيداً له ● وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئاً فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما ولعل الجحود من الخباز إذ لا داعي إلى جحود الشرابي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه انتهى السعود رحمه الله

قال الكشاف تريد صاحبيّ في السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام أو يا ساكني السجن إلى آخره انتهى

قال الامام المرزوقي في شرح الحماسة القضاء اصله الحتم والايجاب ثم استعمل في اكمال الصنع والفراغ من الشيء انتهى

والتصدير بأما للشروع في تفصيل ما قصده من الجواب عما استفتياه فيسقي ربه سيده وقرئ ربه اى يسقي ما يروى به خمرا كما كان يسقي قبله اى يعود الى ما كان عليه قبل ● سقى واسقى لغتان بمعنى واحد والذى عليه اكثر اهل اللغة ان معنى سقاه ناوله فشرب ● او صب الماء في حلقه ومعنى اسقاه جعل له سقيا قال الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى اتم ما تستفتياه فيه مما يؤل اليه امركما وهو ما اتهمتما فيه وسجنتما لاجله وفرغ عنه وهما الفتنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فاستفتياه فيه ما عاقبته ● وقيل جحدا وقالا كذبنا ما رأينا شيئا وتحالمنا لنجربك فقال ان ذلك كائن سواء كان منكما حلما او تحالما ● والاستفتاء طلب الفتيا والفتيا جواب بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته وزمان الاستفتاء لا ينقضي ما لم يقض المفتي الغرض في الفتياء ولهذا قال تستفتيان دون استفتيتما انتهى الفاضل ابو حماد

• ابو السعود رحمه الله •

يا صاحبي السجن اى يا صاحبيّ في السجن كما تقول يا سارق الليل ● ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته ● وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير ام الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يغالبه احد ● وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء ● وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله كانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشأن فقيل امر على السنة الانبياء عليهم ان لا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضيه قضية العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين ● او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى ● وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار ان يشافهه بما يسوءه فيسقي ربه اى سيده خمرا روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضى في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه روى انه عليه السلام قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل قضى اى تم واحكم الامر الذى فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤييين قطعا لا ما له الذى هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ● ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله ● وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه ● اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب ● وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضى عليه السلام من الجواب وطره ● واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة ● واما توحيده مع تعدد رؤياهما

الحمد لله وحده … حسبي الله … بالارشاد

قوله يا صاحبي السجن قال هذا للسجانة ولاهل السجن كرماني وفي المعالم جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه كما يقال لسكان الجنة اصحاب الجنة ولسكان النار اصحاب النار ● قوله أأرباب متفرقون خير اى آلهة شتى هذا من ذهب وهذا من فضة وهذا من حديد وهذا اعلى وهذا اوسط وهذا ادنى متباينون لا يضر ولا ينفع خير ام الله الواحد القهار الذى لا ثاني له القوي الغالب على الكل ثم بين عجز الاصنام فقال ما تعبدون من دونه وانما ذكر بلفظ الجمع وقد ابتدأ الخطاب للاثنين لانه اراد جميع اهل السجن وكل من هو على مثل حالهما من الشرك الا اسماء سميتموها الهة وارباب خالية عن المعنى لا حقيقة لتلك الاسماء ان الحكم القضاء والامر والنهي انتهى

وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب بالمفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رأيت وايثار صيغة المضارع حكاية للحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات انتهى ابو السعود

وقال للذي ظن علم انه ناج منهما من السجن والقتل يوسف للساقي اذكرني عند ربك عند سيدك الملك اني مظلوم عدى علي اخوتي فباعوني وانا حر وحبست في السجن وانا مظلوم فانساه الشيطان ذكر ربه فاشغله الشيطان حتى نسي ذكر يوسف عم عند سيده الملك ويقال وسوس له الشيطان ان ذكرته للملك يرجعك الى السجن فلذلك لم يذكر ويقال انسى الشيطان يوسف ذكر ربه حتى ترك وذكر مخلوقا دونه فلبث فمكث في السجن بضع سنين سبع سنين عقوبة لترك ذكر الله وكان قبل هذا في السجن خمس سنين
من تفسير الكرماني

قال مالك بن دينار رضي الله عنه لما قال يوسف عم للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف عم وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن دخل جبرئيل عم على يوسف عم في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطئين فقال له جبرئيل يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت من ان استشفعت بالآدميين فوعزتي وجلالي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف عم وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبرئيل ليوسف عم ان الله تعالى يقول من خلقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال تعالى فكيف استشفعت بآدمي مثلك فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبل ذلك انتهى

النسفي رحمه الله

وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه او عند ربه او فانسى يوسف ذكر الله تعالى حتى وكل امره الى غيره وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا فلبث في السجن بضع سنين اي سبعا عند الجمهور وهو ما بين الثلث الى التسع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لما دنى فرج يوسف عم رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها قيل كان ابتداء بلاء يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته ايضا الرؤيا سمان جمع سمين وسمينة والعجاف المهازيل والعجف الهزال الذي ليس بعده سمن والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفي الآية دلالة على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر لان الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر يا ايها الملأ انتهى المدارك

ابن الكمال رحمه الله

وقال يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج منهما الظاهر ايضا هو عليه السلام ان كان تأويله عن اجتهاد والشرابي ان كان عن وحي الا ان يكون الظن بمعنى اليقين كما في قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه والنجاة الخلاص عن الورطة بسلامة اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك عسى ان يخلصني فانساه الضمير للشرابي الشيطان الانساء حقيقة من الله تعالى وانما نسب الى الشيطان لانه كان بوسوسته اليه من الاشغال المانعة عن التذكر والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام له المتضمنة للاستعانة من غير الله تعالى كان سببا للانساء الذي ترتب عليه مكثه في السجن مدة مديدة ذكر ربه اي ذكر يوسف عم للملك والاضافة لادنى ملابسة ومن جوز ان انسى يوسف عم ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره لم يدر ان حق الفاء حينئذ ان يدخل قال ويذكر جملته بعد اختلال ولا تأييد لما ذكره في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس انما تأييده لما ذكرناه فلبث في السجن بضع سنين ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل على انه عم لبث فيه سبع سنين وقال الملك اني ارى حكاية حال فلذلك جاء بلفظ المضارع سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه عم رأى ملك مصر في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص عن حال البقرات وسمان جمع سمين وسمينة ككرام صفة اجريت على المميز دون المميز للقصد الى التمييز بنوع من الجنس والعجف غاية الهزال والعجاف جمع عجفاء وقياسه عجف لان فعلاء افعل جمع لكنه حمل على سمان ومن عادة العرب حمل النقيض على النقيض كحمل النظير على النظير وانما اجريت عجاف على سبع للاستغناء عن التمييز بالمميز الاول الذي هو الجنس والتمييز انما يكون بالجنس فلو جعل عجاف مميزا بدون ذكر الجنس لم يجز كما لا يجوز ثلاثة غلاظ واربعة ضخام لعدم دلالتها على الجنس فاذا اجريت على السبع بالوصف بالنوع بعد تمييزه بالجنس تقديرا فرجع الى الاول واخر عطف على سبع ويابسات منصوب المحل صفته على قياس عجاف في الاول
انتهى ابن الكمال رحمه الله

يا ايها الملأ. خطاب للاعيان والاشراف من العلماء والحكماء. افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا اراد الجنس فلذلك عدل عن الضمير. واللام للبيان او لتقوية العامل لان الفعل لما تأخر عن معموله ضعف تأثيره فقوي باللام كاسم الفاعل. ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه وتعبرون حال او خبر بعد خبر وان يضمن تعبرون معنى فعل تعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا. والعبور التجاوز. وعبرت الرؤيا جاوزتها اي جاوزت صورتها المتخيلة المرئية الى الصورة الكائنة في نفس الامر التي انتقلت المتخيلة منها الى المرئية. وكذا اولتها اي ذكرت مآلها وما يرجع هي اليه من الصورة الواقعة في نفس الامر. وعبرت اثبت عندنا اهل اللغة وعبرت بالتشديد للمبالغة كقطعت وقطعت قالوا اضغاث احلام هذه اضغاث احلام. او امثال هذه اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو ما جمع من اخلاط النبات وحزم شبه بها ما تجمعه المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان. فاستعير للرؤيا الكاذبة. والاحلام جمع حلم بالضم وهو رؤيا كاذبة لا حقيقة لها. وفي الخبر الرؤيا من الله والحلم من الشيطان اخرجه عن جنس الرؤيا لعدم ترتب الحكم عليه والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام. وانما جمع ولم يكن الا حلما واحدا لتضمنه اشياء مختلفة. وقيل للمبالغة في الوصف بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدة وما له الا عمامة واحدة تزيدا في الوصف وعلى تقدير تقدير امثال يكون الجمع على ظاهره وما نحن بتاويل الاحلام بتاويل المنامات الباطلة بعالمين لما اجابوا بقولهم اضغاث احلام عن سؤال التعبير واسقطوا احتماله بقي احتمال السؤال بطلب التاويل لانه اوسع دائرة مع التعبير فتداركوه باظهار العجز عن تاويل الاباطيل. وفيه دليل على انهم نزلوا ما رآه لتضمنه الاشياء منزلة الاحلام وكان حقهم ان يقولوا وما نحن بتاويل الحلم بعالمين وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر جملة حالية وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة اي تذكر بعد امة

يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء. افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام في الرؤيا للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين. او لان المفعول اذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت. او يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر او حال وحقيقته عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونظيره اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر قالوا اضغاث احلام اي هي اضغاث احلام اي تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث استعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام وانما جمع وهو حلم واحد تزيدا في وصف الحلم بالبطلان وجاز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ارادوا بالاحلام المنامات الباطلة فقالوا ليس لها عندنا تاويل انما التاويل للمنامات الصحيحة او اعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا بتاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا من القتل منهما من صاحبي السجن وادكر بالدال وهو الفصيح واصله اذتكر فابدلت الذال دالا والتاء دالا وادغمت الاولى في الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه انه قلبت التاء ذالا وادغم اي تذكر يوسف وما شاهد منه

يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء. افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امرها. ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة في الخارج. من العبور وهو المجاوزة. تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مآلها. وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا. والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه. واللام للبيان. او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل. او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها. ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه. وتعبرون خبر آخر قالوا استئناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام. والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة. او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة. ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام. او عبارتها الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملأ. بعد امة اهـ انتهى ابو السعود رحمه الله

راجع الى ما المبين بالاحاديث والوساوس منه سلمه الله

اي في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون منه

حيث لم يذكر بعنوان العبارة منه

ابو السعود افندی رحمه الله

بعد امة ای مدة طویلة ● وقرئ امة بالکسر وهی النعمة ای بعدما انعم علیه بالنجاة ● وامه ای نسیان والجملة
حال من الموصول او من ضمیره فی الصلة وقیل معطوفة علی نجا ولیس بذاک لان حق کل من الصفة والصلة ان
تکون معلومة الانتساب الی الموصوف والموصول عند المخاطب کما عند المتکلم ولذلک قیل ان الصفات
قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدری ان تذکره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال
لنظمه مع نجاته المعلومة قبل فی سلک الصلة انا انبئکم بتاویله ای اخبرکم به بالتلقی عمن عنده علمه لا من
تلقاء نفسی ولذلک لم یقل انا افتیکم فیها وعقبه بقوله فارسلون ای الی یوسف وانما لم یذکره ثقة بما سبق
من التذکر وما لحق من قوله یوسف ایها الصدیق ای ارسل الیه فاتاه فقال یا یوسف ووصفه بالمبالغة فی
الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لکونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب
براعة الاستهلال افتنا فی سبع بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر یابسات ای فی رؤیا ذلک
وانما لم یصرح به لوضوح مرامه بقرینة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة علیه حیث لا امکان لوقوعه
فی عالم الشهادة ای بین لنا مآلها وحکمها وحیث عاین علو رتبته علیه السلام فی الفضل ● عبر عن ذلک بالافتاء
ولم یقل کما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاویله وفی قوله افتنا مع انه المستفتی وحده اشعار بان الرؤیا لیست
له بل لغیره ممن له ملابسة بامور العامة وانه فی ذلک معبر وسفیر کما آذن بذلک حیث قال لعلی ارجع الی الناس
ای الی الملک ومن عنده ● او الی اهل البلد ان کان السجن فی الخارج کما قیل فانبئهم بذلک لعلهم یعلمون ذلک ویعملون
بمقتضاه او یعلمون فضلک ومکانک مع ما انت فیه من الحال فتتخلص منه ● وانما لم یبت القول فی ذلک
مجاراة معه علی نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم یکن علی یقین من الرجوع فربما احترم دونه لعل المنایا
دون ما تعدانی ولا من علمهم بذلک فربما لم یعلموه قال استیناف مبنی علی السؤال کانه قیل فماذا قال یوسف
علیه السلام فی التاویل فقیل قال تزرعون سبع سنین دابا وقرئ بفتح الهمزة وسکونها وکلاهما مصدر داب فی
العمل اذا جد فیه وتعب ● وانتصابه علی الحالیة من فاعل تزرعون ای دائبین او تدابون دابا علی انه مصدر
مؤکد لفعل هو الحال ● اول علیه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنین مخاصیب والعجاف
والیابسات بسنین مجدبة فاخبرهم بانهم یواظبون سبع سنین علی الزراعة ویبالغون فیها اذ بذلک یتحقق
الخصب الذی هو مصداق البقرات السمان وتاویلها ودلهم فی تضاعیف ذلک علی امر نافع لهم فقال
فما حصدتم ای فی کل سنة فذروه فی سنبله ولا تذروه کیلا یاکله السوس کما هو شان غلال مصر ونواحیها ●
ولعله علیه السلام استدل علی ذلک بالسنبلات الخضر ● وانما امرهم بذلک اذ لم یکن معتادا فیما بینهم وحیث
کانوا معتادین للزراعة لم یامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاویلا للرؤیا مصداقا لما فیها من البقرات
السمان الا قلیلا مما تاکلون فی تلک السنین وفیه ارشاد منه علیه السلام لهم الی التقلیل فی الاکل والاقتصار
علی استثناء الماکول دون البذر لکون ذلک معلوما من قوله تزرعون سبع سنین وبعد اتمام ما امرهم به
شرع فی بیان بقیة التاویل التی یظهر منها حکمة الامر المذکور فقال ثم یاتی وهو عطف علی تزرعون
فلا وجه لجعله بمعنی الامر حثا لهم علی الجد والمبالغة فی الزراعة علی انه یحصل بالاخبار بذلک ایضا من بعد ذلک
ای من بعد السنین السبع المذکورات وانما لم یقل من بعدهن قصدا الی الاشارة الی وصفهن فان الضمیر ساکت
عن اوصاف المرجع بالکلیة سبع شداد ای سبع سنین صعاب علی الناس یاکلن ما قدمتم لهن من الحبوب
المتروکة فی سنابلها وفیه تنبیه علی ان امره علیه السلام بذلک کان لوقت الضرورة ● واسناد الاکل الیهن
مع انه حال الناس فیهن مجازی کما فی نهاره صائم ● وفیه تلویح بانه تاویل لاکل العجاف السمان ● واللام فی
لهن ترشیح لذلک فکان ما ادخر فی السنابل من الحبوب شیء قد هیئ لهن کالذی یقدم للنازل والا فهو
فی الحقیقة مقدم للناس فیهن الا قلیلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة انتهی

النسفی رحمه الله

بعد امة بعد مدة طویلة وذلک انه حین استفتی
الملک فی الرؤیا واعضل علی الملا تاویلها تذکر
الناجی یوسف وتاویله رؤیاه ورؤیا صاحبه
وطلبه الیه ان یذکره عند الملک انا انبئکم بتاویله
انا اخبرکم به عمن عنده علمه فارسلون وبالیاء
یعقوب ای فابعثونی الیه لاساله فارسلوه
الی یوسف فاتاه فقال یوسف ایها الصدیق
ایها البلیغ فی الصدق وانما قال له ذلک لانه ذاق
احواله وتعرف صدقه فی تاویل رؤیاه ورؤیا
صاحبه حیث جاء کما اول افتنا فی سبع بقرات
سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
واخر یابسات لعلی ارجع الی الناس الی الملک و
اتباعه لعلهم یعلمون فضلک ومکانک من العلم
فیطلبونک ویخلصونک من محنتک قال
تزرعون سبع سنین هو خبر بمعنی الامر کقوله تؤمنون
بالله والیوم الاخر ● ودلیله قوله فذروه فی سنبله
وانما یخرج الامر فی صورة الخبر للمبالغة فی وجود
الماموربه فیجعل کانه موجود فهو یخبر عنه
دابا بسکون الهمزة وحفص بتحریکه وهما مصدر
داب فی العمل وهو حال من المامورین ای دائبین
فما حصدتم فذروه فی سنبله کیلا یاکله السوس
الا قلیلا مما تاکلون فی تلک السنة ثم یاتی من بعد
ذلک سبع شداد یاکلن هو من الاسناد المجازی
جعل اکل اهلهن مسندا الیهن ما قدمتم لهن
ای فی السنین المخصبة الا قلیلا مما تحصنون
تحرزون وتخبئون انتهی

ابن الکمال رحمه الله

بعد امة بعد جماعة من الزمان طویلة حین استفتی الملک
فی رؤیاه واعضل علی الملا تاویلها ● وقرئ امة بکسر الهمزة
وهی النعمة ای بعدما انعم علیه بالنجاة من القتل ● وقرئ
بعد امه بالهاء ای بعد نسیانه انا انبئکم بتاویله عمن عنده
علمه فارسلون الیه لاساله عنه والمعنی فارسلونی الی یوسف
فاتاه فقال یوسف بحذف حرف النداء ایها الصدیق ناداه به
بالتصدیق وهو المبالغ فی الصدق لانه عرف صدقه فی
تاویل رؤیاه ورؤیا صاحبه واختبر حاله فی السجن
افتنا فی سبع بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر یابسات ای فی رؤیا لعلی ارجع الی الناس
الی الملک ومن عنده وانما بنی الکلام علی الظن لانه تادب
بصحبة یوسف علیه السلام فلم یجزم فی الرجوع الیهم فربما احترم
دونه ولا فی علمهم فربما لم یعلموا ● وقیل لم یکن السجن فی المدینة
لعلهم یعلمون فضلک ومنزلتک فیخلصونک من محنتک
قال تزرعون خبر فی معنی الامر کقوله تؤمنون بالله
والیوم الاخر وتجاهدون ● وفائدة اخراج الامر فی صورة
الخبر المبالغة فی ایجاب الماموربه والاعتناء بشانه فجعل
کانه قد یوجد فیخبر عنه والدلیل علی انه فی معنی الامر
قوله فذروه سبع سنین دابا بسکون الهمزة وتحریکها
مصدر داب فی العمل اذا واظب ای علی عادتکم المستمرة
وانتصابه علی الحال بمعنی دائبین ● او المصدر باضمار
فعله ای تداومون دابا ویکون الجملة حالا فما حصدتم
فذروه فی سنبله لئلا یتسوس الا قلیلا مما تاکلون
فی تلک السنة نصیحة خارجة عن التعبیر واشارة برای
نافع بحسب طعام مصر وحنطها التی لا تبقی عامین الا
بحیلة ابقائها فی السنبل ثم یاتی من بعد ذلک سبع شداد
ای سبع سنین شداد فحذف المیز لدلالة قوله سبع سنین علیه
یاکلن ما قدمتم لهن ای اسند الاکل الیهن علی سبیل المجاز
من حیث انه یوکل فیها کما قال والنهار مبصرا تطبیقا
بین المعبر والمعبر به الا قلیلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة
انتهی

ثم يأتي من بعد ذلك عام لم يقل سنة لغلبتها في عام القحط فيه يغاث الناس يمطرون فيه من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث ● ففي الاول بني من ثلاثي وفي الثاني من رباعي تقول غاثنا الله من الغيث واغاثنا من الغوث والغيث المطر الذي يجيء في وقت الحاجة وباعتبار هذا القيد فيه حسن موقعه في قولهم الغيث لا يخلو عن العيث والغوث النفع الذي يأتي على شدة حاجته بنفي المفزع وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والقصب والزيتون والسمسم لكثرة ما يعصر من الفواكه وغيرها ● وقيل يحلبون الضروع ● وقرئ تعصرون بالتاء على تغليب المستثنى ● وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ● ويحتمل ان يكون المبني للفاعل ايضا منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا ● او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض وبتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة نصحهم وهداهم الى التدبير فيما ثم بشرهم بان العام الثامن يجيء خصبا وذلك اما بالوحي واما بالعلم بان انتهاء الجذب الى الخصب وان السنة الالهية جارية بالتوسيع على العباد بعد التضييق عليهم وقال الملك بعد ما جاءه بالتعبير ائتوني به اي بالمعبر ففي الكلام حذف فلما جاءه الرسول يوسف عليه السلام ليخرجه من السجن قال يوسف عليه السلام ارجع الى ربك انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف فيه دليل على ان السعي في دفع التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة ● ومن زاد على ما ذكر قوله ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل الى تقبيح امره لم يصب لان التعجيل اعون على دفع الوهم المذكور فان في التأخير مخافة الآفة وحال السؤال لا يختلف بكونه في داخل السجن وخارجه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاسرعت الاجابة ● وفي بعض الروايات ما اخبرتهم يعني عن تعبير الرؤيا حتى اشترطه ان يخرجوه وانما قال فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل فسئله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال لان الانسان اذا سئل عن شيء جد فيه واجتهد في تحقيقه بخلاف ما اذا التمس منه شيء ه

ثم يأتي من بعد ذلك اي من بعد اربعة عشر سنة عام فيه يغاث الناس من الغوث اي يجاب مستغيثهم ● او من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الاشربة والادهان ● تعصرون حمزة وعلي ● تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب ● والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن قال ارجع الى ربك اي الملك فاسئله ما بال النسوة اي حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تثبت يوسف وتأنى في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قذف به وسجن فيه لئلا يتسلق الحاسدون الى تقبيح امره ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير ● وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها ● والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني من السجن ● ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة ● ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم اي ان كيدهن عظيم لا يعلمه الا الله

وانما لم يتعرض لامراة العزيز صريحا وقصدا مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب ● وانما قلنا صريحا وقصدا لان التعريض بالمقطعات ايديهن يستلزم التعرض لها والسؤال عن حالهن يؤدي الى السؤال عن حالها ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك تعظيم لكيدهن بانه كيد بعيد الغور لا يعلم كنهه الا الله تعالى واستشهاد بعلم الله تعالى عليه وعلى انه بريء مما اتهم به وايعاد لهن بان الله تعالى عليم بكيدهن فيجازيهن عليه انتهى ابن كمال رحمه الله

ابو السعود رحمه الله

ثم يأتي من بعد ذلك اي بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون ● يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة ● او من الغوث ● يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شأنه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها ● والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تقررهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادئ اخرى غير المطر ● واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية ● وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر و عنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التأخير ● ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله ● وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ● ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته ● واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم ● واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا واولهم بالتدبير اللائق بشأنه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى في المنام على نحو قوله لصاحبه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعه احد ولو برؤيته ما يدل عليه في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن ● وانما لم يقل فاسئله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به ● وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة ● واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء اليه ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد انتهى ابو السعود

قال استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن
ما خطبكن اي شأنكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه
عن نفسه ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا
من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز
وكانت حاضرة في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن و
لقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة
الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر او تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة
وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بانه
وظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص
البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال فحصحص في صم القنا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم
والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من
مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما
وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو
متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه
لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي
وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى فوق هذه
المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى
عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل
ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عم لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي التثبت
المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك
لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة
حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان
ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك
تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عم في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب
اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عم عن
الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي
لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة
كما في قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته
وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز
ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي
اي لا انزهها عن السوء قاله عم هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربأ بمكانها عن التزكية والاعجاب
بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحدثا بنعمة الله تعالى
عليه وابرازا لسره المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه
الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها
لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى
وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي
انتهى

ثم رجع الرسول الى الملك من عند يوسف عليه السلام
برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات ايديهن
ودعا امراة العزيز ثم قال لهن ما خطبكن
ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن
منه سيلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من قدرته على
خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء ذنب قالت
امراة العزيز الان حصحص الحق ظهر واستقر
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
في قوله هي راودتني عن نفسي ولا مزيد على شهادتهن
له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن
بانه لم يتعلق بشيء مما قذف به ثم رجع الرسول
الى يوسف عم واخبره بكلام النسوة واقرار
امراة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف
ذلك امتناعي من الخروج والتثبت لظهور
البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر
الغيب في حرمته وبالغيب حال من الفاعل
او المفعول على معنى وانا غائب عنه او وهو غائب
عني • او ليعلم الملك اني لم اخن العزيز وان
الله وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين
لا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها
امانة زوجها • ثم اراد ان يتواضع لله تعالى
ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا
وليبين ان ما فيه من الامانة بتوفيق الله
وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل
وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها في
عموم الاحوال او في هذه الحادثة لما ذكرنا من
الهم الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق
القصد والعزم ان النفس لامارة بالسوء
اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء و
يحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي

قال اي الملك مخاطبا لهن بعد احضارهن ففي الكلام حذف
ما خطبكن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه
صاحبه لعظمه اذ راودتن يوسف عن نفسه هل
وجدتن منه ميلا الى ما دعوتموهن اليه قلن حاش لله
تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة
ومن نزاهته عنها ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس
المكروه عنه عليه السلام بالتنكير وزيادة من • واما قلن
عليه لان مرادهن نفي ما يسوء لا ما يسوء الغير قالت
امراة العزيز فصلها عما قبله ولم يقل وقالت لان مبنى
الوصل على دخولها في الخطاب بقوله ما خطبكن ولست
بداخلة فيه الان حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص
البعير اذا القى مباركه ليناخ • او ظهر من حص شعره
اذا استاصله بحيث ظهرت بشرته لما سمعت مقالتهن
في براءة يوسف عم اقرت باعظم مما اقررن به او كانت
هي اقوى سبب فيما جرى من المراودة ومن سجنه • ولا بينة
اجلى من اعترافهن على انفسهن وشهادتهن له بالبراءة و
النزاهة وهي خصومة والفضل ما شهدت به الاعداء • انا
راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني
عن نفسي ذلك ليعلم من كلام يوسف عليه السلام لما جاءه الرسول
واخبره بكلامهن فحذف ما حذف لدلالة الكلام عليه كقوله
تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون وهو من كلام فرعون
يستشيرهم بذلك مخاطبا اياهم اي ذلك التثبيت ليعلم
العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته وهو حال
من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو
غائب عني • او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار
والابواب المغلقة وان الله اي وليعلم ان الله لا يهدي
كيد الخائنين اي لا يهدي الخائنين في كيده كقوله ولا تتبع
سبيل المفسدين اي لا تتبع المفسدين في سبيلهم وقوله
يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهئون الذين كفروا
في قولهم • وهذه طريقة دقيقة لا يسلكها الا من له السليقة
وفيه تعريض بامراة العزيز في خيانتها امانة زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي نفيا لتزكيته
نفسه ومضمها واحترازا عن اعجابها بامانتها وعصمتها و
اقرارا بان ذلك بتوفيق الله تعالى ورحمته وتسديده وعصمته
لا منه اي وما ابرئ نفسي من الزلل ولا ازكيها ولا اشهد لها
بالبراءة وهو اعني نفي التبرئة والتنزيه اما مختصة بهذه
الواقعة واراد الهم المذكور الذي هو ميل النفس لا القصد
الاختياري واما عامة في جميع الاحوال ان النفس لامارة
بالسوء تعليل وتاكيد بعد التلويح

عفته

ابن كمال رحمه الله

الا ما رحم ربي الا ما عصمه الله تعالى برحمته نصب على الظرف من اعم الاوقات اي الا وقت رحمة ربي وعصمته او على الاستثناء المتصل اي الا البعض الذي رحم ربي بالعصمة واللام في النفس للاستغراق حتى يصح الاستثناء. ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه اي لم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا فهو اعتذار منها عما سلف ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام وفيه تكلف صرف الخيانة عن معناها الى معنى الكذب ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفوس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه وقال الملك ائتوني به لما اخبر النساء بما اخبرن قال ملك مصر جيئوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي لما ظهر عنده من علمه وصلاحه فلما كلمه معطوف على محذوف تقديره فاتوا به فاستنطقه اي الملك فالفاعل بكلم ضمير يوسف اي فلما كلم يوسف الملك ورأى حسن منطقه بما صدق به الخبر قيل كان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه قال انك اليوم لدينا مكين اي ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء قيل توفي العزيز في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه زوجته فوجدها عذراء وولد له منها افرايم ومنشا

ولم اكذب

توفي

ايات

ابو السعود رحمه الله

اسلاي

الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك • وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية مبادي المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امراة العزيز ٥٥

[illegible]

النسفي رحمه الله

الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحم ربي بالعصمة والحفظ ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت الا وقت العصمة او هو استثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة • وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيبة ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن • تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت • وانما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهرا لان المعنى يقود اليه • وقيل هذا من تقديم القرآن وتاخيره اي قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال الملك ليوسف انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث اليه لباس الملوك فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف قلوب الاخيار عليهم ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان على الهيئة التي رآها الملك وقال له يوسف من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء ٥

انبارلر

٥٥ والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه اي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فكلمه وانما حذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم • او المراد تحديد مبدائهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين • روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره • وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم ومنشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله تعالى قال اجعلني ١١

روي ان الملك قال له اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها قال يوسف عليه السلام نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه يشخب اخلافهن لبنا فبينما تنظر اليهن ويعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف السبع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما انت تقول اني هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الثمرات الخضر فاشتعلت النار فيهن فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت فانتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجيبا باعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال له يوسف عليه السلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي ليشتروا ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه قال يوسف اجعلني

روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين • وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره
عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كماله ولا يتد والاشارة الى حصوله من اول الامر لا انه حصل
بعد السؤال كما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته
على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله • وقرأ
ابن كثير بالنون • روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدرر
والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشدد به ملكك • واما الخاتم فادبر به امرك • واما التاج فليس
من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت
له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء • وباع من اهل مصر في سني
القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم
اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسطا بين الناس
نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشية
ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشية المذكورة احسان من نصيبه الرحمة
المرقومة وان اجرله ولدفع توهم اختصاص ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد
ولاجر الآخرة خير

من النسفي رحمه الله

وقال يوسف عليه السلام للملك ان من حقك ان تجمع الطعام
في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك
ويجتمع لك الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال الملك
ومن لي بهذا ومن يجمعه قال يوسف اجعلني على
خزائن الارض ولني على خزائن ارضك اني حفيظ
امين احفظ ما تستحفظه منه عليم عالم بوجوه
التصرف • وصف نفسه بالامانة والكفاية وهما
طلبة الملوك ممن يولونه • وانما قال ذلك ليتوصل
الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط
العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء الى العباد
ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك
فطلبه ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا
وفي الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر
ذلك سنة قالوا وفيه دليل على انه يجوز ان يتولى
الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف
يتولون القضاء من جهة الظلمة واذا علم النبي او
العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله تعالى ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر
به • وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض
عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له وكذلك
ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض
ارض مصر وكانت اربعين فرسخا في اربعين
والتمكين الاقدار واعطاء المكنة يتبوأ
منها حيث يشاء اي كل مكان اراد ان يتخذه
منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها و
دخولها تحت سلطانه نصيب برحمتنا
بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما
من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان
نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين في الدنيا

من ابن الكمال رحمه الله

قال اجعلني على خزائن الارض اي ولني امرها والارض
ارض مصر لما وصفه الملك بالتمكين عنده والامانة طلب
من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين اني حفيظ لها
احفظ ما يستحفظنيه عليم بوجوه التصرف • وصف
نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك
ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل به الى امضاء احكام
الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما
لاجله بعث الانبياء عليهم السلام ولعلمه ان احدا غيره
لا يضطلع بذلك ولا يقوم مقامه فيه • فطلب التولية
ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا وفيه دليل على
جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من
يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق الا بالاستظهار
به • وعن مجاهد انه قد اسلم على يده عليه السلام وكذلك
ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض
ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها
حيث يهوى لدخولها تحت ملكته وسلطانه نصيب
برحمتنا بعطائنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا
ولا ننقص من اجورهم في الآخرة بسبب ما اعطيناهم
من الملك والغنى شيئا ولهذا قال ولاجر الآخرة خير الى
آسى

ابو السعود رحمه الله

قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني
امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية
اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء
الاحكام الشرعية وان كان من يد الجائر او الكافر •
وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام • ولعل
ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام
بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين
حسبما فصل في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لا
لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل • وانما لم يذكر
اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن
الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح
به لا سيما بعد تقدم ما يندرج تحته احكام السلطنة
بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين و
للتنبيه على ان كل ذلك من الله تعالى وانما الملك آلة في
ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا
ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر ©

جاسوس

وما انتم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد نبي حزين لفقد ابن كان احبنا اليه وقد امسك اخا له من امه يستانس به فقال ايتوني به ان صدقتم

ولما جهزهم بجهازهم اعطى كل واحد حمل بعير • وقرئ بكسر الجيم شاذا قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين كان قد احسن انزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام الرجوع اليه انتهى

ابن كمال رحمه الله

ولاجر الآخرة خير لانه الدائم الذي لا يفنى للذين آمنوا وكانوا يتقون اي وداموا على التقوى من باب وضع الظاهر موضع الضمير • تنويها بذكر الايمان والتقوى • وتبيينا لمهية الاحسان واصله بانه هو الايمان والتقوى اي العلم والعمل وايماء الى ان اجر الآخرة انما يستحق بهما وان غير المؤمن المتقي اعني غير المشرك لا نصيب له فيه قال سفيان بن عيينة رحمه الله المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية • وفيه شهادة من الله تعالى ليوسف عليه السلام بالاحسان واشارة الى ان حاله في الآخرة خير من حالته العظيمة في الدنيا وايذان بان الاحسان هو الذي لا يضيع الله تعالى اجره

وجاء اخوة يوسف اي من كنعان من ارض فلسطين من نواحي الشام الى مصر ليمتاروا منها فتوصلوا الى يوسف عليه السلام للميرة يعني انه اصاب بلاد شام وارض كنعان نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب عم بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين عنده فدخلوا عليه فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ملتحون ورأى زيهم قريبا مما كان من قبل وهم له منكرون لانهم فارقوه في سن الحداثة غير ملتح ولحسبانهم انه هلك ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها وتبدل زيه وابهته وحما تأتيهم من التهيب والاستعظام مما ينكر له المعروف ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة • وقرئ بجهازهم بالكسر والجهاز بالفتح والكسر عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون • وقيل هو فاخر المتاع الذي يحمل من بلدة الى اخرى ومنه جهاز العروس قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة يقتضي هذا الامر وحيث انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا

ابو المعين

ابو المعين

ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا يريد يوسف وغيره من المؤمنين الى يوم القيمة وكانوا يتقون الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة • والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق • روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا مكللا بالدر والياقوت فقال اما السرير فاشد به ملكك • واما الخاتم فادبر به امرك • واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء • واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والاماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم باولادهم في السادسة ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم اعتق اهل مصر عن آخرهم ورد عليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير واصاب ارض كنعان نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم بلا تعريف وهم له منكرون لتبدل الزي ولانه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو اربعون سنة يعني انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم هلا

قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من انبياء الله اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهبت احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون • وقيل كان يوسف عليه السلام يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم ثم ذكر ما يحضهم به على الاتيان باخيهم بقوله الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف اي المضيفين يعني في قطره وفي زمانه وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم يعرضهم بذلك ويستميلهم ثم يوعدهم ان لم يأتوا اليه به بحرمانهم من الميرة في المستقبل بقوله فان لم تأتوني به فلا كيل انتهى

لا يعرفنا

ابو السعود رحمه الله

ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة • فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم لا نفاد له خير لهم اي المحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط • وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سألوه حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوه به او لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادته مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك • وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة موجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني الخ انتهى

جاسوس

فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف عليه السلام لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يعرب عنه قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع • وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور • واما ان علته لجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر • وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء • وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز فالحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة

يقول هل اقدر ان اخذ عليكم العهد والميثاق اكثر مما اخذت عليكم في يوسف من تفسير كرماني

فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي فلا ابيعكم طعاما ولا تقربون اي فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل فلا كيل لكم او هو بمعنى النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهنا فتركوا عنده شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف وقال لفتيانه كوفي غير ابي بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم في رحالهم في اوعيتهم وكانت نعالا وادما او ورقا وهو الرحل بالدس في الرحال لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا او ربما لا يجدون بضاعة يرجعون بها او ما فيهم من الديانة يعيدهم لرد الامانة او لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فلما رجعوا الى ابيهم بالطعام واخبروه بما فعل قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه يكتل حمزة وعلي اي يكتل اخونا فينتظم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني انكم قلتم في يوسف ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم عهدكم

بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا كوفي غير ابي بكر فتوكل على الله تعالى فيه ودفعه اليهم وهو حال او تمييز ومن قرأ حفظا فهو تمييز لا غير وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب لما قال فالله خير حافظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما انتهى المدارك

ابن الكمال

فان لم تأتوني به فلا كيل فلا طعام لكم عندي ولا تقربون يحتمل ان يكون نهيا وان يكون نفيا داخلا في الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما تلطف في استحضار بنيامين بالترغيب والترهيب قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده ثم اكدوا ذلك الوعيد بقولهم وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نتوانى فيه ولا نقصر او لقادرون على ذلك وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى • وقرئ لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به والرحل آلة السفر من وعاء ومركب لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم تذهب ما بنيامين فارسل معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه من الطعام لوجود الشرط ورفع المانع • وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا ويجوز ان يكون المعنى يكون سببا للاكتيال على الاسناد المجازي لان امتناعه بسبب عدم ذهابهم به فاذا ارسل معهم كان هو سببا لاكتيالهم فكأنه هو المكتال وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل استفهام بمعنى النفي وهذا تقرير وتوقيف وتألم من فراق بنيامين ولم يصرح بمنعه من ارساله لما رأى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الائتمان في ابنه هذا بائتمانه اياهم في حق يوسف عم كأنه يقول قد قلتم فيه وانا له لحافظون كما قلتم في هذا فاخاف ان تكيدوا له كما كدتم لذلك لكنه لم يخف عليه كما خاف على يوسف عم واستسلم لله تعالى فقال والله خير حافظا فاتوكل عليه واعتمد على حفظه وكلائته ورضي بدفعه اليهم

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي
وضعت في رحالهم • وقرئ ردت بالكسر على ان كسرة
الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع قالوا يا ابانا
ما نبغي ما استفهامية منصوبة المحل اي اي شيء نطلب
وراء هذا هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا
ورد علينا متاعنا • او نافية اي ما نبغي في القول وما
نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك • وروي
بالتاء على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الشهود
او ان شاهد على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة
استينافية وقعت بيانا لقوله نبغي ونمير اهلنا
عطف على محذوف اي هذه بضاعتنا ردت الينا
فنستظهر بها ونمير اهلنا اذا فسر البغي بالطلب
واذا فسر بالكذب والتزيد في القول جاز ان يعطف
نمير على ما نبغي ويجوز ان يكون كلاما مبتدا اي وينبغي
ان نمير اهلنا كقولك سعيت في حاجة فلان ويجب علي
ان اسعى له ونحفظ اخانا عن المخاوف في الذهاب
والاياب ونزداد كيل بعير اي وسق بعير باستصحاب
اخينا لزيادة وسعه على اوساق اباعرنا فما نبغي
وراء هذه المباغي ذلك اي الذي جئنا به كيل مكيل
يسير لا يكفينا فلا بد ان نرجع اليه ونضاعفه
او ذلك الزائد لاخينا مكيل قليل لا يضايقنا فيه
الملك ولا يتعاظمه • او ذلك الذي عمر ويكال لنا
شيء يسير يزيد عليه ما يكال لاخينا • وقيل هو
من كلام يعقوب ع اي ذلك المزداد وهو حمل
بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله
ذلك ليعلم دناه تاخر قال عنه فان حقه ان
يقدم عليه قال لن ارسله معكم البتة بعد ما رايت
منكم ما رايته حتى تؤتون موثقا من الله ما اتوثق
به من عند الله يعني الحلف بالله تعالى وانما جعله موثقا
من الله تعالى لان الحلف بالله مما تؤكد به العهود وقد
اذن الله تعالى فيه فهو اذن منه لتأتنني به جواب القسم
لان معنى حتى تؤتون موثقا حتى تحلفوا لي الا ان يحاط
بكم الا ان تهلكوا او الا ان تغلبوا فلن تطيقوا الاتيان به
مفعول له وقوله لتأتنني به في تاويل النفي اي لا تتركنه
لعلة ما الا لعلة الاحاطة بكم كانه استثناء مفرغ من
اعم العلل فلا يكون الا في النفي كقولك اقسمت بالله الا
فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك • او ظرف مستثنى
من اعم الظروف اي لا يمتنعون من الاتيان به في وقت ما
الا وقت الاحاطة بكم فلما اتوه موثقهم عهدهم
قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه
وكيل مطلع رقيب انتهى كلامه

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
قالوا يا ابانا ما نبغي ما للنفي او ما نبغي في القول ولا نتجاوز
الحق او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او ما نريد منك بضاعة اخرى • او للاستفهام اي اي
شيء نطلب وراء هذا هذه بضاعتنا ردت الينا جملة
مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة
عليها اي ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك اي نجلب الميرة وهي
طعام يحمل من غير بلدك ونحفظ اخانا في ذهابنا
ومجيئنا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب
اخينا كيل بعير وسق بعير ذلك كيل يسير سهل
عليه متيسر لا يتعاظمه قال لن ارسله
معكم حتى تؤتون وبالياء موثقا عهدا من الله
والمعنى حتى تعطوني بالله موثقا منه لان الحلف
به مما تؤكد به العهود وقد اذن الله تعالى في ذلك
فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان
المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم
الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به فهو مفعول له
والكلام المثبت وهو قوله لتأتنني به تاويل النفي
اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم
يعني لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة
واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من
اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام
لا يكون الا في النفي فلا بد من تاويله بالنفي فلما اتوه
موثقهم قيل حلفوا بالله رب محمد صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم يسكت عليه لان المعنى قال يعقوب
الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل
رقيب مطلع غير ان السكتة تفصل بين
القول والقول وذا لا يجوز فالاولى ان يفرق
بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله كذا

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال • وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال الامر والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال للامر والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة • وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك • معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا • فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق اي كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل • او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك • او سهل عليه لا يتعاظمه • او اي مطلب نطلب من مهماتنا • والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي • وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا • او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه • والجملة الاستينافية موضحة لذلك • او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه • والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار • واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما راينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه • او ما نبغي غير هذه المباغي • وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل له • واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر • والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي • وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه وتحصل امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه • وقد جوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا • وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى • وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان يكون مؤكدة بمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج • وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك • او ما نبغي في الراي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى اخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهة الله عز وجل • وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلم تطيقوا به • او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا • وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال • او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم • او لعلة الاحاطة بكم • ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك • وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا اي لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة

وأنت تدري انه حيث لم يكن الإتيان به من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك لألزمنك إلا
أن تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما إذا قلت
صل إلا أن تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحجن العام إلا أن أحصر فإن
مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على
سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى
إلى التأويل المذكور **فلما آتوه موثقهم** عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام **قال الله على ما نقول**
أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية
إلى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته **وكيل** مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاته
ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي من أبواب متفرقة في البلد **ما كان يغني عنهم من الله من شيء**
أي ما كان دخولهم في البلد متفرقين على رأي يعقوب عليه السلام مغنيا عنهم من قضاء الله في حقهم
شيئا **إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها** أي لكن كان اضطرابا في قلبه ودغدغة في خاطره أزال ذكر عن نفسه
بوصيته • وأما ما قيل تفرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على يعقوب
عليه السلام فلا يناسب المقام لأن مساق الكلام في عدم تأثير تدبيره فيما وصاهم به وهو الاحتراز عن
مظنة القدر من جهة إصابة العين بهم لا من جهة أخرى **وإنه** أي وإن يعقوب عليه السلام **لذو علم** عظيم
وفي التنكير للتعظيم توطئة لما في قوله **لما علمناه** من كمال التفخيم الحاصل من إضافة التعليم إلى نفسه تعالى **ولكن
أكثر الناس لا يعلمون** سر إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر انتهى ما قاله
قال القاضي أظهرها فلا وجه له كما لا يخفى

أبو السعود رحمه الله

وقال ناصحا لهم لما أزمع على إرسالهم جميعا **يا بني لا تدخلوا من باب واحد** نهاهم عن ذلك حذارا من إصابة
العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا
في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الأولى فكانوا مظنة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح وإصابة
العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر • وقد ورد عنه عم إن العين حق • وعنه عم إن العين لتدخل
الرجل القبر والجمل القدر • وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة • وكان يقول كان أبوكما يعوذ بها إسمعيل وإسحق عليهم السلام
رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب • ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما
للدخول من أبواب متفرقة وكان دخولهم من بابين أو ثلثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع
اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال **وادخلوا من أبواب متفرقة** بيانا لما هو المراد بالنهي وإنما لم يكتف
بهذا الأمر مع كونه مستلزما له إظهارا لكمال العناية به وإيذانا بأنه المراد بالأمر المذكور لا تحقيق شيء آخر
وما أغني عنكم أي لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيري **من الله من شيء** أي شيئا مما قضى عليكم فإن الحذر
لا يمنع القدر • ولم يرد به عدم إلغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة • وقال خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو
تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتيب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر
بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه **إن الحكم** مطلقا **إلا لله** لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء **عليه**
لا على أحد سواه **توكلت** في كل ما آتي وأذر • وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل **و**
عليه دون غيره **فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيد
بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره
من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وإرشادهم إلى التوكل فيما هم
بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير **ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم** من الأبواب
المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها • وإنما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهى
عنه **ما كان** ذلك الدخول **يغني** فيما سيأتي عند وقوع ما وقع **عنهم** عن الداخلين لأن المقصود به استدفاع
الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخولها فإن عدم

فإن عدم الإغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وإنما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع
المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل **من الله** من جهته **من شيء** أي شيئا مما قضاه عليهم
مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه
من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم
إلا نفورا فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته للإغناء مع كونه
متوقعا في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حقي عند حلول الأجل فلما حل لم يعطني شيئا فإن المراد
بيان عدم سببية حلول الأجل للإعطاء مع كونه مرجو الوقوع بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الإعطاء
فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه
ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من أنه لا يغني عنهم من الله شيئا
فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الأمر حسبما قال عم فلقوا ما لقوا فيكون
من باب وقوع المتوقع فتأمل **إلا حاجة** استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة **في نفس يعقوب**
قضاها أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطر غير معتقد أن للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير • وقد جعل
ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته أن
يكون دخولهم من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى
حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين
لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت
بذلك مع كونها مقضية عليهم **وإنه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا إياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد
أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر أو حيث
بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال • وفي تأكيد الجملة بأن واللام وتنكير العلم
وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه
وفخامته ما لا يخفى **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر • وأما ما قيل
من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي
انتهى أبو السعود

ابو المعين النسفي رحمه الله

وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة والجمهور على انه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة امرهم • ولم يأمرهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين في الكرة الاولى فالعين حق عندنا ووجوده بان يحدث الله تعالى عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا • وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامات من كل هامة ومن كل عين لامة • وانكر الجبائي العين وهو مردود بما ذكرنا • وقيل احب ان لا تطعن بهم اعداؤهم فلا يحتالون لاهلاكهم وما اغني عنكم من الله من شيء اي ان كان اراد بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون التوكل تفويض الامر الى الله تعالى والاعتماد عليه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم دخولهم من ابواب متفرقة من الله من شيء اي شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني منه الحذر لما علمناه لتعليمنا اياه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس ولا تحزن

ابن الكمال

وقال حين انفذهم معهم يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وصاهم بالحذر عن اصابة العين لانهم كانوا جماعة ذوي ابهة وبهاء حسنة مشتهرين بين اهل مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجلالتهم في الصدور • وقد عرف كونهم اخوة والعين تسارع تاثيرا الى مثلهم ولذلك لم يوصيهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس • او كان الداعي الى التوصية خوفه بنيامين وتاثير العين ثم الاينكر • وقد ورد في الخبر عن خير البشر العين حق • وفي خبر اخر ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر • وانه صلى الله عليه وسلم تعوذ الحسنين رضي الله عنهما فقال اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وشهدت به التجربة ولا ريبا في ذلك ان يؤثر الله تعالى لان حقيقة التاثير واصله ليس الا منه تعالى وان ظهر على مظاهر الاشياء بحسب جري العادة وليس هذا محل الامتحان والابتلاء لانه ليس من خوارق العادات وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم اي لا انفع ولا ادفع ان اراد الله تعالى بكم شيئا سيئا ولم يرد به الغاء الحذر عن القاء النفس الى محل الخطر ببيان عدم التاثير للتدبير في تغيير ما في التقدير لانه لا يناسب شان النبي عليه السلام ان يوصي بشيء على وجه الاهتمام ببنيه الكرام ثم يبطله ويظهر ان من خطرات الاوهام بل اراد دفع ما يخطر بالبال عند سماع مثل هذا المقال من معارضة التقدير بالتدبير بحسب الظاهر المتبادر الى الافهام ثم مرجعه الى الحذر لا يغني من القدر ومع هذا لا بد للعاقل من الحذر عن مظان الخطر ولذلك امرنا به في قوله تعالى خذوا حذركم ونهينا عن خلافه في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ان الحكم الا لله اي ليس الفصل بين الامور على ما يقتضيه الحكمة الا لله تعالى • ولما كان في توصيتهم مظنة التوسل بالاسباب العادية تدارك بقوله عليه توكلت اي فوضت امري الى الله تعالى يدبره كيف يشاء • وتقديم الصلة لتخصيص التوكل به تعالى وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين حرفي العطف مع تقديم الصلة واراد بالواو العطف على فعله من تخصيص التوكل بالله تعالى في خطهم وبالفاء التسبيب لان فعل الانبياء عليهم السلام سبب لان يقتدى به اي وعليه خاصة اذ خصصته بالتوكل عليه فليتوكل المتوكلون في جميع امورهم • او وعليه ان توكل متوكل فليتوكل كما عليه توكلت ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم

وانما قلنا بحسب الظاهر لانها معارضة في التحقيق حقيقتا فيما علمنا ونسبان القضا والقدر

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
على الطعام او في المنزل • الايواء الضم والتصيير الى
موضع الراحة • ومنه المأوى وهو المنزل الذي يصير
اليه صاحبه للراحة فيه روي انه اضافهم فاجلسهم
مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدة
ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له
فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام
وقام اليه فعانقه وقال اني انا اخوك يوسف
فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون
بما استمر به عادتهم من الجفاء في حقنا وذكري بغير
الجميل عندك مغايظة لك وكأنه قصد الاشارة
الى ما هم بصدد ان يعملوا في حقهم في اسناد السرقة
بقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
ولذلك اتى بصيغة المضارع وكان ذلك معلوما له
بطريق الوحي فلما جهزهم بجهازهم الفاء فصيحة
عاطفة على محذوف تقديره ظاهر وقدمر تفسير
الجهاز جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قدمر
تفسير الرحل قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال
بها وقيل كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها وكانت
من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف
جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
نادى مناد • والايذان الاعلام بقول يسمع بالاذن
يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه ايتها العير العير القافلة ومنه
المثل لا في العير ولا في النفير وهو في الاصل اسم ما
استير عليه من الابل والحمير والبغال لانها تعير اي
تتردد والقول بتخصصه بالابل باطل نص عليه
الازهري ثم قيل لاصحابها كالخيل في قوله عليه السلام
يا خيل الله اركبي انكم لسارقون من قبيل نسبة الفعل
الى الجماعة واحدة لصدوره عن واحد منهم • والسرقة اخذ
الشيء من حرز في خفي بغير حق قيل لم يامرهم يوسف
عليه السلام بذلك ولا علمه وانما كان امر بجعل السقاية
في رحل اخيه بعض خواصه على ما امره الله تعالى به فلما
فقدها الموكلون بها اتهموهم بسرقتها [illegible]

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به
فقال لهم احسنتم فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني
معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه
معه على مائدته وجعل يؤاكله فقال له اتحب
ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من
يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم قال له اني انا
اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا
يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا
وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك • وروي
انه قال له فانا لا افارقك قال لقد علمت
اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد
غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى
ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك
قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم اناديك
عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد
تسريحك معهم فقال افعل فلما جهزهم بجهازهم
هيأ اسبابهم واوفى الكيل لهم جعل السقاية
هي مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى
بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام
وكان يشبه الطاس من فضة او ذهب
في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد
آذنه اي اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم
يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا
ثم قيل لهم ذلك ايتها العير هي الابل التي عليها
الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء والمراد اصحاب
العير انكم لسارقون كناية عن سرقتهم اياه
عن ابيه انتهى المدارك

ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما • روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاهم من الحسد والاذى فقد امنتهم • وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به • وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب • وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء • وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد • والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي • روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبيل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرئ انكم سارقون بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم اي قالوا وقد اقبلوا ماذا تفقدون اي تعدمون • تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم • وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة • وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا • وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالونهم انه ماذا • وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق • وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وازاحة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز • وقيل من الباء • وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة • ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان الكفي اذا عذبت من لا يستحق التعذيب

كنتم ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا ان صدق عنا افساد كان مجيئنا للذكر مريدين به تقبيح حاله وإظهار
كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا في غاية ما يكون
من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا
افساد **وما كنا سارقين** اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم بذلك لان العلم باحوالهم
الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة • وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا
بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم **قالوا** اي اصحاب يوسف عم
فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم **ان كنتم كاذبين**
في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم
كما يؤذن به قوله تعالى **قالوا جزاؤه من وجد** اي اخذ من وجد الصواع **في رحله** حيث ذكر بعنوان
الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد
العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من
وجد في يده مال الغير كيف ما كان فتامل واحمل كلام كل فريق على ما لا يرى احد ذايه فانه اقرب الى معنى
الكيد وابعد من الافتراء وقوله **فهو جزاؤه** تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف
ان يكرم فهو حقه • ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبر على اقامة الظاهر
مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للظاهر الذي وضع
موضعه **كذلك** اي مثل ذلك الجزاء الاوفى **نجزي الظالمين** بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد
وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون **فبدا** يوسف
بعدما رجعوا اليه للتفتيش **باوعيتهم** باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها **قبل** تفتيش **وعاء**
اخيه بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا
فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا **ثم استخرجها** اي السقاية
او الصاع فانه يذكر ويؤنث **من وعاء اخيه** لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على
رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان • وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح
كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد
اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم
وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله تعالى **كدنا ليوسف** صنعنا له
ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام
ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا
فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه كما قاله ابن عباس او في
حكمه وقضائه كما قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون
الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عم فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه باسم السرقة
التي نسبها اليه في حال من الاحوال **الا ان يشاء الله** اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك
الكيد • او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه • ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية
اليه جميعا من ارشاد يوسف وتوجيهه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان
يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد
اذ لا علاقة بين مطلق الكيد وبين دين الملك في شان السارق قطعا
ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك
الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته

الى الافتاء المذكور • وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله
علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من
ذلك فقط • وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال • ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب
اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او الا
بسبب مشيئته تعالى واياما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك و
يعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك • وقد قيل معنى الاستثناء
الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك • وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه من
غير تغيير مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون
الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه حتى
ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد
فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عيدا تلازم مما يشعر بعدم الحاجة
الى الكيد المذكور فتدبر • وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين
غير دين الملك **نرفع درجات** اي رتبا كثيرة عالية من العلم • وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى **من نشاء** اي نشاء رفعه
حسبما يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف • وايثار صيغة الاستقبال للاشعار
بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة • والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين **عليم** لا ينالون شاؤه • واعلم انه ان جعل الكيد عبارة
عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عم ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرطية من
ارشاده عليه السلام الى دس الصاع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات
المرتبة لاسترقاق اخيه مما يتم من قوله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه
لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه • او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم
ولم نكتف بما هو من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع
درجات الى قوله عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك
بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم
عليم لا يغادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه
وقد رفع يوسف عم الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ما حواه دائرة علمه لا يفي
بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين
من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذكر الى الله تعالى وجودا
وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية • وفي صيغة المبالغة مع التنكير
والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط
ما لا يخفى • واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة
الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم
ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك
فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى
الدرجات العالية من العلم • ومدح ليوسف عم برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم

واما ان جعل

تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو أعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم • وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية الا الى درجته ويكون كون التعليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله تعالى اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم انتهى ابو السعود رحمه الله

لئلا يتناول زرعا او طعاما لاحد ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين مرادهم نفي السرقة عن انفسهم فكان حقهم ان يقولوا ما سرقنا الا انهم ارادوا ان يضمنوا عبارتهم الدلالة على ان الاقدام على مثل هذه السرقة انما يتيسر ممن هو معتاد لها قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه اي جزاء سرقته من وجد في رحله اي اخذه واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام فهو جزاؤه جملة اخرى لتقرير الحكم والزامه • او خبر من والفاء لتضمنه معنى الشرط • او جواب لها على انها شرطية • والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر مقام الضمير تفخيما لشأن الجزاء كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك مثل ذلك الجزاء وهو الاسترقاق نجزي الظالمين بالسرقة وهذا الكلام ممن لم يشك انهم ابرياء مما رموا به ولاعتقادهم البراءة علقوا الحكم على وجدان الصاع لا على سرقته فبدأ باوعيتهم اي فبدأ من قال وانا به زعيم • وقد تقدم انه مقدم المتفقدين بتفتيش اوعيتهم وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة فاستخرجها اي السقاية وتذكير الضمير فيما سبق لان الخدمة عبروا عنها بالصواع فما دام الكلام منقولا عن لسانهم ذكر الضمير عائدا اليه من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اي علمناه اياه واوحينا اليه ما كان اي ما صح ليأخذ اخاه بالسرقة في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق • وهو تفسير للكيد وبيان له الا ان يشاء الله نصب على الظرف او المفعول له اي ما كان ليأخذه وقتا من الاوقات الا وقت مشيئة الله تعالى واذنه فيه • او لعلة ما الا لمشيئة الله تعالى • او الا بسبب مشيئة الله تعالى نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجته عليهم فيه • وقرئ يرفع بالياء • ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه في العلم اراد المبالغة في عدم انتهاء مراتب العلم ودرجاته

قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك هو الصاع ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم تقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم حيث دخلوا وافواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله • وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه فهو جزاؤه لا غير • جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره كذلك نجزي الظالمين اي السراق بالاسترقاق فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي الصواع من وعاء اخيه ذكر ضمير الصاع مرات ثم انثه لان التأنيث يرجع الى السقاية او لان الصواع يذكر ويؤنث الكاف في كذلك في محل النصب اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لان الحكم في دين الملك اي في سيرته للسارق ⊙

⊙ ان يغرم مثل ما اخذ لا ان يستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشيئة الله وارادته نرفع درجات بالتنوين كوفي من نشاء اي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل انتهى المدارك النسفي

ابن كمال

قالوا اي اخوة يوسف عليه السلام واقبلوا جملة حالية اي وقد اقبلوا عليهم اي على طالبي السقاية • وفيه تنبيه على ما في قوله ثم اذن مؤذن من ايجاز الحذف • والاقبال المجيء الى الجهة المقابلة بوجهه وضده الادبار ماذا تفقدون يحتمل ان يكون ماذا استفهاما في موضع نصب بتفقدون • ويحتمل ان يكون ما وحدها استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبر عنها وتفقدون صلتها والعائد محذوف اي تفقدونه • وفقد الشيء طلبه عند غيبته عن الحس بحيث لا يدرى اين هو • قال الجوهري فقدت الشيء افقده فقدا وتفقدته اي طلبته عند غيبته ولما فيه معنى الطلب قالوا تفقدون ولو كان معناه الغيبة المجردة عن الطلب لكان حقهم ان يقولوا ماذا فقدتم • وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك هو المكيال وهو السقاية المذكورة سماه اولا باحدى جهتيه وآخرا بالثانية • وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير اراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله • وتمام الكلام في هذا المقام بوعيد للسيء ووعد للمحسن من رئيس تلك الجماعة الا انه اختصر واكتفى بجزئه الثاني مصدرا بالواو الفصيحة الدالة على محذوف هو جزؤه الاول وبه ينتظم الافراد في وانا به زعيم اي كفيل اؤديه الى من رده مع الجمع في قوله قالوا نفقد • قيل فيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل • ورد عليه انه لا دلالة فيه على لزوم الضمان وصحة الالتزام بدون اللزوم مما لا حاجة الى الدليل عليه قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم والتاء بدل من الواو في قول اكثر النحويين وقال السهيلي انها اصل بنفسها وقد حكي عن العرب دخولها على الرب والرحمن وحياتك قالوا ترب الكعبة وبالرحمن وبحياتك لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض اي في ارضكم وانما استشهدوا بعلمهم لاشتهارهم بينهم بالامانة والديانة واختبارهم حالهم في كرتي المجيء ومداخلتهم ولانهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم معكومة

النسفي رحمه الله

قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه • وقيل كان في المنزل دجاجة فأعطاها السائل • وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم دفعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت الصاع فقال بنو راحيل لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فأسرها أي مقالتهم أنه سرق كأنه لم يسمعها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا تمييز أي أنتم شر منزلة في السرق لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه والله أعلم بما تصفون تقولون أو تكذبون قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن أو القدر فخذ أحدنا مكانه تدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على ذلك ولا تغيرها

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من إنا إذا لظالمون إذن جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا وهذا لأنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصاع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم انتهى المدارك

ابن كمال رحمه الله

قالوا إن يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف عليه السلام • قيل ورثت عمته من أبيها منطقة إبراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف عليه السلام وتحبه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وبقي عندها حتى ماتت فأسرها يوسف في نفسه الضمير لما يفهم من سياق الكلام أي أكن كراهة ذلك القول في نفسه والفاء للعطف على محذوف تقديره وسمع يوسف كلامهم فأسرها وقوله ولم يبدها تأكيد للسابق وبيان لمراده من اللاحق فإنه علم منه أنه عليه السلام قال في نفسه أنتم شر مكانا أي شر منزلة في سرقتكم أخاكم من أبيكم والله أعلم بما تصفون أي يعلم أن الأمر ليس كما تصفونه إذ لا علم لهم به فإن ما قالوه ناشئ عن الجهل غير مطابق للواقع قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ذكروا له حال أبيهم في كونه شيخا كبير القدر استعطافا له عليه وكانوا قد أخبروه بأنه كان له ولد قد هلك وهذا شقيقه يستأنس به وهو أحب إليه منهم فخذ أحدنا مكانه يدل على وجه الاستعباد والاسترقاق إنا نراك من المحسنين إلينا وما الإنعام إلا بالإتمام فأتمم إحسانك أو من المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله مصدر نعوذ مقام الفعل أي نعوذ بالله معاذا أن نأخذ من أن نأخذ فأضيف إلى المفعول به وحذف من إلا من وجدنا متاعنا عنده أي إن نظلم فإن أخذ السارق على فتواكم واجب فلئن أخذنا غيره إنا إذا لظالمون في مذهبكم ودينكم فلم تطلبون منا ما هو ظلم عندكم كلام ذو وجهين ظاهره ما مر وباطنه إني مأمور من عند الله تعالى بأخذ بنيامين فإن خالفته كنت ظالما مرتكبا خلاف الوحي وإنما قال إلا من وجدنا متاعنا عنده إجراء للكلام على موجب ما قالوه عند بيان الجزاء واحترازا عن التصريح بإسناد السرقة إلى أخيه وإن كان الأخصر لفظا والأظهر معنى أن نقول إلا من سرق

انتهى ابن كمال

أبو السعود رحمه الله

قالوا إن يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من أنها تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها إسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت إلى المنطقة فحزمتها تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف عليه السلام فقالت إنه لي سلم أفعل به ما أشاء فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت • وقيل كان أخذ في صباه صنما لأبي أمه فكسره فألقاه في الجيف • وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فأسرها يوسف لا أنه أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسررت لهم إسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق قال أي في نفسه وهو استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بالإسرار المذكور كأنه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الإسرار فقيل قال أنتم شر مكانا أي منزلة حيث سرقتم أخاكم من أبيكم ثم طفقتم تفترون على البريء • وقيل بدل من أسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون أي عالم علما بالغا إلى أقصى المراتب فإن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل إنما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه تعالى على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل أخذ بنيامين مستعطفين يا أيها العزيز إن له أبا لم يريدوا بذكر الإخبار بأن له أبا فإن ذلك معلوم مما سبق من قولهم سنراود عنه أباه وإنما أرادوا الإخبار بأن له أبا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ أحدنا مكانه فليس عنده بمنزلته من المحبة والشفقة إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك بهذه التتمة أو المتعودين بالإحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أي نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فحذف الفعل وأقيم مقامه المصدر مضافا إلى المفعول به بعد حذف الجار إلا من وجدنا متاعنا عنده لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم فليس لنا الإخلال بموجبها • وإيثار صيغة التكلم مع كون الخطاب من جانب أخوته على التوحيد من باب السلوك إلى سنن الملوك • أو للإشعار بأن الأخذ والإعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء أولي الحل والعقد • وإيثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فإنهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة إنا إذا أي إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي أريد بالكلام في أثناء الحوار وله معنى باطن هو أن الله تعالى إنما أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو أخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي انتهى أبو السعود

ط

واسئل القرية التي كنا فيها هي ارض مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها قد مر ان العير يطلق على القافلة وهم كانوا من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعا. وانا لصادقون تاكيد في محل القسم وفي الكلام اضمار معناه فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا

انتهى كلامه

من ابو السعود

فلما استيئسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال • وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي • او فوجا نجيا • ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من النفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل • او في العقل وهو يهوذا • او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التشاور على الانقلاب ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكونه الحلف باسمه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية • ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عم • ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف • وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف • او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عم • او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف وقع من قبل • وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه • وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل • وفيه ما فيه • وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع • والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية • واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكره اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت مقصودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عم او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق • او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردنه الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل الا القت ولدها كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه • وكانت بنوا يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا امس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه • وما كنا عالمين حين اعطاك الوثيق انه سيسرق • او انا نبلى هذا الامر • او انك تصاب به كما اصيبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيرانه وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل القسم انتهى كلام ابو السعود

من النسفي

فلما استيئسوا يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر في استعصم منه من يوسف واجابته اياهم خلصوا نجيا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا او تمحضوا تناجيا لاجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته فالنجي يكون بمعنى المناجي بمعنى كالسمير بمعنى المسامر • وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكانهم تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة تذهبون وماذا تقولون لابيهم في شان اخيهم قال كبيرهم في السن وهو روبيل • او في العقل والراي وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم • او مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالموت او بقتالكم وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنا اذ الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه يسرق حين اعطيناك الموثق واسأل القرية التي كنا فيها يعني مصر اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون في قولنا فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا

من ابن الكمال

فلما استيئسوا منه يئسوا من يوسف عليه السلام اي من اجابته اياهم • وزيادة السين والتاء للمبالغة كما ذكر في استعصم خلصوا انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا حال او مفعول له اي مناجيا او للتناجي بعضهم بعضا وكان تناجيهم في تدبير امرهم • والنجي قد يجي بمعنى المناجي كالعشير بمعنى المعاشر • ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وقد يكون بمعنى المصدر التناجي كالنجوى ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الوصف ويقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه على وزن المصادر قال كبيرهم في السن وهو روبيل • او رئيسهم وهو شمعون • او كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله تعالى موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته • وانما قال عليكم لما في اخذه من التكليف والايجاب ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم فيه وما مزيدة او مصدرية • ومحل المصدر النصب بالعطف على مفعول تعلموا كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف • ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف • واما الرفع على الابتدا وخبره الظرف وهو من قبل اي ووقع من قبل تفريطكم في يوسف فمردود بان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص او موصولة اي ومن قبل هذا فرطتموه في حق يوسف اي ما قدمتموه من الجناية العظيمة • ومحله النصب او الرفع على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي بالتوفي او بالخروج منها او بتخليص اخي من يد من اخذه بسبب من الاسباب ولو بالمقاتلة معهم وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر • وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان راينا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين اعتذار عن مواعدتهم اباهم بحفظه اي ليس من شاننا حفظه لامر غائب عنا فانا كنا ضمنا لك حفظه مما يمكننا الحفظ عنه من الآفات في الطريق فاما السرقة فمما لم يكن لنا الى حفظه منها سبيل هذا هو الظاهر من الكلام المتبادر الى الافهام المطابق لما يقتضيه المقام فلا حاجة الى صرف اللفظ عن معناه الى معنى العلم كما سبق الى بعض الاوهام ط

من ابن الجمال

قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا امرا اردتموه والا فما ادري الملك ان السارق يوجد بسرقته لولا فتواكم فصبر جميل قد تقدم تفسيره عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والكبير المتوقف هناك انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره ولا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما اخبروه به وقال يا اسفا على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك • والاسف اشد الحزن على الفائت وهو اشد الغضب ايضا ويجوز ان يكونا اجتمع له المعنيان الحزن على فقد يوسف والغضب على اخوته او على نفسه ببعثه معهم ويناسبه ما في لحاق الكلام من التعرض لها وانما تأسف على يوسف عليه السلام و الحادث مصيبة اخويه لان الذي به اشد المصائب واكبرها وهو الاخذ بمجامع قلبه لا ينسيه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حيوته وفي الحديث لم تعط احد من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفي منادي مضاف الى ياء المتكلم ابدلت الياء الفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن • وانما هو من البكاء المتوالي لانه ثمرة الحزن فعلل بالاصل الذي نشأ منه البكاء • والحزن الهم الغليظ على النفس من الارض الحزن بفتح الحاء اي الغليظ • والظاهر انه عليه السلام كان عمي لقوله تعالى فارتد بصيرا • وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع • ومثل ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد • ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع و لا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه ولا يظهره • فعيل بمعنى مفعول لقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه • او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه و الكظم بفتح الظاء مجرى النفس انتهى ابن الجمال

من ابي السعود

قال اي يعقوب عم وهو استيناف مبني على سؤال نشأ مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوتهم ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا • وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان • وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت

من النسفي

قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فمن ادرى ذلك الرجل ان السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وكبيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به وقال يا اسفى على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين الاسف ويوسف غير متكلف • و نحو اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه • ويحسبون انهم يحسنون • من سبا بنبا • وانما تأسف على يوسف دون اخيه وكبيرهم لتمادي اسفه على يوسف دون الاخرين • وفيه دليل على ان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر • قيل قد عمي بصره • وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا من الحزن كان الحزن سبب البكاء الذي حصل منه البياض فكأنه حدث من الحزن • قيل جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام • ويجوز للنبي ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لان الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الحزن ولذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون • وانما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله اذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه انتهى

بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم بأخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل • او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي يبتلي الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه • والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفي تعال فهذا اوانك • وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه • ولانه كان واثقا بحيوتهما عالما بمكانهما طامعا في اياهما واما يوسف فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله • وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال • والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين و نظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر • قيل عمي بصره لقوله فارتد بصيرا وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا • روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب • وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عم ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط فيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لديه بابه في دفعه • وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف • قيل رأى ملك الموت عم في المنام فسأله عنه فقال هو حي • وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس • وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه

من النسفي رحمه الله

قالوا تالله تفتؤ اى لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لا تفتؤ لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره اى لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له و ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وروى انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون واعلم من رحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروى انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وعلمه هذا الدعاء يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع ابدا ولا يحصيه غيرك فرج عني يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الاحساس وهو المعرفة ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه انه اى الامر والشان لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان من آمن يعلم انه متقلب في رحمة الله ونعمته واما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند ابيهم راجعين الى مصر فخرجوا من عند ابيهم راجعين الى مصر فلما دخلوا عليه على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته وقيل كانت زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا

وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زد نا على حقنا او هب لنا اخانا ان الله يجزي المتصدقين انتهى المدارك

ابن الكمال رحمه الله

قالوا تالله جواب القسم تفتأ حذفت منه لا وحذفها جائز لانه لا يلتبس بالاثبات اذ لو كان اثباتا بعد القسم لقيل لتفتأن اذ لا بد في الاثبات من اللام والنون فقرينة النفي خلوه عن علامة الاثبات والمعنى لا تزال واسم ضمير الخطاب وتذكر خبر تفتأ اى لا تزال تذكر تفجعا عليه حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ بضمتين كجنب او تكون من الهالكين الهلاك ذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب له اين هو فالميت هالك لهذا المعنى ويطلق على الزواله لشيء وهو المراد ههنا ولهذا اخر فانه لو اريد المعنى الاول لكان حقه التقدم قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يقدر صاحبه ان يكتمه فيبثه اى ينشره وحزني الى الله اى لا اشكو الى احد منكم ولا من غيركم وانما اشكو الى الله تعالى ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهو معنى توليه عنهم الى الله تعالى واعلم من الله اي اعلم من لطفه ورحمته انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب او اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقيل علم من منام يوسف انه لا يموت حتى يسجد له ابوه واخوته يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما و التحسس الاستقصاء والطلب بالحواس وقرئ بالجيم من التجسس وهو الطلب ومنه الجاسوس امرهم بطلب يوسف بالبصر يرونه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره و لا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التي يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله و صفاته فان العارف لا يقنط من رحمته تعالى في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه اى على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب

فلما دخلوا عليه اى على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى امتثال امره واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اى اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج والانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها هو تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا يحتمل الحمل على المحملين فلعله عم حمله على المحمل الاول ولذلك قال هل علمتم ما فعلتم الخ

قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وقيل غير ذلك فاوف لنا الكيل التمسوا منه ايفاء الكيل بعد ما قدموا باعث الشفقة وموجب الرحمة ولذلك صدروه باداة التفريع وتصدق علينا اي بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة تمسكنا وتواضعا له فلا دلالة فيه على عدم اختصاص حرمة الصدقة لنبينا صلى الله عليه وسلم نزلوا او وضع منزلة كأنهم قالوا ان لم نستوجب معاملة البيع والشراء فقد استوجبنا بذل العطاء وعلى الله المكافاة والجزاء ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في القصر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله انتهى ابن كمال

٨٨ وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي
باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني
فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم • وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم
قال له العباس اذا اتيت فاتل عليه لا تثريب عليكم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن
علمك • وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه
انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي
منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر
وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى
ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس
اني من حفدة ابراهيم وهو ارحم الراحمين اي انا
رحمتكم وانا الفقير القتور فما ظنكم بالغني الغفور
ثم سألهم عن حال ابيه فقال انه عمي من كثرة البكاء
قال اذهبوا بقميصي انتهى المدارك

ابن الكمال رحمه الله

قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه سؤال عن الملزوم
وارادة اللازم اي هل تبتم عن ذلك ورجعتم الى الله تعالى
فهو شفقة عليهم وتنصح لهم في الدين كما هو عادة الانبياء عليهم السلام
لا معاتبة • وتثريب ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه
ولذلك قال لا تثريب عليكم اليوم فلا يناسب تقدير
القبح على ان يكون المعنى هل علمتم قبح ما فعلتم لانه لا يخلو
عن نوع توبيخ وتثريب وانما ادرج فعلهم باخيه
افرادهم اياه عنه واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم
الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون عاقبته فلذلك
اقدمتم عليه • وانما قال ذلك اعتذارا من جانبهم
للشفقة في حقهم حتى يؤثر نصحه لهم وتحريضه اياهم
على التوبة • وقيل اعطي كتاب يعقوب عليه السلام في
تخليص بنيامين وذكر واله ماهو له فيه من الحزن
على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لا
لانهم كانوا حينئذ صبيانا كما قيل لانه لا يطابق الواقع وينافي ما
تقدم من قولهم ونحن عصبة بل لان فعلهم فعل الجهال
قالوا أئنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان
واللام ويدل عليه قراءة انك على الايجاب وهذا كلام متعجب
مستغرب لما يسمع فهو مكرر بالاستثبات قيل عرفوه بروائه
وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل
رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكانت لسارة ويعقوب عليه مثلها قال انا يوسف
انما قال وهذا اخي حين سألوه عن نفسه بيانا لما سألوه
عنه اي هذا اخي من ابي وامي وتفخيما له وادخالا في قوله قد من الله علينا

وقيل لانهم كانوا في زعمهم [illegible]

من النسفي رحمه الله

ولما قالوا مسنا واهلنا الضر تضرعوا اليه وطلبوا
اليه ان يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك
ان عرفهم نفسه حيث قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف اي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف و
اخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه او
اذ انتم في حد السفه والطيش • وفعلهم
باخيه تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه
لابيه وامه وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا
أئنك بهمزتين كوفي وشامي لانت يوسف
اللام لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة
خبر ان قال انا يوسف وهذا اخي وانما ذكر اخاه
وهم قد سألوه عن نفسه لانه كان في ذكر اخيه
بيان لما سألوه عنه قد من الله علينا بالالفة
بعد الفرقة • ذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة
ولم يبدأ بالملامة انه من يتق الفحشاء ويصبر
على المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر
المحسنين اي اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير
لاشتماله على المتقين والصابرين • وقيل من
يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع اجره
في دنياه وعقباه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى
والصبر والحسن وان كنا لخاطئين وان شأننا
وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق
ولم نصبر لا جرم ان الله تعالى اعزك بالملك واذلنا
بالتملك بين يديك قال لا تثريب لا تعيير عليكم
اليوم متعلق بالتثريب او بيغفر والمعنى لا اثربكم
اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب
فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم
فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم • يقال غفر الله لك
ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع • او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله تعالى ٨٨
قد من الله علينا

تنبيها على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر

الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم • وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا
وان الشان انا كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا • وفيه اشعار بالتوبة
والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي
للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله تعالى اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر
في عليكم اي لا اثربكم اولا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر
والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت
في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام   انتهى ابو السعود رحمه الله

الله

قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة والاجتماع بعد الفرقة والانس بعد الوحشة • ثم ذكر ان سبب من الله عليه
هو التقوى والصبر فقال على طريقة الاستيناف التعليلى انه من يتق الله في اموره ويصبر على بلاياه او على الطاعات
وعن المعاصى فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع هم للتنبيه على ان المتقى الصابر هو المحسن والتسجيل عليهم
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة اهل الاحسان وان كنا لخاطئين
والحال ان شأننا انا كنا متعمدين للذنب فلذلك اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم
تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد فضرب
مثلا للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب بماء الوجه • وتثريب اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في
الخبر اى لا تثريب مستقر عليكم اليوم • ولا يجوز تعلقه بالتثريب لانه مصدر وقد فصل بينه وبين معموله
ولا يجوز ذلك لان معمول المصدر من تمامه • والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام •
ثم دعا لهم بالمغفرة بقوله يغفر الله لكم ويجوز تعلق الظرف بيغفر اى البشر بعاجل غفران الله تعالى لما تجدد اليوم
من توبتكم وندمكم على خطيئاتكم • ولما دعا لهم بالمغفرة اخبر عن الله تعالى بالصفة التي هي سبب الغفران بقوله
وهو ارحم الراحمين لانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب فرجى منه قبول دعائه لهم بالمغفرة • وروى
ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا
فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اسحق [illegible] • اى ابن ابن له

ابو السعود افندى رحمه الله عليه

قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر
ان يتعرض بما فعلوا باخيه فقط • وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له
عن يوسف واذلالهم له بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اى هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه • فهو
سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك • او جاهلون عاقبته • وانما
قال له نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا • ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب
والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عم بطريق الوحى والالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه
ومن اخيه فلما رآهم قد استغلوا عن ذلك قال ما قال • وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم وقد كتب فيه
من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا
البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به في النار فنجاه الله تعالى وجعل النار له بردا وسلاما • واما ابى
فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى • واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته
الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه
من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام • فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم
ما قال • وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير
ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا • وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه • وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة ويعقوب مثلها • وقرئ ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخى اى من ابوى مبالغة
في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا
فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع
بعد الفرقة والعز بعد الذلة والانس بعد الوحشة • ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه
اخى لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلى بقوله انه من يتق اى يفعل التقوى في جميع
احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات • او عن المعاصى التي تستلذها
النفس

٥

ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده انى لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق بالقميص من ريح يوسف عم من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اى تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأى من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأى فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اى لصدقتموني قالوا اى الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قديما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اى القى البشير القميص على وجهه اى وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله انى لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله انى اعلم من الله ما لا تعلمون فانه مدار النهي المذكور بما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهته تعالى وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اى الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة • انتهى ابو السعود •

• من النسفي رحمه الله •

ثم سألهم عن حال ابيه فقالوا انه عمي من كثرة البكاء قال اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرئيل ان يرسل اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا يقال جاء البناء محكما اى صار او يأت الي وهو بصير • قال يهوذا انا احمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء • وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا وأتوني باهلكم اجمعين لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا باخبار هلكي ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر • يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه قال ابوهم لولده ولمن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانية ايام لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا اى اسباطه تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قديما في افراط محبتك ليوسف او في خطائك القديم في حب يوسف وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير اى يهوذا القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجهه فارتد بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون كلام مبتدأ لم يقع عليه القول او وقع عليه والمراد قوله

• من ابن الكمال •

اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث امر جبرئيل عم ان ارسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اى يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما اى صار محكما ودليله فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره وأتوني باهلكم اجمعين اى بابي وآله جميعا ولا حاجة الى التغليب على ان يكون المعنى وأتوني انا وانتم بآبائكم لما كان شيخا كبيرا عاجزا عن الكسب كان داخلا في اهليهم ولما فصلت العير يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وهو لازم وفصل الشيء فصلا فرق وهو متعد والمعنى انفصلت العير من عريش مصر ومن غفل عن التفصيل المذكور قال اصله فصل نفسه عنه ولما كثر حذف مفعوله كاللازم قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ما عبق بقميصه من ريح يوسف عم حين اقبل به يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون التفنيد النسبة الى الفند وهو نقصان عقل كامل يحدث من الهرم يقال شيخ مفند اى قد فسد رأيه ولا يقال عجوز مفندة لان المرأة لم تكن لها قط رأى اصيل فيدخله التفنيد وجواب لولا محذوف اى لولا نسبتكم اياي الى الخرف لصدقتموني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط في يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير وهو يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه افرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه يعقوب او طرح يعقوب عم على نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عم وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف اسمي ابن كمال

• من ابو السعود •

اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه عم وقيل هو القميص المتوارث الذي في التعويذ امر جبرئيل عم بارسالها اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصير بصيرا او يأت الي بصيرا وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اى بابي وغيره ممن يشمله لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انا احمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ⊙

ابو المعين النسفي رحمه الله

ضـ ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب مواشي ينتقلون في المياه والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اى افسد بيننا واغرى ان ربي لطيف لما يشاء. اى لطيف التدبير انه هو العليم الحكيم بتاخير الآمال الى الآجال او حكم بالايتلاف بعد الاختلاف انتهى المدارك

جمع منجع

ابن الكمال قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه و يسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عم او يعلم انه عفى عنهم لان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبرئيل عم و قال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعد ذلك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم • واما ما قيل اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة فتاباه سوف لانها ابلغ في التنفيس من السين وعلى ما ذكر حق العبارة ان يكون بالسين ولما وعدهم بالاستغفار رجاهم بحصول الغفران بقوله انه هو الغفور يغفر العاصي الرحيم يرحم للعاصي اذا تاب واستغفر فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف عم الى ابيه اموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف عم والملك واهل مصر باجمعهم وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراءة آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب عم تزوجها بعد امه والداية تدعى اما وقال الحسن وابن اسحق كانت امه بالحياة و على هذا لا حاجة الى التاويل وقال ادخلوا مصر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد كانه ضرب لهم مضرب او بيت حين استقبلهم في الطريق فدخلوا فيه ان شاء الله آمنين من القحط واصنافه في المكان والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم ورفع ابويه على العرش اى رفعهما على السرير وخصهما بذلك تكرمة لها دون اخوته وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود عندهم يجرى مجراها والواو لابويه ولاخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما والواو لا يفيد الترتيب وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله وقيل الضمير لله وتاباها قوله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل رأيتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا اذ لا مطابقة هي بين الرؤيا والواقع وقد احسن

واعتنقهما

واله آبائك ملك

قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين اى سل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك انا تبنا واعترفنا بخطائنا قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخر الاستغفار الى وقت السحر او الى ليلة الجمعة او ليتعرف حالهم في صدق التوبة او الى ان يسال يوسف هل عفا عنهم ثم ان يوسف عم وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف عم والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ضم اليه ابويه واعتنقهما قيل كانت امه باقية وقيل ماتت وتزوج خالته والخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق • ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر انه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او قصر كان له ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال لهم بعد ذلك ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من ملوكها وكانوا لا يدخلون الا بجواز • او من القحط روى انه لما لقيه قال يعقوب عم السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان و سبعون ما بين رجل وامراءة وخرجوا منها مع موسى عم ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف ورفع على العرش وخروا له سجدا قيل لما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره و اجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد • وقال الزجاج سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم • وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا اباه • وقيل معناه خروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة ايضا واختلف في استنبائهم وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التاويل اربعون سنة او ثمانون او ست وثلثون او اثنان وعشرون وقد احسن بي يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه اذ اخرجني من السجن ح

وقد احسن بي حمله على لطف حمل النظير على النظير فعداه بالباء والا فالاحسن اصله ان يتعدي بالى او باللام واما التضمين فلا يناسب لتمام لان احدهما يغني عن الاخر فلا فائدة في الجمع بينهما اذ اخرجني من السجن لم يذكر الجب اكتفاء بكلمة النزغ لانى ذكره عليه لا صفحا عن ذكر ما تعلق بفعل اخوته لئلا يكون تثريبا عليهم لانه على تقدير ان يكون خطابه عليه السلام لابيه بمسمع منهم ولا دلالة في الكلام عليه وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل عمد نقلهم من البدو نعمة اخرى • وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة اى اصلح حالكم من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اى افسد بيننا واغوى • نزغ بمعنى نخس من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى • وانما ذكر هذا القدر من امر اخوته لان النعمة اذا جاءت اثر بلاء وشدة كانت احسن موقعا وليت شعري من قال عدم ذكر الجب للاحتراز عن التثريب عليهم ما يقول في ذكر الفساد الواقع بينه وبينهم • والعجب انه قال في تفسير قوله ما فعلتم بيوسف فيه ما فعلتم به والتثريب فيه اظهر في ذكر الجب ان ربي لطيف لما يشاء . اى لطيف التدبير لما يشاء من الامور ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل بلطف تدبيره انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذى يفعل كل شيء على وجه يقتضيه الحكمة انتهى ابن كمال

قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه أن يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على
ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار أو أدرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف أستغفر لكم
ربي إنه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بعفوه قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت
الإجابة وقيل أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف عليه السلام أو يعلم أنه قد عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده
ما روي عنه أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف عليه السلام خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين
سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد
مواثيقهم بعد ذلك على النبوة فإن صح ثبت نبوتهم وأن ما صدر عنهم إنما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار
على الدعاء فقد روي أنه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما
فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله تعالى
إليه أن الله قد غفر لك ولهم أجمعين فلما دخلوا على يوسف روي أنه وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن
معه فاستقبله يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند العظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي
متوكئا على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال
السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل قال له يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا
قال بلى ولكني خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم
اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه أي أباه وخالته نزلها منزلة الأم كتنزيل العم منزلة
الأب في قوله عز وجل وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أو لأن يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه وقال الحسن وابن إسحاق
كانت أمه في الحياة فلا حاجة إلى التأويل ومعنى آوى إليه ضمهما إليه واعتنقهما وكأنه عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل
فيه فدخلوا عليه فآواهما إليه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره قاطبة والمشيئة متعلقة
بالدخول على الأمن ورفع أبويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته وخروا له أي أبواه
وإخوته سجدا فإنه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من
عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور
وقيل خروا لأجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا أبت هذا تأويل التي رأيتها وقصصتها عليك من قبل في زمن
الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتداد بسجود يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله أليس
أول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لأن الترتيب الذكري
لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به من قوله
وقد أحسن بي المشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله تعالى وبالوالدين إحسانا
وقيل هذا بتضمين لطف وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى
أي لطف بي محسنا إلي غير هذا الإحسان إذ أخرجني من السجن بعدما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب
حذارا من تثريب إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله
وجاء بكم من البدو أي البادية من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد بيننا بالإغواء وأصله
من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الإحسان حيث
أسند ذلك إلى الشيطان إن ربي لطيف لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب
ما من صعب إلا وهو بالنسبة إلى تدبيره سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة
روي أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي
وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت إلي على ثماني مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى
الله تعالى أمرني بذلك لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعا وعشرين
سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه
ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني

انتهى ابو السعود

رب قد آتيتني من الملك اي بعضاً منه عظيماً وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضاً من ذلك كذلك
ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فالترتيب ظاهر • واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤى كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر
لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان
ذلك ايضاً نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج
العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخر في
الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما و
خالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر • ووصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب
مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة واذ قد
اتممت علي نعم الدنيا توفني اقبضني مسلماً والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
فانما تتم النعمة بذلك • قيل لما دعا توفاه الله تعالى طيباً طاهراً فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا اذ ذاك
حتى هموا بالقتال فرأوا ان يصنعوا له تابوتاً من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل ليمر عليه ثم يصل
الى مصر ليكونوا شرعاً واحداً في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون ولنون يوشع فتى
موسى عم ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا
دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام • انتهى ابو السعود •

من النسفي رحمه الله

رب قد آتيتني من الملك ملك مصر وعلمتني من
تاويل الاحاديث تفسير كتب الله تعالى او تعبير الرؤيا
ومن فيهما للتبعيض اذ لم يؤت الا بعض ملك الدنيا
وبعض التاويل فاطر السموات والارض انتصابه على
النداء انت وليي في الدنيا والآخرة انت الذي
تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني
بالملك الباقي توفني مسلماً طلب الوفاة على حال الاسلام
كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون
وعن الضحاك مخلصاً وعن التستري مسلماً اليك
امري • وفي عصمة الانبياء انما دعا به يوسف عم
ليقتدي به قومه من بعده ممن ليس بمأمون العاقبة
لان ظواهر الانبياء عليهم السلام لنظر الامم اليهم و
الحقني بالصالحين من آبائي او على العموم • روي
ان يوسف عم اخذ بيد يعقوب عم فطاف
به في خزائنه فادخله خزائن الذهب والفضة و
خزائن الثياب وخزائن السلاح حتى ادخل خزائن
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبرئيل قال
او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فاسأله قال
جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله
الذئب فهلا خفتني • وروي ان يعقوب عم
اقام معه اربعاً وعشرين سنة ثم مات واوصى
ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه
ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر • وعاش بعد ابيه ثلثة
وعشرين سنة فلما تم امره طلبت نفسه الملك الدائم
فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه
الله تعالى طيباً طاهراً فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في
دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال
فرأوا ان يعملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه
ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا كلهم فيه شرعاً حتى نقل موسى عم بعد
اربعمائة سنة تابوته الى بيت المقدس وولد له
افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل
بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه ذكره الا انتهى المدارك

ابن الكمال رحمه الله

رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر
ومن قال او بعض ملك مصر فكانه غفل عن قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء •
وعلمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها لانه
عليه السلام لم يؤت تاويل جميع الكتب والرؤيا •
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على الصفة
او على النداء • انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا
والآخرة او الذي تتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلماً
لما عدد نعم الله تعالى تشوق الى لقاء ربه ولحاقه
بصالحي سلفه ورأى ان الدنيا كلها فانية فتمنى الموت
وقيل لما رأى امره على الكمال علم انه على الزوال فسأل
سعادة الانتقال وليس فيه سؤال التوفي في الحال
بل سؤال الختم على الاسلام متى كان فتوفاه الله تعالى
طيباً طاهراً ولقد توارثت الفراعنة بعده مصر ولم تزل
بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه
عليهم السلام الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام
والحقني بالصالحين من آبائي • او على العموم • وفيه
اشكال وهو ان الصلاح اول درجات المؤمنين ويوسف
عليه السلام من اكابر الانبياء عليهم السلام فكيف يليق به
ان يطلب البداية • وحله ان النفوس المفارقة اذا
اشرقت بالانوار الالهية وكانت متناسبة انعكس النور
من كل واحدة منها الى الاخرى كالمرايا الصقيلة اذا جمعت
انعكست الصورة من كل واحدة الى الاخرى وهي تقوي
الضوء وتكمل السعادة • ومن لم يتنبه لهذا قال في
الرتبة والكرامة فجعل المراد منها عند ذكرها على الاطلاق في
الانبياء عليهم السلام كمال حالهم وما يجامع غاية الخير فيهم
انتهى ابن كمال

ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام
والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ
من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وان جعلت
اسم الاشارة بمعنى الموحى فمن انباء الغيب صلته
والخبر نوحيه اى الذى من انباء الغيب نوحيه
اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم كالدليل
عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى
لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به
من ان يجعلوه فى غيابت الجب وهم يمكرون به
ويبغون له الغوائل وبابيه ليرسله معهم ● جملة حالية ● وتفصيل ذلك ان اخباره عليه السلام
عن هذه القصة لا يكون الا عن مشاهدة او نقل او
وحى ولم يخف على احد من المكذبين انه عليه السلام
لم يكن من حملة هذا الخبر ولا استماعه عن قومه فاستغنى
عن ذكره لظهوره وكان الشك فى انتفاء المشاهدة
اوقع من الشك فى انه لم يسمعها من احد ولذكره
فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا فاذا انتفت المشاهدة لم يبق الا الوحى ●
ونحو وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر
وما اكثر الناس قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد
اهل مكة ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم وبالغت
فى اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم
على الكفر وما تسألهم عليه اى على ما تحدثهم به
من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ونقلة
الآثار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين
عامة وكاين وكاى عدد شئ من آية دالة
على وجود الصانع وتوحيده وكمال قدرته وحكمته
فى السموات والارض يمرون عليها على الآيات و
يشاهدونها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة
وغير ذلك من العبر والدلائل وهم عنها معرضون
لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها فلا عجب ان يعرضوا عن
الآيات التى تأتيهم بها ● وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ
خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على و
يطئون الارض ● وقرئ والارض يمشون عليها اى
يترددون فيها فيرون مشاهدها كلين وآثارها

ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب
نوحيه اليك خبران وما كنت لديهم اى لدى
بنى يعقوب اذ اجمعوا امرهم عزموا على ما هموا به
من القاء يوسف فى البئر وهم يمكرون
بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى ان هذا النبأ
غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحى لانك لم تحضر
بنى يعقوب حين اتفقوا على القاء اخيهم فى
البئر وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
اراد العموم او اهل مكة اى وما هم بمؤمنين
ولو اجتهدت كل الاجتهاد على ايمانهم وما تسألهم
عليه على التبليغ او على القرآن من اجر جعل
ان هو الا ذكر للعالمين ما القرآن الا عظة لهم
وحث على طلب النجاة على لسان رسول من
رسله وكاين من آية من علامة ودلالة على
الخالق وعلى صفاته وتوحيده فى السموات
والارض يمرون عليها على الآيات او على الارض
ويشاهدونها وهم عنها عن الآيات معرضون
لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون اى وما يؤمن اكثرهم فى
اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض
الا وهو مشرك بعبادته الوثن ● الجمهور على انها
نزلت فى المشركين لانهم مقرون بان الله خالقهم
ورازقهم واذا حزبهم امر شديد دعوا الله و
مع ذلك يشركون به غيره ● ومن جملة الشرك ما يقوله
القدرية من اثبات قدرة التخليق للعبد
والتوحيد المحض ما يقوله اهل السنة وهو انه لا خالق
الا الله تعالى

من الالكن اقطارها وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته للكل الا وهم مشركون
بعبادة غيره من الاوثان ● او باتخاذ الاحبار اربابا ● او القول باتخاذه للولد ● او القول بالنور
والظلمة وامثال ذلك ● جملة حالية اى ايمانهم ملتبس بالشرك انتهى ابن كمال رحمه الله

ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه
بالانقضاء فى حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره من انباء الغيب الذى لا يحوم حوله
احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير فى الخبر ● ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب
صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه فى غيابت
الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا
وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفى حضوره عليه السلام فى مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل فى سائر المشاهد
ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل
الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك
فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار
كانهم يشكون فى ذلك فيدفع شكهم ● وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع
وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعنى ان مثل هذا التحقيق بلا وحى لا يتصور الا بالحضور و
المشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحى ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او
اهل مكة ولو حرصت اى على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم
على الكفر واصرارهم على العناد ● روى ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف عليه السلام وعدوا ان
يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم
عليه اى على الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين
كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين من آية اى كاى عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التى جئت بها فى السموات والارض اى كائنة فيهما
من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الارض
من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اى يشاهدونها ولا يعبأون بها ● وقرئ برفع الارض على الابتداء
ويمرون خبره ● وقرئ بنصبها على معنى ويطئون الارض يمرون عليها ● وفى مصحف عبد الله والارض يمشون
عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين
اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم
لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
او بالنور والظلمة ● وهى جملة حالية اى لا يؤمن اكثرهم الا فى حال شركهم ● قيل نزلت الآية فى اهل مكة وقيل
فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب انتهى ابو السعود

افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اى عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة
فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى وهى الدعوة الى التوحيد
والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء • وهى حال من
الضمير فى سبيلى والعامل فيها معنى الاشارة انا تأكيد للمستكن فى ادعو وعلى بصيرة لانه حال منه • او مبتدأ
خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين مؤكدا لما سبق من الدعوة الى الله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة نوحى اليهم كما اوحينا اليك •
وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا
فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك
ولدار الآخرة اى الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا تعقلون فتستعملوا
عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة • وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل
غاية لمحذوف دل عليه السياق اى لا يغررهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم
قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا • او من ايمانهم لانهماكهم فى الكفر وتماديهم
فى الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم
او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار
واستظهار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر
فى الدنيا جاءهم نصرنا فجاءة • وعن ابن عباس رض وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس • واما ع
بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذى هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من
آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم فى معرفة شؤون الله سبحانه منزل
وقيل الضميران للرسل اليهم • وقيل الاول لهم والثانى للرسل • وقرئ بالتشديد اى ظن الرسل ان القوم
فيما وعدوهم • وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اى ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به
تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم فنجى من نشاء هم الرسل والمؤمنون • وقرئ فننجى على لفظ ال
بالتخفيف والتشديد • وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق
المشية لقد كان فى قصصهم اى قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف
واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اى القرآن المدلول عليه بما
دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب السماوية • وقرئ بالرفع على انه خبر
محذوف اى ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء مما يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا و
يستند الى القرآن بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اى يصدقونه
لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه • عن رسول الله صلى الله عليه
علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه
القوة ان لا يحسد مسلما انتهى ابو السعود رحمه الله

من النسفي رحمه الله

افامنوا ان ياتيهم غاشية عقوبة تغشيهم
وتشملهم من عذاب الله او تاتيهم الساعة القيمة
بغتة حال اي فجاءة وهم لا يشعرون باتيانه قل هذه
سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان
والتوحيد سبيلي • والسبيل والطريق يذكران
ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله ادعوا الى الله على
بصيرة اي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير
عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني
عطف عليه اي ادعوا الى سبيل الله انا ويدعو اليه
من اتبعني • او انا مبتدا، وعلى بصيرة خبر مقدم
ومن اتبعني عطف على انا يخبر ابتداء بانه
ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وسبحان الله
وانزهه من الشركاء وما انا من المشركين
مع الله غيره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملائكة
لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة
او لست فيهم امراة نوحي بالنون حفص اليهم
من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي
فيهم الجهل والجفاء افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم و
لدار الاخرة اي ولدار الساعة الاخرة خير للذين
اتقوا الشرك وامنوا به افلا تعقلون
وبالياء مكي وابو عمرو وحمزة وعلي حتى اذا
استياس الرسل يئسوا من ايمان القوم
وظنوا انهم قد كذبوا وايقن الرسل ان قومهم
كذبوهم • وبالتخفيف كوفي اي وظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا • او وظن المرسل
اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل في انهم ينصرون
عليهم ولم يصدق قولهم فيه جاءهم نصرنا للانبياء
والمؤمنين بهم فجاءة من غير احتساب فنجي بنون
واحدة وتشديد الجيم وفتح شامي وعاصم على
على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل من
الباقون ننجي من نشاء اي النبي ومن امن به ولا يرد
باسنا عذابنا عن القوم المجرمين الكافرين انتهى المدارك

ابن الكمال رحمه الله

افامنوا استفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد
والفاء للترتيب على ما تقدم وهو متقدم في الاعتبار
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم
وتشملهم او تاتيهم الساعة اي يوم القيمة بغتة فجاءة
من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير
مستعدين لها تاكيد لقوله بغتة قل هذه سبيلي
اي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه في
حالة كوني على حجة واضحة غير عمياء، حال من الياء في
سبيلي والعامل معنى الاشارة في هذه • او بيان
وتفسير لسبيله • وعلى بصيرة حال من المستكن في ادعو
و انا تاكيد له ومن تبعني عطف عليه اي ادعو الى الله
انا ويدعو اليه من اتبعني • او مرفوع بما في الظرف
من معنى الفعل على الفاعلية اي كاينا او ثابتا على
بصيرة • والجملة ابتداء اخبار بانه ومن تبعه على حجة
وبرهان لا على هوى كغيرهم وسبحان الله وانزهه تنزيها
من الشركاء وما انا من المشركين فيه تعريض بانهم هم
المشركون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم
لو شاء ربنا لانزل ملائكة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نفي استنباء النساء نوحي اليهم ما اوحي اليك و
تميزوا بذلك عن غيرهم • وقرئ نوحي بالنون من
اهل القرى لانهم اعلم واحلم من اهل البدو فان فيهم
الجهل والجفاء والفسق ولا دلالة في قوله وجاء بكم
من البدو على ان يعقوب عليه السلام من اهل البدو
وانما دلالته على انه عليه السلام كان في البدو ساكنا
لمصلحة مواشيه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل و
الايات فيحذروا تكذيبك • او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة
اي دار الساعة او الحيوة او الحالة الاخرة خير للذين
اتقوا الشرك والمعاصي حض على العمل لدار الاخرة
والاستعداد لها افلا يعقلون يستعملون عقولهم
ليعرفوا انها خير • وقرئ بالتاء حملا على قوله قل هذه
سبيلي ادعو اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا
استيئس الرسل

غاية لمحذوف دل عليه الكلام اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
مثلك يبلغون الرسالة ويوضحون الدلالة فتراخى نصرهم حتى
اذا استيئسوا عن النصر • او عن ايمان قومهم وظنوا انهم
قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون •
او كذبهم قومهم بوعد الايمان اي لا تهوننه فربما تمادى ايامهم
فان الرسل قبلك قد تطاول عليهم مدة التكذيب وعداوة
الكفار وانتظار النصر حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا • وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا
وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم من النصر وكانوا
بشرا وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه
متى نصر الله • وقد رواه البخاري في صحيحه فقيل في تصحيحه
اراد بالظن ما يهجس في القلب على سبيل الوسوسة وحديث
النفس بحكم البشرية لا الظن بمعنى الاعتقاد الراجح
فانه غير جائز على احاد المؤمنين فكيف بالرسل • ويجوز
ان يراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل •
وقيل فظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا •
وقيل الضمائر للمرسل اليهم اي ظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا
من جهة الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم •
وقرئ بالتشديد اي وظن الرسل انهم قد كذبهم قومهم
فيما اوعدوهم من العذاب والنصرة عليهم • وقرئ كذبوا
بالتخفيف على البناء للفاعل اي وظن الرسل انهم قد كذبوا
فيما اوعدوا به قومهم من النصرة عليهم • اما على تاويل
ابن عباس رضي الله عنهما واما على انهم كذبوا عند قومهم لانهم
اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا ان الرسل قد كذبوا فيكونون
كاذبين عند قومهم • او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا
جاءهم نصرنا بغتة فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول • وقرئ
فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه • وقرئ فنجا من
نشاء الرسل والمؤمنين • وانما ابهم تعظيما لهم وتنبيها على انهم الذين
علم كل احد انهم هم الذين يستاهلون ان يشاء الله تعالى نجاتهم
ولا يشاركهم فيه غيرهم • ثم بين ذلك بقوله ولا يرد باسنا عن
القوم المجرمين ايذانا بان العذاب مخصوص بالمجرمين لازم
لهم فلا يتخلص من نجاة اضدادهم من الرسل واتباعهم • ومفعول
نشاء محذوف تقديره نشاء تنجيته انتهى ابن كمال

ابن الكمال رحمه الله

لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء عليهم السلام
واممهم • او في قصة يوسف عليه السلام واخوته
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن
شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا
يفترى الغير للقرآن لقوله ولكن تصديق الذي
بين يديه من الكتب الالهية • وانتصب تصديقا
على انه خبر كان المحذوفة انما جعله نفس التصديق
مبالغة في كونه مصدقا لما بين يديه وتفصيل كل
شيء عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة و
التعميم كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء • و
قوله وفتحنا عليهم ابواب كل شيء • ومن لم يتنبه
لهذا احتاج الى تخصيص الشيء بالذي يتعلق بالدين
ثم تكلف في بيانه فقال اذ ما من امر ديني
الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط
ولم يدر ان عبارة التفصيل لا تحتمل هذا التأويل
وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين
وقرئ تصديق وتفصيل وهدى ورحمة كلها
بالرفع اى ولكن هو تصديق ولكن على هذه القراءة
لعطف الجملة لقوم يؤمنون يصدقونه خصهم
بذلك لانهم هم الذين ينتفعون به كما قال هدى
للمتقين
انتهى ابن
الكمال

من النسفي رحمه الله

لقد كان في قصصهم اى في قصص الانبياء واممهم
او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
حيث نقل من غيابة الجب الى غاية الحب ومن
الحصير الى السرير فصارت عاقبة الصبر سلامة
وكرامة ونهاية المكر وخامة وندامة ما كان
حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى
كما زعم الكفار ولكن تصديق الذي بين يديه
ولكن كان تصديق الكتب التي تقدمته وتفصيل كل
شيء يحتاج اليه لانه القانون الذي تستند
اليه السنة والاجماع والقياس وهدى
من الضلال ورحمة من العذاب لقوم يؤمنون
بالله وانبيائه وما نصب بعد لكن معطوف
على خبر كان • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
علموا ارقاءكم سورة يوسف فايما عبد تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى
عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان
لا يحسد مسلما قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
في ذكر قصة يوسف عم واخوته تصبير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على اذى قريش كانه يقول
ان اخوة يوسف مع موافقتهم اياه في الدين
ومع الاخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد
والمكر وصبر على ذلك فانت مع مخالفتهم اياك
في الدين احرى ان تصبر على اذاهم وقال
وهب ان الله تعالى لم ينزل كتابا الا فيه سورة يوسف
تامة كما في القرآن انتهى مدارك

سورة الرعد مكية ثلث واربعون آية وقيل مدنية الا قوله ولا يزال الذين كفروا الآية وقيل هي خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون العظيم

الم انا الله اعلم وارى عن ابن عباس رضي الله عنهما تلك اشارة الى آيات السورة آيات الكتاب اريد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك القرآن كله الحق خبر الذي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان فقال الله الذي رفع السموات اي خلقها مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذي رفع السموات بغير عمد حال وهو جمع عماد او عمود ترونها الضمير يعود الى السموات كذلك فلا حاجة الى البيان او الى عمد فيكون في موضع الجر على انه صفة لعمد اي بغير عمد مرئية ثم استوى على العرش استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح بلاده

ه وقرئ ترونه اي ترون رفعها بغير عمد قيل وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجسمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ولا يخفى مبنى تلك الدلالة على ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير ولفظة ثم مستعار للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه وقهرهما على سنن واحد لمنافع عباده ومصالح بلاده لما يوجد بهما من الآثار في الحبوب والثمار كل يجري لاجل مسمى اي كل منهما يجري لمدة معينة يتم فيها دورته فالقمر يقطع الفلك في شهر والشمس في سنة لا يختلف جري واحد منهما كما قال والشمس تجري لمستقر لها والقمر قدرناه منازل وقال والشمس والقمر بحسبان اي بحساب معلوم لا يختلف وهذا ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح البلاد بخلاف ما قيل يجري لغاية مفروضة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به بين التسخير والتدبير ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجري صريح في التعدد وما للغاية الى دون اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته في الايجاد والتعريف نحو المراد

لمدة معينة ١٢

قد مر تفصيل الكلام في هذا المقام في تفسير سورة الاعراف ١٢

٨ فهذا هو الذي يقتضيه جزالة الكلام وحسن انطباقه على مقتضى المقام وهو تفخيم المنزل

بسم الله الرحمن الرحيم الم قد مر تفسيرها اقاويل وقيل معناها انا الله اعلم وارى تلك اشارة الى آيات السورة وفيها تعظيم لها آيات الكتاب اللام للجنس والمراد بالسورة اي تلك الآيات العظام آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل اليك من ربك يعني القرآن كله ومحله الرفع على الابتداء وخبره الحق اي فهو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي ايقاع الموصول مسندا اليه تفخيم المنزل وفي تعريف الحق انه هو الذي اذا تحققت الحق وماهيته فهو هو لا غير والمراد الاخبار عنه بكمال حقيقته حيث ثبت على مر الدهور ولم يتطرق له التحريف والتغيير او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف سائر الكتب الالهية فلا دلالة فيه على ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة الى تعميمه بالمنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التصريح بان المراد منه القرآن كله على انه لا يجدي نفعا في دفع النقض بحقية ما نزل الى سائر الانبياء عليهم السلام ودرجه في الذي انزل اليه عليه السلام ضمنا باعتبار انه نطق بحقية اتباعه ما لا يخفى من التعسف وهو بعيد التساوي والتي يؤدي الى ان يكون ترك قوله اليك خيرا من ذكره والجملة الثانية كالحجة على الجملة الاولى وطريقتها طريقة الاغارية في الكلمة من بني عبس هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها اي كما انما نفيت التفاضل

لتقرر ان ايقاع الموصول مسندا اليه قد ذكر ليلتفت الى احتمال ان يكون محله الجر بالعطف على الكتاب والله اعلم بالصواب

انما كل ... لهذا الغرض الكمال استدرك ... اي لا يعتقدون ... واخلالهم ... مبتدأ وخبر ... لام ... عطف ... ولدلالة ... وجه ... والاسطوانة ... قد وفي

الم اسم للسورة ومحلها اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ واذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل الم مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيف اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وجلالة المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لانه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي ادعمته وقرئ عمد على انه جمع عمود يعني عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي على كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف اليه استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى على العرش اي استولى عليه بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له تعالى بلا كيف واما ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة تنتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية تتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما منع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له والاولى حال منه والثانية من الضمير فيه او كلاهما من ضمير الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران عن قوله الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بالبعث فانه الجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان هذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد نبئت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اقرها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض

انتهى ابو السعود رحمه الله

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع
على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما قررناه • وقوله تلك على الوجه الاول مبتدا مستقل وعلى الوجه
مبتدا ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته • واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام
اقرا واذكر فتلك مبتدا كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد • او بمعنى انا الله اعلم وارى
على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى آيات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل
الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب • فهو عبارة
عن جميع القرآن • او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر فى مطلع سورة يونس اذ هو المتبادر من مطلق
الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه
من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة فى
الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك
اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر تفصيله فى سورة يونس والذى انزل
اليك من ربك اى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق
بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية
الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه • وفى التعبير عنه بالوصف الربوبية مضافا الى ضميره
عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وجلالة المنزل اليه والايماء الى وجه
بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه • فعدم ايمانهم
بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل • ولانه وارد على طريقة
دون الاخبار الله الذى رفع السموات اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر
لانه رفعها بعد ان لم تكن كذلك • والجملة مبتدا وخبر كقوله وهو الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع
عماد كاهاب واهب • وهو ما يعمد به اى يسند • يقال عمدت الحائط اى ادعمته • وقرئ عمد على انه جمع
عمود بمعنى عماد كرسل ورسول • وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفى على كل واحدة منها عمد لا
ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد • وقيل صفة لعمد جئ بها ايهاما
لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه ثم استوى على العرش اى استولى بالحفظ والتدبير • او استوى
امره • وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف • واما ما كان فليس المراد به القصد الى
ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين
لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها
دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية
او لمدة تنتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل • او لغاية تتم عندها ذلك •
والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اى يقضى ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اى يأتى بها
مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة
للآثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير • فالجملتان اما حالان من ضمير استوى
وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء • واما مفسرتان له • والاولى حال منه والثانية من الضمير
فيه • او كلاهما من ضمير الافعال المذكورة • وقوله كل يجرى لاجل مسمى من تتمة التسخير • او خبران عن
قوله الله خبر بعد خبر • والموصول صفة للمبتدا جئ به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قوله
الفرزدق ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها
بلقاء ربكم بملاقاة الجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع
البديعة على كل شئ قدير وان هذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد نطقت
على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء
ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذى مد الارض اسمى ابو السعود رحمه الله

وقرئ ترونه اى ترون رفعها بغير عمد • قيل وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر
الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجسمية الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لا بد فان يكون
بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته • وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الآيات ولا يخفى مبنى تلك الدلالة على ثبوت المساواة المذكورة ولا دليل
عليه لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير • ولفظة ثم
مستعارة للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر اى ذللهما وجعلهما طائعين له غير ممتنعين عليه
دائرين على سنن واحد لمنافع عباده ومصالح بلاده بما يوجد بهما من الآثار فى الحبوب
والثمار كل يجرى لاجل مسمى اى كل منهما يجرى لمدة معينة يتم فيها دورته فالقمر يقطع الفلك
فى شهر والشمس فى سنة لا يختلف جرى واحد منهما كما قال والشمس تجرى لمستقر لها
والقمر قدرناه منازل • وقال والشمس والقمر بحسبان اى بحساب معلوم لا يختلف وهذا
ايضا من جملة التدبيرات لمنافع العباد ومصالح البلاد بخلاف ما قيل يجرى لغاية مضروبة
ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت فلا يناسب الفصل به
بين التسخير والتدبير • ثم ان غايتهما المذكورة متحدة والتعبير بكل يجرى صريح فى التعدد
وما للغاية الى دون اللام يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته فى الايجاد والتعريف نحو المراد

قدم تفصيل الكلام فى هذا المقام فى تفسير سورة الاعراف منه

لمدة معينة

سورة الرعد مكية ثلث واربعون اية وقيل هي خمس واربعون مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم وبالعون العظيم

المر انا الله اعلم وارى • عن ابن عباس رضي الله عنهما
تلك اشارة الى آيات السورة آيات الكتاب اريد بالكتاب
السورة اى تلك الايات آيات السورة الكاملة العجيبة
في بابها والذي انزل اليك من ربك القرآن كله
الحق خبر الذي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الايمان
فقال الله الذي رفع السموات اى خلقها
مرفوعة لا ان تكون موضوعة فرفعها • والله
مبتدا والخبر الذي رفع السموات بغير عمد
حال وهو جمع عماد او عمود ترونها الضمير يعود
الى السموات كذلك فلا حاجة الى البيان • او
الى عمد فيكون في موضع الجر على انه صفة لعمد
اى بغير عمد مرئية ثم استوى على العرش
استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان وسخر
الشمس والقمر لمنافع عباده ومصالح بلاده
كل يجري لاجل مسمى وهو انقضاء الدنيا يدبر
الامر اى امر ملكوته وربوبيته يفصل الايات
يبين اياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لعلكم توقنون بان هذا المدبر و
المفصل لا بد لكم من الرجوع اليه • انتهى المدارك
قال البيضاوي لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال
قدرته وتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء انتهى •

٨ هذا هو الذى يقتضيه جزالة الكلام وحسن انطباقه
على مقتضى المقام وهو تفخيم المنزل

بسم الله الرحمن الرحيم المر قد مر تفسيرها اقاويل •
وقيل معناها انا الله اعلم وارى تلك اشارة الى
ايات السورة وفيها تعظيم لها آيات الكتاب اللام
للمصنفة والمراد به السورة اى تلك الايات القطان
آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها والذي انزل
اليك من ربك يعنى القرآن كله • ومحله الرفع على
الابتداء وخبره الحق اى هو الحق الذى لا مزيد عليه
لا هذه السورة وحدها • وفي ايقاع الموصول
مسندا اليه تفخيم المنزل • وفي تعريف الحق انه هو
الذى اذا تحققت الحق وحقيته فهو هو لا غير •
والمراد الاخبار عنه بكمال حقيقته حيث ثبت
على مر الدهور ولم يتطرق له التحريف والتغيير
او ثبت تلاوته وحكمه بخلاف سائر الكتب الالهية فلا دلالة
فيه على ان غير المنزل اليه ليس بحق اصلا فلا حاجة بكون
الى تعميم المنزل ضمنا بل لا وجه له بعد التصريح بان المراد
منه القرآن كله على انه لا يجدي نفعا في دفع النقض
بحقية ما نزل الى سائر الانبياء عليهم السلام ودرجه
في الذى انزل اليه عليه السلام ضمنا باعتبار انه نطق
بحق اتباعه ما لا يخفى من التعسف وهو بعيد التسابق
والتي يؤدي الى ان يكون ترك قوله اليك خيرا من
ذكره والجملة الثانية كالحجة على الجملة الاولى وطريقها
طريقة الاغارية في الكلام من بني عبس هم كالحلقة
المفرغة لا يدرى اين طرفاها اى كما انها نفيت التفاضل
آخرا باثبات الكمال لكل واحد دلالة على ان كمال كل
لا يحيط به الوصف وهو اجمال بعد التفصيل لهذا الغرض
كذلك لما اثبت لهذه السورة خصوصا الكمال استدرك
بان كل المنزل كذلك لا يختص به سورة دون اخرى
للدلالة المذكورة • ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اى لا يصدقون
بانه منزل من الله لاعراضهم عن النظر فيه او اخلالهم
بحق التامل في وجوه اعجازه الله الذي مبتدا • وخبر
ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر •
والاول اولى لان قوله وهو الذى مد الارض عطف عليه
على سبيل التقابل بين العلويات والسفليات وفي
القابل يتعين الخبرية فكذلك فيه ليتوافقا ولدلالته ٨
على ان كونه كذلك هو المقصود بالحكم لا انه ذريعة الى تحقق الخبر وتعظيم كما هو مقتضى الوجه الآخر
رفع السموات اى خلقها مرفوعة لا ان يكون موضوعة فرفعها بغير عمد جمع عماد كاهاب واهب
او عمود كاديم وادم • وقرئ عمد كرسل والعمود السارية واصله منع الميل ومنه الاعتماد والاعطوه
غير مرأوف له ترونها استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك • وقيل هي صفة لعمد
وفيه ايهام ان يكون لها عمد غير مرئية ومقتضى المقام نفي العماد اصلا • وذكره بصيغة الجمع للتعدد في السما.

المستفاد من ايقاع الموصول مسندا اليه فلذلك لم يلتفت الى الاحتمال الآخر بالعطف على الكتاب والله اعلم بالصواب

يفصل الايات
اي ياتي بالايات الدالة على القدرة والتدبير فصلا فصلا للتمكن من تدبر كل اية على حدة لعلكم
بلقاء ربكم توقنون فان من تدبر هذه الايات وتفكر فيها ايقن ان من قدر على خلق هذه الاشياء
وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء فلا بد من الرجوع اليه بمقتضى وعده • والجملتان اما حالان
من الضمير في قوله استوى على العرش • وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى من تتمة
الاستواء وتبيين له واما مفسرتان له وفي تعقيب الاوائل بهما للايقاف
لانه تقرير لمعنى الاستواء وتبيين له وفي ذلك لايات لمن يتفكر من فصل السابق لافادتها اليقين و
والثواني تقوله ان في ذلك لايات لان الفكر التسبيه والاشارة الى تقدم الثاني بالنسبة الينا
اللاحق ذرايع الى حصوله لان الفكر ثابت على تقدير جعل الموصول وصفا لما قرب الدلائل السماوية
مع التاخر رتبة وكل ذلك فقال وهو الذى مد الارض انتهى ابى ... رحمه الله
ازدفها بتقدير الدلائل الارضية

قرا حمزة والكسائي ويفصل باليا. لقوله يدبر الامر. وقرا
الاخرون بالنون على معنى ونحن نفصل وجا في الحديث
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الفارسي والدقل
والحلو والحامض. قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم و
خبيثهم وابوهم واحد. قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى
لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن
عز وجل فسطحها فصارت قطعا متجاورة فينزل عليها الما من السما
٥٥

٥٥ فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها
وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكل يسقى بما
واحد كذلك الناس خلقوا من ادم فينزل من
السما تذكرة فترق قلوب فتخشع وتقسو
ارض سبا التعلب
قلوب فتلهو ا

وجنات من أعناب وزرع ونخيل وبساطين فيها انواع الاشجار والزروع • وتوحيد الزرع لانه
مصدر في اصله والفصل به بين نوعي جنس واحد وهو من جنس آخر لما فيه من الفضل حيث
كان به قوام المعاش • وقرئ وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات • وقرئ جنات بالنصب
عطفا على زوجين وبالجر عطفا على كل الثمرات صنوان جمع صنو وهي نخلة ذات ساقين تفرعا
من اصل واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول • وقرئ بالضم كقنوان في جمع قنو
يسقى بماء واحد وقرئ يسقى بالياء على تأويل ما ذكر اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة ونفضل بعضها
على بعض في الاكل قرئ بضم الكاف وسكونها • وقرئ نفضل بالنون والياء على البناء جميعا والبناء
للفاعل يطابق ليدبر • وانما خص التفضيل في الاكل بالذكر مع وجود وجوه التفاضل في غيره
لانه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
للتفكر • وفيه اشعار بان العاقل اذا لم يستعمل عقله لما خلق له فكأنه لا يعقل انتهى ابن الكمال رحمه الله •

• ابو السعود رحمه الله •

وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الامام المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه • ففيه دلالة
على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات
الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك • والانحصار مجيء فواعل جمعا لفاعل
في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء • واما في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى
اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة
اعني اجبلا • ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا لانتظامها لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها
كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار
انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف
جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل
كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد • والتعبير عن الجبال بهذا العنوان
لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه • وفي نظمها مع الجبال
في سلك معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ الانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة
للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه
بالماء والكلأ ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين اثنين اي اثنينية حقيقية
وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر • والتأكيد به للزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق
الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات
الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في
القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك • ويجوز ان يتعلق بجعل الاول
ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على
تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب
وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا
ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات الفلكية وان كان تعلقه بالآيات
العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولأن
الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلهما • وقرئ
يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات
واغشاء الليل النهار • وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في بابه لآيات باهرة وهي آثار
تلك الافاعيل البديعة جليلة حكمة صانعها في على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك
الافاعيل منوطة بها • ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففي تجريده
لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق

لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان
والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل
هو اهون في القياس • وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا آثارها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة
في كونها آية • ففي تجريده مثلها في قوله لهم فيها دار الخلد • او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها
الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والاماكن المشاهدة لاهلها • في
معناها • وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل
ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الأكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص
الكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا • وفيه
تعريض بان المشركين غير عاقلين • انتهى ابو السعود رحمه الله

رحمه الله
بسطها وجعل فيها رواسي
ومن كل الثمرات جعل
الاسود والابيض والحلو
والكبير وما اشبه ذلك
مكانه فيصير اسود
منيرا • يغشي حمزة و
لآيات لقوم يتفكرون
قادرا وفي الارض قطع
مع كونها متجاورة متلا
الى رخوة وصلبة الى
مزيد موقع لانفعالها على
متفاوتة الثمرات
ارض واحدة وجنات

وان تعجب يا محمد من شیء فعجب لا عجب منه حقیق بان یقصر علیه التعجب قولهم بعد ما شاهدوا ما عدد من الآیات الشاهدة بانه تعالی علی کل شیء قدیر أإذا کنا ترابا علی طریقة الاستفهام الانکاری المفیدة لکمال الاستبعاد والاستنکار وهو فی محل الرفع علی البدلیة من قولهم علی انه بمعنی المقول او فی محل النصب علی المفعولیة منه علی انه مصدر فالعجب علی الاول کلامهم وعلی الثانی تکلمهم بذلک والعامل فی اذا ما دل علیه قوله أإنا لفی خلق جدید وهو نبعث او نعاد ● وتقدیم الظرف لتقویة الانکار بالبعث بتوجیهه الی حالة منافیة له ● وتکریر الهمزة فی قولهم أإنا لتأکید الانکار ولیس مدار انکارهم وکونهم ثابتین فی الخلق الجدید بالفعل عند کونهم ترابا بل کونهم بعرضیة ذلک واستعدادهم له ● وفیه من الدلالة علی عتوهم وتمادیهم فی التکبر ما لا یخفی ● وقیل وان تعجب من قولهم فی انکار البعث فعجب قولهم والمآل وان تعجب فقد تعجبت فی موضع التعجب ● وقیل وان تعجب من انکارهم البعث فعجب قولهم الدال علیه فتأمل ● وقد جوز کون الخطاب لکل من یصلح له ای ان تعجب یا من ینظر فی هذه الآیات من قدرة من هذا افعاله فازدد تعجبا ممن ینکر مع هذه الدلائل قدرته تعالی علی البعث وهو اهون من هذه ● والانسب بقوله ویستعجلونک بالسیئة قبل الحسنة هو الاول ● وقوله فعجب خبر قدم علی المبتدا للقصر والتسجیل من اول الامر بکون قولهم ذلک امرا عجیبا ● ویجوز ان یکون مبتدا لکونه موصوفا بالوصف المقدر کما اشیر الیه ● فالمعنی وان تعجب فالعجب الذی وراءه قولهم هذا فاعجب منه ● وعلی الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب فوقه اولئک مبتدا والموصول خبره ای اولئک المنکرون لقدرته علی البعث وسیما عاینوا ما فصل من الآیات الباهرة الملجئة لهم الی الایمان به لو کانوا یبصرون الذین کفروا بربهم وتمادوا فی ذلک فان انکارهم لقدرته تعالی کفر به وای کفر واولئک مبتدا خبره قوله الاغلال فی اعناقهم ای مقیدون بقیود الضلال لا یرجی خلاصهم ● او مغلولون یوم القیمة واولئک الموصوفون بما ذکر من الصفات اصحاب النار هم فیها خالدون لا ینفکون عنها ● وتوسیط ضمیر الفصل لیس لتخصیص الخلود بمنکری البعث خاصة بل بالجمیع المدلول علیه بقوله اولئک الذین کفروا بربهم ویستعجلونک بالسیئة بالعقوبة التی استهوها وذلک حین سألوا رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یأتیهم العذاب استهزاء بانذاره قبل الحسنة ای العافیة والاحسان الیهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات ای عقوبات امثالهم من المکذبین فما لهم لا یعتبرون بها ولا یحترزون حلول مثلها بهم ● والجملة الحالیة لبیان رکاکة رأیهم فی الاستعجال بطریق الاستهزاء ای یستعجلونک بها مستهزئین بانذارک منکرین لوقوع ما انذرتهم ایاه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة علی امثالهم من المکذبین المستهزئین ● والمثلة بوزن الثمرة العقوبة لما بینها وبین المعاقب علیه من المماثلة ● ومنه المثال للقصاص ● وقرئ المثلات بضمتین باتباع الفاء العین ● والمثلات بفتح المیم وسکون الثاء کما یقال الثمرة ● والمثلات بضم المیم وسکون الثاء جمع مثلة کرکبة ورکبات وان ربک لذو مغفرة عظیمة للناس علی ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصی ومحلها النصب علی الحالیة ای ظالمین ● والعامل فیه المغفرة ● والمعنی ان ربک لغفور للناس لا یعجل العقوبة وان کانوا ظالمین بل یمهلهم بتأخیرها وان ربک لشدید العقاب یعنی من یشاء منهم حین یشاء فتأخیر ما استعجلوه لیس للاهمال ● وعنه صلی الله علیه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العیش ولولا وعیده وعقابه لاتکل کل احد انتهی ابو السعود رحمه الله ●

العجب تغیر النفس برؤیة المستبعد فی العادة والخطاب للرسول صلی الله علیه وسلم ومعناه انک ان تعجب من انکارهم النشأة الآخرة مع اقرارهم بابتداء الخلق فعجیب امرهم ● وکان المشرکون ینکرون البعث مع اقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالی وقد تقرر فی القلوب ان الاعادة اهون من الابتداء فهذا موضع العجب وقیل معناه وان تعجب من تکذیب المشرکین واتخاذهم ما لا یضر ولا ینفع آلهة یعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالی ما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم فتعجب من قولهم أإذا کنا ترابا بعد الموت أإنا لفی خلق جدید ای نعاد خلقا جدیدا کما کنا قبل الموت ● قرأ نافع والکسائی ویعقوب أإذا مستفهما انا بترک ضده ابو جعفر وابن عامر وقرأ الباقون بالاستفهام فیهما ویستعجلونک بالسیئة قبل الحسنة الاستعجال طلب تعجیل الامر قبل مجیء وقته ● والسیئة هاهنا العقوبة والحسنة العافیة وذلک ان مشرکی مکة کانوا یطلبون العقوبة بدلا من العافیة استهزاء منهم یقولون اللهم ان کان هذا هو الحق من عندک فامطر علینا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب الیم انتهی المعالم وقد خلت ای مضت من قبلهم فی الامم التی عصت ربها وکذبت رسلها المثلات العقوبات والمثلات جمع المثلة مثل صدقة وصدقات معالم

وان تعجب یا محمد من قولهم فی انکار البعث فعجب قولهم خبر ومبتدا ای فقولهم حقیق بان یتعجب منه لان من قدر علی انشاء ما عدد علیک کانت الاعادة اهون شیء وایسره فکان انکارهم اعجوبة من الاعاجیب أإذا کنا ترابا أإنا لفی خلق جدید فی محل الرفع بدل من قولهم ● قرأ عاصم وحمزة کل واحدة بهمزتین اولئک الذین کفروا بربهم اولئک الکاملون المتمادون فی کفرهم واولئک الاغلال فی اعناقهم وصف لهم بالاصرار ● او من جملة الوعید واولئک اصحاب النار هم فیها خالدون دل تکرار اولئک علی تعظیم الامر ویستعجلونک بالسیئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافیة ● وذلک انهم سألوا رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یأتیهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات ای عقوبات امثالهم من المکذبین فما لهم لم یعتبروا بها فلا یستهزؤا ● والمثلة العقوبة لما بین العقاب والمعاقب علیه من المماثلة وجزاء سیئة سیئة مثلها وان ربک لذو مغفرة للناس علی ظلمهم ای مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال ای ظالمین لانفسهم ● قال السدی یعنی المؤمنین وهی ارجی آیة فی کتاب الله تعالی حیث ذکر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فان التوبة تزیلها وترفعها وان ربک لشدید العقاب علی الکافرین او هما جمیعا فی المؤمنین لکنه معلق بالمشیة فیهما ای یغفر لمن یشاء ویعذب من یشاء انتهی

وان تعجب یا محمد ● او یا ایها الموحد من قولهم فی انکارهم البعث فعجب فحقیق بان یتعجب منه قولهم وتقدیم الخبر للتخصیص ای ما قولهم الا عجب لا اعجب منه لان من قدر علی انشاء ما عدد من الفطر العجیبة کان علی الاعادة اقدر اذ الاعادة اهون من الابداء وایسر فانکارهم اعجوبة من اعجب الاعاجیب أإذا کنا ترابا فی محل الرفع بدلا من قولهم ● او فی محل النصب بالقول واذا نصب بما دل علیه قوله أإنا لفی خلق جدید ای لفی صدد ذلک بعد ما کنا ترابا ● وهذا ابلغ فی الانکار اولئک المنکرون الذین کفروا بربهم ای هم المتمادون فی الکفر بربهم لانهم کفروا بقدرته علی البعث واولئک الاغلال فی اعناقهم ای المقرون الذین لا یمکنهم النظر والاستبصار ورفع الرؤس الی ما دعوا الیه ● وعلی الاعناق تمثیل کقوله انا جعلنا فی اعناقهم اغلالا ● ویجوز ان یکون وعیدا کما بعده واولئک اصحاب النار فی تکرار اولئک تعظیم لانکارهم وتأکید فی تقبیحه وبیان لاستحقاقهم العذاب الابدی لذلک ای انهم اذا انکروا وما انتبهوا بهذه الدلائل الدالة علی قدرة المبدی علی الاعادة دلالتها علی الابداء بل اقوی فی اقبح انکارهم واشد اصرارهم وما احقهم بالخلود فی النار هم فیها خالدون لا ینفکون عنها وتوسیط الفصل لتخصیص الخلود بالکفار فان عبارته وان کانت مخصوصة بصنف منهم وهم المنکرون للبعث لکن دلالته تعم سائر الاصناف ویستعجلونک بالسیئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافیة وذلک انهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنیا استهزاء وانکارا وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المکذبین فما لهم لم یعتبروا بها ولم یحترزوا حلول مثلها بهم ● والمثلة بوزن السمرة العقوبة المستأصلة کقطع الانف والاذن ونحوهما وان ربک لذو مغفرة للناس اللام للعهد والمعهود هم المستعجلون المذکورون والمراد من المغفرة الستر والامهال علی ظلمهم فی محل النصب علی الحال والعامل فیه المغفرة ای ظالمین انفسهم ای ظالمین ذاته علی ابلغ من مع وان ربک لشدید العقاب للظالمین فلا یهمل وان کان یمهل فلا دلالة فی الآیة علی جواز العفو قبل التوبة لان مبناها علی حمل المغفرة علی التوبة وهو غیر مسلم عند الخصم انتهی

لتضمنه الانکار الاستبعاد علی ما ذکره بانه فی الابد [illegible] الخلق الجدید من الاستبعاد ولا الاستبعاد لرفع [illegible] انکار [illegible]

الاستفهام [illegible]

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لعنادهم وعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم مقترحين مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام إنما أنت منذر مرسل للإنذار والتخويف من سوء العاقبة كغيرك من الرسل لا للإتيان بما اقترحوا عليك وما عليك إلا الإتيان بما يصح به نبوتك من الآيات • والآيات كلها سواء في ذلك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق بوص من الهداية التي تخصهم أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى أي ما عليك إلا الإنذار فلا يهمنك عنادهم وإنكارهم للآيات المنزلة عليك فليس إليك هدايتهم ولست بقادر عليها إنما القادر على ذلك هو الله تعالى لكنه لا يهدي إلا من يشاء من عباده بما يشاء من آياته • ثم عقبه بما دل على كمال علمه وقدرته وتقديره للأشياء على مقتضى حكمته تنبيها على أنه عالم بأحوال الأنبياء عليهم السلام والأمم قادر على إنزال مقترحاتهم ولكن الأمر مقدر عنده على ما يجب أن يكون عليه من حكمته من تخصيص كل نبي بما خص به من الآيات • وأما ما قيل أو عالم بهم قادر على هدايتهم لكنه لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فمرجعه إلى تصحيح مبني مذهب الجبرية الله يعلم ما تحمل كل أنثى إما استئناف لبيان سبب الامتناع من إنزال ما اقترحوا • وإما جملتاه الأولى تفسير لهادي هو الله تعالى والثانية ابتداء كلام لبيان كون الكل بعلمه وتقديره • ويجوز أن يكون جملة قوله الله يعلم مقررة ويكون من باب إقامة الظاهر مقام المضمر كأنه قيل فهو يعلم أي ذلك الهادي ما تحمل كل أنثى أو حملها أنه على أي حال من الأحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد • وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده • وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فإن جعلا لازمين يتعين أن يكون مقدرة وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز فإنهما لله تعالى أو لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد من جهة الكم والكيف والزمان لا يجاوزه ولا ينقص عنه والمراد من العندية الحضور العلمي أي هو عالم بكمية كل شيء وكيفيته ووقت حدوثه فهي له أسبابا مسوقة إليه يقتضي ذلك • وهذه الجملة مقررة لما تقدم وليس في الاتصال كالتي بعدها ولذلك وصل هذه له وفصل هذه عما قبلها انتهى ابن كمال

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت منذر إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ولكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله تعالى بآية خص بها لا بما يريدونه ويتحكمون الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ما في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الأرحام أي وتعلم ما تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة • أو جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا • أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عندنا • وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك • أو مصدرية أي يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر

ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون أيضا • وإنما عدل عن الإضمار إلى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة وإلا ففي أدنى آية أنزلت عليه عبرة لأولي الألباب إنما أنت منذر مرسل للإنذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك إلا الإتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة إلى إلزامهم وإلقامهم الحجر بالإتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها إلا الله تعالى • أو لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله تعالى وما عليك إلا إنذارهم فلا يهمنك عنادهم وإنكارهم للآيات المنزلة عليك وإذ درأهم بها • ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على أن تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات إنما هو للحكم الداعية إلى ذلك إظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي إلا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة لحكمة استأثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى أي تحمله فما موصولة أريد بها ما في بطنها من حين العلوق إلى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد إلى واحد أي أي شيء تحمل وعلى أي حال هو من الأحوال المتواردة عليه طورا فطورا • فهي استفهامية معلقة للعلم أو حملها فهي مصدرية وما تغيض الأرحام وما تزداد أي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في أقل مدة الحمل والمولود في أكثرها وفيما بينهما قيل إن الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في أربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى أن شريكا كان رابع أربعة أو يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله وازدادوا كفرا بغير أو لازمان قد أسندا إلى الأرحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الأشياء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه عنه كقوله إنا كل شيء خلقناه بقدر فإن كل حادث من الأعيان والأعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه • والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فإن تحقق الأشياء في أنفسها في أي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة إلى الله عز وجل انتهى

او متعلق بيحفظونه اي يحفظونه من اجل امر الله يعني من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه ولا يدرك عليه
قراءة بامر الله لجواز تعلقه بالسابق اي معقبات بامر الله او يحفظونه من بأس الله اذا اذنب
بالاستغفار او الاستمهال عسى ان يتوب • وقيل المراد من المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء او على التهكم به ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة الى البلاء
والنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الصلاح والطاعة الى الفساد والمعصية واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء
او يرفعه بالعنف او باللطف اي لا رافع ولا دافع ولا شافع فلا نافع اصلا واما الدلالة على ان
خلاف مراد الله تعالى محال فالآية ساكتة عنه • انتهى ابن الكمال •

ابو السعود رحمه الله

عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة • وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة
الموجود وهو خبر مبتدا محذوف • او خبر بعد خبر • وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله
الله يعلم الخ الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المتعالي على كل شيء بقدرته • او المنزه عن نعوت
المخلوقات وبعد ما بين انه سبحانه وتعالى عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب
والشهادة بين انه عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر
والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء
كانه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على
من هو مستخف • او على مستخف • ومع عبارة عن الاثنين كما في قوله تعالى فانه حامدتني لا تكونني
مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار • والاستواء وان اسند
الى من اسر ومن جهر والى المستخف والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به • او الى الفاعل
من حيث هو فاعل كما في الاخرين • وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه في التعلق بالخفيات
اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء لما عرفته انفا له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب
او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها • او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة • او المراد
بالمعقبات الجماعات • وقرئ معاقيب جمع معقب • او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه • او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال
والاستغفار له او يحفظونه من المضار • او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى • وقد قرئ به • وقيل من امر الله
صفة ثانية لمعقبات • وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه في قضاء الله
ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي من فطرة الله
التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا راد له
والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله تعالى
بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم • وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من
انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى
وعذابه • انتهى ابو السعود رحمه الله

وفي العالم له معقبات اي له ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل جاء في
عقبها ملائكة النهار واذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل والتعقيب العود بعد البدء
وانما ذكر بلفظ التانيث لان واحدها معقب وجمعه معقبة ثم جمع الجمع معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات
بكر من بين يديه ومن خلفه يعني من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن وراء ظهره يحفظونه من امر الله
اي يحفظونه باذن الله ما لم يجئ القدر فاذا جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه من امر الله اي مما امر الله به من الحفظ عنه
قال مجاهد ما من عبد الا ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شيء يأتيه يريده الا قال
وراءك الا شيء باذن الله فيه فيصيبه • قال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم
وعوراتكم لتخطفكم الجن • وقال عكرمة الآية في الامراء وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم • وقيل الآية في

الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات
والسيئات كما قال الله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن
الشمال قعيد قال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون
عليه من امر الله يعني الحسنات والسيئات وقيل الهاء في له
راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
له معقبات يعني لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله يعني من
شر الجن وطوارق الليل والنهار انتهى

من النسفي رحمه الله

عالم الغيب ما غاب عن الخلق والشهادة
ما شاهدوه الكبير العظيم الشان الذي كل
شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته
او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى
عنها وبالياء في الحالين على سواء منكم من
اسر القول ومن جهر به اي في علمه ومن
هو مستخف بالليل متوار وسارب
بالنهار ذاهب في سربه اي في طريقه
ووجهه يقال سرب بالارض سروبا •
وسارب عطف على من هو مستخف لا على
مستخف • او على مستخف غير ان من في
معنى الاثنين • والضمير في له مردود على
من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن
استخفى ومن سرب معقبات جماعات
من الملائكة تعتقب في حفظه والاصل
معتقبات فادغمت التاء في القاف او هي
معقبات من عقبه اذا جاء على عقبه
لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
ما يتكلم به فيكتبونه من بين يديه ومن خلفه
اي قدامه ووراءه يحفظونه من امر الله
هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة
للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله
او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان
الله تعالى امرهم بحفظه او يحفظونه من
بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له
ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة
بكثرة المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا
عذابا فلا مرد له فلا يدفعه شيء وما لهم من
دونه من وال من دون الله ممن يلي امرهم

ابن كمال رحمه الله

عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضرة له
الكبير العظيم في شانه وسلطانه المتعالي المستعلي
على كل شيء بقدرته فلا يخرج شيء عن حكمه كما لا يعزب
عن علمه سواء منكم من اسر القول اي اخفاه في نفسه
ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو اي وسواء من
هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ من
الليل وسارب بالنهار بارز يراه كل راء من
سرب سروبا اذا برز عطف على من او على
مستخف • ومن في معنى الاثنين كما في قول
الفرزدق نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار • والنكتة في زيادة هو في الاول
انه الدال على كمال العلم فناسب زيادة تحقيق
وهو النكتة ايضا في تقديم اسروا عماله في صريح
القول على جهر واعماله في ضميره • وفي حذف
الموصوف بين سارب على الوجه الاول
له لمن اسر او جهر واستخفى او سرب معقبات
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من
عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه لان
بعضهم يعقب بعضا على الدوام • او لانهم يعقبون
ما يفعل ويتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة او لانها
جماعات • ومن وهم ان اصله معتقبات ادغمت
التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون اي المعتذرون
فقد وهم لما نص عليه التصريفيون من ان التاء لا تدغم
في القاف ولا القاف في التاء لا من كلمتين ولا من
كلمة • ثم ان المعذرون لا يتعين ان يكون اصله
المعتذرون • وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة
والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير
من بين يديه ومن خلفه جوانبه يحفظونه من امر الله اي
من الآفات التي لا يمكن دفعها باسباب عادية و
الانسان ليس في وسعه التحرز عنها فالله تعالى
بلطفه عين لحفظه يحفظونه من هذا النوع من
الآفات قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة
وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
لاختطفته الشياطين • وانما خص هذا النوع
من الآفات بالاضافة الى امر الله وكان كلها
بامره تعالى لعدم ظهور اسبابه العادية هذا ما عندي
والذي ذكره القوم انه صفة لمعقبات يحفظونه
اي له معقبات ثابتة امر الله يحفظونه •

هو الذي يريكم البرق خوفا من ضرره وطمعا في نفعه او اللمع البرق يخاف الصواعق ويطمع في الغيث كما قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى و يرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق او يخاف عنده المطر من له فيه ضرر فان الغيث لا يخلو عن العبث ويطمع فيه من له نفع فيه • وانتصابهما على الحالية من المخاطبين اى يريكم خائفين طامعين • او من البرق كانه في نفسه من شدة يخاف ويطمع فيه عين الخوف والطمع • او ذا خوف وذا طمع • او مفعول لهما على ان المخاطبين رائين لان اراءتهم متضمن لرؤيتهم والخوف والطمع من افعالهم من حيث انهم فاعلوا الفعل المعلل الذي هو الرؤية فيرجع المعنى الى معنى قعدت عن الحرب جبنا فيكونان مفعولا لها • او على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع بمعنى اخافة واطماعا وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال جمع ثقيلة • وانما وصف به لانه اسم للجنس في معنى الجمع ويسبح الرعد عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب بحمده ملتبسا به ويجوز ان يكون اسناد التسبيح والحمد الى الرعد اسنادا مجازيا من باب الاسناد الى سبب فاعله الفاعل اى يسبح السامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له كما يضجون سبحان الله والحمد لله ولما كان الرعد باعث لتسبيحهم وتحميدهم كانه يسبح ويحمد وهذا الوجه اولى لان الرعد في المتعارف يقع على الصوت المخصوص وهو الذي يقرنه بالذكر مع البرق والسحاب والكلام في ارادة الايات الدالة على القدرة الباهرة وايجادها وتسبيح ملك الرعد لا يلايم ذلك اما حمل الصوت المخصوص للمعنى على التسبيح والحمد فقد يدل الملائكة واذا حمل على الاسناد حقيقة فالوجه ان يكون اعتراضا دلالة على اعتراف الملك الموكل بالسحاب وسائر الملائكة بكمال قدرته تعالى وجحود الانسان ذلك والملائكة ويسبح الملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد

ابن الكمال رحمه الله

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا انتصابهما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع • او على ذا خوف وذا طمع • او من المخاطبين اى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث • قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى • يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق • او يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف • ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وينشئ السحاب هو اسم جنس والواحد سحابة الثقال بالماء وهو جمع ثقيلة تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال ويسبح الرعد بحمده قيل يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر اى يضجون سبحان الله والحمد لله • و عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي الى حيث امر والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته وجلاله

قيل خوفا من الصاعقة وطمعا في نفع المطر • وقيل الخوف للمسافر يخاف منه الاذى والمشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة • وقيل الخوف من المطر في غير مكانه واوانه والطمع اذا كان في اوانه وزمانه ومكانه ومن البلدان ما اذا مطر قحطوا واذا لم يمطر اخصبوا معالم

هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر • فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب • وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب • وانتصابهما اما على المصدرية اى فتخافون خوفا وتطمعون طمعا • او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة • او على العلية بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع • او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي تتضمنها الارادة على طريقة قول النابغة • وحلت بيوتي في يفاع ممنع • يخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا • اى احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اى سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين بحمده اى يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك • او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك • وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب • وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اى تسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اى الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال تلك الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين • او الرعد نفسه • او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اى الكفرة الذين حكيت مناتهم مع ذلهم جنايتهم وهفواتهم وصفاتهم شانهم يجادلون في الله اى في شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات • قالوا والعطف لجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ • او على قوله الله يعلم ما تحمل كل انثى الخ • واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث فالطمع لعطف ما بعده على ما قبله • وقيل الحال اى فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال • وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغيانه الغوائل فلما قد خلا المسجد وهو صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه صلى الله عليه وسلم فدار اربد من خلفه فاخترط من السيف شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فازاده في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه واجراه حتى مات على ظهره • وقيل اريد به ما روى عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم اليه نفرا من اصحابه يدعونه الى الله تعالى فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو وما هو من ذهب او من فضة ام من حديد ام من نحاس ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله تعالى منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فما زادوا الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه صلى الله عليه وسلم واخبروه بما صنع فقال صلى الله عليه وسلم

ارجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر
فجاؤا يسعون ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا
اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم **وهو شديد المحال** والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله
اي كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقد قيل هو محال المحل بمعنى القوة وقيل
مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق
واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله
سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله والتعرض
لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق
الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول صلى الله عليه وسلم عليهما
ان كانت الآية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول
محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم **والذين يدعون**
ابو السعود افندي رحمه الله

من ابن الكمال

ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه **وهم يجادلون في الله** اي والذين كفروا وكذبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجادلون فيما وصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية والاعادة والجزاء بعد مشاهدتهم
الآيات المذكورة بقولهم من يحيي العظام وهي رميم واتخاذهم الانداد ونسبتهم الولد فالواو لعطف الجملة على
الجملة والمعطوف عليه قوله ويقول الذين كفروا والمعطوف على ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى
الاسمية وطرح رعاية التناسب للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد الآيات الا عنادا فزادتهم رجسا الى رجسهم
ويجوز ان يعطف على قوله هو الذي يريكم على معنى هو الذي يريكم هذه الآيات الكوامل الدالة على
القدرة والرحمة وانتم تجادلون فيه وهذا اقرب ماخذا والاول املا بالفائدة وقيل للحال اي فيصيب
بها من يشاء في حال جدالهم وهو التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل ووجه هذا ان اربد اخا
لبيد العامري وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فاخذه عامر
بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله تعالى على اربد الصاعقة فقتله ورمى عامر بالغدة فمات في بيت سلولية
وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت اعلم ان في الكلام التفاتا لان قوله
سواء منكم هو الذي يريكم فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وان شئت فتامل في قوله اولئك الذين
كفروا بربهم الى قوله الكبير المتعال ثم التفت من الخطاب الى الغيبة وحسن موقعهما اما الاول فما فيه
من تخصيص الوعيد المدمج في سواء منكم ولهذا ذيله بقوله ان الله لا يغير ما بقوم الى قوله من وال
وفيه من التهديد ما لا يخفى على ذي بصيرة من الحث على طلب النجاة وزيادة التقريع في قوله
هو الذي يريكم وفي سواء منكم هو الذي يريكم بعد قوله الله يعلم هكذا من دون حرف النسق لان
الاول مقرر لقوله الله يعلم مع زيادة الادماج المذكور تحقيقا للعلم والثاني مقرر لما ضمن
من الدلالة على القدرة في قوله وكل شيء عنده بمقدار مع رعاية نمط التعدية على اسلوب
الرحمن علم القرآن فما يبهر الالباب ويظهر للمتامل في وجه الاعجاز التنزيلي العجب العجاب
واما الثاني فما فيه من الدلالة على انهم مع وضوح الآيات وتلاوتها عليهم والتنبيه البالغ ٥

من تفسير النسفي

ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء. الصاعقة
نار تسقط من السماء • ولما ذكر علمه النافذ
في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل
على قدرته الباهرة ووحدانيته قال وهم
يجادلون في الله يعني الذين كذبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجادلون في الله حيث ينكرون
على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث
واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء
ويجعلون بعض الاجسام [redacted] بقولهم
الملائكة بنات الله • او الواو للحال
اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم • و
ذلك ان اربد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين
لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية وارسل على اربد
صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا امن
نحاس هو ام من حديد وهو شديد المحال
اي المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة • ومنه
تمحل لكذا اذا تكلف لاستعمال الحيلة واجتهد فيه
ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان
والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم
بالهلكة من حيث لا يحتسبون له دعوة الحق
اضيفت الدعوة الى الحق وهو ضد الباطل للدلالة على
ان الدعوة ملابسة للحق • وانها بمعزل من الباطل
والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي
سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى
والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه • و
اتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله كالاتصال ظ

ظ على قصة اربد ظاهر لان اصابته بالصاعقة محال
من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم
اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة
حق وعلى الاول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله
فيهم ان دعا عليهم انتهى المدارك

له دعوة الحق الدعاء الحق فانه يحق ان يعبد ويدعى
الى عبادته دون غيره • او له الدعوة المجابة فان من
دعاه اجاب ويؤيده ما بعده • والحق على الوجهين
ما يقابل الباطل • واضافة الدعوة اليه للملابسة بينهما
او على تأويل دعوة المدعو الحق • وقيل الحق هو الله تعالى
وكل دعاء اليه دعوة الحق • والجملتان على الوجه الاول
وعيد للكفرة على مجادلتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحلول
محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليه السلام عليهم
او بيان ان دعوته عليه السلام الى التوحيد حق • وعلى قصة
اربد ونزول الاية فيها فمعناهما ان اصابته بالصاعقة
واصابة صاحبه بالغدة محال من الله تعالى ومكر بهما من
حيث لا يشعر • او ان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اكفنيهما بما شئت دعوة الحق • او ان دعوتهم
للالهة ضلال باطل لتخصيص دعوة الحق به والذين الاية
نزلت في شأن اربد بن ربيعة حيث قال انتهى ابن الكمال
للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك امن در ام من ياقوت
ام من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فاحرقت •
وسئل الحسن عن قوله تعالى ويرسل الصواعق الاية
قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه
النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله تعالى
ورسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا
الذي يدعوني اليه مما هو من ذهب او فضة
او حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته
فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله تعالى
فقال ارجعوا اليه فجعل لا يزيد على مثل مقالته الاولى
وقال اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا
وقالوا يا رسول الله ما زاد على مقالته الاولى واخبث
فقال ارجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه
وهو يقول هذه المقالة فاذا ارتفعت سحابة وكانت
فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترقت
الكافر وهم جلوس

فجاءوا يسعون ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستقبلهم قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا لهم احترق صاحبكم فقالوا من اين
علمتم فقالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
انه اصيب بها من يشاء. وهم يجادلون
وهو شديد المحال قال علي رضي الله عنه
شديد الاخذ • وقيل شديد الحول
قيل شديد الحقد • وقيل شديد
وقيل شديد المكر • والمحال والمماحلة
المغالبة كذا في المعالم

والتنبيه البالغ ترغيبا وترهيبا لم يبالوا بها فكانه شكا جنايتهم الى من يتحق الخطاب او كمن يدمدم
في نفسه اني اصنع بهم وافعل كيت وكيت جزاء ما ارتكبوه يسوي ما يريد ان يوقعه بهم وهو شديد المحال
قوي المكر باعدائه يأتيهم بالهلاك من حيث لا يحتسبون المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكابرة
ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة منه • وجاز ان يكون شديد المحال على هذه القراءة مثلا في
القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان المحال جمع المحالة وهي الفقارة فيكون
معناه شديد الفقار والحيوان اذا اشتد فقاره كان منعوتا بشدة القوة له دعوة الحق
وفي معالم التنزيل في قوله تعالى له دعوة الحق اي لله دعوة الصدق قال علي رضي الله عنه
دعوة الحق التوحيد • وقال ابن عباس رضي الله عنهما شهادة ان لا اله الا الله • وقيل الدعاء بالاخلاص والدعاء الخالص
لا يكون الا لله تعالى والذين يدعون من دون الله اي يعبدون الاصنام من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم بشيء
اي لا يجيبون لهم بشيء يريدونه بنفع او بدفع الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه الا كباسط كفيه
ليقبض كالماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ الى فيه منه شيء كذلك الذي يدعو الاصنام وهي لا تضر
ولا تنفع لا يكون بيده شيء • وقيل كالرجل العطشان الذي يرى الماء من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء و
يدعوه بلسانه فلا يأتيه ابدا • وقيل كالعطشان الجالس على شفة البئر يمد يده الى البئر فلا يبلغ قعر البئر الى الماء و
لا يرتفع اليه الماء فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه وهو لا يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم
نداؤها ودعاؤها وهي لا تقدر على شيء • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء ولا ينفعه
ذلك ما لم يغترف بهما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه وهذا مثل ضربه لخيبة الكفار انتهى

والذين يدعون من دونه اي والآلهة الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه اي كاستجابة من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا بعطشه ولا يقدر على اجابته فكذلك آلهتهم بمثابة من بسط كفيه ناشرا اصابعه الى الماء ليغرف اليه فيه فلم يمسك كفاه شيئا منه ولم يبلغ حاجته من شربه لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط • فهو على الاول من تشبيه المركب بالمركب التمثيلي فيا لاصل ابرز في معرض التهكم حيث اثبت انهما استجابتان زيادة في التخييب والتحسير وعلى الثاني من تشبيه المفرد والمقيد بمثله كقولك لمن لا يحصل من سعيه شيء هو كالراقم على الماء. فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكونه على الماء. وكذلك فيما نحن فيه وما دعاء الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا فائدة له • اما ضياع دعائهم لآلهتهم فظاهر • واما ضياع دعائهم لله تعالى فانه لا يجيبهم لكفرهم وبعدهم عن حيز الاجابة ولله يسجد من في السموات والارض الظاهر ان السجود على حقيقته ولهذا خص بالذكر من المخصوصة بالعقلاء. ويشهد له قوله طوعا وكرها ان ساجدون له تعالى طوعا هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وان ساجدون كرها من ضبه السيف الى الاسلام • وانتصابهما على الحال وظلالهم اي ويسجد ظلالهم والسجود ههنا بمعنى الانقياد لا كره تعالى ولهذا اخره عن قوله طوعا او كرها وانقيادها لتصريفه تعالى اياها من جانب آخر على ما افصح عنه في قوله اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قال الفراء الظل مصدر يعني في الاصل ثم اطلق على الخيال الذي يظهر للجرم عند مسامته للشمس بالغدو والآصال ظرف ليسجد المقدر او حال من الظلال وقد مر تفسيرها في سورة الاعراف والمراد بهما الدوام انتهى ابو السعود

قوله طوعا اهل السماء لان عبادتهم بغير مشقة قوله كرها اهل الارض لان عبادتهم بالمشقة ويقال طوعا لاهل الاخلاص وكرها لاهل النفاق ويقال طوعا لمن ولد في الاسلام وكرها لمن ادخل في الاسلام كرها انتهى

قوله وظلالهم ظلال من يسجد لله ايضا يسجد بالغدو والآصال غدوة وعشية غدوة عن ايمانهم وعشية عن شمائلهم

والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دونه من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه الا استثناء من المصدر اي من الاستجابة التي دل عليها لا يستجيبون لان الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالقرائن على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم • واللام في ليبلغ متعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه وما الماء ببالغ فاه وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الاصنام لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض سجود تعبد وانقياد طوعا حال يعني الملائكة والمؤمنين وكرها يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق وظلالهم معطوف على من جمع ظل بالغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصل جمع اصيل قيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع انتهى المدارك

والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد • فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون • ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء. كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلا يبقي الا مسحت او مجلف ليبلغ الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من اناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه يبالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه • شبه حال المشركين في عدم حصولهم من دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليس فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال • وقرئ تدعون بالتاء كباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا • فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره • او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمته تعالى وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه في تلك الشؤون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي وينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر • او حال من الظلال • وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لظهور ذلك فيهما • والغدو جمع غداة كقنى في قناة • والآصال جمع اصيل • وقيل جمع اصل وهو ما بين العصر والمغرب • وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله تعالى كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري • ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجوده مع الاصنام حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور • فالوجه حمل السجود على الانقياد لان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله تعالى قل من رب السموات والارض انتهى ابو السعود رحمه الله

قال الامام القشيري المؤمن يسجد لله طوعا والكافر اذا نزل به ضر الجأته الحالة الى ان يتواضع ويسجد فذلك يعني قوله سجوده كرها وهذا قول اهل التفسير والكافر في تلك الحالة يسجد طائعا مختارا ولكن لما كان سجوده لطلب كشف الضر قال الله انه يسجد كرها فعلى مقتضى هذا الكل من يسجد لا ابتغاء عوض او لدفع شر او كشف محنة فهو ممن يسجد لاجل الامر لا لملاحظة عوض او الكفاء محنة • ويقال السجود على قسمين ساجد بنفسه وساجد بقلبه فسجود النفس معلوم وسجود القلب من حيث الوجود • وفرق بين من يكون بنفسه ساجدا وبين من يكون بقلبه واجدا والشرف من جمع الوصفين فيكون ساجدا بنفسه واجدا بقلبه • ويقال الكل يسجدون لله تعالى اما من حيث الافعال بالاختيار او من حيث الاحوال بنعت الانكسار او الاستبشار وسجود الاحوال من حيث الدلالة على الوحدانية وكل جزء من عين او اثر فعلى الوحدانية شاهد وسجود الظلال من حيث الشهادة على قدرة الصانع واستحقاقه بصفات الجلال والجمال انتهى قدس الله سره

قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولى امرهما مع ما فيهما على الاطلاق وهو الله سبحا
وقوله تعالى قل الله امر بالجواب من قبله صلى الله عليه وسلم اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سوا
او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من
الحجة • او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذارا عن الالزام فانهم لا يتمالكون اذ
لا يقدرون على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع كما في قولك
اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قولك اأضرب ابي • والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم
ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم فيه من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم
نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيره ودفع الضر عنه لا على ان
الانكار متوجه الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني
على الاول مع وجوب ان يترتب نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله تعالى اتخذتم من دونه اولياء عجزة
والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليته فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان من الجن ففسق
عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني • ووصف الاولياء ههنا بعدم المالكية للنفع والضر لتحقيق
الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما يقوي
المزكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك
الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك • والاول عبارة عن المعبود الغافل • والثاني
الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن
التوحيد والايمان • وقرئ بالياء • والمراد دلالة النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دونه
سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي
الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم وخطئهم فضلا عن الحجة اكد ذلك بقوله
ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه • والهمزة لانكار وقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه
وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى
انهم لم يجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا
بذلك العبادة كما استحقه ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو عجز من ذلك بالمرة وفيه
ما لا يخفى من التعريض بركاكة آرائهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كافة لا خالق سواه تحقيقا
فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفردة بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف
يتوهم ان يكون له شريك • وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات • والموحد والتوحيد بالبصير والنور
قيل الحق هو القرآن العظيم في فيضانه من جانب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد
وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسن مذاكرة وتلاوة وفي ثباته جامع كونه ممد الحيوة بها الروحانية وما يتلوها من
الكمالات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اوديته بالسيته لم تجر بما تجر عادتها بذلك سيلا نافعا
بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى بها
ويصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها
انواع الآلات والادوات ويبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم
فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما بما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء

وفي معالم التنزيل للبغوي رحمه الله قل من رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله لانهم مقرون
بان الله خالقهم وخالق السموات والارض فاذا اجابوك فقل انت ايضا يا محمد الله وروي انه لما قال هذا للمشركين
عطفوا عليه فقالوا اجب انت فامره الله فقال تعالى قل انت يا محمد الله ثم قال الله لهم الزاما للحجة قل افاتخذتم من دونه
اولياء معناه انكم مع اقراركم بان الله خالق السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فعبدتموها من دون
الله يعني الاصنام وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لكم ثم ضرب لهم مثلا فقال هل يستوي
قرأ حمزة والكسائي وابو بكر يستوي بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لانه لا حائل بين الفعل والاسم المؤنث الظلمات
لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والايمان ام جعلوا اي اجعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اي اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله فلا يدرون
ما خلق الله وما خلق آلهتهم انتهى كلامه

عمر النسفي رحمه الله

قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله دليله قراءة ابن مسعود رضي الله عنهما قالوا الله او هو تلقين اي فان لم يجيبوا فلقنهم فانه لا جواب الا هذا قل افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه آلهة لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن او من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء ام هل تستوي الظلمات والنور ملل الكفر والايمان يستوي كوفي غير حفص ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء اي انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى فتشابه الخلق عليهم فاشتبه عليهم مخلوق الله تعالى بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله تعالى عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء اي خالق الاجسام والاعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة ومن قال ان الله لم يخلق افعال العباد وهم خلقوها فتشابه الخلق عليهم وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انتهى

ابن الكمال رحمه الله

قل من رب السموات والارض اي خالقهما ومتولي امرهما قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد عليهم اي لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله فهم والخصم في الجواب سواء لكونه من البين الذي لا امتراء فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تعقلون فهو قول المناظر لصاحبه أهكذا قولك فاذا اعترف به حكاه تقريرا له واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك كذا وكذا فيبكته بالحجة او تلقين اي انه تلقنهم في الجواب لعلمهم بما يلزمهم من الحجة بناء على اقرارهم فلقنهم فانهم يتلقنونه و لا يقدرون ان ينكروه قل افاتخذتم من دونه اولياء الزام وتقرير وتوبيخ ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما هو سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الشرك فالفاء عاطفة للتسبب والتفريع ودخلت الهمزة عليه لان المنكر الاتخاذ بعد العلم لا العلم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفاع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير تمثيل للمشرك الجاهل لا يهتدي والموحد العالم المهتدي الهادي ام هل تستوي الظلمات والنور تمثيل للشرك والضلالة والتوحيد والهداية ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة شركاء داخلة في حكم الانكار ومعنى الاضراب ان تعكيسهم ذلك لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة كان حكاية ذلك ادخل في ذمهم وفيه طرف من التهكم فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم اي انهم ما اتخذوا لله تعالى شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولون هؤلاء خلقوا كما خلق الله تعالى فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق بينه على مكان الشبهة نافيا ناعيا عليهم ومتهكما بهم وليس من ارخاء العنان والتدريج بشيء قل الله خالق كل شيء ولا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد بالالوهية والربوبية القهار لكل شيء فما سواه مغلوب مقهور له فكيف يستقيم ان يكون له شريك انتهى

افلا تعقلون

انزل من السماء من جهتها ماء التنكير للتكثير وباعتبار ما صح
التفريع في قوله فسالت اودية جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه
وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع فتسيل
في بعض الاودية دون بعض وكذا في الممثل له ليس
كل قلب قابلا بل بعض منها دون بعض بقدرها
بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار ● او
بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا احتمل
بمعنى حمل جاء فيه افتعل بمعنى المجرد كاقتدر وقدر ●
وعرف السيل لانه عني به ما فهم من الفعل ● والزبد
كدر الجوهر السيال وخبثه المميز منه بالحركة والخضخضة
والغليان رابيا منتفخا مرتفعا على وجه الماء ومما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز على وجه التهاون به حيث لم يذكر الانواع
باسمائها بل اجمل بذكر وصفها في اخس الاحوال واهانتها
بالايقاد كما هو عادة الملوك اظهارا لكبريائه ● زبد
مرفوع بالابتداء وخبره مما توقدون ● وقرئ يوقدون
بالياء اي ان واضمارث للعلم به ● وانتصب ابتغاء
على انه مفعول له ● والحلية ما يعمل للنساء مما يتزين به
من الذهب والفضة ● والمتاع ما يتخذ من الحديد
والنحاس والجراب وغير ذلك والمقصود منه بيان
منافعها ● ومن لابتداء الغاية ● او للتبعيض اي
منه زبد ● او بعضه زبد مثله مثل زبد الماء ● والمماثلة
في كونهما يتولدان من الاوساخ والاكدار كذلك
مثل ذلك الضرب يضرب الله الحق والباطل مثل الحق و
الباطل فذلك وتبيانه وكذلك يضرب الله الامثال
تاكيد له وتعميم فاما الزبد من السيل والفلز المذاب
فيذهب جفاء محفوا اي مرميا به يقال جفات القدر
بزبدها وجفاه السيل رمي به واجفاء السيل واجفل
وقرئ جفالا والمعنى واحد ● وانتصابه على الحال
واما ما ينفع الناس من الماء وخلاصة الفلز فيمكث
في الارض مدة طويلة ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله

انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء
المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية
اذ الامطار لا تستوعب الاقطار ● وهو جمع واد وهو
منفرج بين جبال وتلال واكام على الشذوذ ● كناد واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل
كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة ● فان اريد
ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها حقيقي ● وان اريد معناها الحقيقي فان الاسناد مجازي كما في جرى النهر ●
وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها

انزل اي الواحد القهار من السماء من السحاب
ماء مطرا فسالت اودية جمع واد وهو الموضع
الذي يسيل فيه الماء بكثرة ● وانما نكر لان المطر
لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل
بعض اودية الارض دون بعض بقدرها
بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع للممطور عليهم
غير ضار فاحتمل السيل اي رفع زبدا هو ما علا
على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد
رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل ومما توقدون
عليه وبالياء كوفي غير ابي بكر ● ومن لابتداء
الغاية اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض اي بعضه زبد في النار ابتغاء
حلية مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال
من الضمير في توقدون او متاع من الحديد و
النحاس والرصاص تتخذ منها الاواني وما
يتمتع به في الحضر والسفر ● وهو معطوف على
حلية اي زينة من الذهب والفضة زبد
خبث وهو مبتدا مثله نعت له ومما توقدون
خبر له اي لهذه الفلزات اذا اغليت زبد مثل
زبد الماء كذلك يضرب الله الحق والباطل اي مثل
الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء
حال اي متلاشيا وهو ما يقذفه القدر
عند الغليان والبحر عند الطغيان ● والجفو
الرمي وجفات الرجل صرعته واما ما ينفع
الناس من الماء والحلي والاواني فيمكث في
الارض فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب
والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الارض مدة طويلة
كذلك يضرب الله
انتهى

بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها اي سالت ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس
او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محلها صغرا وكبرا لا بكونها مالية منطبقة عليها بل بتجرد قلتها لصغرها
المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من
موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى
سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا ● او يراد بضميرها مياهها على طريق الاستخدام
ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء
ورغوة ● وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون
المحمل غير طاف كالاحجار الثقيلة ● وانما لم يدفع ذلك الاحتمال الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان
بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل
الذي شانه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة في الحق ومما يوقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد
عليه كائنا في النار ● والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره ● وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع
اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين به ويتجمل كالحلي المتخذة من الذهب والفضة ● او اتخاذ متاع
وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله
مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه ● فقولك زبد مبتدا خبره الظرف المقدم ● ومن ابتدائية دالة على مجرد
كونه مبتدئا ناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلاله بالتمثيل وفي التعبير عن
ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في
قوله فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه
من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حتما فقيل فيما سلف
بل له اخلال بذلك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكتة رائعة يضرب الله الحق والباطل اي مثل الحق
ومثل الباطل ● والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل
وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجود المماثلة على ابدع الوجوه وانواع حسنها اشير اليه
في مواقع بين عاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة
للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب
جفاء اي مرميا به ● وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث
في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والابار ●
واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل
من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ● ومن
البقاء في ايدي المتقلبين فيها ● وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في
التمثيل لمراعاة الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقي
بعد ذهاب الذاهب لا قبله كذلك الاية
انتهى ابو السعود رحمه الله
وفي معالم التنزيل قوله تعالى بقدرها اي في الصغر والكبر فاحتمل السيل اي الذي حدث من ذلك الماء زبدا رابيا الزبد الخبث الذي
يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر رابيا اي عاليا مرتفعا فوق الماء فالماء الصافي الباقي هو الحق والذاهب الزائل الذي
يتعلق بالاشجار وجوانب الاودية هو الباطل ● وقيل قوله انزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والاودية مثل للقلوب
يريد ينزل القرآن فيحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل فهذا احد المثلين والمثل الاخر قوله تعالى
ومما يوقدون عليه في النار قرا حمزة والكسائي وحفص يوقدون بالياء لقوله ما ينفع الناس ولا مخاطبة هاهنا وقرا الاخرون
بالتاء ومما توقدون اي ومن الذي توقدون عليه ● والايقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب ابتغاء حلية لطلب زينة
واراد الذهب والفضة لان الحلية تطلب منهما او متاع اي طلب متاع وهو ما ينتفع به وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص
والصفر تذاب فيتخذ منها الاواني وغيرها مما ينتفع بها زبد مثله اي اذا اذيب فله زبد ايضا مثل زبد الماء فالباقي الصافي من هذا الجواهر
مثل الحق والذي لا ينتفع به مثل الباطل انتهى

والذين لم يستجيبوا عطف على الذين استجابوا وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام
مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين والكافرين اي هما مثلا الفريقين
يعني مثلي سبيلهما ودينهما اولئك لهم سوء الحساب المناقشة فيه • وعن النخعي ان يحاسب
المذنب بذنبه كله لا يغفر منه شيء وماويهم مرجعهم بعد الحساب جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف • وفي المراد تهكم بهم على ما تقدم بيانه في سورة الاعراف انتهى ابن كمال

كذلك اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد
والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار
استغناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا • وبعد ما بين شأن كل من الحق و
الباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا
فقيل للذين استجابوا لربهم اذا دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة
الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس
وابراز لاوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اي المثوبة الحسنى
وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث
لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في الارض
ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما هم فيه من تهويل ما يلقاهم مما لا يحيط به البيان • فالموصول مبتدا والشرطية
كما هو خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوأى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة
حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء
حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه
يدور حصول المرام واما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث
كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة كان خبرها
اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذا
ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا
له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل
وماويهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اي المستقر والمخصوص بالذم
محذوف • وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله تعالى يضرب الله الامثال اي الامثال السابقة
وقوله الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول
الاول • وقوله لو ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك
يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان
الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على
من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون
ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل
ولا مساغ لجعل الفريقين معززا بانهم ايضا ان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه لتنويعهم
للمستجيبين وغير المستجيبين فتامل انتهى ابو السعود افندي

كذلك يضرب الله الامثال ليظهر الحق من الباطل •
وقيل هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه •
فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء
فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم
انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ
الحلية منه واتخاذ الاواني والالات المختلفات و
ان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت
الماء في منافعه • وكذا الجواهر تبقى ازمنة متطاولة
وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله
بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي
يطفو فوقه اذا اذيب • وقال جمهور هذا مثل
ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل
فالماء القرآن نزل لحيوة الجنان كالماء للابدان
والاودية القلوب • ومعنى بقدرها بقدر سعة
القلوب وضيقها • والزبد هواجس النفس
ووساوس الشيطان • والماء الصافي المنتفع به
مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو
الماء كذلك يذهب هواجس النفس ووساوس
الشيطان ويبقى الحق كما هو • واما حلية الذهب
والفضة فمثل الاحوال السنية والاخلاق الزكية
واما متاع الحديد والنحاس والرصاص
فمثل للاعمال الممدودة بالاخلاص المعدة للخلاص
فان الاعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب
كما ان تلك الجواهر بعضها اداة النفع للكسب
وبعضها آلة الدفع للحرب • واما الزبد فالرياء
والخلل والملل والكسل واللام للذين استجابوا
اي اجابوا متعلق بيضرب اي كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى
وهي صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له اي للكافرين

اي هما مثلا الفريقين وقوله لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدا في ذكر ما
اعد لغير المستجيبين اي لو ملكوا اموال الدنيا
وملكوا معها مثلها لبذلوها ليدفعوا عن انفسهم
عذاب الله تعالى • والوجه ان الكلام قد تم على
الامثال وبعده كلام مستانف والحسنى
مبتدا خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة
الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا
خبره لو مع ما في حيزه اولئك لهم سوء الحساب
المناقشة فيه وفي الحديث من نوقش الحساب
عذب وماويهم جهنم ومرجعهم بعد المحاسبة
النار وبئس المهاد المكان الممهد والمذموم
محذوف اي جهنم انتهى

كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات قد تقرر ما في تكثير
الامثال في الكتب الالهية وكلمات الحكماء من الفوائد • ولما ضرب
الظلمات والاعمى مثلا للباطل واهله • والنور والبصير مثلا
للحق واهله اكد التمثيل الاخير وهو قوله ام هل تستوي
الظلمات والنور بهذا المثل لان الغرض اثبات الحق وابطال
الباطل • فمثل الحق من العلم النازل الى الرسول صلى الله عليه وسلم
بالماء الذي ينزل من السماء • والقلوب الصافية والفهوم
الصائبة بالاودية • وقبولها له بقدر استعدادها بسيلانها
بقدر سعتها • والباطل من الجهالات والشكوك والشبه
التي تغطي العلم بالزبد يرمي به السيل • وكذا شبه الحق
من العمل الصالح الصحيح بالفلز الذي ينتفع به الناس
باتخاذ الحلي والاواني والامتعة منه والعمل الفاسد
الباطل في اضمحلاله وسرعة زواله بزبده • وانتفاء الشكوك
والشبه والاعمال الفاسدة وكونها هباء في الآخرة وبقاء الحق
من العلم والعمل وحصول سعادة الدارين بهما والثواب
الابدي والنعيم السرمدي بانتفاء الزبدين واضمحلالهما
سريعا وبقاء ما ينتفع الناس من الماء بالسقي والحرث
والزرع • وسريانه في عروق الارض الى منابعه
وينبوع العيون والقنى منه ومن الفلزة بصوغ الحلي
واتخاذ الامتعة والات الحرث والحرب منه للذين
استجابوا لربهم الحسنى كلام مستانف بعد ضرب الامثال
وتمام الكلام فيه • والحسنى مبتدا وخبره للذين استجابوا
اي للذين استجابوا المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
مبتدا خبره لو مع ما في حيزه اي الجملة الشرطية والواو
عاطفة الجملة على الجملة وقيل اللام في للذين متعلقة
بيضرب والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى
اي الاستجابة

والفرايض لان الجاهرة بها افضل نفيا للتهمة و
يدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم • او
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا
وصلوا واذا اذنبوا تابوا واذا هربوا انابوا
واذا راوا منكرا امروا بتغييره فهذه ثمانية اعمال
تشير الى ثمانية ابواب الجنة اولئك لهم عقبى
الدار الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي
ارادها الله تعالى ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها
اسهى

افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب
كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر لما ذكر تعالى
مثل المؤمن والكافر وذكر ما للمؤمن والكافر من الثواب
والعقاب ذكر استبعاد من يجعلهما سواء وانكر ذلك
متفرعا على ما تقدم فالفاء للعطف على وجه التفريع
وانما قدمت همزة الاستفهام وهي مؤخرة معنى لان لها
صدر الكلام انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول
المبراة عن شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين
يوفون بعهد الله مبتدا خبره اولئك لهم عقبى الدار • او
صفة لاولي الالباب وح يكون اولئك الموصوفون
بتلك الصفات دلالة على ان استحقاقهم لعقبى الدار
انما كان بسبب تلك الصفات والاول اوجه لان عطف
الجملة الثانية وهي قوله والذين ينقضون عهد الله اولئك
لهم اللعنة يشهد بذلك وعهد الله ما عقدوه على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله
تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من
المواثيق بينهم وبين الله تعالى وما بينهم وبين العباد
وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان
يوصل من الارحام والقرابات وموالاة قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومواصلة المؤمنين كلهم بالاخوة الايمانية
ومراعاة حقوقهم بالاحسان والشفقة والنصيحة ويخشون
ربهم فلا يعصونه هيبة وحيا ورهبة ولا يخالفونه
في شيء عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا عما تحبه النفس
بالهوى وعلى ما تكرهه ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة
لا نظرا الى الخلق رياء وسمعة او الى النفس زينة وعجبا •
جاءت الصلة هنا بلفظ الماضي وفي الموصولين قبله
وما عطف عليها بلفظ المضارع لانه قصد بها الاستصحاب
والالتباس دائما وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك
الصلتين وما عطف عليهما لان حصولها مترتب على

وخلت همزة الانكار على الفاء في افمن يعلم لانكار ان
يقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من
علم انما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من
حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد
بقوله كمن هو اعمى كبعد ما بين الزبد والماء والخبث
والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على
قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون
بعهد الله مبتداء والخبر اولئك لهم عقبى الدار كقوله
والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة • وقيل
هو صفة لاولي الالباب والاول اوجه • وعهد الله
ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته و
اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون
الميثاق ما اوثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله
وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى تعميم بعد
تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل
من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقرابة المؤمنين الثابتة
بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم
على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة
عليهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم • ومنه
مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء
في السفر ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون
سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل
ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه
من المصايب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف
ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل
واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب في الجزع
واقاموا الصلوة داوموا على اقامتها وانفقوا مما
رزقناهم اي من الحلال وان كان الحرام رزقا
عندنا سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل

على حصول القهر وتقدمه عليها وكونه مما لا بد منه في حصول التكاليف لم يات صلة في القرآن الا بصيغة الماضي
واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن يمنعه المروة
ان ياخذه وعلانية لمن لا يمنعه قيل ومما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرايض
لانها في الجهر افضل نفيا للتهمة ورياءه التخصيص المستفاد من تقديم الجار والمجرور في الخبر ويدرؤن بالحسنة السيئة
يدفعونها اي يجاوزون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة بالحسنة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار
عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وما يصح ان يكون عاقبة وهي الجنة انتهى ابن الكمال

افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القرآن الذي مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى
الحق الذي لا احق وراءه • او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهده
ويهوى نار على علم ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلم والعقل فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال •
او لا يتذكر بما ضرب من الامثال اي لكن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى • وايراد الفاء بعد الهمزة
لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمآل كانه قيل ابعد ما بين
حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استونف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما
من التفاوت والتنافي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبراة من شائبة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله • وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم •
ويندرج فيه مراعاة جميع الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج ويخشون ربهم خشية اجلال وهيبة ورهبة
فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا • وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر
فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا
الى جانب الخلق رياء او سمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر
من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد
منه اما في نفس الصلات كما في ما عدا الاولى والرابعة والخامسة • او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلث المذكورات
فانها وان استغنت من الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها
والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم
انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال • او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من تمنعه المروة من اخذه ظاهرا
وعلانية لمن لم يكن كذلك والاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة
بالاحسان • او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم
من سيء غيرهم • وعن الحسن رضي الله عنه اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا • وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره • وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدا خبره الجملة الظرفية اعني قوله لهم عقبى الدار
اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة • وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار
وايا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزايم التي يخل اخلالها بالموصول الحسن العاقبة
والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورات مدخل في التذكر
اسهى

جنات عدن بدل من عقبى الدار ومبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنات اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من اباءهم جمع ابوى كل واحد منهم فكانه قيل من اباءهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اى بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة وفى تخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة ما قدمنا من ان له دخلا فى كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر فى كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم فى الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفى الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفى الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه فى ضمن الحسنات المعدودة ليقع مقتضيا لما تقدم لنفعه عما ينبه بين الحسنات بعدما اشترك لا وجه لنفى الصلوة والزكوة ممن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه انه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى به بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فانه من يجازى احسنه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ومباشرة الفساد ابدا حسبما يحكيه قوله ويفسدون فى الارض اى بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا فى الافضاء الى العقوبة التى ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اى الابعاد من رحمة الله ولهم مع ذلك سوء الدار اى سوء عاقبة الدار او عذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له فى ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام التى بالحسنى وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير فى ذلك لان اعتباره من حيث انه من تبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد وايذان باختلافهما واستقلال كل منهما فى الثبوت الله يبسط الرزق اى يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اى يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم فى الاخرة فى جنب نعيم الاخرة الا متاع الغرور الا شئ نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال ان ما اشروا به فى جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل النفع سريع النفاد انتهى ابو السعود افندى

جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها ومن صلح اى آمن من اباءهم وازواجهم وذرياتهم وقرئ صلح والفتح افصح ومن فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يدخلونها وساغ ذلك وان لم يؤكد لان ضمير المفعول صار فاصلا واجاز الزجاج ان يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم ان الانساب لا ينفع بنفسها والمراد ابوا كل واحد منهم فكانه قيل من اباءهم وامهاتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب فى قدر كل يوم وليلة ثلث مرات بالهدايا وبشارات الرضى سلام عليكم فى موضع الحال اذ المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم اى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات او على امر الله او بسلام اى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والاول اوجه فنعم عقبى الدار الجنات والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالكفر والظلم اولئك لهم اللعنة الابعاد من الرحمة ولهم سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار وان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره دون غيره وفرحوا بالحيوة الدنيا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله تعالى وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يوجروا بنعيم الاخرة وما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا متاع وخفى عليهم ان نعيم الدنيا فى جنب

جنات عدن بدل من عقبى الدار والعدن فى الاصل الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنات السبع على ما مر تفصيله فى تفسير سورة البقرة يدخلونها ومن صلح عطف على الضمير المرفوع فى يدخلونها من غير تأكيد للفصل بالضمير المنصوب او مفعول معه من اباءهم جمع ابوى كل واحد منهم فيتناول اباءهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم انما جمعوا فيها مع قراباتهم لتتم لهم النعمة بزيادة الانس والجمعية بهم وقيدوا بالصلاح دلالة على ان مجرد النسب والقرابة لا يكفى فى الجمع بينهم بل لا بد من شرط الصلاح ولا دلالة فيه انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم حتى يستدل به على ان الدرجة تعلو بالشفاعة خصوصا اذا كان ومن صح مفعولا معه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف سلام عليكم فى محل الحال اى قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بمحذوف واما للسببية او البدلية اى هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من الصبر ومتاعبه هذه اللذات والنعم ويجوز ان يتعلق بالظرف اى سلام عليكم بسبب صبركم ولا يجوز ان يتعلق بسلام لان الخبر فاصل فنعم عقبى الدار المخصوص بالمدح محذوف اى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فنقل كسرة العين اليها ومن فتحها فلتسكين العين تخفيفا بلا نقل والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم سوء الدار عذاب النار او سوء عاقبة الدنيا لانها فى مقابلة عقبى الدار وانما لم يقل سوء عاقبة الدار تفاديا ان يجعلها عاقبة حيث حمل العاقبة المطلقة على الجنة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما كان كثير من الاشقياء فتحت عليهم ابواب نعم الدنيا ولذاتها اخبر الله تعالى انه هو الذى يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق قد يقدر على المؤمن ليعظم اجره ويبسط للكافر املاء لازدياد آثامه وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى عليهم واغتروا به ولم يشكروا ما انعم الله تعالى به عليهم ولم يعرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة وما الحيوة الدنيا فى جنب ما اعد لاهل الايمان الا متاع الا شئ نزر حقير يتمتع به ولا يدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى انتهى ابن الكمال

ويقول الذين كفروا مقتضى الظاهر ان يقال فاعل فرحوا

اذ لم يجر لكفار مكة ذكر واضمار فاعل يقول يجري

ذكره فاخرج عن خلاف الظاهر لارادة التمكين

في ذهن السامع بالابهام والتوضيح او للظهور

والتعيين في الاول والذم لولا انزل عليه آية من ربه

عناد وجحود للايات المنزلة عليه عليه السلام لعدم اعتدادهم

بها واعتبارهم لها ولهذا امر في الجواب بقوله قل ان الله

يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل الحق

ورجع عن العناد • وحقيقته دخل في نوبة الخير •

وهو كلام جار مجرى التعجب من قولهم كأنه قيل قل لهم

ما اعظم عنادكم حيث لم تعتقدوا بهذه الايات الباهرة

التي لم يؤت بنبي مثلها وكفى بالقرآن وحده آية ان

الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من الجحود و

التصميم على الكفر فلا سبيل الى اهتدائه وان انزل كل آية

ويهدي من يشاء ممن كان على خلاف صفتكم من التصميم •

وفي تنزيل اليه من اناب منزلة من يشاء تنبيه على ان

مشيئة الهداية مخصوصة بغير المعاند الذين آمنوا بدل

من من وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به او بالقرآن

او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته الا بذكر الله تطمئن

القلوب تسكن اليه جملة اعتراضية تفيد كيف

لا تطمئن قلوبهم به ولا اطمئنان للقلب بغيره الذين

آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على تقدير

المضاف اي قلوب الذين آمنوا او مبتدأ خبره

طوبى لهم وهو فعلى من الطيب كبشرى وزلفى قلبت

ياؤه واوا لضمة ما قبلها كموقن وموسر • وقرئ

طيبى بكسر الطاء وهي من المصادر المنصوبة او المعدولة

الى الرفع اي طيبا لهم وطيب لهم كقولك سلاما لك

وسلام لك • والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع

والنصب تدل على محليهما واللام في لهم للبيان

مثلها في سقيا لك ويكون الجملة الدعائية تعرضا

على التأويل كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشان

الذي له فضل ومزية على سائر الارسالات • او مثل

ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من

قبلها قد تقدمتهم امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك

اليها لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب

العظيم وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن الشامل الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء

فكفروا بنعمته وخصوصا ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر

الكتب الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية • وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن

فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو مستحق للعبادة سواه عليه توكلت

في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم فيحكم بيننا

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه اي الآية

المقترحة قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات

بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب و

يرشد الى دينه من رجع اليه بقلبه الذين آمنوا

هم الذين • او محله النصب بدل من من وتطمئن قلوبهم

تسكن بذكر الله على الدوام • او بالقرآن او بوعده

الا بذكر الله تطمئن القلوب بسبب ذكره تطمئن قلوب

المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ. طوبى

لهم خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى

اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك

طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك •

واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك • والواو في

طوبى منقلبة عن ياء لضم ما قبلها كموقن والقراء

وحسن مآب مرجع بالرفع والنصب تدلك على محلها

كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني

ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال

ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من

قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي

آخر الامم وانت خاتم الانبياء عليهم الصلوة والسلام

لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم

الكتاب العظيم اوحينا اليك وهم يكفرون وحال

هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي

وسعت رحمته كل شيء قل هو ربي لا اله الا هو

اي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه

توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي

فيثيبني على مصابرتكم • متابي وعقابي وثوابي

ايهم تعلق وكالعا ٢

ويقول الذين كفروا اى اهل مكة • وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا
لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة
والعناد كان ما انزل عليه من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات
المحسوسة التي لا يبقى لاحد طاقة بعد ذلك لعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل
من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اى يخلق فيه الضلال لصرفه اختياره الى تحصيله ويدعه
منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة
الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدى اليه اى الى جنابه العلى
الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين • وفيه من
تشنيعهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة
الدخول في نوبة الخير • وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهدى
بل الى مشيئته والاشعار بما دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة • وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه
من العتو والعناد • وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية السابقة للانابة كما ان ايثار صيغة المضارع
في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية
الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها • وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار
امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اى الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها •
او خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين آمنوا • او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اى تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه
المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه • وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون •
ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها • والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب
تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات
وهذا ظاهر • واما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها
بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة • وفيه اشعار بان
الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها •
وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله • او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته • او بذكره تعالى انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها
الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حيث جاز مز اليه اى قلوب الذين آمنوا
وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب • او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التاويل اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ
مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان • وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى • والواو
منقلبة من الياء كموقن وموسر • وقرئ مكوزة الاعى طيبى لتسلم الياء • والمعنى اصابوا خيرا • ومحلها النصب
او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة
في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك الارسال العظيم
الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اى مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل
لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان • وتهديهم الى الحق رحمة لهم • وتقديم المجرور
على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك الآية • وفيه ما لا يخفى من
ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اى والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي
وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته • والعدول الى المظهر للتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها
كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسالك اليهم
وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم • وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود
فقالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا قل هو اى الرحمن كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى
التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل • وقيل هو نعت اى خالقي و
مبلغي الى مراتب الكمال • وايراده قبل قوله لا اله الا هو اى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة
منوط بالربوبية ٥٥٥

٥٥٥ وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت
ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى الا عليه توكلت في جميع اموري لا
في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اى توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك • امر صلى الله
بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع
عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه صلى الله عليه وسلم حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف
ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا • د
فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على
مصابرتكم فتأمل انتهى
ابو السعود

8 صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فيغير حول مكة
وتصيب من مواشيهم • او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي وعد الله وهو فتح مكة
وكان الله قد وعده ذلك ان الله لا يخلف الميعاد لا لعدم القدرة عليه لان ما تعلق به الوعد كان ممكنا وبتعلقه لم ينقلب
ممتنعا لاستحالة الانقلاب وكل ممكن داخل تحت قدرته تعالى بل لان الخلف لا يليق بشانه تعالى انتهى بكماله

ولو ان قرانا وهو اسم ان والخبر قوله سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع
من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القران العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه
من قبيل الايات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهم السلام • واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في
الضلال والفساد • فالمعنى على الاول لو ان قرانا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها
كما فعل ذلك بالطور لموسى عم او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عم
بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيى بقراءته عليها كما احيت لعيسى عم لكان ذلك
هذا القران لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجايب اثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الاثار ولا في التذكر والانذار
والتخويف لاختصاصها بالعقلاء • مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة •
وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الاهتمام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما
حقه التاخر تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن • وكلمة او في
الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام
لا بظهورها بواسطة القران لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق بني نظم ظهورها به مساق
في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور
امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القران الذي لم يعدوه اية • وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفه
بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لما يدعوا اليه من الحكم البالغة • وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه
ومؤداه • اي لو ان قرانا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القران ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الان لان الامر
كله له وحده فالاضراب ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما يقتضيه
الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييئس الذين امنوا اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع • او على
استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه له • ويؤيده قراءة علي وابن عباس رضي الله عنهم وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
افلم يتبين بطريق التفسير • والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله
على حذف ضمير الشان وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الاثار العظيمة • فالانكار متوجه الى المعطوفين
جميعا • او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتيب المعطوف على المعطوف عليه
اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول • وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته • ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط
بل عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشأ هدايتهم ذلك
لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الايات ليجتمعوا على الايمان • وعلى الثاني لو ان قرانا فعل به ما فعل من
العجايب لما امنوا لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا
فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا
ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح
واليأس بمعنى القنوط • اي الم يعلم الذين امنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى اصبحوا طامعين فيه • فالانكار متوجه
الى المعطوفين • او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى ان تخلف
القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظايره لا انكار الوقوع فالمراد
عدم قنوطهم منه مما لا ينبغي ان يصدر منهم وقوله تعالى ان لو يشاء الله متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه

ارادت نحيا حرمهم ... من الارض

ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت
به الارض حتى تتصدع وتزايل قطعا او كلم به
الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه
غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف
فجواب لو محذوف • او معناه ولو ان قرانا وقع
به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى
وتنبيههم لما امنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو
قادر على الايات التي اقترحوها افلم ييئس الذين
امنوا افلم يعلم وهي لغة قوم من النخع • وقيل
انما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان
الايس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل النسيان
في معنى الترك لتضمن ذلك • ويدل عليه قراءة علي
رضي الله عنه افلم يتبين • وقيل انما كتبه الكاتب
وهو ناعس مستوي السينات وهذه والله
ما فرية ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

٣ قوله تعالى
ولو ان قرانا سيرت به الجبال دال على ان اسم الاشارة
والموصول فيما تقدم لتعظيم القران وتفخيم شانه او قطعت به
الارض او كلم به الموتى جواب لو محذوف اي ولو ان
قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت او قطعت
به الارض تتصدع قطعا قطعا من خشية الله تعالى او كلم
به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران لكونه غاية
في التذكير والاعجاز ونهاية في التخويف والانذار
كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله • وقيل اراد به المبالغة في عناد الكفرة
وتصميمهم اي ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال او تقطيع
الارض وتكليم الموتى لما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا
عليهم الملائكة الاية • وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك
ان نتبعك فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع
لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع • او سخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام • او ابعث من كنانة قصي بن
كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا
فتقطيع الجبال بالسير • وقيل الجواب مقدم وهو قوله
وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض • وتذكير كلم
خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا اضراب
عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل لله القدرة على كل شيء فله
القدرة على الاتيان بما اقترحوه من الايات الا انه لم تتعلق
ارادته بذلك لعلمه انهم لا يؤمنون ويزدادون العناد و
الجحود وتوبيخ قوله افلم ييئس الذين امنوا اي عن ايمانهم
... وانكارهم والاكثرون على ان معنى
... وابن عباس وجماعة من
... اجمعين قرؤا افلم يتبين
... يعلم • وانما استعمل
... بان المايوس لا يكون
... لقه بقوله ان لو يشاء الله
... اية بعض الناس لعدم
... بالاول بامنوا اي او
... بن امنوا بان لو يشاء
... تقديره افلم ييئاس
... ن يشاء الله لهدى
... يهم بما صنعوا من الكفر
... وكفعلهم او تحل
... ون منها ويضطربون
... بعا حتى ياتي وعد الله 5
... بيهم بما صنعوا برسول الله

... انا لين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييئاس من ايمانهم المومنون بمضمون
الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور
من دواعي انكار ياسهم • وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت نبيا سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع
فقد سخرت لداود عم فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت • او سخر لنا به
الريح كما سخرت لسليمان عم لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة •
او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من ابائنا فنزلت • فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها
بالسير ولا حاجة حينئذ الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القران كما احتيج اليه
في الوجهين الاولين • وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وهو دال بالحقيقة على الجواب والتقدير ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن • والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من
الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوا
من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم
في ذلك قارعة

ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه فأمليت
للذين كفروا الاملا أن يترك ملاوة من الزمان
في دعة وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابي
اياهم استفهام معناه التعجب مما حل بهم والتقدير
وفي ضمنه وعيد من في عصره عليه السلام من الكفار
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت من خير وشر لا يخفى
عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من
جزائهم • والخبر محذوف تقديره كمن هو ليس كذلك
دخلت الهمزة على الفاء لإنكار أن يستووا من هو
مطلع على شرهم وعلمهم قادر على مجازاتهم بمن هو
على خلافه بعد علمهم بما حل بالمنكرين من الأخذ
المفاجاء والبطش الشديد وجعلوا لله شركاء •
استيناف أو عطف على مقدر اى لم يوحدوه وجعلوا
وفيه اظهار في موضع الاضمار للتهويل والتوبيخ
والتفضيح في معرض الاحتجاج والتبكيت • وتوسيط
ما بعده اسلوب بديع ضمن فيه الترقي الانكار
أولا يعني لا عجب من انكارهم لآياتك الباهرة
مع ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر
على انزالها المجازي لهم على اعراضهم عن تدبر معانيها
وامثالها بقوارع تترى واخذة عقب اخرى
فيشاهدونها اى عين يتراى بهم الى دار البوار
واهو الهالكين لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا
عمن اتخذه ربا يرجو منه جلبا او دفعا مبد مجافيه
التسلي ثانيا • وفي العدول عن صريح الاسم الى
قوله افمن هو قائم تفخيما بواسطة الابهام المتضمن
في ايراده موصولا مع تحقيق ان القيام كائن •
ومحققون ما يدهش له الالباب ويقضى من بديع
ايراده العجب العجائب • وفي قوله وجعلوا لله
بوضعه مقام المضمر الراجع الى من ذلالة على ان
المتوحد ذاتا واسما جعلوا له شركاء لا شريك
كذلك ولا يهلك على الله الا هالك • وفي حذف
الخبر تعظما للعالة وتحقير لمن زين بتلك الحالة
ما لا يخفى من الجزالة قل سموهم كان قولهم افمن هو قائم
كافيا في هدم قاعدة الاشراك للتفريع ابطال السابق
والتحقيق بالوصف اللاحق وهو ابطال من طرف
الحق فذيل بابطال من طرف النقيض على ابلغ وجه اى الزمهم بذلك فانهم ان سموهم قالوا حجرا وخشبا
او نحو ذلك فافتضحوا باشراكهم بمن لا يستحق العبادة الا هو وحده روعي فيه انه لا اسما للشركاء فضلا عن
على الكناية الايمائية ثم بولغ فيه بانها لا يستاهل السؤال عن حالها لظهور فساده وسلك فيه مسالك الكناية
التلويحية من نفي العلم على نفي المعلوم ثم منه على عدم الاستيهال ام تنبئونه بل اتنبئونه بما لا يعلم في الارض

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من الزمان
في خفض وأمن ثم أخذتهم فكيف كان عقاب
وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء وتسلية له
صلى الله عليه وسلم أفمن هو قائم احتجاج عليهم في
اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب على
كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره و
شره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك
ثم استانف فقال وجعلوا لله شركاء اى
الاصنام قل سموهم اى سموهم له من هم ونبئوه
باسمائهم ثم قال أم تنبئونه بما لا يعلم في
الارض على ام المنقطعة اى بل أتنبئونه بشركاء
لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض
فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشئ • والمراد نفي
أن يكون له شركاء أم بظاهر من القول بل
أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير
أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها بل زين
للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم و
صدوا عن السبيل عن سبيل الله • بضم الصاد
كوفي وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين
عن سبيل الله ومن يضلل الله فما له من هاد من
أحد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة
الدنيا بالقتل والاسر وانواع المحن ولعذاب
الآخرة أشق أشد لدوامه وما لهم من
الله من واق من حافظ انتهى

شركا. بما لا يعلم في الارض يعني بما ليس بشئ لان ما لا يعلمه عالم الغيب والشهادة لا وجود له كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض ● والهمزة المضمنة فيها تدل على التوبيخ وتقريرانهم يريدون ان تنبئوا عالم السر والخفيات بما لم يعلم وهذا محال على محال ثم اضرب عن ذلك وقال قد بين الشمس لذي عينين وما تلك التسمية الا بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل وما هو الا مجرد صوت خارج ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركا بمجرد ظاهر القول واطلاق لفظ الشركاء او الالهة من غير ان يكون لذلك معنى وحقيقة من الالوهية والمشاركة كقوله ما يعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه ومن زاد على هذا قول فتبارك الله احسن الخالقين فقد اتى بكلا حق اريد بها باطل تريدان بها من هو عن حلية الانصاف عاطل بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا ابا طيل ثم قالوها او اقتدائهم للضعفة وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرئ وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ وصدّ بالتنوين عطفا على مكرهم ومن يضلل الله بالخذلان فما له من هاد فما له احد يقدر على هدايته بوجه من الوجوه لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لدوامه وشدة ايلامه وما لهم من الله من عذاب الله تعالى في الدارين قيل او من رحمته ولا يساعده المساق ولا يوافقه عبارة واق من واق من ساتر يحفظهم عن العذاب ويحميهم ● فمن الاولى صلة واق قدمت عليه والثانية زيدة للتاكيد ● ولما ذكر ما اعد للكفار في دار القرار ذكر ما اعد للمؤمنين فيها فقال مثل الجنة التي وعد المتقون الا

ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى ● وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو مطرد قد فعل ذلك برسل من قبلك فاملت الذين فعلوه بهم ● والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان التحلي لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شئ من ذلك ولا يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه ● والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك ● وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ● ومن كون الامر كله بيده تعالى ومن كون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس من عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى العطف فينفي جميعا كما اذا قلت الا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جئ بها للدلالة على الخبر ● او حالية اي افمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا ● او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ● ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما ● وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم ● او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي شركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض ● وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم ● وهاتيك الاساليب البديعة التي وردت عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل وكيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها ● وقرئ بفتحها اي صدوا الناس ● او من صد صدودا ومن يضلل الله

ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء العقيدة او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الاخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكور من واق حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله تعالى افمن هو قائم الخ اي حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت وجوابه محذوف اي كمن ليس بقائم بل عاجز عن نفسه ● قوله تعالى قل سموهم بينوا اسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي اهل لان يعبد ام تنبئونه اي تخبرون الله تعالى بما لا يعلم في الارض فانه لا يعلم لنفسه شريكا ولا في الارض الها غيره ام بظاهر ام يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له كذا في المعالم

انزلناه احسن الكلام انزلناه هذا الانزال الدي يشاهدونه مشتملا على التوحيد والدعوة اليه فاوثر ذلك تخفيفا وجي بالمثل زيادة له ولأمر ما اكثر في كتابه الكريم من ايراد هذا الاسلوب حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه • وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من الامر الموافقة لدينهم وخصوصا الصلوة الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك مالك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في الدين واللام لئن موطئة للقسم وما لك جوابه سد مسد جواب الشرط اسمعي ابي الكمال

مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي هي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العايد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد ياتيه الناس ويعظمونه • او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار اكلها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير • وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التورية والانجيل ومن الاحزاب اي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء ونسخا ما لا ما يوافق ما حرفوه والا فنعي عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به • وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب من ينكر الاية بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء • او لا افعل الاشراك والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادة خاصة • اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله • وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك به اليه اي الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد • او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا الى غيره • او لا الى شيء آخر مما لم يطابق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه الى الله وحده مآب مرجعي للجزاء • وحيث كانت هذه الحجج الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه الصلوة والسلام بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة بيانا للحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي ما انزل اليك • وذلك اشارة الى مصدر انزلناه • او انزل اليك • ومحله النصب على المصدر اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق • او يحكم به كذلك • والتعرض لذلك العنوان للاشارة الى ان ذلك احدى موادّ المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله قل انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفايض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه مالك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة • قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر عن العدو نفي الواقي من نكايته • ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم • او ما لك من باس الله تعالى من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثالها تيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات

مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي في غرابة المثل • وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى عليكم مثل الجنة • او الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر اكلها دائم ثمرها دائم الوجود لا ينقطع وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى امرهم وعقبى الكافرين النار • والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بارض الحبشة يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب اي ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه وكالسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم وكانوا ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوا من الشرايع قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به هو جواب للمنكرين اي قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله تعالى وان لا يشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه اي انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله تعالى وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب • وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يشاركهم فيها فقيل ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم بعد ثبوت

العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة مالك من الله من ولي ولا واق اي لا ينصرك ناصر ولا يقيك منه واق • وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الثبات بمكان

مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي في غرابة المثل تقول مثلت الشيء اذا وصفته وقربته للفهم • وارتفع مثل على الابتداء في مذهب سيبويه والخبر محذوف اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل اي في غاية النزهة وذلك ان العرب كانوا في عوز من الماء وكانوا يعدون هذا اعظم نزهة • او حال من العايد المحذوف من الصلة • وقيل هو خبره على طريقة قولك صفة زيد اسمر • او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري • فعلى هذا لفظ المثل على حقيقته فقصد به تمثيل الغائب بما هو شاهد لم يستعر من القول الذي هو للصفة الغريبة اكلها دائم لا ينقطع والاكل ما يوكل فيها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عن الكفر مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير • وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكفار والذين آتيناهم الكتاب اي من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام واضرابه ومن النصارى وهم ثمانون رجلا بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما نزل موافقا لما في كتبهم ومن الاحزاب اي من كفارهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم وما حرفوا منها دون الاقاصيص وما يوافق قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به شيئا جواب للمنكرين اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به وهو العمدة في الاسلام ولا سبيل لكم الى انكاره لانكم قائلون بوجوب عبادته وتوحيده وانما ما يخالف بعض شرائعكم من جزئيات الاحكام فليس اختلاف ذلك ببدع في الكتب الالهية • وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب مرجعي للجزاء لا الى غيره فلا معنى لانكاركم لان هذا القدر المتفق عليه بين الانبياء كلهم فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك اي مثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه

بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس •
ومحل لا معقب لحكمه النصب على الحال كانه قيل والله يحكم
نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه
ولا قلنسوة تريد حاسرا وهو سريع الحساب فعما قليل
يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا انتهى المدارك

ولقد ارسلنا من قبلك بشرا مثلك والتنكير للتكثير و
جعلنا لهم فيه تغليب للاكثر على الاقل والا فمنهم من لا زوج
ولا ذرية كعيسى عليه السلام ازواجا وذرية نساء
واولادا كما هي لك • كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج
والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام • و
كانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل
قبله كذلك ذوي ازواج وذريات وما كان لرسول
ما صح ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه قومه ولا مما
اقتضاه رايه الا باذن الله فانه القادر على ذلك الحكيم الذي
لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة لكل اجل كتاب اي لكل وقت
ومدة حكم يكتب على العباد بحسب ما يقتضيه استصلاحهم
فان الشرائع مصالح الاحوال وصلاح الاحوال والعادات و
الاستعدادات تختلف في الاوقات والازمان فتختلف
الشرائع بحسب ذلك يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يكون الصلاح
في نسخه ويثبت بدله ما هو صالح او اصلح منه في وقته
لعباده او يترك غير منسوخ • وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت بدلها الحسنات • وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما
لا يتعلق به الجزاء ويترك ما يتعلق به مثبتا • وقيل يمحو
قرنا ويثبت آخرين • وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وعنده ام الكتاب اي اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ
اذ لا كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك اي وكيف ما دارت الاحوال
اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب النازل بهم او
توفيناك قبل فانما عليك البلاغ فما عليك الا تبليغ
الوعيد بالعقوبة لا تعجيلها وعلينا لا عليك الحساب
اي مراعاة اجلها المعلوم والايقاع عند الوقت المحتوم
وانما نهاه صلى الله عليه وسلم عن الاهتمام بغير التبليغ والتفرغ
لتاخير النصر عقبه بالتسلية وطيب نفسه ونفس عن
ذكر طلائع ما وعد بقوله اولم يروا انا ناتي الارض ارض
الكفرة ننقصها من اطرافها بالفتح على المسلمين منها فننقص من
دار الحرب ونزيد في دار الاسلام والله يحكم لا معقب لحكمه
اعتراض لا محل لها • او حال كانه قيل نافذا حكمه كما تقول
جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا • والمعقب الذي يكر
على الشيء ويبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يعقبه بالرد
والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالتقاضي والطلب والمعنى لا راد لحكمه ولا مبطل له وقد حكم للاسلام با

وكانوا يعيبونه بالزواج والاولاد ويقترحون
عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذر
ية واولادا وما كان لرسول ان ياتي باية الا
باذن الله اي ليس في وسعهم اتيان الآيات على
ما يقترحه قومهم انما ذلك الى الله لكل اجل كتاب
لكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على
ما تقتضيه حكمته يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء
نسخه ويثبت بدله ما يشاء او يتركه غير منسوخ
او يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت غيره
او يمحو كفر التائبين ويثبت ايمانهم • او يميت
من حان اجله وعكسه • ويثبت مدني وشامي
وحمزة وعلي وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه
وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك
وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما
وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك
قبل ذلك فانما عليك البلاغ فما يجب عليك الا
تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب وعلينا حسابهم
وجزاؤهم على اعمالهم لا عليك فلا يهمنك اعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض
ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين
من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار
الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة والمعنى
عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك
نحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر والله يحكم
لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على
الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه
بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى حكم للاسلام
وقد حكم للاسلام بالظهور والاقبال وعلى الكفر بالتراجع والادبار

٦١

ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد
لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد وكما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله
ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام • والالتفات
لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل وقت ومدة من المدد والاوقات
كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم في المبدا والمعاد
ومن قضيته ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج
حسب اختلاف المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة
بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة • او يبقيه على حاله غير منسوخ • او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما
ومن الانشاء ابتداء • او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت
الباقي • او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنات • او يمحو قرنا ويثبت آخرين • او يمحو الفاسدات من العالم
الجسماني ويثبت الكائنات • او يمحو الرزق ويزيد فيه • او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر
وابن مسعود رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء • وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك موارد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده
ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما
نرينك اصله ان وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم
من انزال العذاب عليهم • والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • او نعدهم وعدا متجددا حسب
ما يقتضيه الحكمة من انذار عقب انذار • وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك
قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من
جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما
وعدناهم من العذاب الدنيوي • او لم نره فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك
نحن نكفيه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية • ثم طيب نفسه
صلى الله عليه وسلم بطلوع تباشير فقال اولم يروا استفهام الانكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي وانكروا نزول ما وعدناهم او اشكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا ناتي الارض اي ارض الكفرة
ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر
والاجلاء اليس هذا من ذلك • ومثله قوله عز سلطانه افلم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
وقوله ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله • وقرئ ننقصها بالتشديد • وفي لفظ الاتيان المؤذن
بالاستيلاء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفرة بالذلة والادبار
حسبما يشاهد من المخايل والآثار • وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة
على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى • وهي جملة اعتراضية جيء بها
لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله •
وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب
من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم
ويجازيهم في الآخرة بما فاتهم من العذاب
عاجلا عنهم بالقتل والاسر والاجلاء
حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما
سريع الانتقام ابو السعود

ای العاقبة

وقد مكر الذين من قبلهم اى كفار الامم الخالية بانبيائهم • والمكر ارادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار يعني العاقبة المحمودة لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم • الكافر على ارادة الجنس حجازي وابو عمرو ويقول الذين كفروا لست مرسلا والمراد بهم كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود قالوا لست مرسلا ولهذا قال عطاء هي مكية الا هذه الاية قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر من الادلة على رسالتي • والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز ومن عنده علم الكتاب قيل هو الله تعالى والكتاب اللوح المحفوظ • دليله قراءة من قرأ ومن عنده اى ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه • وقيل ومن هو علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم • وقال ابن سلام فيّ نزلت هذه الاية وقيل هو جبرئيل ومن في موضع الجر بالعطف على لفظ الله • او في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور اذ التقدير كفى الله • وعلم يرتفع بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه • وفي القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء انتهى المدارك

وسيعلم الكفار

التورة

او عنده

وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا جملة تعليلية اقيم مقام المحذوف وهو المعطوف على ما ذكر قبلها تقديره ولا عبرة بمكرهم فلله المكر جميعا وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم بالنسبة الى مكره كلا مكر لانه القادر على ايقاع المراد من المكر بهم دونهم فلا مكر الا مكره تعالى يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءه • تعليل لاضمحلال كل مكر عند مكره تعالى لانه اذا علم كل ما كسبوا واعد لهم جزاءه فيأتيهم به بغتة من حيث لا يعلمون كان المكر كل المكر له تعالى وسيعلم الكفار وهم يعلمهم لمن عقبى الدار لمن حسن العاقبة من الفريقين والسين لوجوب وقوع ذلك وعلمهم به حال وقوعه • واللام في لمن دليل على ان المراد بالعقبى المضاف الى الدار العاقبة المحمودة • وقرئ سيعلم الكفر اي اهله وسيعلم من اعلم اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم حيث اظهر من الدلائل الواضحة والحجج البينة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الّف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر او التورية والانجيل من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا كعبد الله بن سلام واضرابه لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ • والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم • ويؤيده قراءة من قرأ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف لانه معتمد على الموصول • او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثاني • وقرئ ومن عنده علم على الحرف وبناء الفعل للمفعول ورفع الكتاب والله اعلم بالصواب

انتهى ابو السعود

وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء • وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اى جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما يبينه قوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه • ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم الكفار الا

وسيعلم الكفار حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك وعلمهم به • وقرئ وسيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اى اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود • وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز • او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم في كتبهم • والاية مدنية بالاتفاق • او ومن عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شهد لي بكتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي • وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول • او مبتدأ وخبره الظرف وهو متعين على الثاني • وقرئ ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون يوم القيمة الى يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل انتهى ابو السعود

قوله ومن عنده علم الكتاب يريد مؤمني اهل الكتاب يشهدون ايضا على ذلك • وقال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي هذا وقال السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب اهو عبد الله بن سلام فقال وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقيل ومن عنده ام الكتاب هو الله تعالى يدل عليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما ومن عنده بكسر الميم والدال اى من عند الله تعالى وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب على الفعل المجهول دليل هذه القراءة قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وقوله تعالى الرحمن علم القرآن

رحمه الله

ای علم الكتاب

سورة ابراهيم عليه السلام مكية بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك حجة على رسالتك
باعجازه لتخرج الناس بدعائك اياهم الى الدين الحق
من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى
باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل الحجاب متعلق بتخرج او حال
من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله
الى النور بتكرير العامل او استيناف كانه قيل الى
اي نور فقيل الى صراط العزيز وآضافة الصراط الى
الله لانه مقصده او المبين له او تخصيص الاسمين
بالذكر للتنبيه على انه لا يذل سالكه ويحمد سالكه
الله الذي له ما في السموات وما في الارض عطف
بيان للعزيز الحميد لانه يجري مجرى اسماء الاعلام لغلبته
واختصاصه بالمعبود بالحق وقرئ بالرفع على هو الله
وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالويل وهو نقيض النجاة
واصله النصب لانه مصدر فعدل الى الرفع لافادة
معنى الثبات كما في سلام عليك واتصال قوله من
عذاب شديد له بالمعنى المذكور ظاهر فلا حاجة
الى حرفه للتلفظ بكلمة التلهف من شدة العذاب
الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة اي على الحيوة
الآخرة والاستحباب استفعال من المحبة لان المختار
للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب
اليها من الآخر وتعديته بعلى لتضمنه معنى الايثار و
الاختيار ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس
عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول
من صد صدودا اذا نكب وليس بفصيح كاوقفه
لان في صده ووقفه مندوحة عن تكلف التعدية
بالهمزة ويبغونها عوجا اصله يبغون لها فحذف الجار
واوصل الفعل اي يطلبون لها زيغا واعوجاجا بان
يقولوا لمن يصدونه عنها انها سبيل ناكبة عن الحق غير
مستقيمة والموصول بصلته يحتمل النصب على الذم
والرفع عليه ولا يحتمل الجر صفة للكافرين لان فيه
الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي منهما وهو
قوله من عذاب شديد لما عرفت ان اتصاله بالويل
وعلى الرفع يجوز ان يكون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد
عن طريق الحق اي ضلال فيه بعد لان الضلال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل مكانا بعيدا والافصح ان وصف الضلال بالبعد من باب الاسناد المجازي
لان البعد في الحقيقة للضلال المتباعد عن الطريق فوصف به فعله كقولهم جد جده للمبالغة وتنكيره للتكثير وفي
ظرفيهم دلالة تمكنهم فيه تمكن المظروف في الظرف وتصوير لاشتمال الضلال عليهم اشتمال المحيط على المحاط
فيكون كناية بالغة في اثبات الوصف المذكور لهم على الوجه الابلغ ابن الكمال رحمه الله

سورة ابراهيم عليه السلام اثنتان وخمسون آية مكية
احدى وخمسون شامي
بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب هو خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب
يعني السورة والجملة التي هي انزلناه اليك
في موضع الرفع صفة للنكرة لتخرج الناس
بدعائك اياهم من الظلمات الى النور من الضلال
الى الهدى باذن ربهم بتيسيره وتسهيله
مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وذلك ما يمنحهم من التوفيق الى صراط
بدل من النور بتكرير العامل العزيز الغالب بالانتقام
الحميد المحمود على الانعام الله بالرفع مدني وشامي
على هو الله وبالجر غيرهما على عطف البيان للعزيز
الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى
نور الايمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض
الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال
وويل للكافرين من عذاب شديد وهو مبتدا وخبر
وصفة الذين يستحبون يختارون ويؤثرون الحيوة
الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله عن دينه
ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا
والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل
الذين مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد عن الحق
ووصف الضلال بالبعد من الاسناد المجازي
والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي
يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول
جد جده او مجرور صفة للكافرين او منصوب
على الذم او مرفوع على اعني الذين او هم الذين

يجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد
او فيه بعد فان الضلال قد يضل عن الطريق
مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال
محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة
انتهى ابو السعود افندي
قوله الله قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر
بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده
وقرا الآخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد
وكان يعقوب اذا وصل خفض قال ابو عمرو
الخفض على التقديم والتاخير مجازه الى
صراط الله العزيز الحميد معالم الله الذي
له ما في السموات وما في الارض عرف الخلق
ان الله هو الذي له ما في السموات والارض
فمن عرف فله الثواب الحميد ومن جحد فله
العذاب الشديد وذكر العذاب بعد جملة

سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر قد مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله
كتاب خبر على تقدير كون الر مبتدأ والمبتدأ مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط
التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج
الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله
عز وجل الكاشفة عن العقايد الحقة وقرئ ليخرج الناس اي ليخرج به الناس من الظلمات من عقايد الكفر
والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان
فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم
الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب
لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء
الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم
تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء
متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه
اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله تعالى
استعير له النور تارة وبالصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى
للذين استضعفوا لمن امن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو في الحقيقة لا في المجاز
كما في قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف مبني على سؤال
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص
الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد
بجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله
اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد
فيهما داخلا او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما في اية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار
لتحتم سلوكه على الناس قاطبة ويجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا منباه المغفول عن هذه
النكتة وقوله تعالى وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من الظلمات الى النور بالويل وهو
نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب كساير المصادر ثم رفع رفعا للدلالة على الثبات كسلام عليك
من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك
ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الاخرة اي الحيوة الاخرة الابدية ويصدون
الناس عن سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف
جميل لروم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا
اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اي
يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء
من ذلك اي يقولون لمن يريد صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ويحتمل موصول هذه
الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه
من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية
المفصح عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مامونا وفيه
من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما
اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبايح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا
على الاخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بريئة في ضلال عن طريق الحق
بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضلال الا انه قد وصف

بانه من هو الذين يستحبون الحيوة الدنيا على
الاخرة ذكر ذميم اخلاقهم فقال هم الذين
يؤثرون اليسير من حطام الدنيا على الخطير
من انعام الاخرة وذلك لغلظ حجابهم ويصدون
عن سبيل الله وذلك من شدة جهلهم ويبغونها
في الدين عوجا لكثرة حيفهم اولئك لهم في
الدنيا الفراق وفي الاخرة الاحتراق وهوا
صفة ومعنى
قوله من الظلمات الى النور
من ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات
الشك الى نور اليقين ومن ظلمات التدبير
الى فضاء شهود التقدير ومن ظلمات
دعاوى النفس الى نور معارف القلوب
ومن ظلمات التفرقة الى انوار الجمع ومن ظلمات
الى نور الاتباع باذن ربهم بارادته ومشيئته
وسابق حكمه وقضائه المنصرف الى مراد الله
نهج التوحيد بشواهد التفريد قشيري

ان في ذلك لآيات لكل صبار على بلاء الله تعالى شكور على نعمائه فانه اذا سمع بما انزل الله تعالى على الامم من البلاء واقاض عليهم من النعم اعتبر وتنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل لكل مؤمن لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وانما قدم الصبر على الشكر لانه اسبق منه فهو بالتقديم احق والعدول عن الصبور مع مناسبته للشكور لانه في مقام الحث والتحريض بابلغ صيغتي المبالغة اليق انتهى

قوله الا بلسان قومه الا بلغتهم ليفهموا منه فان قيل كيف هذا وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق قيل بعث على العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بعث الرسل الى الاطراف يدعونهم الى الله ويترجمون بالسنتهم ابن الكمال معالم

وما ارسلنا اي في امم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم اولا ● وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولبس بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم و كان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالته ان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته صلى الله عليه وسلم قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المتين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين ● وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب ● وفي رجعه الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلغة قوم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما الاخير من التكليف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه ويخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق ● والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من يشاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من يشاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مدار كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان ● والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام ● وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء لما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ٨٨٨

فيه تردد

رد للامام البيضي

٨٨٨ ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك يعني اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فانه صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل ● والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الايات ● او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد ● وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى

وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون لم نفهم ما خوطبنا به فان قلت ان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس جميعا بقوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعين ان ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه اولى بالتعيين لانهم اقرب اليه ولانه ابعد من التحريف والتبديل فيضل الله من يشاء من اثر سبب الضلال ويهدي من يشاء من اثر سبب الاهتداء وهو العزيز فلا يغالب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع ان اخرج بان اخرج او اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها او بايام الانعام حيث ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على البلايا شكور على العطايا كانه قال لكل مؤمن اذ الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر انتهى

وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بلغة قومه الذين بعث فيهم كانبياء بني اسرائيل او ارسل اليهم كلوط ويونس عليهما السلام • فمن قال الذي هو منهم وبعث فيهم لم يصب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد ليبين لهم ما يدعوهم اليه فيفقهوه بسهولة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم احق برعاية حالهم سواء كان مبعوثا فيهم او مرسلا اليهم • ومن قال ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به فكانه غفل عن ان المحذور المذكور يندفع بترجمته لهم • وايضا لغير العرب من الامم ان يحتج بما ذكره على نبينا صلى الله عليه وسلم ولا جواب عنه الا بما قلنا ولا دلالة في قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته على ان يكون لهم مجال الاحتجاج بالوجه المذكور على تقدير نزوله بلغة اخرى • واما ما قيل ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب فمبناه الغفول عن ان ما ذكر من الفوائد فوائت على تقدير الترجمة من الرسول صلى الله عليه وسلم • وقد عرفت ان مدار الكلام وتمام المرام عليها على تقدير عموم الرسالة وخصوص النزول فيضل الله من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق وفيه دفع ما سبق الى الوهم من البيان البالغ في تسهيل الفهم ان يكون ذلك كافيا في تمام امر الهداية فيسد باب الضلالة والغواية • وفي الترتيب باداة التعقيب اشارة الى ان ما ذكر من الارسال مع كونه على وجه الكمال كان في حق قوم سببا للضلال وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ان مفسرة معناها اي لان في الارسال معنى القول اي ارسلناه وقلنا له اخرج • او مصدرية اي ارسلناه بان اخرج لان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء فيصح وصلها بالامر كوصلها بالخبر وان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بنعمائه وبلائه ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو الموافق لقوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور والقرآن بعضه يفسر البعض

تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول هو كون ذلك اشارة الى التذكير عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى الظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثاني وهو كونه اشارة الى اياما عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر • واما على الثاني وهو كونه اشارة الى مجموع النعماء والبلاء فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليهما لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر

ابو السعود رحمه الله

واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم • ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام • ويجوز ان يكون بدلا من نعمة بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين وعطف قوله ويذبحون على يسومونكم يفيد فائدة زائدة على جعله تفسيرا له كما في سورة البقرة وهي ان العذاب جنس يتناول التذبيح والاستعباد والاستعمال بالاعمال الشاقة فجعل التذبيح كانه جنس آخر برأسه او في على جنس العذاب وزاد عليه بزيادة ظاهرة وفي ذلكم بلاء اي ابتلاء من ربكم عظيم وانما كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم لان الله تعالى ابتلاهم بتمكينهم واقدارهم عليه وامهالهم فيه • ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء لان البلاء كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة قال الله تعالى ونبلوكم بالحسنات والسيئات وهذا انسب بقوله من ربكم وعلى الاول يكون عبارة الرب للاشارة الى ان البلاء المؤمن تربية له واذ تأذن من جملة ما قال موسى عليه السلام لقومه منصوب المحل بالعطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم على لئن شكرتم لا على ارادة القول على معنى تأذن ربكم فقال لعدم الحاجة الى التقدير بل على اجراء تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم غمطتم ما انعمت به عليكم قد صرح الوعد على الشكر بقوله لازيدنكم وعرض بالوعيد على الكفران حيث قال ان عذابي لشديد اي عسى عذابي ان ينالكم بالكفران ومن عادة من هو اكرم الاكرمين التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد انتهى ابو السعود

واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب اذ ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت • او بدل اشتمال من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم ويذبحون ابناءكم ذكر في البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون بلا واو وههنا مع الواو • والحاصل ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح من حيث انه زائد على جنس العذاب كانه جنس آخر ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم الاشارة الى العذاب والبلاء المحنة • او الى الانجاء والبلاء النعمة ونبلوكم بالشر والخير فتنة واذ تأذن ربكم اي آذن ونظير تأذن وآذن توعد واوعد ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه • وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم فقال لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها لازيدنكم نعمة الى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل اذا سمعت النعمة نعمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكرتم بالجد في الطاعة لازيدنكم بالجد في المثوبة ولئن كفرتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي اما في الدنيا فسلب النعم واما في العقبى فتوالي النقم انتهى المدارك

واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور • واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم نداء عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل • والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون • او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم • او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء او استبعادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر • ونصبه على انه مفعول ثان ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد • وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار • ولذلك عد من جملة البلاء • والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لان البلاء يعني تلك الافعال اللتي لا اثر يحصل في تجربته فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين • ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعريض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له عظيم لا يطاق واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال • وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمة الله تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذين ايضا نعمة الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكيرما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر • والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم • ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين • ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ

قوله ويذبحون قال الفراء العلة الجالبة لهذا الواو ان الله تعالى اخبرهم ان آل فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون اراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم قوله ويستحيون نساءكم يتركونهم احياء وفي البقرة يسومونكم اي يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه يذبحون ابناءكم بيان لقوله يسومونكم ولذا ترك العاطف ويستحيون نساءكم يتركون بناتكم احياء للخدمة وانما فعلوا ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله تعالى معالم

ابو السعود

لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد

وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا
فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد
او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده • والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من
الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان تكفروا والمرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى
لغني عن شكر الشاكرين • ولعله صلى الله عليه وسلم انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر
والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب • او قاله عند تذكيرهم بما ذكر من قوارع
عذاب سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران • ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر
ويتوبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير
موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط • وفيه ما لا يخفى
من البعد • وايضا لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك
المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف
على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى
لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض • والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى
علمها عن العباد جاءتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبأهم بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة
فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم
بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتنا منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم
عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي بزعمكم وهي البينات
التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها
على صحة رسالاتهم او فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه
او ردوها في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك فاطر السموات
وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصايحهم وشرايعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية
لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه
من الايمان بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا
بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ
تدعونا بالادغام

ابو العو

وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض
جميعا والناس كلهم فان الله لغني عن شكركم حميد و
ان لم يحمده الحامدون وانتم ضررتم انفسكم حيث
حرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه الم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى لقومه
او ابتداء خطاب لاهل عصر محمد صلى الله عليه وسلم
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر
وقعت اعتراضا • او عطف الذين من بعدهم على
قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم
من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون
ثلثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس
يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم وكذلك في
حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم اولئك الآباء
احد الا الله تعالى • وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فردوا ايديهم في
افواههم الضمير ان يعودان الى الكفرة اي اخذوا
انامِلهم باسنانهم تعجبا او عضوا عليه تغيظا
او الثاني يعود الى الانبياء اي رد القوم ايديهم
في افواه الرسل كيلا يتكلموا بما ارسلوا به وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان بالله والتوحيد مريب موقع في الريبة

وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض
من الثقلين جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر كل شاكر
وما ضررتم بكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد حميد مستوجب للحمد في ذاته
محمود يحمده من في السموات من الملائكة بل كل ذرة من ذرات
المخلوقات الناطقة بنعمه وحمده الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى عليه السلام • او ابتداء كلام
من الله تعالى • والهمزة في الم للتقرير والتوبيخ والذين من قبلهم
عطف على قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض
او مبتدا خبره لا يعلمهم • والجملة اعتراض والمعنى انهم من
الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله تعالى كانه يقول مع
التفصيل كانه لا مطمع في الحصر قيل ولهذا كان ابن مسعود
رضي الله عنه اذا قرأها قال كذب النسابون اي في دعوى
علم الانساب • لان الله تعالى قد نفى علم الانساب مطلقا
انما دلالته على نفي علم جميع الانساب لو لم يدعه احد من
النسابين جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
في افواههم اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت
به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم اي هذا جوابنا
لا غير اقناطا لهم من التصديق قيل عضوها غيظا و
حنقا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او وضعوها على افواههم ضحكا واستهزاء كمن
غلب عليه الضحك فوضع يده على فيه او اسكاتا للانبياء
عليهم السلام واشارة عليهم بالسكوت او ردوها في
افواه الانبياء عليهم السلام لذلك او وضعوها على
افواههم ولا يذرونهم يتكلمون • او الايدي جمع يد بمعنى
النعمة اي ردوا اياديهم من التوحيد والمعارف
والشرائع والنصائح التي هي اجل النعم في افواههم لانهم اذا
لم يقبلوها وكذبوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت
منها على طريق التمثيل • ولا يذهب عليك ان الاولان
لا يطابقان المقام فانه يحكي اول ما جاءهم بالبينات
الى آخر ما ينتهي اليه حالهم وذانك بعد التكرير • وايضا
الرد ينبي عن التكرار وليس وحاصل الرابع والخامس
ما ذكرنا ثانيا لكن الرد لا يلائم الثالث والخامس • والمعتاد
في الاسكات ما في الثالث لا ما في الخامس والسادس غير ظاهر
الدلالة لما فيه من نوع تعقيد الايدي بهذا المعنى قليلة الاستعمال
وذكر الرد والافواه يلائم الجارحة وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه التاكيد في انا وانا للاقناط والمبالغة في الرد والتكذيب
والمراد مما ارسلتم به الكتب والشرائع ومما تدعوننا اليه
التوحيد فترددهم في الثاني لا ينافي قطعهم بالاول •

قالت رسلهم أفي الله أي في وحدانيته شك وفي حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيه على أن الله لا يكون إلا واحدا فالشك في وحدانيته شك في ذاته • وشك مرتفع بالظرف وادخلت همزة الانكار عليه مع تقديمه لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي إنا ندعوكم إلى الإيمان بالله ووحدانيته وهو لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادة وجود السموات والارض عليه ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي أن لا يقع فيه شك البتة بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة ولا يضر الفصل بين الموصوف وصفته بمثل هذا المبتدا • أو بدل يدعوكم إلى الإيمان ببعثه إيانا ليغفر لكم وفيه دلالة على أن الكافر مؤاخذ بكفره قبل البعثة وإن لم يكن مؤاخذا بغيره لكفاية العقل الصحيح ناهيا عنه ليغفر لكم لمصلحتكم لا لمصلحة نفسه من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو الكفر لما عرفت أنهم لا يؤاخذون بغيره قبل البعثة • ففي قوله يدعوكم ليغفر لكم توطية لهذا التبعيض على تقدير تقديرنا معناه وعلى تقدير أن يكون المعنى يدعوكم إلى المغفرة على إقامة المفعول له مقام المفعول به كما في قولك دعوتك لتنصرني يفوت هذه التوطية وتلك الدلالة • وقيل في وجه التبعيض أن المغفور قطعا ما فعلوه حالة الكفر وأما ما يفعلوه بعد الإسلام فهو لحالة ولاحد هذين الوجهين يظهر السر في زيادة من في خطاب الكفرة دون المؤمنين في مواضع من القرآن وفي الأخير فائدة أخرى وهي إبعاد البعض على الكمال لئلا يتكلوا على الإيمان وحده وهذا معنى حسن • وأما ما قيل أريد به أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لان الإسلام يجبه دون المظالم فلا يصلح وجها للتخصيص لاشتراك الفريقين فيه • والتوجيه بأن المغفرة حيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم منظور فيه لان تمام التقدير به على تقدير أن يكون معنى قوله مرتبة على الإيمان مرتبة عليه وحده وجه يتجه النقص بقوله تعالى قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم • ثم إن منشأ ومبنى ما قدمه من دعوى الاطراد في زيادة من في خطاب الكفرة الغفول عن قوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف • ومن قال في تفسير سورة الانفال ان الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط ثم جوز هنا أن يكون ⑤

يجمعه [illegible]

قالت رسلهم أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإنا لفي شك فاطر السموات والارض يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم من ذنوبكم إذا آمنتم • ولم يجئ مع من إلا في خطاب الكافرين كقوله تعالى واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم • وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين • ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره قالوا أي القوم إن أنتم ما أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا يعني الأصنام فأتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات • إنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالإيمان والنبوة كما من علينا وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم إلى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله

[illegible] وأي عذر لنا في أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو [illegible] لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين • قال أبو تراب التوكل طرح البدن [illegible] العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر على البلاء ولنصبرن على ما آذيتمونا [illegible] قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يمسكوا على دعائهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا انتهى المدارك لأبي البركات النسفي رحمه الله

على الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله فقالوا للرسل توكلوا أنتم على الله حتى تروا ما يفعل بكم فقالت الرسل وما لنا ألا نتوكل على الله إلا فاضل كرماني

[illegible] رسلهم استيناف مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك [illegible] الهمزة على الظرف للإيذان بأن مدار الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم [illegible] الشك أصلا متفادين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك مريب من الله تعالى [illegible] في تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه [illegible] من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي [illegible] تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الأقصى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد [illegible] إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرنا بما أرسلتم به واقتصروا [illegible] بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء [illegible] فقالوا فاطر السموات والارض أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام أنيق شاهد [illegible] ما أنتم فيه في شك • وهو صفة لاسم الجليل أو بدل منه • وشك مرتفع بالظرف [illegible] لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يفضي إلى الفصل بين الموصوف [illegible] الصفة بالأجنبي أعني المبتدأ والفاعل ليس بأجنبي من رافعه • وقد جوز ذلك أيضا [illegible] يدعوكم إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا إليه ليغفر لكم

التبعيض لاخراج المظالم عن حيز الارادة فقد غفل عما قدمه ويؤخركم الى اجل مسمى قد سماه الله تعالى وبين مقداره وقضى ان يبلغكم اليه ان امنتم والا عاجلكم بالاهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المرتبة او على صحة دعواكم وقد جاءت رسلهم بالبينات والحجج فلم يعتدوا بها مكابرة وعنادا واقترحوا عليهم غيرها تعنتا ولجاجا قالت رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم للمماثلة في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اثبات للمزية بمحض الامتنان والعناية لا للفضل لهم تقتضي ذلك تواضعا منهم وهضما لانفسهم فلا دلالة فيه على عدم التفاوت بين افراد البشر في الاستعداد والاستحقاق للرسالة وقد يدل قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته على التفاوت فيه ولا ايجاب بجنسه حتى ينافي الاختيار وما كان ما صح لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله الا بتيسيره اي ليس الينا الاتيان بما اقترحتموه انما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون تعميم قصدوا به تخصيص انفسهم على وجه الاولية والاولوية واشعار بان قضية الايمان وجوب التوكل على الله تعالى فامروا المؤمنين كلهم به وارادوا انفسهم وفيه نزول عن حقهم وتواضع وهضم لانفسهم حيث تنزلوا الى مراتب احاد المؤمنين ومبالغة في وجوبه عليهم كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وذلك حق كل مؤمن فكيف بالانبياء الا ترى الى قولهم وما لنا الا نتوكل على الله اي واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين حتى عرفه وعلم ان الامر كله بيده ولنصبرن على ما اذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم على الله تعالى فيما يجري عليهم من ايذاء الكفار وعدم مبالاتهم به على سبيل الاعتراض وعلى الله فليتوكل المتوكلون تكرير الامر بالتوكل للتاكيد ووجوب الثبات عليه بعد استحداثه والفاء السببية في الموضعين لانه مسبب عن الايمان بالتوكل انتهى ابو الكمال •

ولكن الله تعالى يمن بالفضائل والكمالات على من يشاء المن بها وما يشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين لشيء من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امرتهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الا ترى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه • والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون • والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره • انتهى ابو السعود •

ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه • قيل هكذا وقع في جميع القران في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن مظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا • او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد اباؤنا اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس • او ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ط

وقال الذين كفروا لعل هولاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفرة من اولئك الامم الكافرة التي نقلت
مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب وآخرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل وعنادهم الحق بعد ما رأوا البينات الفائتة للحصر حتى
اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا تكاد تحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الحالين
والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي
في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية
لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم
الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم اي من بعد اهلاكهم • وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لايحاء كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف
فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين • او قيامي عليه وحفظي لاعماله • وقيل لفظ المقام مقحم وخاف
وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار • والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا اي استنصروا الله على اعدائهم كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح • او استحكموا وسألوا
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق • فالضمير للرسل وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم •
وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب
اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم
وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون • فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان
دون الحرمان عن المطلوب • او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق • او استفتح الكفار
على الرسل وخابوا ولم يفلحوا • وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر و
العناد لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة • او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم
الوعد وخاب كل عات متمرد • فالخيبة بمعنى الحرمان عقيب الطلب • وفي اسناد الخيبة الى كل منهم
ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد لها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث
اليها في الآخرة • وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا
عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة
صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح • قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار
وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره • وتخصيصه بالذكر من بين عذابها
يدل على انه من اشد انواعه

قوله او لتعودن يعنون الا ان ترجعوا او حتى ترجعوا الى ديننا قوله مقامي اي قيامه
بين يدي كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان • فاضاف قيام العبد الى نفسه كما تقول
ندمت على ضربك اي ضربي اياك قوله واستفتحوا واستنصروا اي الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء
الرسل صادقين فعذبنا نظيره واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
وقيل يعني الرسل وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال
نوح عم رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى عم ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
قوله خاب اي خسر وهلك قوله جبار هو الذي لا يرى فوقه احدا والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه
وهذا الوصف لا يكون الا لله تعالى وقيل الجبار المتجبر الخلق على مراده العنيد المعاند للحق ومجانبه وقيل هو المعرض
عن الحق وقيل المتكبر • وقيل العنيد الذي ابى ان يقول لا اله الا الله قوله من ورائه اي امامه كقوله وكان وراءهم ملك
اي امامهم • وقال الاخفش هو كما تقول هذا الامر من ورائك يريد سيأتيك • وانه من وراء فلان يعني اصل الله
وقيل من وراءه جهنم اي بعده قوله من ماء صديد اي ماء هو صديد وهو ما يسيل من ابدان الكفار من القيح والدم
وقيل ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر من المعالم

وقال الذين كفروا لرسلهم سياقنا لرسلهم ابو عمرو لنخرجنكم من ارضنا من ديارنا او لتعودن في
ملتنا اي ليكونن احد الامرين اخراجكم او عودكم وحلفوا على ذلك • والعود بمعنى الصيرورة وهو
كثير في كلام العرب • او خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد
فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين القول مضمر او اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه ولنسكننكم
الارض من بعدهم اي ارض الظالمين وديارهم • في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ذلك
الاهلاك والاسكان اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب او المقام مقحم
او خاف قيامي عليه بالعلم كقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى ان ذلك حق للمتقين
وخاف وعيد عذابي بالياء يعقوب واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم وهو معطوف على
اوحى اليهم وخاب كل جبار وخسر كل متكبر بطر عنيد مجانب للحق معناه فنصروا فظفروا و
فرحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم • وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل
ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه
من بين يديه جهنم وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد بجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها
او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف ويسقى معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد ما يسيل من جلود اهل النار وصديد عطف بيان لماء لانه
مبهم فبين بقوله صديد انتهى المدارك

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من دياركم
واما عودكم في ملتهم وقد مر في تفسير سورة الاعراف ما تعلق بعاد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل عليهم السلام
لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه فلا حاجة الى اضمار القول • وقرئ ليهلكن ولنسكننكم الارض
اي ارضهم وديارهم بالياء اعتبارا لاوحى كقوله اقسم زيد ليخرجن من بعدهم من بعد اهلاكهم كقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله
داره ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف
مقامي اي موقفي يوقف فيه العباد للحساب يوم القيمة لانه موقف الله تعالى او قيامي عليه وحفظي لاعماله او على اقحام المقام
وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا وطلبوا الفتح واستنصروا الله تعالى
على اعدائهم • او سألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق •
وهو معطوف على اوحى اليهم ربهم وقال لهم استفتحوا • والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد منهم اي من المستفتحين معطوف
على محذوف تقديره ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح • والخيبة اتلاف
ما قدرته من المنفعة • ويقابله النجاح وهو ادراك الطلبة • والعنيد هو المعاند الآن فيه مبالغة • والعناد
الامتناع من الحق مع العلم به • ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من الفريقين كان اوقع
من ورائه جهنم اي من بين يديه وهو واقف عليها • قال الزجاج والوراء ما توارى عنك ولهذا قد يطلق على
الخلف كما في قولهم قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من تدقني فان ما ورائي من لا يتركني ورائي •
وقد يطلق على القدام كما في قول ايرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا وليس من الاضداد
ويسقى معطوف على محذوف تقديره يدخلها ويسقى من ماء التنكير للتنويع اي نوع من الماء غير معهود سقيه قال مجاهد
وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار صديد وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح عطف بيان لماء
فابهمه اولا ثم بينه بصديد وخصه من بين انواع العذاب بالذكر ايذانا بانه اشد عذابها ولشدته قال يتجرعه ولا يكاد
يسيغه الخ
انتهى ابن الكمال

يتجرعه ولا يكاد يسيغه للمبالغة اي يتكلف جرعه ولا يقارب
ان يسيغه فكيف بالاساغة بل يغص به فيطول
عذابه • والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة
وقبول نفس • والتجرع تناوله جرعة جرعة على الاستمرار
ويلزمه التكلف فيه • وما جاء في الحديث بانه يشربه
محمول على ذلك • وقوله يتجرعه صفة الماء • او حال من
الضمير في يسقى ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد
من كل مكان فيحيط به جميع الجهات • ففيه اطلاق
المكان على الجهة تنصيصا على ان المراد اسباب العذاب
الجسماني لا اسباب العذاب الروحاني • وذلك
لان الجهة قد توسع فيها توسعا شايعا بخلاف المكان
وقيل من كل مكان من جسده حتى اصول شعره وابهام رجله
وما هو بميت اي ليس ثمة فانه الحس والشعور حتى
لا يتألم • والتجوز عنه بالميت سايغ في كلام
الفصحاء • وقد حسن ههنا موقعه لما في ظاهره من
الايهام الى ان موجب ما ذكر من مجيء اسباب الموت
من جميع الجهات هو ان يكون ميتا • ومن حمل الميت
على حقيقته فقد نزل الكلام عن منزلته والمناسب
لارادة الحقيقة ايراده بصيغة المضارع كما ورد
في قوله لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه من بين
يديه عذاب غليظ في كل وقت يستقبله اي يتلقى
عذابا اغلظ مما كان قبله • ففيه دفع ما يسبق الى
الوهم من ان يخفف عذابهم بالاعتياد كما هو
عذاب المعهود في عذاب اهل الدنيا مثل الذين
كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم •
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة اعمالهم كرماد جملة
مستانفة لبيان مثلهم • وقيل اعمالهم بدل من المثل
على تقدير مثل اعمالهم والخبر كرماد • ويجوز ان يكون
الخبر هو الجملة كما ذكر في قوله مثل الجنة • اي صفة الذين
كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول اي هذا الكلام اشتدت به الريح اي
حملته واسرعت في الذهاب به • الاشتداد الاسراع
بالحركة على عظم القوة ومنه اشتد به الوجع لانه اسرع اليه
على قوة الم في يوم عاصف العصف شدة الريح وصف به
زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صايم وليله قايم • شبه مكارمهم
من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى واقراء
الضيفان واغاثة الملهوفين والاجارة وامثالها في
حبوطها وكونها هباء منثورا لعدم ابتنائها على اعتقاد
صحيح من المعرفة والتوحيد والايمان بالله تعالى ورسوله عليه السلام
وباليوم الاخر برماد يسفيه الريح العاصف لا يقدرون
مما كسبوا باعمالهم على شيء التنكير للتقليل والتعبير بالشيء للتحقير اي لا يترتب عليه اثر من الثواب وتخفيف
العذاب لحبوطه وهو فذلكة التمثيل ذلك •

يتجرعه يشربه جرعة جرعة ولا يكاد يسيغه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله
لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها
ويأتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت من كل جهة
او من كل مكان من جسده • وهذا تفظيع لما يصيبه
من الآلام اي لو كان ثمة موت لكان واحد منها
مهلكا وما هو بميت لانه لو مات لاستراح و
من ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل
وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ
وعن الفضيل رحمه الله هو قطع الانفاس وحبسها
في الاجساد قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته
فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه
فينفعه الحياة نظيره قوله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى
ومن ورائه امامه عذاب غليظ شديد قيل العذاب الغليظ الخلود
مثل الذين مثل مبتدا محذوف الخبر اي فيما يتلى عليكم
مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة
التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة
على تقدير سوال سائل يقول كيف مثلهم فقيل
اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الرماد [illegible]
في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه
وهو الريح كقولك يوم ماطر • واعمال الكفرة
المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام و
عتق الرقاب وفداء الاسرى وعقر الابل للاضياف
وغير ذلك شبهها في حبوطها لبنائها على غير
اساس وهو الايمان بالله تعالى برماد طيرته الريح
العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم
على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدرون (من)
الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد
اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب
انتهى المدارك •

اي ابو البقاء والبيضاوي

قيل هو صفة لماء • او حال منه • والاظهر انه استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه
اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه
فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة و
العطش واخرى بشربه على تلك الحال • فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس
ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا • وقيل لا يكاد يدخله في جوفه • وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في
الاشربة • وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد
من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات • او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت
اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من
اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله •
ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا • وقيل هو الخلود في النار • وقيل هو حبس الانفاس
وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم
وخيبتهم في ذلك • وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار • مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان
التي كالمثل في الغرابة وهو مبتدا خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب •
او استيناف مبني على سوال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء
الاسارى واغاثة الملهوفين • وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب
بان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح •
وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور لريحها • شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على
غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة • او استيناف
مسوق لبيان اعمالهم للاصنام • او مبتدا خبره محذوف كما هو راي سيبويه اي فيما يتلى عليك مثلهم • وقوله
اعمالهم جملة مستانفة مبنية على سوال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او
اعمالهم للاصنام • وقيل اعمالهم بدل منه مثل الذين وقوله كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال
على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كذاب الرماد المذكور • وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء
ببيان عدم روية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء
لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء
هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب • انتهى ابو السعود •
قوله لا يقدرون مما كسبوا على شيء يقول لا يجدون له ثواب شيء مما عملوا من الخير في الكفر كما لا يوجد من الرماد شيء اذا ذرته الريح كما انه
قوله يتجرعه اي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل جرعة جرعة لمرارته وحرارته ولا يكاد يسيغه يكاد صلة اي
لا يسيغه • وقيل لا يجيزه • وقيل معناه لا يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه
واذا شربه يقطع امعاءه حتى يخرج من دبره ويأتيه الموت من كل مكان يعني يجد هم الموت والمه من كل مكان
من اعضائه قال ابراهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده فقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه
ومن تحته وعن يمينه وعن شماله
وما هو بميت فيستريح معالم

الم تر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به امته • وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى ويذهبكم • والرؤية
رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض بساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلق
بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان تخلق عليه • وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم اي يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستانفا لا علاقة
بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا
النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظ[يمة]
كان على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص بمقدور دون مقدور
ومن شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة •
وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار •
اولانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه • والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته
او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكاب الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة
انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي • وانما كتب بالواو
على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا
كنا لكم تبعا في الدنيا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم • وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب • او مصدر
نعت به مبالغة • او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الا[تباع]
للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما
للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله • والاعراب كما سبق • ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض الغناء بعض الاغناء • ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار

الم تر الم تعلم الخطاب لكل احد ان الله خلق
السموات والارض خالق مضاف حمزة وعلي
بالحق بالحكمة والامر العظيم ولم يخلقها عبثا
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي
هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم
خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم
اعلم بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد
المعدوم وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة • وانما جيء
بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان
ووجد • ونحوه ونادى اصحاب الجنة • ونادى اصحاب
النار وغير ذلك • ومعنى بروزهم لله والله تعالى
لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون
من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان
ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله تعالى عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه
خافية • او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله
تعالى وحكمه فقال الضعفاء في الرأي وهم السفلة
والاتباع • وكتب بواو قبل الهمزة على لفظ من
يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا
وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم انا كنا لكم
تبعا تابعين جمع تابع كخادم وخدم وغائب وغيب
او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا
فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فهل تقدرون
على دفع شيء مما نحن فيه • ومن الاولى للتبيين
والثانية للتبعيض كانه قيل فهل انتم مغنون عنا
بعض الشيء الذي هو بعض عذاب الله تعالى اي بعض
بعض عذاب الله تعالى • ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم
وعتابا على استغوائهم لانهم علموا انهم لا يقدرون
على الاغناء عنهم قالوا لهم مجيبين معتذرين لو هدانا الله لهديناكم
انتهى المدارك

الم تر خطاب لكل واحد من الكفرة على التلوين لقوله تعالى
ان يشأ يذهبكم • او لكل مخاطب على العموم وفيه تعجيب
ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة وما يجب
ويحق ان يكون الامر عليه ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد اي من هو قادر على خلق السموات والارض
فهو قادر على ان يعدمكم ويخلق مكانكم خلقا آخر ولم يتوقف
الا على مشيئته فان القدرة على خلق الاصول وما يتوقف
عليه خلقهم ثم تغيير الطبايع وتكوينهم منها وتصويرهم
دليل قاطع على ان اعدامهم وانشاء خلق آخر غير ممتنع
ولذلك عقبه بقوله وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر
او متعسر بل هو هين عليه يسير لانه قادر لذاته
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور • ومن هذا شأنه
كان حقيقا بان يتقى ويخاف ويرجى ولا يعبد الا هو
وحده وبرزوا لله جميعا اي يبرزون له تعالى يوم القيمة
من قبورهم لحساب الله تعالى وحكمه • او يظهرون لله تعالى
باعمالهم وما كسبوا على خلاف ما حسبوا لانهم كانوا
يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ظنا
منهم ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشف
غطاؤهم وعلموا ان لا يخفى على الله منهم شيء في الارض ولا
في السماء ولا يتوارى عنه متوار حتى ذرات الهباء •
فذلك بروزهم عند انفسهم بعدما اعتقدوا خلافه
كقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد •
لانهم كانوا خافين عليه فبرزوا في ذلك اليوم
اذ لا يخفى عليه خافية وقتا ما • وانما اتى بيبرزون
في صيغة برزوا لتحقق وقوعه كانه قد وقع واخبر عنه
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف قيل يريد به
ضعاف الرأي والعوام • وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو
للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم و
استغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم • وهو جمع تابع كخدم وخادم • او مصدر
نعت به للمبالغة • او اضمار المضاف في مثل هذا الا[سلوب]
البلاغة والظاهر ان هذه المحاورة كمحاورة آل فرعون
المذكورة في قوله تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء
للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الخ في النار لا في المحشر فترتب
قوله فقال على المحذوف لا على المذكور فهل انتم مغنون
عنا استفهام معناه توبيخهم اياهم وتقريعهم وقد علموا
انهم لن يغنوا شيئا من عذاب الله من شيء من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع
المفعول به اي بعض شيء هو عذاب الله اي كائنا
عذاب الله • او كلاهما للتبعيض اي بعض شيء
هو بعض عذاب وتقديره بعض شيء كائنا
بعض عذاب الله فيكون الاعراب بحاله او الاو[لى]
مفعول والثانية مصدر اي بعض الغناء
بعض الاغناء • قالوا لو هدانا الله لهديناكم
انتهى ابن الكمال

قالوا اي المستكبرون لما بكتهم اتباعهم لما ذكر وعلموا انهم لا يقدرون على شيء من الاغناء عنهم اجابوهم معتذرين اليهم عما كان منهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا به لهديناكم ولكن ضللنا فاضللنا اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا • او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا سبل الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان عندنا الجزع والصبر • والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم • ولما كان عتاب الاتباع جزعا عما هم فيه قالوا لهم ما هذا الجزع انا مشتركون في العذاب كما كنا مشتركين في الضلالة ولا ينفعنا الجزع كما لا ينفعنا الصبر والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال الشاعر • فان تصبرا فالصبر خير مغبة • وان تجزعا فالامر ما تريان ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب • من الحيص وهو العدول على جهة الفرار اما اسم مكان كالمبيت والمصيف • او مصدر كالمغيب والمشيب وقال الشيطان خطيبا في الاشقياء من الثقلين لما قضي الامر قطع وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ان الله وعدكم وعد الحق وعدا حقا لا خلف فيه فوفى وانجزه وهو البعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلاف ما وعده اخلافا حذف من الجملة الاولى ما اثبت مقابله في الاولى وهذا من لطائف الايجاز التي بها يرتقي الكلام الى ذروة الاعجاز وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتسويلي • وهذا الاستثناء على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع • لان الدعاء ليس من جنس السلطان • بل المراد نفي السلطان على اكد الوجوه كانه قال ان كان مجرد الدعاء سلطانا كان لي عليكم سلطان فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي واضلالي • وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم انتهى •

قوله قضي الامر اي ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيقول ابليس لاهل النار في النار ان الله وعدكم وعد الحق ان الجنة والنار والبعث والحساب والميزان والصراط حق ووعدتكم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ولا ميزان ولا صراط فاخلفتكم كذبت لكم وما كان لي عليكم من سلطان من حجة وغدرة ومقدرة الا ان دعوتكم الى طاعتي فاستجبتم لي طاعتي فلا تلوموني في دعوتي لكم ولوموا انفسكم

المعتذرين — اي لبعضهم

قالوا لهم مجيبين لو هدانا الله لهديناكم اي لو هدانا الله الى الايمان في الدنيا لهديناكم اليه • او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنيناكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة • سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر • والهمزة وام للتسوية • وروي انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر • ثم يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا • واتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا • ويجوز ان يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا وقال الشيطان لما قضي الامر حكم بالجنة والنار لاهلهما وفرغ من الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول يا اهل النار ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسليط واقتدار الا ان دعوتكم لكني دعوتكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني والاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني لان من تجرد للعداوة لا يلام اذ دعا الى امر قبيح مع ان الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ولوموا انفسكم باجابتكم اياي انتهى المدارك — كرماني

قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا واضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا • او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء • والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم • وانما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم • ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه • ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك • ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب • من حاص الحمار اذا عدل بالفرار • وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف • او مصدر كالمغيب والمشيب • وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب • او حال مؤكدة • او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه • او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته • جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه واني له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان من الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء • وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم انتهى ابو السعود افندي •

قال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين انكم ماكثون فلما ايسوا مما قبله قال بعضهم لبعض انه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلموا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الدنيا على طاعة الله تعالى فنفعهم فاجمعوا على الصبر فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فقام عند ذلك ابليس فخطبهم قال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون فنادوا الثانية فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فرد عليهم ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها الايات فنادوا الثالثة ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فرد عليهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ثم نادوا الرابعة ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فرد عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قال فمكث ما شاء الله ثم ناداهم الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الان يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك الرجاء منهم فاقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجوه بعض واطبقت عليهم معالم التنزيل

فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن على طريقة القسر والالجاء كما تدل عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزييني وتسويلي ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختار وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي بالله سبحانه يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحان من سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله تعالى وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله اني كفرت بما اشركتمون اي كفرت بجعلكم اياي شريكا في عبادته وتبرأت عن ذلك معناه قوله اني كفرت بما اشركتموني بالذي اشركتمونيه من قبل من قبل ان اشركتموني به ويقال اني كفرت اليوم بما اشركتموني يقول تبرأت منكم ومن دينكم واجابتكم من قبل من قبل هذا الزمان في الدنيا من تفسير الامام الكرماني

صاحب الكشاف

انتهى الحكم

ولوموا انفسكم حيث اتبعتموني بلا حجة وبرهان وقول المعتزلة هذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين باطل لقوله تعالى لو هدانا الله الى الايمان لهديناكم كما مر ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء اتباعا للخاء غير نضيج الياء لئلا يجتمع الكسرة والياء ان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الاولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم اني كفرت بما اشركتمون وبالياء بصري وما مصدرية من قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي مع الله من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم او من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى تقول اشركني فلان اي جعلني له شريكا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وهذا اخر قول الشيطان وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام ابليس وانما حكى الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون تلطفا للسامعين وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار عطف على برزوا باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره

ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بمجرد دعائي بلا حجة ودليل فاطعتموني ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم على حجج وبينات ثم لم يرد انه لا يستحق الملامة بل يقول لومكم انفسكم اولى بكم اذ انتم اهلكتم انفسكم باجابتكم لي طوعا ولا دلالة فيه على استقلال العبد في افعاله اذ يكفي في استحقاقه الملامة ان يكون لقدرته الكاسبة مدخل فيه ومن قال وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله تعالى الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فقد خلط في كلامه وخبط في تمشية مرامه فان ما ذكره اولا ساعده فيه اهل الحق وما ذكره ثانيا وهو مذهبه الباطل لا يساعده الشيطان ايضا وقد نبهت فيما سبق على انه لا دلالة في كلامه عليه وما ذكره اخيرا انما يتجه على الجبرية لا على اهل الحق القائلين لا جبر ولا تفويض بل امر بين ذلك ما انا بمصرخكم بمغيثكم مني وما انتم بمصرخي بمغيثي منه وقرئ بكسر الياء وقد طعن فيه ولا ينبغي ان يلتفت اليه لانها قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم الخلف وقد نص قطرب على انها لغة بني يربوع اني كفرت بما اشركتموني من قبل ما مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي بالله من قبل هذا اليوم في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة ومن قبل متعلق بكفرت وما هذه كالتي في قوله سبحان ما سخركن لنا اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين ابيت السجود لادم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية قول ابليس في ذلك الوقت ايقاظ للسامعين وتنبيه لهم على ما سيؤول اليه امرهم ليتحرزوا اليوم عن مكايده ويتعوذوا اليه تعالى من تسويلاته ويخلصوا فيتخلصوا عن تسليط وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله تعالى وامره او بخالدين وهذا متعين على قراءة وادخل على التكلم وقدم ما يتعلق بخالدين تحيتهم فيها سلام اي تحية بعضهم بعضا قال الله تعالى تحيتهم يوم يلقونه يعني في الجنة سلام واما تحية الملائكة فلا يناسبها التقييد بقوله فيها لوقوعها

اي كرامتهم كرماني

ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له أدنى ادراك
اي ألم تنظر إلى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا لها • او بدلوا نفس النعمة
فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الآمن
الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها • وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر • واما بنو امية فمتعوا الى حين
كأنهما يتأولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريق
الشرك والضلال • وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم
القيامة فأوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام
ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها • او استيناف
لبيان كيفية الحلول • او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك
بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف
المخصوص بالذم اي بئس القرار جهنم او بئس القرار قرارهم فيها • وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه
الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب
اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها
في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد
ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال • ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم الكريم ان يذكر كفرانهم
نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية
التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار و
اتخاذ الانداد للاضلال امر يقتضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب
من مجموع الهنات الثلث كما في قصة البقرة • وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا
حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق
الاستعارة التبعية قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق
وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احقاء بان يعرض عنهم صفحا ويعطف عنهم
عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان وتسا
الى بيان عاقبة الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام و
استتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من مقاطعي ما يوجب
ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال لرخصها يلوح به قوله سبحانه واحلوا
قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للامر المأمور • وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف
او قل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه
منقادون لامره كذاب مأمور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ
تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار
وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة اليه تشريفا لهم وتنبيها
على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها • وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين
حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا
يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك • وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم
وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره • وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما
وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا • لدلالة قل عليه

وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر
لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب
والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو
صنع الكفرة من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه • والمقصود نفي
عقد المعاوضة بالمرة • وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم
انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع
خليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه • او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمتاع لما تجر ابتعاطيه من البيع والمخالة
ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه • والظاهر ان من متعلقة بانفقوا
وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به
التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي
الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك
انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة حيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت
وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به • ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون
الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها • وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار
خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال • انتهى ابو السعود افندي •

من كلام شيخ مشايخنا الكامل العنبري قدس الله سره

قوله بدلوا نعمة الله كفرا اي وضعوا الكفران محل الشكر كفروا بدلا مما كان ينبغي ان يشكروا واستعمال النعمة في المعصية من جملة
الاعضاء العبد كلها نعم من الله تعالى عليه فاذا استعمل العاصي بدنه في الذلة بدل ما كان الواجب استعماله في الطاعة فقد بدل نعمة كفرا
وكذا اذا اودع الغفلة قلبه مكان المعرفة والانغلاق وقسوة مكان الانقطاع اليه تعالى وعلى قلبه بالاغيار بدل التعوية وبسط لسانه
بذكر المخلوقين ومدحهم بدل ذكر الله واستغل بغير ذكر الله تعالى علاقته دون الفناء في ذكره تعالى كل هذا تبديل نعم الله تعالى كفرا فاذا كان العبد
منقطعا الى الله مكتفيا من قبل الله تعالى بفتوح له من عنده تعالى وصرف عمره مع الله راحة ومن الخلق شكوه يعم شدة
ومن اقباله سبحانه عليه كفايه ثم رجع الى اسباب التفرقة ووقع في بحار الاشتغال ومعاملة الخلق ومدحهم وذمهم فقد كفر

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى ان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا وهم اهل مكة اكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر واحلوا قومهم الذين تابعوهم على الكفر دار البوار دار الهلاك جهنم عطف بيان يصلونها يدخلونها وبئس القرار وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا امثالا في العبادة او في التسمية ليضلوا عن سبيله وبفتح الياء مكي وابو عمرو قل تمتعوا في الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع ان يقضي العبد ما استطاع من شهوته فان مصيركم الى النار مرجعكم اليها قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تشريفا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم المقول محذوف لان قل يقتضي مقولا وهو اقيموا وتقديره قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا • يقيموا الصلوة وينفقوا • وقيل انه امر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز سرا وعلانية انتصبا على الحال اى ذوي سر وعلانية يعني مسرين ومعلنين • او على الظرف اى وقتي سر وعلانية • او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء التطوع واعلان الواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة • وانما ينتفع فيه بالانفاق فيه لوجه الله تعالى بفتحهما مكي وبصري الباقون بالرفع والتنوين

انتهى المدارك

الم تر الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اى شكر نعمة الله كفرا بان وضعوه مكانه • او بدلوا نفس نعمة الله تعالى كفرا فانهم لما كفروها وسلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر واحلوا قومهم الذين تابعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار المخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس القرار هي اي جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد • وقرئ ليضلوا بفتح الياء جعل الضلال او الاضلال غرضهم من اتخاذ الانداد على سبيل التشبيه والتقريب لانه لازمه ونتيجته كالاكرام الذي هو نتيجة المجئ في قولك جئتك لتكرمني فادخل عليه اللام وان لم يكن غرضا في الحقيقة قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفيه تهديد بليغ جعل انهماكهم في الشهوات وتهالكهم على الشرك واللذات كامتثال مامور مطيع لامر آمر مطاع لا يسعه ان يخالفه ولا يملك لنفسه امرا دونه لانغماسهم في التمتع بها وانجذابهم اليها بحيث لا يعرفون غيره ولا يريدون سواه ولا يرفعون راسا الى ما عداه فقيل تمتعوا على لفظ الامر وفي قوله فان مصيركم الى النار ايذان بان المهدد به كالمطلوب لهم حتى جعل المتهدد عليه المستلزم له كالمطلوب منهم لجدهم فيه فكانه قيل جدوا ولا تقصروا فيه فانكم ان دمتم عليه فان مطلوبكم حاصل فلا يخفى ما فيه من التهكم مع شدة الوعيد قل لعبادي الذين امنوا تخصيصهم بالاضافة الى نفسه تنويه لهم وتنبيه على انهم القائمون بحقوق العبودية ولهذا رتب اقامتهم الصلوة وانفاقهم على الامر جوابا بان فعلهم لا ينفك عن امره لفرط مطاوعتهم له وتحقق عبوديتهم لله تعالى وانه كالسبب الموجب لفعلهم ومفعول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادي اقيموا الصلوة وانفقوا وقيل المقول يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا وانما جاز حذف لام الامر لدلالة الامر عليه

سرا وعلانية

قوله دار البوار على معنى ايقاع نفسه وجوارحه في المذلة من الخلق والمغفرة من الحال وشانه كما قيل شعر ولم ار مثلي من يفارق جنة ويقرع بالتطفيل باب جهنم قوله بئس القرار وهي الجحيم المعجلة عن الحرقة لا الحرقة وقيل الشكر هو ان لا تستعين بنعمه على معاصيه ومن امارة الشكر الزيادة في النعمة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولهذا قيل الشكر قرع باب الاستزادة من النعمة وان كرمن لي الشكر والشكر عند اهل الحقيقة الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع والله سبحانه وتعالى سمى نفسه شكورا فسمى جزاء الشكر شكرا وحقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه فالله شكور يعني انه كثير الثناء على عبده بذكر افعال الحسنة وطاعته له وقيل الشكور في وصفه تعالى بمعنى انه يعطي الثواب الكثير على اليسير من الطاعة حكي ان رجلا راى في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال اقامني بين يديه وقال لم خفتني كل ذلك الخوف اما علمت اني كريم • ومن ادب من عرف انه شكور ان يجده في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على اقسام شكر بالبدن وهو ان لا تستعمل جوارحك في غيره وشكر بالقلب وهو ان لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو ان لا تستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو ان لا تنفقه في غير رضائه ومحبته انتهى كلام القشيري

سرا وعلانية على الحال اى ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين • او نصب على الظرف اى وقتي سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وعلانية • والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به والاعلان بالواجب من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ومخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرئ بالفتح فيهما على النفي العام

ابن الكمال رحمه الله

الله الذي خلق السموات والارض مبتدا • وخبر انزل من السماء ماء فاخرج به اي بالماء • والفاء لتسبب الاخراج بالانزال من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشتمل المطعوم والملبوس • مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه او بالعكس • ويجوز ان يكون رزقا نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق او على المفعول له وسخر لكم الفلك في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار جعلها معدة لانتفاعكم وتفرقكم • وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وقوله بامره متعلق بالمعطوفين لمن في قوله تعالى لم تكن آمنت من قبل او كسبت وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرها وانارتهما واصلاح ما يصلحان من المكونات وسخر الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم • ذكر انواع النعم وابرز كل منها في جملة مستقلة تنويها لشأنها وتنبيها على عظم مكانها واتاكم من كل ما سألتموه من كل شيء سألتموه بلسان الحال والاحتياج ليتصلح به معاشكم ومعادكم على ان من لابتداء الغاية • ويجوز ان يكون السؤال على ظاهره على ان عبارة كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما في قوله تعالى وفتحنا عليهم ابواب كل شيء • وحمل من على التبعيض يقضي اخلاء لفظ الكل عن فائدة زائدة لان ما نقص في العموم بل يوهم ايتاء البعض من كل فرد يتعلق به السؤال ولا وجه له ومن قال في تفسيره يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعضها قدره الله تعالى فقد اتى في تعليله بما لا يناسب المعلل لان الكلام في ان المحصول بعض المسؤول فكونه بعض المقدور لا يجدي نفعا في بيانه • وقرئ من كل بالتنوين وما في محل النصب بالمفعولية او نافية ومحل ما سألتموه نصب على الحال اي اتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تستوفوا بعدها كما قال من احصاها دخل الجنة يعني انها غير قابلة للاحصاء لعدم تناهيها فان نعمة النفع وان كانت افرادها متناهية لدخولها تحت الوجود وكذا نعمة الرفع اي رفع الضر ما كان او يكون دنيا وتكن نعمة للرفع غير متناهية ان

الله مبتدأ • الذي خلق السموات والارض خبره وانزل من السماء ماء من السحاب مطرا فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات • او من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حال من المفعول وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائمين وهو حال من الشمس والقمر اي يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلم واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتيكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي اتيكم بعض جميع ما سألتموه ولم تسألوه • فما موصوفة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لان الباقي يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر • من كل عن الى عمرو • وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه او ما موصولة اي اتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها او ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان فيه

الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكره او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان باستعمالها لا فيما ينبغي ولا فيما يبتغى به وجه الله تعالى كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ا

او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء • وقيل الاصل واتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي • وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية • واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها • ففيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس محفوفا باصناف العطايا • متحليا بانواع الرزايا • فهو بحيث لو تاملته الفيته متقلبا في نعم لا تحد • ومنن لا تحصى ولا تعد • كانه اعطي كل ساعة وآن • من النعماء ما حواه حيطة الامكان • وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم • ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة • وخضعت لهيبته العتاة • وفاز بكل مرام ونال كل منال • وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال • من غير ند يزاحمه • ولا شريك يساهمه • بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر • يواقيت غالية ونفائس درر • ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم • في حالة بلغت نفسه الحلقوم • فهل يشتري وهو في تلك الحال • بجميع ماله من الملك والمال • لقمة تنجيه عن رداه • او شربة من ظماه • ام يختار الهلاك فيذهب الاحوال والاملاك • بغير بدل يبقى عليه • ولا نفع يعود اليه • كلا بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليد آن كان ما كان • وليس في صفقته شائبة الخسران • فاذن تلك اللقمة والشربة • خير مما في الدنيا بالف رتبة • مع انهما في طرف الثمام • ينالهما متى شاء من الليالي والايام • او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما دلج • والحين قد حان • واتاه الموت من كل مكان • اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد • بلى يعطيه وهو لرايه حامد • فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها • وملك لها برمتها • مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالي والايام • حال اليقظة والمنام • هذا من الظهور والجلاء • بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء • وان رمت العثور على حقيقة الحق • والوقوف على كل ما جل من السر ودق • فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة • والملكات الرائقة • بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار • ولا اطمانت به الدار • الا في مطمورة العدم والبوار • ومهاوي الهلاك والدمار • لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس • تعالى شانه وتقدس • في كل زمان يمضي • وكل آن يمر وينقضي • من انواع الفيوض المتعلقة بذاته • ووجوده وسائر صفاته • الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير • ولا يعلمه الا العليم الخبير • وتوضيحه انه لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء

الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات •
لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا للنعمة • شرع في تفصيل ما يستوجب
على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها
وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي • وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل
والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج
الثمرات وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من
السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء • او من الفلك فان المطر منه يبتدئ الى السحاب ومنه
الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص • او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا • وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه هو المطر • وتقديم
الجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان
من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة للحصر
اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موقع بعض • واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك
ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس • مفعول
لاخرج • ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا • ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه
او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق • او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من
السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا • وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل
وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب
اذ اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على
ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من
طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك في ابداعها
دفعة • ولكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق • ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قيل
رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا
لارادتكم بامره بمشيئته التي نيط بها كل شيء • وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال
واستعمال الالات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام
كما يومي اليه ذكرها عند البحر • فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون
بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك • وان اريد نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر
دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها • ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائقة
عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها لشأنها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها
نعمة جليلة مستوجبة للشكر • وفي التعبير عن التصرف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل
والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان
وشدة المحال ما لا يخفى • وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه
وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها
الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار • او للتفادي عن توهم
كون الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة واتاكم من
كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله
سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد • او اتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به
انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه • او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد ٥٥

بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من صح

٥ وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه
الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان
الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي • وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور
العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما
الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاءها على العدم مع امكان
وجودها في انفسها في كل آن من انات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء • وكذا الحال في وجودات
علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء • وكذا في كمالاته التابعة لوجوده • فاتضح انه يفيض عليه
كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون
بانظارها • ولا تطالعك العقول بافكارها • شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى • ونحن في
معرفتك حائرون • وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون • نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق
لاداء حقوق نعمتك • لا نحصي ثناء عليك • لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان
لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها غير موضعها • او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران
وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع • واللام في الانسان للجنس • ومصداق
الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده • ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا دخولا اوليا

انتهى ابو السعود
افندي رحمه الله

ومن ذلك قيل للانهار العظام اودية لان ما فاتها كالجبال لها • والزرع كل نبات يتفرش من غير ساق
عند بيتك المحرم هو الكعبة شرفها الله تعالى • والاضافة اليه تعالى للتشريف • وتوصيفه بالمحرم لانه تعالى حرم التعرض له
والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه قوله بواد غير ذي زرع اخبار عن حرف توكل وصدق تفويضه وذكر
عند بيتك بيان انه راى الرفق في الجوار لا في المكان ربنا ليقيموا الصلوة اللام بمعنى كي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم • وقيل هي لام الامر والمراد
هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه لما اسكنهم هناك طلب منهم اقامة الصلوة وسال الله تعالى ان توفقهم
لها • وتكرير النداء وتوسيط الاشعار بانه المقصود بالذات من اسكانهم ثمه • والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها فاجعل افئدة ذوي افئدة من الناس من للتبعيض قيل لو لم يقل من لازدحموا عليه فارس
والروم والترك والهند • او للابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي قلبي • وقرئ آفدة وهي
اما مقلوب افئدة كادر في ادور واما اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون
نحوهم • وقرئ افدة اما تانيث افد بوزن خشن واما تخفيف افدة بطرح الهمزة وان كان الوجه
اخراجها بين بين تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا • واصل الهوى ان يكون من علو ويلزمه السرعة
وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب
ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم في واد لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وتجلب اليه من كل ناحية حتى يجتمع
فيه البواكير والفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد انتهى ابن كمال

واذ قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج
التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم
الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة
الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وساله ان يجعله بلدا امنا ويرزقهم من
الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما
امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا
لله اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى سبحانه امنا اي ذا امن او امنا
اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة • والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا
امنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل
وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين
فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية اليه • ثم كرر السؤال
كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال • او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد
وقد اجيب اليه • وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال
الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي • او لان المعتاد في البلدية
الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر
ان المسؤول كلا الامرين • وقد حكي اولا اي في سورة البقرة واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد
ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل
بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هوي قلوب الناس اليهم
للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قال
عليه السلام بمكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل
وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع

وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا
استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية • وانما فصل ما بينهما تنبيها للامتنان
وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منها في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام •
وقرئ اجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره • واما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره • وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى • والظاهر ان المراد
بنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عم
لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه
الدوار • فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت • وليت شعري كيف ذهب
عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه
رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا
وهو تعليل لدعائه • وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم
في ما ادعوا اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان
اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم يتبعني • والتعبير عنه
بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه
لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته • وفيه
ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا
انه عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله انهن او بل لان الدعاء
المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض
لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من
ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام ومن سيولد له فان اسكانه حيث كان متضمن
لاسكانهم • روي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام
فلما ولدت له اسمعيل عليه السلام غارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض
مكة شرفها الله سبحانه فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي
مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد
او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مبادئه بالمرة لمحض التقرب الى الله
تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان المحرمية المؤذن بعزة الملتجأ
وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة في كل عصر او منع منه الطوفان فلم يستول عليه فلذلك سمي عتيقا • وتسميته اذ ذاك
بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال
ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان المحرمية ايضا كذلك
بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية
عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو
متعلق باسكنت • وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها • وتكرير النداء وتوسيطه
للاشعار بكمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك
المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي
لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من
افئدتهم • من للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم

6

وإذ قال إبراهيم واذكر إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد أي البلد الحرام آمنا ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها • وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وبعدني أي ثبتني وأدمني على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أي ثبتنا على الإسلام وبني أراد بنيه من صلبه أن نعبد الأصنام من أن نعبد رب إنهن أضللن كثيرا من الناس جعلن مضلات على طريق التسبيب لكن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللتهم فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فإنه مني أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني أي فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم أو ومن عصاني عصيانا هو شرك فإنك غفور رحيم إن تاب وآمن ربنا إني أسكنت من ذريتي بعض أولادي وهو إسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط عند بيتك المحرم هو بيت الله سمي به لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه • أو لأنه لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار • أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها • أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لأنه عتق منه ربنا ليقيموا الصلوة اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع الخالي من كل شيء إلا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك • فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم أفئدة من أفئدة الناس • ومن للتبعيض لما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم والهند والترك • أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم

تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس • ونكر المضاف إليه في التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات في واد ليس فيه شجر ولا ماء انتهى مدارك النسفي

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا بلدة مكة ذا أمن لمن فيها • والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا أنه سأل ثمة أن يجعله من جملة البلاد الآمن أهلها وههنا أن يزيل الخوف عنه ويصيره ذا أمن وذلك لأن محط الفائدة المفعول الثاني الكائن بمنزلة الخبر واجنبني وبني بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ وأجنبني وهما على لغة نجد • وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شدده رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فلذلك سألتك أن تعصمني وبني • وإسناد الإضلال إلى الأصنام مجازي لأنهن السبب في ضلالهم كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا • ولما توجه أن يقال اختصص طلب العصمة عن الضلال بأبنائك تدارك دفع السؤال بقوله فمن تبعني في السلوك في الصراط المستقيم والتمسك بالدين القويم فهو مني أي بمنزلة بعضي فيشمله طلبي للعصمة فكأنه قال ولا أخصص طلب العصمة بهم فإن من تبعني فهو في حكمهم بحكم أن النبي أبو أمته فالفاء التعليلية للعطف على محذوف يقتضيه المقام ويستدعي تقديره انتظام الكلام فانظر إلى حسن نظم هذا المقال ولطف طلب الإمهال لسائر الأتباع وعامة الآل بقوله ومن عصاني فيه طباق معنوي لأن التبعية طاعة فإنك غفور تستر عليه ذنبه رحيم تمهله فلا تعاجله بالعذاب • وهذا على وفق ما أخبر به تعالى بقوله وإنك لذو مغفرة للناس على ظلمهم فلا دلالة فيه على أن الله تعالى أن يغفر الشرك كما زعمه من قال في تفسيره تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة • وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك إلا أن الوعد فرق بينه وبين غيره ثم إنه لم يدر أنه بالترديد المذكور قد هدم مبنى تلك الدلالة ربنا كرر النداء رغبة في الإجابة وإظهارا للتذلل • ولم يأت بضمير الجماعة لأنه تقدم ذكره وذكر بنيه إني أسكنت من ذريتي بعض أولادي وهو إسمعيل عليه السلام وأولاده فإن إسكانه متضمن لإسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة شرفها الله تعالى لأنها حجرية لا تنبت والوادي سفح الجبل ۞

وأما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام إذ المسؤول توجيه القلوب إليهم للمساكنة معهم لا توجيهها إلى البيت للحج وإلا لقيل تهوي إليه فإنه عين الدعاء بالبلد قد حكي بعبارة أخرى كأمر • أو للابتداء الغاية القلب مني سقيم أي أفئدة ناس • وقرئ آفدة على القلب كآدرة في أدؤر • أو على أنه اسم فاعل من أفدت الرحلة أي عجلت أي جماعة من الناس • وأفدة بطرح الهمزة من الأفئدة • أو على النعت من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم شوقا وودادا • وقرئ على البناء للمفعول من أهواه غيره وتهوى من باب علم أي تحب • وتعديته بإلى لتضمنه معنى الشوق والنزوع وأول آثار هذه الدعوة ما روي أنه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على الجبل فقالوا إن هذا الطائر لعائف على الماء فأشرفوا فإذا هم بهاجر فقالوا لها إن شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم وكانوا معها إلى أن شب إسمعيل عليه السلام وماتت هاجر فتزوج إسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم أي ذريتي الذين أسكنتهم هناك أو مع من ينحاز إليهم من الناس • وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله تعالى وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر اكتفاء بذكر إقامة الصلوة من الثمرات من أنواعها بأن يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبى إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد • روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم • وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة بإقامة الصلوة وأداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الأمر والمراد أمرهم بإقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ • وفي دعائه عليه السلام من مراعاة حسن الأدب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فإنه عليه السلام بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم إلى المسؤول وبذكر كون إسكانهم عند البيت المحرم أشار إلى أن جوار الكريم يستوجب إفاضة النعيم • وبعرض كون ذلك الإسكان مع كمال إعواز مرافق المعاش لمحض إقامة الصلوة وأداء حقوق البيت مهد جميع مبادي إجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول انتهى أبو السعود

ربنا اغفر لي ولوالدي اي آدم وحوا • او قاله قبل النهي واليأس عن ايمان ابويه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا مثل واسئل القرية انتهى المدارك

ربنا كرره تضرعا والتجاء الى الله واظهارا للافتقار اليه واستلذاذا وذوقا من مناجاته انك تعلم ما نخفي وما نعلن قدم ما نخفي على ما نعلن تفاديا عن اسلوب الترقي لان مبناه على التفاوت في علمها وهو منتف في حق الخالق اي تعلم السر كما تعلم العلن لا تفاوت بينهما في علمك فانت اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا فلا حاجة بنا الى السؤال ولكنا ندعوك اظهارا للعبودية والتذلل والتخشع لك واستعجالا لا لامرك وافتقارا اليك والى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء. وما يخفى على الله من شيء الظاهر انه من كلام ابرهيم عليه السلام على طريقة الالتفات تأكيدا لقوله وتنبيها له بالبرهان وتعظيما لله تعالى باظهار اسمه وتقدير الكلام كانه قال وكيف لا تعلم وانت الله والله هو العالم بالغيب كله لا يخفى عليه خافية • ومن للاستغراق وان جعل من كلام الله تعالى كان تصديقا منه لابرهيم عليه السلام على طريقة الاعتراض بين حكاية قوله كقوله تعالى وكذلك يفعلون في الارض ولا في السماء عبر عن العالم بقطريه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير يعني كانت الهبة في حال الشيخوخة وبعد استمرار على كبر فلدلالته على ان هبة الولد له لم تكن في ابتداء دخوله في سن الشيخوخة بل كانت بعدما استمر برهة من الزمان عليها • اي بلغنا على روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة • وتقييد الهبة بحال الكبر استعظام للنعمة واظهار للقدرة وشكر لما هو فيه من المنة فان الظفر بالحاجة عند وقوع اليأس اعظم واجلى ولانها كانت اية بينة له عليه السلام اسمعيل واسحق كان اسمعيل عليه السلام في ذكره اكبر من اسحق عليه السلام فلهذا قدمه عليه ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله • ومنه سمع الله لمن حمده • كان عليه السلام قد دعا ربه وسأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين فهو من تتمة الشكر على موهبة الولد • ورأى المنة عليه في قبول دعائه السابق • فموقع قوله الحمد لله وتذييله موقع الاعتراض تأكيدا لما قدمه من الطلب بتذكير ما عهد

ربنا النداء المكرر دليل على التضرع والالتجاء الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله تصديقا لابراهيم عليه السلام • او من كلام ابراهيم ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى على الله شيء ما الحمد لله الذي وهب لي على الكبر على بمعنى مع وهو في موضع الحال اي وهب لي وانا كبير اسمعيل واسحق روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة • وروي انه ولد اسمعيل لاربع وستين • واسحق لتسعين • وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم لانها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم • ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابراهيم ان ربي لسميع عليم لمجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان اذا تلقاه بالاجابة والقبول • ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين • فشكر الله ما اكرمه به من اجابته • واضافة السميع الى الدعاء اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء • وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم اباه رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني • وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار • عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يزال من ولد ابراهيم ناس على الفطرة الى ان تقوم الساعة ربنا وتقبل دعائي بالياء في الوصل والوقف مكي • وافقه ابو عمرو وحمزة في الوصل الباقون بلا ياء اي استجب دعائي او عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله

من الاجابة يتوسل اليه تعالى بسابق نعمته في شانه • والسميع من ابنية المبالغة مضاف الى مفعوله معملا عمل فعله كقولهم هذا ضراب اخاه • ويجوز ان يكون من اضافة الصفة الى فاعلها على ان يجعل دعاء الله سميعا مجازا عقليا والمراد سماع الله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني اي بعض ذريتي • والتبعيض لانه عليه السلام علم باعلام الله تعالى اياه ان في ذريته كفارا وذلك قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين ربنا تكرير للنادي فلا يمنع عطف قوله وتقبل دعائي واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي ولابوي • وقد تقدم عذر استغفاره لابويه • وقرئ ولولدي يعني اسمعيل واسحق عليهما السلام وللمؤمنين دعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين وتدخل فيه هذه الامة فهو قد دعا لنا ونحن ندعو له في الصلوة باثر الدعاء اجابة لدعائه واجعل لي لسان صدق في الاخرين يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او مسند الى الحساب اسنادا مجازيا وهو على الاصل لا على حذف المضاف فانه حينئذ يكون الاسناد حقيقيا والكلام نازلا عن منزلته الاول او يتقدم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا فقد خلط بين الاسنادين وخبط انتهى

ابو السعود

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها • والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا
اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره • فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه • وتقديم ما نخفي
على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن • او لان مرتبة السر
والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي • فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم
من تعلقه بحالته الثانية • ومقصده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو في ضميرها وتمامها ليس لكونه
غير معلومة لك انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك
والاستعجال لنيل اياديك • وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال • وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى
بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت • وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في
الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده
في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه • وانما قال وما يخفى على الله دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه
بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك
بالنسبة الى علوم المخلوقات • وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون
ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما • او بيخفى • وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما
باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا • والالتفات من الخطاب الى الاسم الذات
المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير • والايذان
بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء • فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل
وقيل هو من كلام الله تعالى وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون • ومن للاستغراق
على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد • قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها
اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة • وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشر سنة
او مائة وسبع عشرة سنة ١١٢ ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به • وهي من
ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اذا اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا • وهو مع كونه
من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة •
وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول
الدعوة • وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم
رب اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها • وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي
اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدى في ذلك • وذريته اتباع له وان
ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت اي فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه
انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته • وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله
ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء
اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر
ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي • وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام • وقيل
اراد بوالديه آدم وحواء • وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابراهيم الاية • وقد مر في سورة التوبة نوع
تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل
في الدعاء بالمغفرة • جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل •
استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق • والمراد تهويله • وقيل اسند اليه
قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية • واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار
وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي عنه تباعا للدلالة
على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتفرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية انتهى ابو السعود
رحمه الله تعالى

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظايره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه • او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو • والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان عنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة • وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد • ووعيد للكفرة وساير الظالمين شديد • او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله • وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا او قطميرا • والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المنبي عنه قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار • او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **انما يؤخرهم** يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد • وهو استيناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ • او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا • او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة • وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم • وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر • وللايذان بان المؤخر من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك **ليوم** هائل **تشخص فيه الابصار** اي ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من هول ما يرونه • واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في حرم العين واما بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع • او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي قيل **مقنعي رؤسهم** اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله القتيبي وابن عرفة • او ناكسيها • ويقال اقنع رأسه اي طأطأه ونكسه فهو من الاضداد • وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها • او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول • واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية **لا يرتد اليهم طرفهم** لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل يبقى عينهم مفتوحة لا تطرف • او لا ترجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا • او هو نفس الجفن • قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين • او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين • وهو ايضا حال • او بدل من مقنعي • او استيناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار • وتاخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى **وافئدتهم هواء** خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل • ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اي لا قوة ولا راي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام • وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار • او جملة مستقلة **وانذر الناس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب ٥٥

والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم • او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم **يوم ياتيهم العذاب** المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى • او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل وياباه القصر السابق **فيقول الذين ظلموا** اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم • وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبي عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار • او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل **ربنا اخرنا** ردنا الى الدنيا وامهلنا **الى اجل قريب** الى امد وحد من الزمان قريب **نجب دعوتك** اي الدعوة اليك والى توحيدك • او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى **ونتبع الرسل** فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل • والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام • واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية • او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة • وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه • او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ ٥

الظلم ثلثة فظلم لا يغفره الله • وظلم يغفره • وظلم لا يتركه • فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم • واما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد انفسهم فيما بينهم وبين ربهم • واما الظلم الذي لا يتركه الله تعالى فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم عن بعض الطيالسي والبزار عن انس

الظلمة واعوانهم في النار فر عن حذيفة رضي الله عنه

قال القشيري قدس سره العزيز اعلم ان المظلوم اذا تحقق بانه سبحانه وتعالى عالم بما يلاقيه من البلاء هان عليه مقاساته وخف عليه تحمله • والظلم على وجوه • ظلم على النفس بوضع الزلة مكان الطاعة • وظلم على القلب بتمكين الخواطر الردية فيه واخطار الغير بالبال • وظلم على الروح بمحبة المخلوقين • ويقال من جملة الظالمين الشيطان والعبد المؤمن مظلوم من جهته والحق سبحانه وتعالى ينتصف له منه غدا وذلك لمن يتبعه اليوم طائعا فيدفعه عن نفسه بالمجاهدة ويتاذى بوسوسته قوله تعالى انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي الانتصاف هذا للعوام من المؤمنين تعلق قلوبهم بالانتقام لهم غدا في المستانف فاما الخواص اذا علموا انه سبحانه وتعالى عالم بهم وبحالهم فانهم يستغفون بذلك ويكتفون واما خواص الخاص فاذا علموا انهم عبيده فانهم لا يرضون بالعفو عن ظلمهم حتى استغفروا لهم كما قال عليه السلام اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • واما اصحاب التوحيد فاذا علموا ان النشئ ولا مخترع سواه فليس بينهم وبين احد محاسبة ولا مع احد معاتبة ولا بقية مطالبة انهم يعدون اثبات الاغيار في الظن والحسبان شركا انتهى القشيري

للبيضاوي

من آنا يقال ماكنا مراعاة لحال القسم • ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل • فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير • ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون • فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون • ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل • فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال • ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل • فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير • فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك انتهى ابو السعود

قوله مقنعي رؤوسهم اي رافعي رؤوسهم قال القتيبي المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه قال الحسن وجوه الناس يوم القيمة الى السماء ولا ينظر احد الى احد لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يرجع ابصارهم من شدة النظر فهي شاخصة قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم هواء اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من افواههم ولا تعود الى مكانها والافئدة هواء لا شيء فيها ومنه سمي ما بين السماء والارض هواء لخلوه وقيل خالية لا تعي شيئا ولا تعقل من الخوف قال الاخفش جوفا لا عقول لها والعرب تسمي كل اجوف خال هواء وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هواء اي مترددة تمور في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه وحقيقة المعنى ان العقول زائلة عن اماكنها والابصار شاخصة من هول ذلك اليوم

كذا في المعالم

ربنا اخرنا الى اجل قريب اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب • او اخر آجالنا مقدار ما نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فقوله نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول وجواب القسم ما لكم من زوال واقسامهم على انتفاء الزوال عن الدنيا اما لغاية الغفلة والانهماك في الجهل وغلبة البطر والاشر واما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا كانهم اقسموا على انهم خالدون فيها • وانما قيل ما لكم على المطابقة لاقسمتم • ولو حكي قول المقسمين لقيل ما لنا من زوال • اي اقسمتم انكم لا تزالون عن الدنيا • وقيل معناه لا تنتقلون الى دار اخرى لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اي اقسمتم على انكار البعث
وسكنتم في مساكن
انتهى

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون تسلية للمظلوم وتهديد للظالم • والخطاب لغير الرسول عليه الصلوة والسلام وان كان للرسول • فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر • وكما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله • وقيل المراد به الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم انما يؤخرهم اي عقوبتهم ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء صفر من الخير لا تعي شيئا من الخوف • والهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام • فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة • وقيل جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب اي يوم القيمة ويوم مفعول ثان لانذر لا ظرف اذ الانذار لا يكون في ذلك اليوم فيقول الذين ظلموا اي الكفار ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اي ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال اي حلفتم في الدنيا انكم اذا متم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون الى دار اخرى • يعني كفرهم بالبعث كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت • وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم • ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال • او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم انتهى المدارك

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد النهي عن لازم الحسبان المذكور بطريق الكناية • اي لا تحزن بما عملوا فانه تعالى مطلع على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شيء من ذلك وان تاخير العذاب عنهم لتشديده عليهم في العقبى فهو امهال لا اهمال • او لكل احد ممن يستعجل عذاب الظالمين • او يتوهم اهمالهم بانه يجب ان يعلم تعالى رقيبا عليهم فيتسلى الاول ولا يظلم الثاني ولا يتحزن ان ظلم فانه المجازي والمنتقم المنتصر من الظالم للمظلوم ولهذا قال ابن عيينة انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم اضاف التاخير اليهم والمؤخر عذابهم على سبيل المجاز ايماء الى انهم من شدة العذاب في ذلك اليوم يكون بحيث يظن من رآهم انهم عذاب مجسم ليوم تشخص فيه الابصار اي تبقى مفتوحة لا تنطبق لعظم هول ذلك اليوم • ولا اختصاص لتلك الحالة بهم وبهذا اطلق الابصار ولم يضفها اليهم كما اضاف اليهم في قرائنها • وهذا ابلغ في التهويل • فمن وهم ان المعنى تشخص ابصارهم فقد وهم • ثم انه لم يصب في تفسير الشخوص بعدم القرار • قال الجوهري يقال شخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف مهطعين يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشيء لا يقلع عنه وبه فسره ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال المهطع الدائم النظر لا يطرف وهو المناسب لسياق الكلام وكافة الخلاف تفسيره بالمسرع كالاخفش مقنعي رؤوسهم اقناع الرأس رفعه اي رافعيها حتى لا يبصر واموضع اقدامهم لا يرتد اليهم طرفهم اي يبقى اعينهم ممدودة نحو الهول مفتوحة لا تطرف اي لا تتحرك اجفانهم ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم • ولا يخفى ان هذا يغني عن اضافة الابصار اليهم في وصفها بالشخوص • وانما وحد الطرف لانه في الاصل مصدر وافئدتهم هواء خلاء • وصف القلوب بالهواء مبالغة في الخلو عن الفهم والعقل لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الخلاء • ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة • فالتجوز فيه عقلي كما في رجل عدل لا لغوي كما زعمه من فسره بالخالية فاخلاه عن تلك المبالغة ونزل الكلام عن المنزلة العالية • وقيل معناه متخرقة لا تعي شيئا للخوف والفزع الذي دخلها فهي كهواء الجو في الانخراق وبطلان الامساك وانذر الناس خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة • او وقت الموت فانه اول اوقات عذابهم • وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الخ

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود سايرين بسيرتهم • واصل سكن ان يتعدى بفي كقر وغني واقام • وقد يستعمل بمعنى التبوء والتوطن فيجري مجراه كقوله اسكن انت وزوجك الجنة • وان سكني سكون خاص قرر على الاصل • ويجوز ان يكون بمعنى السكون اى لبثتم فيها واطمأنتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم بمشاهدة آثار ما نزل بهم في مساكنهم وتواتر اخبارهم فلم تعتبروا ولم ترتدعوا ولا تحدثوا انفسكم بما لقوا من عذاب الله تعالى وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وفعل بهم التي صارت امثالا سايرة بين الناس في غرابة القرآنية مضروبة لكل ظالم وبينا انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب وقد مكروا مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وهو المكر المخصوص بهم ليس لاحد مكر في قوته وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به والعذاب الذي يأتيهم بغتة من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون لاستحقاقهم ذلك بمكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال زوال الجبال مثل لتعاظم مكرهم وشدته اى وان كان مكرهم لشدته وعظمه مسوى معدا لزوال الجبال منه كانوا اذا عظموا الشئ وصفوه بمثله • قال ابن عمر لما اتى خبر الزبير تضعضعت سورة المدينة والجبال الخشع اى وان عظم مكرهم فعند الله المكر الذي يبطله • والمكر الاول مضاف الى الفاعل والثاني مضاف الى المفعول • ويجوز ان يكون الثاني ايضا مضافا الى الفاعل اى وعند الله مكرهم الذي يمكرون الرسل به يعني مكتوب عنده فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وان كان مكرهم مما يضرب به المثل في العظم • وقرئ بالفتح والرفع على ان المخففة ومعناه تعظيم مكرهم • وقيل ان في وان كان مكرهم نافية واللام لتأكيد النفي كقوله وما كان الله ليعذبهم • وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرايعه • وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي • وقرئ وان كاد مكرهم • والجمهور على ان ان الشرطية وجواب الشرط محذوف دل عليه وعند الله مكرهم انتهى ابو الليث

وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها • او من السكون واللبث اى قررتم في مساكنهم مطمئنين سايرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون ©

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر لان السكنى من السكون وهو اللبث والاصل تعديه بفي نحو قر في الدار واقام فيها لكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها • ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفس سايرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة • وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام اى تبين لكم حالهم • وكيف ليس بفاعل لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله • وانما نصب كيف بقوله فعلنا بهم وانتقمنا منهم وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم • وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذي استفرغوا جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبطلان الاسلام وعند الله مكرهم هو مضاف الى الفاعل كالاول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه • او الى المفعول اى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية والتقدير وان وقع مكرهم لزوال امر النبي صلى الله عليه وسلم فعبر عن امر النبي بالجبال لعظم شأنه • وكان تامة او ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله تعالى وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا • ودليله قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم • وبفتح اللام الاولى ورفع الثانية لتزول على اى وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها فان مخففة من ان واللام هي الفارقة انتهى

[وا]ن كان مكرهم لتزول منه الجبال ويحكى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه في معنى الآية انها نزلت في نمرود الجبار [الذي] حاج ابراهيم عليه السلام في ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد الى السماء فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور [فربا]ها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب [خشب]ات في اطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بارجل النسور وخلاها فطرن وصعدن [طمعا في] اللحم حتى مضى يوم وانعقدن في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا ففتح ونظر [فقال] ان السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة [والج]بال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه [افت]ح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي ايها الطاغية اين تريد [قال ع]كرمة رضي الله عنه كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليه السهم متلطخا بدم سمكة [قذف]ت نفسها من بحر في الهواء • وقيل طائر اصابه السهم فقال كفيت شغل اله السماء • قال ثم امر نمرود صاحبه ان يصوب [الخشب]ات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت [وظن]ت ان يحدث حدث من السماء او ان الساعة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم الآ[ية]

وضربنا لكم الامثال اي بينا ان مثلكم كمثلهم وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وان كان مكرهم قرأ علي [وابن م]سعود وان كاد مكرهم بالدال • وقراءة العامة بالنون لتزول منه الجبال قراءة العامة لتزول بكسر اللام الاولى [ونصب] الثانية معناه وما كان مكرهم قال الحسن ان كان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال • وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل [امر] محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال • وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الثانية [و]معناه ان مكرهم وان عظم حتى بلغ محلا يزيل الجبال لم يقدر على ازالة امر محمد صلى الله عليه وسلم قال قتادة معناه [و]ان كان مكرهم شركهم لتزول منه الجبال وهو معنى قوله تعالى وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا معالم

[و]ان كان مكرهم لتزول منه الجبال لكي تخر منه الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب الاخرى وقال وان كان مكرهم [و]ان كان مكرهم مكر نمرود الجبار لتزول منه الجبال لتخر منه الجبال حين سمع دوي التابوت بالنسور [وقر]ئت بنصب اللام الاولى ورفع اللام الاخرى من تفسير كواشي

بسبب ما اجترحوا من الموبقات • وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة
الى صاحبه • والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستماع • والخطاب السابق بالمنذرين
واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل • وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال او آخرهم وتبين لكم
بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد • وكيف
منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قال بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت عليه دلالة واضحة
اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه • وقرئ نبين • وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم في القرآن العظيم
على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين • او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين
صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم
على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه
من الكفر والمعاصي • او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب • والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم
اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على
جلية الحال بضرب الامثال • وقوله تعالى وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم • او من الثاني • او منهما جميعا
وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق
وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم •
فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم • او قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب
الزوال • فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى • وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه
على ان المكر مضاف الى فاعله • او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله • وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا
وذكرا • او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون • وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف
فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف • والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه
والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه • وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة • وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في
ذلك • والجملة المقدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم • او المكر الذي يحيق بهم
ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ • وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه اولى • وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية
من التأكيد المعنوي • والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم • وقيل ان نافية واللام لتأكيدها
كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم • وقرأ ابن مسعود وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى
وعند الله مكرهم • اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على ان الجبال عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته
الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ • واما كونها عبارة عن امر النبي
صلى الله عليه وسلم وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص
الخطاب بالمنذرين • وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات
والشرائع والمعجزات • والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الآيات
والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها •
وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة • والمعنى تعظيم مكرهم • فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده
جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة • وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح
لام كي • وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم • وقد قيل ان الضمير في
مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وغير ذلك من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم • ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى
وقد مكروا مكرهم حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور
مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الفساد منهم
مجرد الاقسام الذي وقع جوابه بل اجترؤوا على مثل هذه العظيمة • وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا
من قبل •

وتجوا

• وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون
مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك • وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن
امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه ما هي الشرائع والآيات التي هي
في القوة كالجبال • وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك
المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لما ان شأن الشرائع اعظم من
ان يمكر بها ماكر • وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل ابو السعود
افندي رحمه

وقد مكروا مكرهم صنعوا صنيعهم بالتكذيب بالرسل وعند الله مكرهم عقوبة صنيعهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
لكي تخر منه الجبال ان قرأت بخفض اللام الاولى ونصب اللام الاخرى • ويقال وان كان مكرهم وقد كان مكرهم مكر
نمرود الجبار لتزول منه الجبال لتخر منه الجبال حين سمع ذوي التابوت والنسور ان قرأت بنصب
اللام الاولى ورفع اللام الاخرى   من تفسير الفاضل كرماني

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه الصلوة والسلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم و عصيانهم رسلهم بعدما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم • فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبا اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه • والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك • والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل في قوله تعالى كيف فعلنا بهم وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض • ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم تبدل الارض غير الارض الاية • او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض او لانتقام وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد مع عموم انتفائه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه • وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب • او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الارض غير الارض الاية وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار • ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده • وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا • واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها • وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال • والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين • فعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب • وعن ابن مسعود رضي الله عنه تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا • ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل • وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق • والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض • او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر • او يعملون عمل من يزعم ذلك • ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها • وهو معطوف على تبدل • والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه • او حال من الارض بتقدير قد • والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء • والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يضاد ولا يقاد كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة ابو السعود افندي رحمه الله

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا • كتب الله لاغلبن انا ورسلي • مخلف مفعول ثان لتحسبن • واضاف مخلف الى وعده وهو المفعول الثاني له والاول رسله والتقدير مخلف رسله وعده • وانما قدم المفعول الثاني على الاول ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد • ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه و انتصاب يوم تبدل الارض غير الارض والسموات على الظرف او على اضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وتبدل السموات غير السموات • وانما حذف لدلالة ما قبله عليه • والتبديل التغيير • وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير • وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل • واختلف في تبديل الارض والسموات • فقيل تبدل اوصافها وتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض • وانما تغير وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا • وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه يحشر الناس على ارض لم يخطئ عليها احد خطيئة • وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وبرزوا وخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره كان الامر في غاية الشدة انتهى

فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا • كتب الله لاغلبن انا ورسلي • واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدفع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالنهي عن الحسبان المذكور الامر بضده على ابلغ وجه وهو الجزم بنصر المؤمنين وقهر اعدائه • اي فكن على ثقة و يقين بالانجاز لما وعدناك من الاعزاز للاسلام واهله والاذلال للكفر والانتقام من اهله يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم العذاب او ظرف للانتقام • ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات اي تبدل الارض المعهودة ارضا اخرى والسموات المشهورة سماوات اخرى • والتبديل والتغيير اما في الذات كقولك تبدلت الدراهم بالدنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها • واما في الصفات كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها و جعلتها خاتما بتغيير شكلها ومنه قوله تعالى اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية يحتملهما • فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسماوات من ذهب • وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض • وانما تغير صفاتها • وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار الذي كنت تعلم ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان ما يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لما كان البروز مسوقا للوعيد كان الوصفان المذكوران ترشيحين له ببيان شدة الامر في ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الامر والملك اذا كان لواحد لا شريك فيه قاهر لا يغالب لا استغاثة لاحد ولا استجارة كان الامر في غاية الصعوبة انتهى ابن كمال

وترى المجرمين يومئذ مقرنين بعضهم من بعض لاشتراكهم
في العقايد والاعمال كقوله تعالى واذا النفوس زوجت
او مع الشياطين الذين حملوهم على الاجرام • او قرنت
ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال • ويجوز ان
يكون تمثيلا لمؤاخذتهم بما اقترفته ايديهم وارجلهم
فكان ايديهم غلت الى ارجلهم في الاصفاد متعلق
بمقرنين • او حال من ضميره قال الراغب الصفد و
الصفاد الغل وجمعه اصفاد • وفي الصحاح الصفاد
ما يصفد به من قيد وقد غل اي يوثق وقول الشعر
قدلا في صفادا بعض ساعد وبعض ساق ظاهر
في ان صفادا واحدا بجمعها فكانه نوع من الغل يجمع
فيه الرجل واليد ويشدان على العنق سرابيلهم اي
قميصهم جمع سربال من قطران فيه ثلث لغات فتح القاف
مع كسرها وسكونها • وكسر القاف مع سكون الطاء • وهو ما
يتحلب من شجر الابهل يطبخ فيهنا به الابل الجربى فيحرق
الجرب والجلد بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار
بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقميص
فيجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه وسرعة
اشتعال النار بهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت
بين النارين • ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بانفسهم
من ظلمة الهيئات الردية والملكات الفاسدة الموحشة
فتجلب اليها انواعا من الاذى والالم والعذاب • وقرى
من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والان
المتناهي حره • والجملة حال ثانية او حال من الضمير في
مقرنين • وانما جي بها جملة اسمية لان سرابيل القطران
الجامعة بين الانواع الاربعة المذكورة افظع من الصفد
وما اما تغشى فلتجدد الاستحضار المقصود في قوله
وترى لان الثاني اهول والاول في بيان حالهم في الموقف
الى ان يكب بهم في النار والاخرى لبيان حالهم بعد
دخولها وكان الاول حرك من السامع ان يقول
واذا كان هذا شانهم وهم في الموقف فكيف بهم وهم
في جهنم خالدين فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران
واوثر الفعل المضارع في قوله وتغشى وجوههم النار
لاستحضار الحال وتجدد الغشيان حالا فحالا • وانما تغشاهم
لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا مشاعرهم التي
خلقت فيها في تدبر الحق كما تطلع على افئدتهم لانها خالية
عن المعرفة مملوة بالجهالات ليجزي الله كل نفس اما
ان يتعلق بمحذوف تقديره يفعل ذلك بهم ليجزي كل
نفس مجرمة ما كسبت او بقوله وبرزوا اي ليجزي به
كل نفس مجرمة او مطيعة ما كسبت واكتفى بذكر عقاب المجرمين ه

وترى المجرمين الكافرين يومئذ يوم القيمة مقرنين
قرنت بعضهم على بعض • او مع الشياطين • او قرنت
ايديهم الى ارجلهم مغللين في الاصفاد متعلق
بمقرنين اي تقرنون في الاصفاد • او غير متعلق به
والمعنى مقرنين مصفدين • والاصفاد القيود
او الاغلال سرابيلهم قمصهم من قطران هو ما
يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنا به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شانه
ان يسرع فيه اشتعال النار • وهو اسود اللون
منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود
طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش
ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وكلما وعده الله او
اوعده به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد
من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا
منه الا الاسامي والمسميات ثمة نعوذ بالله
تعالى من سخطه وعذابه من قطر آن زيد عن يعقوب
بنحاس مذاب بلغ حره اناه وتغشى وجوههم
النار تعلوها باشتعالها • وخص الوجه لانه
اعز موضع في ظاهر البدن كالقلب في
باطنه ولذا قال تطلع على الافئدة ليجزي
الله كل نفس ما كسبت اي يفعل بالمجرمين ما
يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت • او كل
نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا عاقب المجرمين
لاجرامهم علم انه يثيب المؤمنين بطاعتهم ان الله
سريع الحساب يحاسب جميع العباد في اسرع من
لمح البصر هذا اي ما وصفه في قوله ولا تحسبن الى قوله
سريع الحساب بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظ
ولينذروا به بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف
اي لينصحوا ولينذروا وليعلموا انما هو اله واحد
لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى
النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام
وليذكر اولوا الالباب ذوو العقول انتهى الخير كله ه

... وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب
... كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة • او كل القران
... من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص
... انذارهم في قوله تعالى وانذر الناس • او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا
... كان ما شرع مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي
... لهم في ان ينصحوا ولينذروا به • او هذا ابلاغ لهم لينصحوا ولينذروا به على ان البلاغ
... الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ • او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به
... اوتي • وقرى لينذروا به من نذر بالشي اذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتامل
... فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وحي
... انما هو اله واحد لا شريك له • وتقديم الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي الى ما هو غاية له
... العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي وليتذكروا ما كانوا يعلمونه من
... التوحيد وغيره من شئون الله تعالى ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات
... يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقايد الحقة والاعمال الصالحة ه ه

ليستدل به على ثواب المطيعين ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله فيه تأمل وتتبع ولا يمنعه حساب عن حساب
فيتسرع بعضهم عند الاشتغال بمحاسبة الاخرين فيتأخر عنهم العذاب • وبهذا التفصيل تبين وجه اصابة
التذييل المذكور بحده هذا اشارة الى السورة او الى ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب
اي هذا الكلام او الكتاب بلاغ كفاية للناس في الموعظة والتذكير • والاشارة الى جميع ما في السورة من العظة والتذكير
اولى ليكون كالفذلكة وخاتمة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به • فاللام
متعلقة بالبلاغ او متعلقة بفعل محذوف اي ولينذروا به انزل • وقرئ ولينذروا به بفتح الياء من نذر به اذا
علم واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة على التوحيد او المنبهة على ما يدل عليه
وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم • قيل ان الفوائد الثلث التي ذكرها لهذا البلاغ
هي الغاية والحكمة في انزال الكتب وهي تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي غايتها كمال التوحيد
واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها
انتهى ابن كمال

وترى المجرمين عطف على برزوا • والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة • او للدلالة على الاستمرار • واما البروز
فهو دفعي لا استمرار فيه • وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل • ويجوز عطفه على عامل الظرف
المقدم على تقدير كونه ينجزه يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل • او يوم اذ تبدل الارض • او يوم اذ ينجزه وعده
مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر • او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم • او قرنوا
مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما
يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة • او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم • وهو حال
من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال • وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين • او حال من ضميره اي
مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين • او من ضميرهم في
مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في • او مستانفة لا محل لها • والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به
الابل فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار
يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته
واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين
لا يكاد يقادر قدره منهما اسماء مسمياتها في الاخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ • ويحتمل ان يكون ذلك
تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون
القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة
المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الاخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب
عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه • وقرئ من قطر آن اي من نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار
اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران • وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر
اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة وابينها كقوله سبحانه افمن يتقي بوجهه سوء العذاب • ولكونها مجمع المشاعر
والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد ابين في الاعضاء الباطنة
ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه
ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد • وقرئ تغشى اي تتغشى
بحذف احدى التائين • والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانها مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال
او البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي
جزاء موافقا لعملها • وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم • او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على
تبدل والضمير للخلق • وقوله وترى المجرمين الى اخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب
ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر • وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال
مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون
من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه • او سريع المجيء يأتي عن قريب • او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ○

○○ وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار
بهذا ما ذكر من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين
فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب
من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على
حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر ورعي ترتيب الوجود
فيه مع الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم حفظنا الله تعالى بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز
في الاولى والعقبى اين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله من قطر آن وهو ما يهنأ به الابل وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين والقطر النحاس
المذاب

ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار وجريان امورهم واحوالهم على وفق هواهم عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون وخامة عاقبتهم وسوء صنيعهم اذا عاينوا الجزاء وفيه تهديد ووعيد وتحذير عن ايثار التنعيم وطول الامل والزام للحجة لان الامر بالكف لا يكون الا عند تكرر الانذار وثبوت الجحود وكذلك كما رتب عليه واقناط للرسول صلى الله عليه وسلم عن ايمانهم وايذان بانهم من اهل الخذلان لا ينفع النصح ولا يجدي فيهم الانذار انتهى ابو السعود

سورة الحجر وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان آيات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك لانه المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان وأخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تتضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا تدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث

[illegible] الكريم حول شانه ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد [illegible] الكلام تدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة [illegible] الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد [illegible] من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية او ذهابا الى الاشعار بان شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنونا الحمد او قليلا ما يكون كذلك [illegible] المفارقة ولا يقارف ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم موجودا بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى [illegible] الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء [illegible] التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة [illegible] عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى [illegible] المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى [illegible] عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا [illegible] بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم [illegible] والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم باستمتاع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه [illegible] يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك [illegible] التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يقضيان [illegible] الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا [illegible] والكلال الآخرة فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من [illegible] الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة [illegible] انهماكهم غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في [illegible] ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم وينغص عليهم عيشهم فامر عليه السلام بتركه ليتمادوا فيما هم فيه من حظوظهم [illegible] بايديهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة [illegible] انتهائهم الى التمتع المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اي وعيد وابلغ تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالكف الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء انتهى ابو السعود

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما
تضمنته السورة من الآيات والكتاب • والقرآن المبين
السورة • وتنكير القرآن للتفخيم • والمعنى تلك آيات
الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي القرآن مبين •
كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان
ربما بالتخفيف مدني وعاصم • وبالتشديد غيرهما
وما هي الكافة لأنها حرف تجر ما بعدها وتختص بالاسم
النكرة فاذا كفت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم
وانما جاز يود الذين كفروا لأن المترقب في أخبار
الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه •
وكأنه قيل ربما ود وودادتهم تكون عند النزع
او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين •
او اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى
الكافر لو كان مسلما كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما
لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم • وانما جيء بها على
لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله
ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا
مسلمين لكان حسنا • وانما قلل بربّ لأن أهوال
القيمة تشغلهم عن التمني فاذا أفاقوا من سكرات
العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين • وقول من ان
ربّ يعنى بها الكثير سهو لأنه ضد ما يعرفه
أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل ذرهم أمر
اهانة اي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم
عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة وخلّهم
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الأمل ويشغلهم
املهم وامانيهم عن الايمان فسوف يعلمون
سوء صنيعهم وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ
والتنعم وما يؤدي اليه طول الأمل ليس من أخلاق
المؤمنين انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات
السورة • والكتاب والقرآن السورة • وهذا أبلغ على
ما قدمنا بيانه في تفسير سورة • واللام في الكتاب
للمهيمنة • والتنكير في القرآن للتفخيم • اي تلك آيات
الكتاب الكامل في كونه كتابا وقرآن اي قرآن مبين يبين
الرشد من الغي بيانا غريبا الجامع للكمال والغرابة في
البيان والبلاغة • ولما كان في التعريف نوع من الفخامة
وفي التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع عرّف الكتاب
ونكّر القرآن ههنا وعكس في سورة النمل وقدم الموصوف
في الموضعين لزيادة التنويه ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين منقادين لحكم الكتاب • وهذا التمني
حين يخرج الله تعالى عصاة المؤمنين من النار • وروى
فيه حديث مرفوع • وقيل اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين
عند البعث للحساب • او عند الموت اذا رأوا العذاب
وقيل في كل الأحوال التي يخطر بالبال ظهور بطلان ما
كانوا عليه من الضلال • وهذا أنسب بما قصد بربما من
معنى التكثير على وجه أبلغ • وقوله لو كانوا مسلمين
حكاية ودادتهم على لفظ الغيبة كقولك حلف بالله
ليفعلن • وحق ربما ان يدخل الماضي لأنها لتحقيق
التقليل لكن لما كان الغرض من الماضي تحقق وقوعه
والمترقبة في اخبار الله تعالى منزلة الماضي في تحقق وقوعه
أجري مجراه • ومعنى التقليل فيه وارد على طريق العرب
وقولهم في موقع النصح وارتكاب المخاطب ما لا ينبغي
فما استطاعه لتندم لعلك ستندم • وربما ندم
الانسان على فعل وليس مرادهم الشك والتقليل بل
المراد ان الندم لو كان مشكوكا فيه او قليل الوقوع
عما تفعل لكان حقا عليك ان لا يفعل لأن قضية
العقل التحرز من الغم المظنون والقليل فكيف
واستتباع فعلك للغم والندم الكثير محقق اي لو كانوا
يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة • وقرئ ربما بالفتح
والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها • وما كافة تكفه
عن العمل فيجوز دخوله على الفعل • وقيل نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الأمر ذرهم أمر اهانة يأكلوا
تخصيصه بالذكر مع اندراجه في قوله ويتمتعوا وتقديمه عليه
للتنبيه على ان حظهم من الحيوة الدنيا حظ البهائم يأكلون
ويشربونه • والاقتصار على يأكلوا لأن الأكل يستتبع
الشرب عادة فذكره يغني عن ذكره ويتمتعوا بدنياهم
ويتعملوا في شهواتهم ويلههم الأمل

وفي العالم مبين اي يبين الحلال والحرام والحق من الباطل • فان قيل لم ذكر الكتاب ثم قال وقرآن مبين
وكلاهما واحد قلنا قد قيل كل واحد يفيد فائدة أخرى فان الكتاب ما يكتب والقرآن
ما يجمع بعضه الى بعض • وقيل المراد بالكتاب التورية والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب
ربما قرأ ابو جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقون بتشديدها وهما لغتان • ورب
للتقليل وكم للتكثير ورب تدخل على الاسم وربما تدخل على الفعل يقال رب رجل جاءني
وربما جاءني رجل يود الذين كفروا يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين واختلفوا في الحال الذي يتمنى
الكافر هذا • قال الضحاك حال المعاينة وقيل يوم القيمة والمشهور انه حين يخرج الله تعالى
المؤمنين من النار • وروي عن ابي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع
اهل النار في النار من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل القبلة الستم مسلمين
قالوا نعم قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها
فيغفر الله لهم بفضله ورحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين •
فان قيل كيف قال ربما وهو للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار قلنا قد يذكر ربما للتكثير
او اراد ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ذلك ببالهم احيانا ويلههم
يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظهم من الايمان والطاعة فسوف يعلمون اذا وردوا القيمة
وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد قال بعض اهل العلم ذرهم تهديد وقوله
فسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين والآية نسختها آية القتال
انتهى

وما اهلكنا من قرية اهلاكها كناية عن اخلائها عن اصلها بافنائهم وهي ابلغ من المجاز في القرية • واما تقدير المضاف فلا حاجة اليه بل لا وجه له عند ارباب البلاغة الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب في اللوح معلوم عند الله موقت ولهذا قال ما تسبق من امة اجلها الى كتابها اي لا يتقدم امة ومن مؤكدة وما يستاخرون اي عنه فحذف للعلم به ووحد تسبق بالتاء لظاهر كلمة امة وجمع في قوله يستاخرون بالواو والنون للمعنى والكلام متصل بقوله فسوف يعلمون اي العذاب نازلا بهم في وقته الذي جعلناه اجلا له اخرناها اليه لماكان في علمنا ايمان من يخرج من اصلابهم فاذا بلغ الكتاب اجله وجبت كلمة العذاب على الكافرين ولم يتاخر عنهم • وجملة المستثنى واقعة حالا من قرية لانها في معنى العموم قريبة من المعرفة المراد قرية من القرى • وهذه الواو هي التي يعطي ان الحالة التي بعدها في اللفظ هي قبلها في المعنى • ومنه قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها • ومن حملها على الصفة يكون القرية نكرة ثم قال والقياس ان لا يتوسط الواو بين الصفة والموصوف • وانما جئ بها لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في الحال تقول جاءني زيد وعليه ثوب فقد تعسف لان الواو انما جئ بها لئلا يشتبه الحال بالصفة لتقدم الحال على النكرة الا ترى الى قولهم جاءني رجل وعليه درع كيف التزموا فيه الاتيان بالواو رفعا للاشتباه المذكور فكذا هنا • ثم ان فيما اختاره فصل بين الصفة والموصوف بالا وهو غير جائز نص عليه الاخفش وابو علي الفارسي وقالوا يعني مشركي مكة على وجه الاستهزاء يا ايها الذي نزل عليه الذكر نداء للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم الا ترى الى ما نودي له وهو قولهم انك لمجنون والتعكيس في الكلام للاستهزاء والتهكم طريق واسع • و نظيره قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون ان ادعائه لنزول الذكر عليه قول المجانين والمراد من الذكر القرآن لوما تاتينا اي هلا تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض • والفرق بينهما ان التحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا • والامتناعية لا يليها الا الاسماء لفظا او تقديرا عند البصريين بالملائكة ليصدقوك ويشهدوا لك ويعضدوك على الانذار كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا • او ليعاقبون على تكذيبنا اياك كما ان الامم المكذبة من قبل ان كنت من الصادقين

وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف اذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجئ بالواو تاكيدا لذلك • والوجه ان يكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها في حكم الموصوفة كانه قيل وما اهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وما يستاخرون اي عنه لانه معلوم وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقالوا اي الكفار يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن انك لمجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وهم ينسبونه الى الجنون • والتعكيس في كلامهم للاستهزاء و التهكم سائغ • ومنه فبشرهم بعذاب اليم • انك لانت الحليم الرشيد • والمعنى لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لامتناع الشيء لوجود غيره او للتحضيض • وهل ركبت مع لا للتحضيض والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك • او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا ما ننزل الملائكة كوفي غير ابي بكر تنزل الملائكة ابو بكر تنزل الملائكة اي تتنزل عليكم الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر

[نحن] نزلنا الذكر القرآن وانا له لحافظون وهو رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها [الذي] نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن نزلنا فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع وانه [الذي] نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف [والت]بديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار [فا]ختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه وقد جعل قوله تعالى وانا له [لحافظون] [د]ليلا على انه منزل من عنده آية اذ لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق [الي]ه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه او الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم [كق]وله تعالى والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك

انتهى المدارك

إن كنت من الصادقين أي إن كنت صادقاً في دعواك وإن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين في دعواهم ما ننزل
الملائكة بالنون وهو بناء للمتقدم وما تأخر من الفاظ التعظيم وقرئ بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة
وقرئ تنزل بمعنى تتنزل إلا بالحق متعلق بما قبله او بمحذوف على انه حال من الفاعل او المفعول اي ملتبسين
بالحق او نعت لمصدر محذوف اي الا تنزيلاً ملتبساً بالحق اي بالحكمة والصواب او الا بالحكمة فان تأتيكم
بصور تشاهدونها وتشهدون بصدقه فانه لا تزيدكم الا لبساً كقوله ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً و
للبسنا عليهم ما يلبسون ولا في معاجلتكم بالعقاب فان منكم ومن ذراريكم من سبق له حكمنا بالايمان
وقيل الحق الوحي وقيل العذاب وما كانوا اذاً منظرين جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما
كانوا منظرين إنا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم بقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك أكده بانّ والضمير وبناء الفعل عليه وقرره
بقوله وإنا له لحافظون اي من الطعن والتحريف والزيادة والنقصان بان جعلناه مبايناً لكلام البشر
لا يخفى على اهل البلاغة اعجازه وتغيير نظمه لو غير بخلاف الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتول حفظها و
استحفظها الربانيين والاحبار ولم يجعل لفظها ونظمها معجزاً الا يمكن تغييرها فاختلفوا فيما بينهم وحرفوا و
غيروا • وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس
انتهى ابن الكمال

وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب
اي وما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل
بآخرين الا ولها في ذلك الشأن كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن
تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم
والتأخر • فكتاب مبتدأ خبره الظرف • والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من
في حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها
كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته
بالتقدم والتأخر • او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من
الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه •
او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة
للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع
لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي
لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء
الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم • واما توسيط الواو
بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط
وان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقاً بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
لما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوباً
في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل
ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها • او لا
تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان واقعاً على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت
سبق زيد عمراً فمعناه انه جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعاً على زمان كان الامر بالعكس • والسر في ذلك
ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المستقبل فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى ما بعده من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد • وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق
كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون
وصيغة الاستقبال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له • وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر

نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية ٥
واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية
مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم
عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود
واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك • وايراد الفعل على صيغة جمع
المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ورعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور • والجملة
مبنية لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان وداعهم للاسلام اذ ذاك
وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر آجالهم المقدرة لما يقتضيه من الحكم البالغة
ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل
عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم • والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو
والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء
به صلى الله عليه وسلم واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كقول فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او
بسبب مادة ما يعتريك عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون • وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل
منه تعالى كما في قوله تعالى لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون
المنزل عليه رسول الله تعالى • وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او
لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل لوما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما
تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند
ارادته لا يليها الا فعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند
البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك
في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا • او يعاقبوننا على التكذيب كما اتت الامم
المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا
احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك • او ان كنت من جملة تلك
الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة
من التنزيل • وقرئ من الانزال • وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول
ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه • ومن التنزيل ومن الثاني وهو كلام مسوق الى
النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة ذلك للجواب
قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم
به الله ان شاء مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن
اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون احد
الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن
تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما نأتيهم بهم للانذار بانهم قد اخطأوا في
التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان
الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون
مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم
النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جانب الرب الجليل الا بالحق

بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما يقتضيه الحكمة ويجري به السنة الالهية كقوله تعالى
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم
ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل
بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام
وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة انما هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل باضرابهم
من الامم السالفة ولو فعل ذلك استؤصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء للشرط مقدر • وفيه ايذان
بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن
مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان
ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ ان كان ما
طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم
لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم
عذابا وبايمان بعض ذراريهم • واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر
والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل • واما ما قيل
في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة في ان
تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول
الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين
على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلائم من
رفض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين • هذا على تقدير
كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل
الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه
ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم
القيمة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم
موافقة الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم
فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وغير ذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد
عقابهم • وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل
واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا
الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث
بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به
فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ
عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ
من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته • ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا
على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله تعالى لتطرق عليه الزيادة والنقص و
الاختلاف • وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن
التنزيل ما لا يخفى • وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم •
وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الجواب وان كان جوابا
عن اول كلامهم الباطل ردا له لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا الآية انتهى
انتهى ابو السعود رحمه الله

ولقد ارسلنا اي رسلاً وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا • او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلاً كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم • جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب • من شاعه اذا تبعه • واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء • ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين • ومعنى ارسالهم جعل كل منهم رسولاً فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعاً على سبيل البدل • وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة • والجملة في محل النصب على انه حال مقدرة من ضمير المفعول في تأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه • او في محل الرفع على انها صفة لرسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزئون • واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيقتضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات • ويجوز ان يكون منصوباً على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوباً على الاستثناء. وان كان المختار الرفع على البدلية • وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث كان الرسول مصحوباً بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقروناً بالاستهزاء. اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولاً اولياً • ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف • او حال منه اي نسلكه مثل ذلك السلك • او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقروناً بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق • وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدماً في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة • او للدلالة على استحضار الصورة • والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها • وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضاً له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته • والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء. كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء • وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحاً بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين باباً من السماء اي باباً ما لا باباً من ابوابها المعهودة كما قيل وتيسر لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عياناً كما يفيده الظلول • او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عياناً مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف • او حيرت كما يعضده قراءة من سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة • وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر • وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها • وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء. وان كان مرئياً لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار

الجزء الرابع عشر

ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين

اي ولقد ارسلنا من قبلك رسلاً في الفرق الاولين • والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال من رسول الا كانوا به يستهزئون يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي كما سلكنا الكفر او الاستهزاء في شيع الاولين نسلكه في قلوب المجرمين من امتك من اختار ذلك • يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها • وهو حجة على المعتزلة في الاصلح وخلق الافعال لا يؤمنون به بالله او بالذكر وهو حال وقد خلت سنة الاولين مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسله • وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ولو اظهرنا لهم اوضح آية وهو فتح باب من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا حيرت او حبست من الابصار من السكر او من السكر سكرت عليّ اي حبست كما يحبس النهر من الجري والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك • او الضمير للملائكة اي ولو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك • وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون • وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيراً للابصار

ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين اي ارسلنا رسلاً من قبلك • يجوز ان يتعلق بارسلنا • وان يتعلق بالمحذوف على انه نعت له • والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاع اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد بها الكبار والمعنى نبأنا رجالاً فيهم وجعلناهم رسلاً فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كما يفعل هؤلاء. وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قيل وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال • ولا على ماض الا وهو قريب من الحال ورد عليه بان ما يكثر دخولها على المضارع مراداً به الحال ويدخل عليه مراداً به الاستقبال كقوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي • وانشد شاهداً له قول ابي ذويب • اودى بني واعقبوني حسرة عند الرقاد وعبرة ما تقلع • وقول الاعشى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم له نافلات ما تغب نوالها وليس عطاء اليوم مانعه غداً وقوله الا كانوا يجوز ان يكون حالاً من مفعول يأتيهم ويجوز ان يكون صفة لرسول ففيه وجهان الجر باعتبار اللفظ والرفع باعتبار المحل واذا كانت حالاً فهي حال مقدرة كذلك مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط والرمح في المطعون • والضمير للذكر اي ندخله في قلوبهم مكذباً مستهزأ به غير مقبول كالضمير الاخر في قوله تعالى لا يؤمنون به وهو حال من هذا الضمير او بيان للجملة المتقدمة له • او حال من المجرمين او منهما ولا ينافي كونه مفسرة للمعنى الاول بل تقوية وتعاقب الضماير وان لم يستلزم تنافرها في الرجوع اليه لكنه مستحسن لا يعدل عنه عند سداد المعنى به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون • استيناف اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا الرسل وكذبوا الذكر المنزل اليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم فوقع هذا الكلام موقع الفاتحة في سورة الشعراء اعني قوله حتى يروا العذاب الاليم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكاً في الحق انما سكرت ابصارنا حيرت من السكر ويدل عليه قراءة سكرت اي حارت كما يحار السكران او حبست من السكر ويدل عليه قراءته بالتخفيف اي حبست ومنعت من الابصار كما يحبس النهر من الجري بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوا عند ظهور غيره من الايات اي هذا امر تخييلي لا حقيقة له قد سكر ابصارنا بل سحرنا به ومعنى انما انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكير الابصار وكذا معنى الاضراب في بل وايراد الجملة الاسمية اي قد سحرنا سحراً ثابتاً

انتهى الملاكي

ولقد جعلنا في السماء بروجا هي الاثنا عشر المعروفة مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة • ومن زاد على هذا قوله مع بساطتها فقد ادعى ما دون اثباته خرط القتاد وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها الضمير للسماء • وكذا في زيناها اذ لا وجه لتخصيص الزينة بالبروج من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها رجيم مرجوم بالنجوم اي مرمي بها الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء المتصل واستراق السمع اختلاسه سرا • شبهت الخطفة اليسيرة التي للشياطين من سكان السموات لبعض الغيب بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاعها وحركاتها بالسرقة في المسموعات • وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الشياطين غير محجوبين عن السموات فلما بعث عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا منها جميعا بالشهب • ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر • ويجوز ان يكون من في محل الرفع بالشرطية والاستثناء منقطع • وقيل انه بدل من كل شيطان فيكون محل الجر • وفيه ان الكلام موجب فيحتاج الى تاويله بالنفي ولا ضرورة ههنا بخلاف قوله فشربوا منه الا قليل فان فيه ضرورة على قراءة الرفع • ومن قال اي فتبعه ولحقه فكانه لم يفرق بين تبعه واتبعه • والفرق قائم يقال اتبعه اتباعا اذا طلب الثاني اللحوق بالاول وتبعه تبعا اذا مر به فمضى معه وكذلك اتبعه اتباعا بالتشديد • ثم ان ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد قوله منعوا منها جميعا فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب قبس فان اصابه احرقه وان اخطاه خبل فصار غولا يضل الناس في البوادي صريح في عدم اعتبار اللحوق في الاتباع شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة • واطلاقه على الكواكب والسنان بطريق الاستعارة لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها ليحصل بها الانتفاع لمن حلها وقيل التدعو البسط الى ما لا يدرك منتهاها ولما كانت هذه الجملة تقدمها جملة فعلية كان النصب على الاشتغال ارجح من الرفع على الابتداء فلذلك نصب على في الارض والقينا طرحنا واما قال فيها دون عليها لدفع ما يتبادر الى الفهم من القاء الجبال القاؤها على الارض من الخارج • وبيان ان المراد تكونها فيها على وجه يتظاهر كانها ملقاة عليها رواسي جبالا ثوابت وقد مر ما يتعلق به في تفسير سورة الرعد وانبتنا فيها اي في الارض • والانبات في الجبال يندرج في الانبات في الارض بدون العكس فلا حاجة الى الجمع ولا وجه لقصر الضمير الى الجبال خاصة من كل شيء

ولقد جعلنا في السماء خلقنا فيها بروجا نجوما او قصورا فيها الحرس • او منازل للنجوم وزيناها اي السماء للناظرين وحفظناها السماء من كل شيطان رجيم ملعون • او مرمي بالنجوم الا من استرق السمع اي المسموع • ومن في محل النصب على الاستثناء فاتبعه شهاب نجم ينقض فيعود مبين ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها والارض مددناها بسطناها من تحت الكعبة • والجمهور على انه تعالى مدها على وجه الماء والقينا فيها رواسي في الارض جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار مقتضية لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب المنفعة والنعمة • او ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها • وخص ما يوزن لانتهاء الكيل الى الوزن وجعلنا لكم فيها في الارض معايش ما يعاش به من الطعام • جمع معيشة • وهي بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيه خطاء ومن لستم له برازقين من في محل النصب بالعطف على معايش • او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين • واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون انهم يرزقونهم ويخطئون • فان الله تعالى هو الرزاق يرزقهم واياهم • ويدخل فيه الانعام والدواب ونحوها • ولا يجوز ان يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار

ولقد جعلنا في السماء بروجا البروج هي النجوم الكبار ماخوذ من الظهور يقال تبرجت المراة اي ظهرت واراد بها المنازل التي ينزلها القمر والشمس والكواكب وهي اثنا عشر برجا • الحمل ١ • والثور ٢ • والجوزاء ٣ • والسرطان ٤ • والاسد ٥ • والسنبلة ٦ • والميزان ٧ • والعقرب ٨ • والقوس ٩ • والجدي ١٠ • والدلو ١١ • والحوت ١٢ • وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس

من كل شيء لفظ كل للتكثير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم وقد مر نظائرها **موزون** بميزان الحكمة مقدر بقدر
تقتضيه او مستحسن مناسب كقولهم كلام موزون او وقد وقع في باب النعمة والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش**
قد مر تفسيره في سورة الاعراف **ومن لستم له برازقين** عطف على لكم لا على الضمير المجرور والا لوجب اعادة الجار
اي جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين من العيال والخدم والمماليك والانعام والدواب ممن تظنون
انكم رازقوهم ظنا كاذبا والله يرزقكم واياهم • او على معايش اي وجعلنا فيها ومن لستم له برازقين مما ذكر
كان من معايشكم • وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض محدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء
في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك وعلى كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك
فقال **وان من شيء الا عندنا خزائنه** الاية

انتهى ابو السعود

ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة
المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء •
والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به • وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له
متعلق بمحذوف اي جعلنا بروجا كائنة من السماء **وزيناها** اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب
سيارات كانت او ثوابت **للناظرين** اليها • فمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك
على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها • فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة **وحفظناها من كل
شيطان رجيم** مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها **الا من
استرق السمع** محل النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق
والوقوف على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها • عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلى الله
عليه وسلم منعوا من السموات كلها • واستراق السمع اختلاسه سرا • شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع **فاتبعه** اي تبعه ولحقه **شهاب** لهب محرق وهو شعلة نار
ساطعة • وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق **مبين** ظاهر امره للمبصرين • قال معمر قلت لابن شهاب
الزهري اكان يرمي بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمي الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود
الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت وشدد امرها
حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في
شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام • قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء
الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا • فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه
وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي • قال القرطبي اختلفوا في
الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل • وقال الحسن وطائفة يقتل
قال والاول اصح **والارض مددناها** بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع
لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى لقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى
والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد **وانبتنا فيها** اي في الارض او فيها وفي رواسيها
من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا • وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما •
او من كل شيء مستحسن مناسب • او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة **وجعلنا لكم فيها معايش** ما تعيشون به
من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء • وهي بياء صريحة • وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل
ومن لستم له برازقين عطف على معايش • او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم
له برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب • وذكرهم بهذا العنوان
لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش
ولمن لستم له برازقين انتهى ابو السعود افندي رحمه الله •

في قوله تعالى وتحقيقه
لقد جعلنا على
الارض فليعلم

وان من شيء ان للنفي • ومن مزيدة للتاكيد • وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء. الجملة فيدخل
فيما ذكر دخولاً اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدا • وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده • او خبر له
والجملة خبر للمبتدا الاول • والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير • غلب في العرف
على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس • شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة
تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم
اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت
بلا تاخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية • فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية
وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئاً من تلك الاشياء ملتبساً بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم
الا ملتبساً بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك
غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء
الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به
وهذا لبيان سر عدم تكوين الاشياء على وفق الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة • وهو اما عطف على
مقدر ننزله وما ننزله الخ • او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم •
فالاول لبيان سعة القدرة • والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل
من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق
التدريج • عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم
فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح للحجة اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل •
شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك •
او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المهلكات
وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحاباً ماطراً ماء
فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقياً وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معداً لهم
ينتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه الآية
كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين • وقيل
ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقياً لكم مع ان
طبيعة الماء يقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها •
وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات • وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول
او مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لانا • ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل
فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع
بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك
المجازي الحاكمون في الكل اولاً واخراً وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي • وفيه تنبيه على
ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم ولادة وموتاً
ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتاً •
او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد • او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر
في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم • وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على
قدرته دليل عليه • وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد • وقيل رغب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت • وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب
وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم للجزاء • وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم
والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو
يحشرهم لا غير • وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم • وفي الاضافة الى ضميره
عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء

اسماعيل ابو السعود

وان من شيء الا عندنا خزائنه مفاتيح خزائنه قيل اراد به المطر وما ننزله الا بقدر
لكل ارض حد معين • وقيل لا ينزل من السماء قطرة الا ومعها ملك يسوق
[illegible] يريد الله تعالى • وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال في العرش مثال جميع ما
خلق الله تعالى في البر والبحر وهو تاويل قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه الآية
وارسلنا الرياح لواقح اي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب وهي جمع لاقحة يقال ناقة
لاقح اذا حملت الولد • عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي
صلى الله عليه وسلم على ركبتيه قال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً • اللهم اجعلها رياحاً
ولا تجعلها ريحاً • قال ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الله تعالى فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً •
وارسلنا عليهم الريح العقيم • وقال وارسلنا الرياح لواقح • وان يرسل الرياح مبشرات •
قال ابو عبيدة اراد باللواقح ملاقح واحدتها ملقحة لانها تلقح الاشجار • وقيل
[illegible] الله تعالى الريح المثيرة فتقم الارض قماً ثم يبعث الله تعالى المبشرة فتثير السحاب
ثم يبعث الله المؤلفة يؤلف السحاب بعضه الى بعض فيجعله ركاماً ثم يبعث الله اللواقح
فتلقح الشجر • وقيل لا تقطر قطرة من السماء الا بعد ان يعمل الرياح الاربع فيها • فالصبا
تهيجه • والشمال تجمعه • والجنوب تدره • والدبور يفرقه • وفي ان اللواقح
ريح الجنوب • وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عيناً غدقة •
واما الريح العقيم فانها تاتي بالعذاب ولا تلقح • قال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل
الماء فتجري به السحاب فتدره كما تدر اللقحة ثم تمطر فاسقيناكموه اي جعلنا المطر
لكم سقيا يقال اسقى فلان فلاناً اذا جعل له سقياً وسقاه اذا اعطاه ماء يشربه وتقول
العرب سقيت الرجل ماء ولبناً اذا كان لنفسه واذا صلح له ماء لزرع ارضه او ماشيته
يقال اسقيته وما انتم له بخازنين يعني المطر في خزائننا لا في خزائنكم معالم

وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بقدر معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور

وارسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة اي وارسلنا الرياح حوامل بالسحاب لانها تحمل السحاب في جوفها كانها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم الريح

فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وعجزهم

وانا لنحن نحيي بالايجاد ونميت بالافناء • او نميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الاعمال • على التقديم والتاخير اذ الواو للجمع المطلق

ونحن الوارثون الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر • او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد • او من تقدم في الاسلام او في الطاعة او في صف الجماعة • او في صف الحرب ومن تأخر

وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم • انتهى المدارك

وان من شيء الا عندنا خزائنه من شيء في محل الرفع مبتدا خبره عندنا خزائنه ومن زائدة لتاكيد العموم • الخزائن جمع وهو اسم المكان الذي يخزن اي يحفظ فيه نفائس الاموال • شبه معلوماته الممكنة التي اذا تعلقت الارادة بها وجدت بقدرته بالاشياء المخزونة في الخزائن • فهي استعارة • وقيل ضرب ذلك مثلا لاقتداره على كل مقدور وايجاده وتكوينه بحسب الارادة اي ما من شيء من الاشياء الممكنة الا ونحن قادرون على ايجاد اضعاف ما وجد منه

وما ننزله اي نكونه ونوجده في العالم السفلي الا بقدر معلوم اي بمقدار معين وقد عينته الحكمة واقتضته المشيئة فان تخصيص كل منها بصفة دون اخرى وشكل ومقدار ووقت معين دون ما يخالفها لابد له من مخصص حكيم

وارسلنا الرياح فيه اشارة الى ان مقتضى طبع الريح الهبوب • وانما يوكد بالقسر الالهي لما في هبوبه الزائد عن قدر الحاجة مفسدة عظيمة لواقح حوامل او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح جمع مطيحة كقوله ومختبط مما تطيح الطوائح اي المطيحات شبه الريح التي جاءت بخير كانشاء سحاب ماطر وانبات زرع وعشب بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم • وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس

فانزلنا من السماء ماء قد مر تفصيله في سورة البقرة فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى لما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه عنهم كانه قال نحن الخازنون للماء لا انتم اي نحن القادرون على خزنه في السحاب وانزاله وما انتم عليه بقادرين دلالة باهرة على عظيم قدرته واظهار لعجزهم وقيل معنى وما انتم له بخازنين في الغدران والعيون والآبار

وانا لنحن نحيي ونميت تقديم الضمير للاختصاص وتكريره وتاكيده بان للحصر والتقوية اي لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لنا • ويجوز ان يراد بالحيوة ما يعم الحيوان والنبات وبالموت ما يقابله ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق كله • استعير الوارث للباقي من وارث الميت كانه يبقى بعد فنائه

ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين فيها • او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد • او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم • فهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته • وقد دل على علمه ايضا ما دل على قدرته • وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فتزاحم الناس عليه فنزلت • وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقدم بعض القوم لئلا تقع بصره عليها واستأخر بعضهم ليبصرها فنزلت • وما تقدم من الوجوه والذي تلوه هو المطابق للسابق واللاحق

وان ربك هو يحشرهم الحشر جمع الحيوان من جهات شتى الى مكان اي هو وحده يقدر على حشرهم وحصرهم مع تباعد اطراف [illegible] • وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدليل على كمال قدرته وعلمه مما دل على صحة هذا الحكم في قوله انه حكيم اي باهر الحكمة متقن في افعاله عليم واسع العلم يحيط بكل شيء علما • انتهى ابي كار

قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمين منكم الاموات والمستأخرين الاحياء • وقيل الاولين والآخرين • وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله والمستأخرين من لم يخلق الله • وقيل المستقدمين القرون الاولى والمستأخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل المستقدمون في الطاعة والخير والمستأخرون المبطئون عنهما • وقيل المستقدمون في الصفوف في الصلوة والمستأخرون فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال وربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى آخر الصف من الرجال ليقرب من النساء • ومن النساء من كان في قلبه ريبة فتتقدم الى اول صف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها • وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم ومن لا يسلم • وقال الاوزاعي اراد المصلين في اول الوقت والموخرين الى آخره

ولقد خلقنا الانسان من صلصال لما نبه على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيمة الى ما يستقرون فيه نبههم على مبدا اصلهم ادم عليه السلام • والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل لشدة يبسه وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار • وقيل اذا سمع في صوته مد عند النقر فهو صليل واذا سمع ترجيع فهو صلصلة • وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حما صفة صلصال اي كاين من حما • ويجوز ان يكون بدلا من صلصال باعادة الجار • والحما طين تغير واسود من طول مجاورة الما مسنون مصبوب مفرغ من سن الما اذا صبه اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور والتماثيل من الجواهر المذابة كانه افرغ الحما فصور منه تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه والجان ابو الجن كما ان ادم عليه السلام ابو الانس • ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان فان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها • وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام • وهذا باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من الغالب فيها الجزء الارضي وسياق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا • واذ قال ربك اذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون انما قال ههنا بشرا لان المراد الجسد الخالي عن الروح والمراد فيما سبق جنس الانس ولم يقصد خلوه عن الروح فلذلك عبر عنه ثمه بالانسان فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي اي احييته وهو تمثيل لتحصيل ما يحيى به حتى فيه وما ثمه نفخ ولا منفوخ لكن لما كان ظهور الروح الانساني المخصوص بالله تعالى فيه انما هو بفيضان القوة الحيوانية على البخار اللطيف المتولد في القلب الساري منه في الشرايين الى ساير اعضاء البدن عبر احيائه بنفخ الروح فان النفخ انما هو اجراء الريح في تجويف جسم اخر واضافة الروح الى نفسه لانه صدر منه بلا واسطة فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملايكة

ولقد خلقنا الانسان ادم من صلصال طين يابس غير مطبوخ من حما صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كاين من حما اي طين اسود متغير مسنون مصور وفي الاصل كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حما فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض والجان خلقناه ابا الجن كادم للناس • وهو منصوب بفعل مضمر يفسره خلقناه من قبل من قبل ادم من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام • قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله تعالى منها الجان واذ قال ربك اي واذكر قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته اتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي وجعلت فيه الروح واحييته وليس ثمه نفخ وانما هو تمثيل والاضافة للتخصيص فقعوا له ساجدين هو امر من وقع يقع اي اسقطوا على الارض يعني اسجدوا له • ودخل الفاء لانه جواب اذا وهو دليل على انه يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل فسجد الملائكة كلهم اجمعون فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تاويل التفرق فقطعه بقوله اجمعون الا ابليس ظاهر الاستثنا يدل على انه كان من الملائكة • لان المستثنى يكون من جنس المستثنى منه • ولكن ان الاستثنا منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المامور لا يصير بالترك ملعونا وقال في الكشاف كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا ابى ان يكون مع الساجدين امتنع ان يكون معهم واتى استيناف على تقدير قول قايل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل فقعوا له ولكن ابليس ابى فاستكبر

فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحنا كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعالى اثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقران والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم عن احد • ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحيث الوضع والاصل في الكلام التنزيل على اكمل احوال الشي ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واتيم تمام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغا • وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة ص • او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرها فقد خرجنا بفضل الله عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثنا متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استيناف مبني لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثنا فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار • او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه حيث ادرج في معصية واحدة ثلث معاصي • مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير ادم ثم ومفارقة الجماعة والابا عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استيناف مبني على سوال من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم ٥

4

فسجد الملائكة كلهم تعلقه لامر منجز مذكور في مواضع اخر وقد قررناه في تفسير سورة الاعراف لا الامر المعلق المذكور
ههنا • فالفاء الفصيحة للعطف على محذوف تقديره ظاهر لمن وقف على الامر التنجيزي اجمعون اكد بتاكيدين
للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص هذا على قول سيبويه وعن المبرد اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على
انهم سجدوا دفعة واحدة • ورده الزجاج بان اجمعين معرفة فلا يكون حالا الا ابليس استثناء متصل وقد
سبق وجهه في سورة البقرة والاعراف ابى استيناف كانه سائلا قال هلا سجد فقيل ابى ان يكون مع الساجدين
في عبارة مع اشارة الى ان ابليس كان في حيز التابعين في امر السجود مع ذلك استكبر ولا يخفى لطف موقع
هذه الاشارة حيث كان الكلام في تقبيح حاله قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين
قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا روحاني لطيف
خلقته من صلصال من حما مسنون اي خلقته من اخس الاجزاء وانا مخلوق من اشرفها استنقص آدم عليه السلام
باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه انتهى [illegible]

ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده
انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره
قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة • وقيل تضعيف صل اذا
انتن من حما من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء • وهو صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حما
مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته • او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان
كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب • وقيل منتن فهو صفة لحما • وعلى الاولين حقه ان يكون صفة
لصلصال • وانما اخر عن حما تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حما كانه
سبحانه افرغ الحما فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر
فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس • ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان
تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها • وقرئ بالهمزة • وانتصابه
بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان • ومن هذا يظهر جواز
كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستاخرين الآخر • والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد
النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن
الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي • وقوله تعالى من نار
باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب الآية • ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع و
الاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع من الحوادث
وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سياتي • وفيه ما ليس في
صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا •
قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت
ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم • وقيل جسما كثيفا يلاقى ويباشر • وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف
ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حما
مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض
عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد • ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض
لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة
الانسانية والخلقة البشرية • او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح
الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة
بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي امري فقعوا له

كثيفا

كملت

وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلث المذكور قال الله تعالى في سورة الاعراف قال
ما منعك الا تسجد اذ امرتك • وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولكن
اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي
الثلث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه • وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة و
سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اي ابليس وهو ايضا استيناف مبني على السؤال
الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف
العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حما مسنون اقتصر ههنا على الاشارة
الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا
في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه ههنا فاقتصر
على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل ااسجد لمن خلقت طينا
وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب • وفي عدوله
عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة واني له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر
ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول • ولقد جرى خذله الله تعالى
على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية
والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها التكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل جلاله انتهى ابو السعود

فبما قال والمعنى اقسم باغوائك اياي ثم قال وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف فقد اخطأ في الاول ولم يصب في الثاني
لان الخلاف للفقهاء ونزاعهم في انه يمين يترتب عليه احكامها من الكفارة وغيرها كالايمان المتعارفة فانه لا خلاف
في ان اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن الحلف بالآباء وعد
مكروها فالكلام المذكور لا مساس له بهذا المقام **لازينن لهم في الارض** اي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي
دار الغرور لقوله اخلد الى الارض • وقيل معنى تقييد التزيين بقوله في الارض اني قدرت على تزيين الاكل
من الشجرة لآدم في السماء فلأن اقدر على تزيين المعاصي لذريته اولى **ولاغوينهم** ولاحملنهم **اجمعين** على
الغواية **الا عبادك منهم المخلصين** اي الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وطهرهم عن الشوائب • وقرئ بكسر اللام
اي الذين اخلصوا نفوسهم ودينهم لله تعالى وكان يكفيه ان يقول الا المخلصين منهم فزاد قوله عبادك
اشارة الى وجه خلاصهم عن اغوائه وهو اختصاصهم بالله تعالى من جهة العبودية وتوطئة لتوصيفهم بالوصف المذكور

قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت
بعد هذا الطرد وقوله فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واي هبوط
او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق الدخول
بعد ان احتال في دخولها وتوسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي هذا الطرد
على نعوت الاستدراج لما تقتضيه من الحكم البالغة **فانك رجيم** مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم
بالحجارة • او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص
بالقياس فهو رجيم ملعون **وان عليك اللعنة** الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله تعالى
وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي **الى يوم الدين** الى يوم الجزاء والعقوبة
وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك
يومئذ • وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة من افانين العذاب لنفسه
هي كالزايل • وقيل انما حدث به لانه ابعد غاية يضرب بها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة مع الموت كما في سائر من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة
طلب اللعين تأخير موته كما حكي عنه بقوله تعالى **قال رب فانظرني** اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة
بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء بعد
فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم تارة
البعث **قال فانك من المنظرين** وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين
على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء
لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة
التكوين • والفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله
فان ترحم فانت لذاك اهل • فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة
للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره
كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك
من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام
الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى
البعث كما عرفته • وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت
والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا • وفي سورة ص فان ايراد الكلام
واحدا على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم
لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع
الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز

وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف
الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التي يعلم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى
ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات • فالتعبير بيوم البعث
لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء • وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر • او لاستئثاره تعالى
بعلمه ولعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه
ويعاقب في بقيته • ويروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين
ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه فاذا بحلقة
عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي
عدوي ابليس اذا راني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين
الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين • ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت
فلما وصفه قال يا رب حسبي ففزع الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه
لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع
واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه
الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية
سبعون الفا قد امتلوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها
وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك
الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول
قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم
فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه
فيغوص البحار فتنز منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في
وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق •

قال فاخرج منها من السماء او من الجنة او من جملة
الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تعالى
ومعناه ملعون لان اللعنة هو الطرد من الرحمة
والابعاد منها وان عليك اللعنة الى يوم الدين
ضرب يوم الدين حدا للعنة لانه ابعد غاية
يضرب بها الناس في كلامهم • او المراد به انك
مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض
الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك
اليوم عذبت بما ينسي اللعن منه قال رب
فانظرني فاخرني الى يوم يبعثون قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
يوم الدين ويوم يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت
يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر
ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم
وما مصدرية وجواب القسم لازينن لهم والمعنى
اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي ونحو
قوله بما اغويتني لازينن لهم فبعزتك فانه
اقسام الا ان احدهما اقسام بصفة الذات
والثاني بصفة الفعل • وقد فرق الفقهاء بينهما
فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة
والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة
والسخط ليس بيمين • والاصح ان الايمان مبنية
على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون
يمينا وما لا فلا • والاية حجة على المعتزلة في خلق
الافعال وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر
في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور او
اراد اني اقدر على الاحتيال لادم والتزيين
له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين
لاولاده في الارض اقدر ولاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين وبكسر اللام بصري ومكي وشامي •
استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه

قال فاخرج منها من السماء او الجنة فانك رجيم مطرود من
رحمة الله تعالى اي ملعون لان المراد من الرجم هو اللعن •
والرجم في الاصل هو الرمي بالحجارة وجعل الرمي طردا لان من
يطرد يرجم بالحجارة • وقيل من الشياطين المرجومين بالشهب
وهذا ليس جوابا عن الشبهة على سبيل التصريح بل جواب
على سبيل التنبيه وذلك ان الذي قاله تعالى نص والذي
قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان
رجيما ملعونا وان عليك اللعنة هذا الابعاد والطرد الى
يوم الدين جعله منتهى امد اللعن لا بمعنى انه ينقطع عنده
بل بمعنى ان الاغواء الموجب للعن على لسان المكلفين
ينقضي بانقضاء التكليف وقت الجزاء فينقطع ذلك
اللعن ثم يجازى بما ينسى معه اللعن ويستحق من انواع
العذاب والا فاللعن في القيامة منصوص عليه في مواضع
من كلام الله تعالى كقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا كلما دخلت امة لعنت اختها • فاذن مؤذن
بينهم ان لعنة الله على الظالمين • وقيل حد اللعن به لانه
ابعد غاية يضربها الناس في التابيد كقوله ما دامت السموات
والارض قال رب فانظرني فاخرني • والفاء متعلق بمحذوف
دل عليه سياق الكلام تقديره فاذا جعلتني رجيما الى يوم
القيمة فانظرني الى يوم يبعثون انما سال الانظار طلبا
للامهال في العقوبة • قيل اراد ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه
الى الاول دون الثاني • وما ذكرنا اهم وهو مستلزم
لما ذكره اولا • واما ما ذكره ثانيا فمبناه ضعيف على ما ستعرف
قال فانك من المنظرين الفاء للعطف على تقديره لاجابة
الى السؤال فانك من الذين اقتضى حكمة التكليف انظارهم
فكان فيه تنبيها على انه لا اجابة له ولا كرامة من جهة الاسعاف
لبعض سؤاله الى يوم الوقت المعلوم هذا • ويوم الدين و
يوم يبعثون واحد الا انه خولف بين العبارات فضلا لحق البلاغة
في الكلام فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث
لانه المناسب لغرض اللعين وثالثا بيوم الوقت المعلوم
لوقوعه في الكلامين • وزيادة الوقت للتنبيه على ان التاخير
الى ذلك اليوم لا يقتضي نجاته عن الموت لانه زمان ممتد
البعث في بعض اوقاته • فيجوز ان يموت في اوله ثم يبعث
مع سائر الخلائق في وقت البعث وهذه المخاطبة وان لم تكن
بواسطة لم تدل على كرامته عند الله تعالى لانه على سبيل الاهانة و
الاذلال قال رب بما اغويتني الباء للسبب وما مصدرية
اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني
بسبب اغوائك اياي بواسطتهم • وقيل الباء للقسم ويرده
قوله في موضع اخر فبعزتك لاغوينهم اجمعين والقصة
واحدة وهو صريح في ان القسم بصفة الذات
انتهى الملك
هكذا

• حتى كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض
كالجمرة اذا احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى
ويقال لادم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه
من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا
التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي
اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا • فحكى تارة قسمه بهذا و
اخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك
لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا
عن امهال الله تعالى وتسليطه له على اغواء بني ادم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون
الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم
على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم
كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى انتهى ابو السعود رحمه الله
المخلص بفتح اللام هم الذين صفاهم الله تعالى عن الشرك والمعاصي وبكسرها هم الذين اخلصوا العبادة له تعالى فلم يشركوا به ولم يعصوا
وقيل من يخفي حسناته كما يخفي سيئاته قال في التعريفات قال شيخ مشايخنا القيصري قدس الله سره الاخلاص
هو تصفية الاعمال عن الغير وعن الافات المانعة من صلاحية الاعمال علم اللعين انه لا سبيل له اليهم بالاغواء لما تحقق
بعناية الحق بشانهم قال تعالى هذا صراط علي مستقيم تهديدا له كما تقول افعل ما شئت فطريقك علي وقال
قدس الله سره لم يكن اغواؤه مما يجب ان يقسم به لولا فرط جهله ثم هو في المعنى صحيح لان الاغواء مما يتفرد الحق
بالقدرة عليه ولا يشاركه فيه احد ولكن اللعين لا يعرف الله على الحقيقة اذ لو عرفه لم يدع الاغواء والاضلال
ولو قدر على اضلال غيره لاستبقى نفسه على الهداية وعند اهل التحقيق انه كان يقول جميع ذلك حرصا وظنا وهو لم يعرف
الحق على الحقيقة

قال هذا اشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من اغوائه او الى الاخلاص صراط علي اي تخلصهم
من اغوائك وانتفاء سلطانك عليهم حق علي ان
اراعيه او الاخلاص طريق علي بمعنى يؤدي الى
الوصول الي والدخول علي مستقيم من غير اعوجاج
او هذا الصراط حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون
لك سلطان على عبادي فقوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان تفسير للصراط المشار اليه بهذا على طريق الاستيناف
وقرئ علي من علو الشرف والمكانة • وفي القول المذكور
رد لما اوهم اللعين من انه انما استثنى المخلصين
رعاية لشرف تقربهم من الله تعالى • والاضافة في
عبادي للتشريف يعني ان المخلصين بعبادي المشرفين
بالانتساب الي لا قدرة لك على اغوائهم فالاستثناء
في قوله الا من اتبعك من الغاوين منقطع اي لكن من
اتبعك من الغاوين فلك عليهم سلطان والواو في قوله
وان جهنم لموعدهم اي لموعد المتبعين للعطف على المحذوف
المذكور • واما ما قيل انه تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا
على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى امره التحريض و
التدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا يخفى بعده لانه ان اريد بالسلطان
القدرة على الاغواء والاضلال فلا وجه للتكذيب له
وان اريد به ما اراده في القول المنقول عنه من القدرة
القاهرة فكلامه خلو عن ايهامه ثم ان مبناه على انقطاع
الاستثناء مع صحة التناول في المستثنى منه للمستثنى
ولا يخفى ما فيه فان حق الاستثناء على تقدير العموم
في المستثنى الاتصال كما ذهب اليه من قال انه تصديق
لابليس فيما استثناه • ولا يذهب عليك ان خطابه
بالتصديق فيما قاله لا يخلو عن نوع اخلال فلا يناسب
مقام الاهانة والاذلال اجمعين تاكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة
ابواب بحسب طبقاتها استيناف او خبر ثان • ومن
كان يدخلونه لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب
مراتبهم لم يصب في واحد منهما اما في الثاني فظاهر
لان الابواب مداخل تلك الطبقات لا نفسها واما
في الاول فلانه مبناه على ان يكون التعدد في المدخل
فقط وليس كذلك قال علي رضي الله عنه ان الله تعالى
وضع الجنان على العرض ووضع دركات النيران
بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها
السعير وفوقها هاوية ومن وهم على الترتيب فقد وهم

قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين اي هذا طريق حق علي ان
اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي
الا من اختار اتباعك منهم لغوايته • وقيل معنى
الي علي يعقوبه من علو الشرف والفضل وان
جهنم لموعدهم اجمعين الضمير للغاوين لها سبعة
ابواب لكل باب منهم من اتباع ابليس جزء مقسوم
بحسب معلوم مفرق • قيل ابواب النار اطباقها
وادراكها فاعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم
ثم يخرجون والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس
للمشركين والسابع للمنافقين ان المتقين في جنات
وعيون وتجمع العين مدغمة ومجردة وخص
المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي
عنه • وقال في الشرح ان دخل اهل الكبائر في
قوله لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر والا فالمراد
به الذين اتقوا الشرك ادخلوها اي يقال لهم
بسلام حال اي سالمين او مسلما عليكم تسلم
الملائكة امنين من الخروج منها والافات فيها وهو
حال اخرى ونزعنا ما في صدورهم من غل وهو
الحقد الكامن في القلب اي ان كان لاحدهم غل
في الدنيا على اخر نزع الله تعالى ذلك في الجنة
من قلوبهم وطيب نفوسهم • وعن علي رضي الله عنه
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم •
وقيل معناه طهر الله تعالى قلوبهم من ان تتحاسد
على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقي فيها
التوادد والتحاب اخوانا على سرر متقابلين
كذلك قيل تدور بهم الاسرة حيث داروا
في جميع احوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضا لا يمسهم
فيها نصب في الجنة تعب وما هم منها بمخرجين فتمام
النعمة بالخلود ولما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه
نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم

...ثمره في الظرف لانه مقوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه
...والفواحش فان غيرهما مكفر في جنات النعيم اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم
...رعين • او لكل منهم عدة منها كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان • وقرئ بكسر العين
...وقع في القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول امرا من الله تعالى لهم بالدخول • وقرئ
...ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم • وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي
...الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم امنين من الافات والزوال
...ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا • وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا
...وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى في جنات •
...من فاعل ادخلوها • او من الضمير في امنين • او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
...في قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا • او حالين من ضميره لانه بمعنى
...متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول • وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيث
...داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه
...الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم
...وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم • وهو استيناف او حال بعد حال • او حال من
...الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الاباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي الاية انتهى ابو السعود
رحمه الله

لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى ○ وروى
ان الثانية للنصارى والثالثة لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين
كما سيجيء ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ○ وهذا صريح في انها دركات بعضها فوق بعض ○ وبما قررناه
ظهر ان تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق لا لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة
القوة الشهوانية والغضبية ○ وقرئ جزّ بالتثقيل ○ وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان
الصفة لا تعمل فيما تقدم على موصوفها ان المتقين من اتباعه من كان في الكفر والفواحش فان غيرها
مكفرة فكانه غفل عن اشتراط كفارة الصغائر بالاجتناب عن الكبائر في جنات قد سبق في تفسير سورة
البقرة ان الجنان سبع وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال
وعيون يحتمل ان يكون المراد بها الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى ○ وان يكون منابع مغايرة لتلك الانهار ادخلوها على ارادة القول ○ وقرئ بقطع الهمزة
وكسر الخاء على انه ماض من الادخال بسلام سالمين او مسلما عليكم اي يسلم عليكم الملائكة آمنين من الآفات والعاهات
وانواع الزوال فالآمن عنه انما يعلم من قوله وما هم منها بمخرجين فلا وجه لدرجه في الآمن والمراد ههنا ونزعنا ما في صدورهم من غل
كان لبعضهم في الدنيا على آخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم بعد دخولهم الجنة وطيب نفوسهم ○ روى ابو امامة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اهل الجنة يدخلون الجنة بما في صدورهم من الشحناء والغل فاذا تراضوا
وتقابلوا نزع الله تعالى ذلك عن صدورهم فذلك قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل الآية ○ فمن وهم ان ذلك
النزع في الدنيا فقد وهم ○ وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم ○ الغل الحقد الكامن
في القلب من الغل في جوفه وتغلغل ○ فلا وجه لما قيل من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال
من الضمير المجرور في صدورهم وجاز ذلك لان المضاف جزء المضاف اليه ○ او من فاعل ادخلوها ○ او من الضمير
في آمنين ○ او من الضمير في جنات وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكون صفتين لاخوانا ○ او حالين من
ضميرهم لانه بمعنى متصافين ○ او يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف
او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين ○ والنصب الوهن الذي يلحق من التعب في العمل وما هم منها بمخرجين
نص في الخلود وبه يتم النعمة ولما اتم ذكر الوعد والوعيد ذيّله بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب
الاليم انتهى
ابي كمال

قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم لا عوج فيه ○ والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو
تخلص المخلصين من اغوائه ○ او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال
والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين ○ وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم
بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا
لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين
ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين
والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه ○ وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف
في الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير ○ او حال والعامل فيه الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف ○ او معنى الاضافة ان جعل
اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم
ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز
من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين ○ والثانية لليهود ○ والثالثة للنصارى ○ والرابعة للصابئين ○
والخامسة للمجوس ○ والسادسة للمشركين ○ والسابعة للمنافقين ○ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار ○ والحطمة لعبدة الاصنام ○ وسقر لليهود ○ والسعير للنصارى ○ والجحيم للصابئين ○ والهاوية للموحدين ○
ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية
وقرئ بضم الزاي وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء ○

نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له • وفي ذكر المغفرة اشعار بانه ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها • وفي وصف ذاته تعالى بالمغفرة والرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذابه تعالى هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبرئيل عليه السلام وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه عليهم • وقيل جبرئيل وميكائيل عليهما السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي اذكر وقت دخولهم عليه • او على خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه • او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما • او سلمنا • او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يتصد عليه السلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام سلامهم قالوا لا توجل لا تخف • وقرئ لا تاجل من اوجل اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر واثر فيّ • تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي اعجوبة تبشرونني • او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء • او باي طريقة تبشرونني • وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة • او باليقين الذي لا لبس فيه • او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر • وقرئ من القنطين وكان مقصوده عليه السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي • وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة • وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة مع ابراهيم عليه السلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر ههنا

(انتهى ابو السعود رحمه الله)

هـ اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون كمال قدرته وسعة رحمته كقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي لم استبعد ذلك قنوطا من رحمته تعالى واستبعادا من قدرته بل استبعدته استعجابا باعتبار العادة وقرئ يقنط بالحركات الثلث وقرئ من القنطين من قنط يقنط انتهى ابن كمال رحمه الله

نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقرير لما ذكر وتمكين له في النفوس قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه في العبادة ولما اقدم على ذنب ونبئهم واخبر امتك عطف على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم اي عن اضيافه وهو جبرئيل مع احد عشر ملكا • والضيف يجيء واحدا وجمعا لانه مصدر ضافه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قال ابراهيم انا منكم وجلون خائفون لامتناعهم عن الاكل ولدخولهم بغير اذن وبغير وقت قالوا لا توجل لا تخف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل انك مبشر آمن فلا توجل وبالتخفيف وفتح النون حمزة بغلام عليم هو اسحق لقوله في سورة هود فبشرناها باسحق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر اي ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر مستنكر عادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فباي اعجوبة تبشرونني بكسر النون والتشديد مكي • والاصل تبشرونني فادغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها • تبشرون بالتخفيف نافع والاصل تبشرونني فحذفت الياء اجتزاء بالكسر وحذف نون الجمع لاجتماع النونين • الباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع قالوا بشرناك بالحق باليقين الذي لا لبس فيه فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك قال ابراهيم ومن يقنط وبكسر النون بصري وعلي من رحمة ربه

الا الضالون الا المخطئون طريق الصواب او الكافرون كقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اي لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها

(انتهى المدارك)

ولما اتم ذكر الوعد والوعيد نبه بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس • وهو فذلكة لذلك • وفي ذكر المغفرة ايماء الى انه لم يرد بالمتقين الذين اجتنبوا الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها • وعن ابن عباس رضي الله عنهما غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب • وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب • والتأكيد بالقصر وتعريف الاسمين ترجيح لجانب الوعد • وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم تحقيق لهما بما يعتبرون به مما نزل بقوم لوط عليه السلام من العذاب وانجاء لوط واله اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما او سلمنا سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وكان ذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت • وقيل لامتناعهم من الاكل قالوا لا توجل وقرئ لا توجل بضم التاء من اوجله اذا خافه • وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اي انك في محل الامن والبشارة فان المبشر لا يخاف منه • وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر بغلام هو اسحاق عم لقوله فبشرناها باسحق عليم بالدين فادرج فيه الاشارة الى نبوته كما ضمن قوله بغلام البشارة بكون الولد ذكرا قال ابشرتموني على ان مسني الكبر مس الكبر كناية عن تغيره اياه عن حال تطمع في الولد الى حال الياس عنه • ومعنى الهمزة التعجب والاستنكار اي البشارة بالولد مع مس الكبر امر عجيب مستنكر في العادة ولذلك اكده بقوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه في العادة كلا بشارة او بشارة بغير شيء • وقرئ تبشرونّ بكسر النون والتشديد على ادغام نون الجمع في نون الوقاية • وبكسرها والتخفيف على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني قالوا بشرناك بالحق اي بما هو محقق الوقوع او باليقين الذي لا لبس فيه • ويجوز ان يكون قوله فبم تبشرون سؤالا عن وجه البشارة وطريقها اي باي طريقة تبشرونني بالولد ولا طريق الى هذه البشارة في العادة • وعلى هذا يكون معنى قوله بالحق بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى ووعده فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه القادر على ايجاد بشر من غير ابوين فكيف من شيخ هرم وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون هـ

وبما نا ننجيهم حرف

قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما الامر الجليل الذي بعثتم له تفريع على ما علم مما تقدم من ان كل القصد من ارسالهم ليس البشارة لانهم كانوا ذوي عدد ولو لم يكن المقصود الا البشارة لاكتفى بالواحد كما اكتفى به في بشارة زكريا ومريم • ولانهم بشروه في اثناء ازالة الوجل ولو كانت المقصود هي وحدها لابتدؤا بها ولان نزول الملائكة يكون غالبا للعذاب قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اريد بهم حقيقون يدل عليه قولهم في سورة هود عليه السلام انا ارسلنا الى قوم لوط • وانما نكرهنا على سبيل الاهانة بهم كانهم ابهموا او لانهم بينوا فنقل كل منهما في موضع اكتفاء بقدر الحاجة وفي الاشارة في توصيفهم بالمجرمين الى ان ارسالهم بالعذاب غني عن العبارة عنه بقوله لنرسل عليهم حجارة من طين الواقع في موضع اخر فكانهم قالوا انا ارسلنا بالعذاب الى قوم مجرمين • والمجرم المنقطع عن الحق الى الباطل الا ال لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي قوم اجرموا كلهم الا ال لوط • او من قوم على ان توصيفهم بالاجرام باعتبار الغالب • وعلى كلا التقديرين القوم والارسال شاملان للمجرمين وال لوط المؤمنين به عليه السلام • والمعنى انا ارسلنا الى قوم لوط واله ليهلكوا قومه وينجوا اهله الا امرأته انا لمنجوهم اي مما يعذب به القوم اجمعين استيناف للجواب عن سؤال ابراهيم عليه السلام وهو مذكور في موضع اخر بقوله قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته • وهذا القدر من الاختلاف في اسلوب الكلام لا يضر اذا كان المراد نقل خلاصة المعنى وحاصل المرام الا امرأته استثناء من الضمير المجرور في منجوهم • او من ال لوط على ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا قدرنا انها لمن الغابرين انما كسرت من اجل اللام في خبرها ولولاها لفتحت وهي معلقة لما قبلها لان فعل التقدير يعلق اجراء له مجرى القول لان التقدير بمعنى القضاء قول او مجرى العلم اما لكونه بمعناه واما لكونه مترتبا عليه • واما تضمينه معنى العلم فلا يجدي نفعا لبقاء نفي الفعلين واصل التقدير جعل الشيء على مقدار غيره والغابر الباقي والمراد الباقي في العقوبة • وهي اجمل من كلام الله تعالى ذكرت تقرير الاستثناء الواقع في كلام الملائكة لان قوله تعالى فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها انها لمن الغابرين صريح فيه والقصة واحدة فلا مساغ لان يكون من كلام الملائكة • فالذين سعوا في توجيه اسنادهم التقدير الى انفسهم مما لا يخلو عن نوع تعسف لم يكن سعيهم مشكورا انتهى ابي الكمال

في سورة النمل

قوله الى قوم مجرمين اي المشركين اجترموا الهلاك على انفسهم بعملهم الخبيث يعنون قوم لوط كرماني

قال فما خطبكم فما شانكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم لوط الا ال لوط يريد اهله المؤمنين هو استثناء منقطع لان القوم موصوف بالاجرام والمستثنى ليس كذلك • او متصل فيكون استثناء من الضمير في مجرمين كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثنائين لان ال لوط مخرج في المنقطع من حكم الارسال يعني انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى ال لوط اصلا • ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال السهم الى المرمى فانه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم • واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال يعني ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء • واذا انقطع الاستثناء جرى انا لمنجوهم اي ال لوط اجمعين مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجون • واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امرأته مستثنى من الضمير المجرور وليس باستثناء من الاستثناء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون اذا اتحد الحكم فيه بان يقول اهلكناهم الا ال لوط الا امرأته فقد اختلف الحكمان لان الا ال لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته تعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء • لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلي قدرنا وبالتخفيف ابو بكر انها لمن الغابرين الباقين في العذاب • قيل لولم يكن اللام في خبرها لوجب فتح ان لانه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون وانما اسند الملائكة فعل التقدير الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك امرنا بكذا والامر هو الملك انتهى المدارك

ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم اي امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الاية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره • ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذكر تقديره بالنفا دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس بمجرد البشارة فما ذا فلا حاجة الى الانبياء اي ان علمه عليه السلام بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا لانهم بشروه في تضاعيف ازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدءوا بها فتامل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط وصفوا بالاجرام • وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا ال لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا ال لوط • فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط لنهلك الاولين وننجي الاخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا واله • او لبيان ... من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين • او لتعليله ... تعلق بهم التنجية بمعنى من شمول العذاب • او منقطع من قوله تعالى انا لمنجوهم متصل بال لوط جار مجرى ... وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من ال لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف ... اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا • وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة ... معهم • وقرئ قدرناها بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب ... بمعنى العلم • ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم ... الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص انتهى ابو السعود رحمه الله

... قدرناها قضينا انها لمن الغابرين من الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي ... استثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهالكين قرا ابو بكر قدرنا خفيفا وفي سورة النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها انتهى الكلام

الضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انساناً لطلب القرى وهو اسم يقع على الواحد والجمع والذكر والمؤنث واطلاق الضيف على الملائكة لكونهم في صورته فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه • يقال فضحه يفضحه فضحاً وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلوني فيهم من الخزاية وهي الحياء

فلما جاء آل لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل • ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية • وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكاراً لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين له باسباب المدافعة والممانعة حتى الجاته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد كما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفاً ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهو بجوابهم المحكي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك • قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الحال الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع • وليست كلمة بل اضراباً عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له • والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به • ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط ايذاناً باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بها وحيث كان ذلك مستدعياً للبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير اليه ذلك اجمالاً ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كأنهم جاؤوا به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصاً على نفي الامتراء عنه • او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى وانا لصادقون تأكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه • وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد • وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل • وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل • وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم • وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم • ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر المبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب • وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة • او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه • او هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة • وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه ٥

… كما عرفت للاكتفاء بما ذكر في موضع آخر وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام … وحذف الصلتين على الاتساع المشهور • وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضياً ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه • وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين • وايراد صيغة المفعول دون صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع • وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار وابهامه اولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى • وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء • او من الضمير في مقطوع • وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالاً حسبما نبه عليه اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعاً فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدراً في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث • واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف • والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشميره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة • او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه • يقال فضحه فضحاً وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض … بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيراً في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه

فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
اى لا اعرفكم اوليس عليكم زي السفر ولا انتم من اهل
الحضر فاخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا
لاجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك من عدوك
وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون
فيه اى يشكون ويكذبونك وآتيناك بالحق باليقين
من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم
فاسر باهلك بقطع من الليل في آخر الليل او بعد
ما يمضي شيء صالح من الليل واتبع ادبارهم وسر
خلفهم ليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم ولا يلتفت
منكم احد لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم • او جعل النهي عن الالتفات كناية من
مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من
يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا
حيث تؤمرون حيث امركم الله بالمضي وهو الشام
او مصر وقضينا اليه ذلك الامر عدي قضينا بالى لانه
ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا
مبتوتا • وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء
مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر ودابرهم
آخرهم اى يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم
احد مصبحين وقت دخولهم في الصبح وهو حال
عن هؤلاء وجاء اهل المدينة اهل سدوم التي
ضرب بقاضيها المثل في الجور يستبشرون
بالملائكة طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال لوط
ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي
لان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا
الله ولا تخزون ولا تذلون باذلال ضيفي من
الخزي وهو الهوان وبالياء فيهما يعقوب اسحى

فلما جاء آل لوط المرسلون الفاء الفصيحة للعطف على محذوف
تقديره ظاهر بقرينة المقام وسياق الكلام قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي واخاف ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله وتخافه
بل جئناك بما يسركم ويشفيك من اعدائك وهو
العذاب الذي تتوعدهم بنزوله فيجادلونك فيه
تكذيبا لك • وقوله في سورة هود عليه السلام قال لو ان لي بكم
قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك
لا يمكن توفيقه لهذه المقاولة الا بجعل قوله عليه السلام ههنا
على تصوير الحال والتعبير عنها وحمل ما نقل عنهم على نقل ما ل
المعنى وحاصل الكلام وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم
وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه
وقيل من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا
من قطع ليل بهم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم
لئلا يتخلف منهم احد فيصيبه العذاب وتكون مطلعا
عليهم وعلى احوالهم فلا تشتغل قلبك بمن خلفك
ولا يصدر من احدهم هفوة في تلك الحالة المهولة اختشاما
منك ولا يلتفت منكم احد فيرى ما بهم من العذاب
ويرق لهم • او يرى ما لا يطيقه من الهول فيبقى على مكانه
وهفا فيهلك • او يتحرف فيصيبه العذاب • وقيل نهوا
عن الالتفات الى الاوطان وانما توفاك تخشيا عليها
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة • ويجوز ان يكون النهي
عن الالتفات كناية عن الاخر بتواترا السير واتصاله وترك
التواني والتوقف فان المتلفت لا بد له من ادنى
وقفة وتوان وامضوا حيث تؤمرون اى حيث امركم الله
تعالى بالمضي وهو الشام او مصر • عدى امضوا الى حيث
بنفسه لانه ظرف مبهم في الامكنة وكذا تؤمرون الى ضميره
المحذوف على الاتساع وقضينا اليه ضمن قضينا معنى
اوحينا فعدي بالى كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا
ذلك الامر بهم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله
النصب على البدل منه اى يستأصلون عن آخرهم حتى
لا يبقى منهم احد • وفي ابهامه والاشارة اليه بذلك ثم في
تفسيره تفخيم للامر وتعظيم له • وقرئ ان بالكسر على الاستئناف
كان قائلا قال ما ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء مقطوع
مصبحين داخلين في الصبح حال من هؤلاء او من الضمير في
مقطوع • وانما جمع حملا على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى
مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي

ظ اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك تربا بتاح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب
عنه فذلك اعظم العار • عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم
بمخالفته بالخزي • وامرهم بتقوى الله في ذلك • وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان
يعرف انه لا يفيدهم ذلك • وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيط
بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين انتهى

وقضينا اليه ذلك الامر اى فرغنا الى لوط من ذلك وقيل اى احكمنا الامر الذي امرنا في قوم لوط واخبرناه (وهو العذاب)
ان دابر هؤلاء تدل عليه قراءة عبد الله وقلنا له ان دابر هؤلاء يعني اصلهم مقطوع مستاصلون
مصبحين اذا دخلوا في الصبح
وهذا القول منه عليه السلام صريح في ان مجيء اهل المدينة والمقاولة منهم في شأن
الاضياف قبل العلم بانهم ملائكة ارسلوا للنصر كما في قوله وجاء اهل المدينة يستبشرون
اخبار عن مجيئهم عقيب نزول الملائكة في بيت لوط عليه السلام قبل محاورته معهم وعلمه بانهم ملائكة وما في قوله
فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اخبار عن محاورته عليه السلام مع الملائكة بعد تمام مقاولته مع اهل
المدينة ولا دلالة في الواو على الترتيب صح
انتهى كلامه

للعطف
قالوا اولم ننهك الهمزة للاستفهام الانكاري والواو
على محذوف تقديره الم نقل لك لا تجير احدًا بالانزال
في بيتك ولم ننهك عن العالمين اي عن المنع بيننا
وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل واحد وكان لوط عليه السلام
يمنعهم عنه بقدر وسعه قال هولاء بناتي فيه وجوه قدم
بيانها في تفسير سورة هود عليه السلام ان كنتم فاعلين
شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم
وما اظنكم تفعلون • وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله لكم دون ما حرم لعمرك قسم بحيوة المخاطب
وهو نبينا صلى الله عليه وسلم • وقيل لوط عليه السلام قالت
الملائكة له ذلك • واللام لام الابتداء وعمرك مبتداء
خبره محذوف تقديره لعمرك قسمي • والعمر بالفتح لغة
في العمر يختص به القسم ايثارًا للاخف فيه لانه كثير
الدور على السنتهم ومتى اقترن بلام الابتداء يلزمه
حذف الخبر لسد جواب القسم مسده انهم لفي سكرتهم
اي في غوايتهم او شدة غلمتهم التي اذهبت تمييزهم
بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به
اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون النصح فاخذتهم
الصيحة اللام للجنس والمراد به الفرد الكامل في معناه •
وهو صيحة جبرئيل عليه السلام فان اسم الجنس كما يستعمل
لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المقصوده منه
ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان • والصيحة
صوت يخرج من الفم بشدة واخذهم الصيحة قهرها
اياهم وتمكنها منهم ومنه الاخيذ يعني الاسير مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس • يقال شرقت
الشمس شروقا اذا طلعت واشرق الرجل اذا دخل في
شروق الشمس • كان ابتداء العذاب حين اصبحوا
وتمامه حين اشرقوا فلا منافاة بينه وبين قوله ان موعدهم
الصبح فجعلنا عاليها على المدينة او عالي قراهم سافلها
متقلبة عليهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين
متحجر عليه كتاب من السجل لقوله حجارة من طين مسومة
اي معلمة بكتاب قيل قذفوا بالحجارة اولا ثم قلبوا •
وقيل التقليب كان للحاضرين والامطار لمن شذ منهم ان
في ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين اي الناظرين
المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته •
يقال توسمت في فلان كذا اذا عرفت وسمه فيه وانها وان
المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
ويرون اثارها لم يندرس بعد •

قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
او تدفع عنهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد • وكان
عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين
المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته
يالوط لتكونن من المخرجين او من ضيافة
الغرباء قال هولاء بناتي وكان نكاح المومنات
من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين
ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله
دون ما حرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام
لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين
الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين
الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك • او الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قسم بحيوته
وما اقسم بحيوة احد قط تعظيما له • والعمر والعمر
واحد وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح
ايثارا للاخف لكثرة دوران الحلف على السنتهم
ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي فاخذتهم
الصيحة صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا
عاليها سافلها رفعها جبرئيل الى السما ثم قلبها
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك
لايات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين
كانهم يعرفون باطن الشي بسمة ظاهره
وانها وان القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم
ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم
يبصرون تلك الاثار • وهو تنبيه لقريش
لقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل
ان في ذلك لايات للمومنين لانهم منتفعون بذلك

وهو تنبيه لقريش المارين به وتهديد لهم كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان في ذلك لايات للمومنين بالله ورسله
واللام لام الاختصاص لان الانتفاع بها مخصوص بهم انتهى ابن الكمال

قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم • والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغربا بالسوء
وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا
ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تتصدى له لما اعتراك
تلك الحالة ولما راهم لا يقلعون عما هم عليه قال هولاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
او بناته حقيقة • اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم لا لعدم
مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر
او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي صلى الله عليه وسلم • او من الملائكة بحيوة لوط عليهم السلام
والتقدير لعمرك قسمي • وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم
لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب يعمهون
يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح • وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة
الهائلة • وقيل صيحة جبرئيل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها على المدينة او عالي قراهم
وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا
عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب • وقد فصل ذلك
في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لايات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي
للمتفرسين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها لبسبيل مقيم اي طريق
ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمراى من الناس
يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لاية عظيمة للمومنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب
الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع
الفلكية • وافراد الاية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هنها بقية الاثار لا كل القصة كما في ما سلف ابو السعود
رحمه الله

حيث قال هولاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
حاجة وانك لتعلم ما نريد اتيان الذكور هود

[illegible]

وان كان ان مخففة من انّ وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان
اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام • والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة [illegible]
كانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين من الحد
فانتقمنا منهم بالعذاب • روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سبحانه [illegible]
فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه
على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح [illegible]
يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الا[illegible]
فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار • وقيل
المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله ابن الزبير واصحابه • والحجر واد بين
المدينة والشام كانوا يسكنونه واتيناهم اياتنا يعني الايات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة
وسقيها وشربها ودرها • او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين
لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص
وتخريب الاعداء لوثاقتها • او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه • عن جابر رضي الله عنه
انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان
تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع
حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة هود • قيل صاح بهم جبريل عليه السلام •
وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في
صدورهم • وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة
لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة • وفيه تهكم بهم وانفاء الترتيب
عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث
لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا
لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح • او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما
ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لاتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اي اعرض عنهم
الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم •
وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم و
لسائر الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى
بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل
احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقدير
وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير [illegible]

وان كان اصحاب الايكة وان الامر والشان كان
اصحاب الايكة اي الغيضة لظالمين لكافرين
وهم قوم شعيب فانتقمنا منهم فاهلكناهم لما
كذبوا شعيبا وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة
لبامام مبين لبطريق واضح • والامام اسم ما
يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء لانهما
مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام
اي كذبوا المرسلين بتكذيبهم صالحا لان كل رسول
كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا
منهم فكانما كذبهم جميعا • او اراد صالحا ومن تبعه
من المؤمنين كما يقال الخبيبون في ابن الزبير واصحابه
واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين اي اعرضوا
عنها ولم يؤمنوا بها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا
اي ينقبون في الجبال او يبنون من الحجارة
امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان
تنهدم ومن نقب اللصوص والاعداء •
او امنين من عذاب الله تعالى يحسبون ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة العذاب مصبحين
في اليوم الرابع وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واقتناء
الاموال النفيسة وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة اي القيمة
لتوقعها كل ساعة لاتية وان الله ينتقم لك فيها
من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك
وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما
بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء قيل هو منسوخ باية

السيف وان اريد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق العليم بحالك وحالهم فلا يخفى
عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم انتهى المدارك

وان كان ان هي المخففة واللام فارقة اصحاب الايكة هم
قوم ممن بعث اليه شعيب عليه السلام كانوا يسكنون الغيضة
والايكة الشجرة الملتفة واحده الايك لظالمين
لانهم كذبوه عليه السلام فاهلكوا بالظلة فانتقمنا منهم
في عبارة الانتقام دلالة على انهم اهلكوا بعذاب شديد
وانهما يعني مدينة لوط عليه السلام • او قراها والايكة
وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما
فدل ذكر الايكة على مدين فاكتفى بذكرها لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق واللوح
ومطمر البناء لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
يعني ثمود كذبوا صالحا عليه السلام ومن كذب واحدا من
الرسل فقد كذب الجميع لان سائره يصدقونه فلا حاجة
الى التاويل بحمل المرسلين على صالح عليه السلام ومن معه
من المؤمنين • والحجر واد بين مدينة والشام كانوا
يسكنونها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني ايات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها • او
من عذاب الله تعالى لفرط غفلتهم وحسبانهم ان
الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين اتاهم صيحة
من السماء فاخذتهم زلزلة وهو المذكور في سورة الاعراف
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت المحكمة و
الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق اي بالعدل والحكمة
لا ملتبسا بالباطل والعبث فيهلكون على فسادهم
وظلمهم ولا يؤاخذون بالعذاب فانه ينافي الحكمة والعدل
وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل اي فاصفح عنهم ولا تعجل بالانتقام
منهم وعاملهم بالخلق الجميل معاملة الصفوح الحليم
وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي
خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينك وبينهم فهو يحكم بينكم ويجازيكم
على اعمالكم او هو الذي خلقكم وعلى ما هو الاصلح لكم فاختار
اليوم بالصفح لعلمه بانه اصلح الى ان يكون السيف اصلح انتهى
ابن الكمال

٥ افضل ما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ولا تحزن
عليهم اى لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا
فيتقوى بمكانهم الاسلام والمسلمون واخفض
جناحك للمؤمنين وتواضع لمن معك من فقراء
المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني
انا النذير المبين انذركم ببيانه وبرهانه ان
عذاب الله نازل بكم اسهل المدارك

ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة على ما نص عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقد بيناه في تفسير سورة الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم
سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية
ورد بان هذه السورة قد نزلت وما نزل من السبع
الطوال شيء والعرف عن الظاهر يأباه مقام الامتنان
من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير او من الثناء
لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة اي
موضع التثنية او الثناء تنكير سبعا للتعظيم والابهام
الذي فيه والتوضيح بقوله من المثاني للتمكين في
نفوس السامعين وقوله والقرآن العظيم من باب
عطف الكل على البعض للتعميم وتكثير الامتنان وتفخيم
شان البعض المعطوف عليه كانه المقصود بالذكر
والاصل سائر الابعاض والمراد من الكل مجموع ما
نزل وقت نزول الآية لا مجموع القرآن حتى يلزم
المحذور المذكور آنفا لا تمدن عينيك لا تطمحن ببصرك
طموح راغب الناظر انما يكون مادا عينيه الى الشيء
اذا ادام النظر اليه وادامة النظر الى الشيء تدل على
استحسانه والرغبة فيه الى ما متعنا به ازواجا منهم
اصنافا من الكفار فان ما اوتيته من القرآن العظيم
اعظم منها لانه كمال مطلوب بالذات موصل الى دوام
جوامع اللذات وما اوتوا فهو مستحقر بالنسبة اليه
اقل من لا شيء ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى
بهم الاسلام او انهم المتمتعون به دون المؤمنين و
اخفض جناحك للمؤمنين لمن معك من فقراء المؤمنين
وضعفائهم خفض مجاز مرسل عن التلطف والرفق
مرتب على الكناية واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه
بسط جناحه له ثم قبضه على فرخه وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيانه وبرهانه ان عذاب الله تعالى نازل بكم ان
لم تؤمنوا وانما وصفه بالمبين لان انذاره عليه السلام ابين
من انذار سائر الانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام من امارات
الساعة فهو منذر بلسان الحال كما انه منذر بلسان المقال

ولقد آتيناك سبعا اى سبع آيات وهي الفاتحة
او سبع سور وهي الطول واختلف في
السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة
وبدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس
او اسباع القرآن من المثاني هي من التثنية
وهي التكرير لان الفاتحة مما يكرر في الصلاة
او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله
تعالى الواحدة مثناة او مثنية واما
السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص
والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من
الثناء كانها تثني على الله تعالى واذا جعلت السبع
مثاني فمن للتبيين واذا جعلت القرآن مثاني
فمن للتبعيض والقرآن العظيم هذا ليس بعطف
الشيء على نفسه لانه اذا اريد بالسبع الفاتحة
او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن
لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله
تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف
واذا اريد به الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم
اى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية او
الثناء العظيم ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
لا تمدن عينيك اى لا تطمح ببصرك طموح
راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا
منهم اصنافا من الكفار كاليهود والنصارى
والمجوس يعني قد اوتيت النعمة العظمى التي
كل نعمة وان عظمت فهي بالنسبة اليها حقيرة
وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن
عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا
من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا

انا النذير تمالم يكن لنفسه وكان قائما بحقه سبحانه سلم لان تقول
انا في الخبر ان جابرا رضي الله عنه دق عليه الباب فقال صلى الله عليه وسلم من
انا فكان عليه السلام يقول انا انا على التلبية لجابر فاوحى اليه
لما انكرت ان تقول احد انا لاستهلاكك فينا سلمنا لك
انك اني انا لما كنت بنا ولنا امام قشيري رحمه الله وهو ان يقول الرجل
لبيك

ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم • والحسن
وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله • وقيل سبع سور وهي الطوال التي
سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية • وقيل يونس والحواميم
السبع • وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد
الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية
ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة • واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم
قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها مثاني ان كلا من ذلك
تكرر قراءته والفاظه وقصصه ومواعظه • او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدها مثناة
او مثنية صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرر القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك
ولما فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر
او لانه مثنى عليه بالاعجاز • او كتب الله تعالى كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقرآن العظيم اي العظيم القدر
ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القرآن
فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم • اي ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك
الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا
من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا • وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا • وروي انه وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير
من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء
المسلمين وقيل انهم المتمتعون به ونأباه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك
للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين
اي المنذر المظهر نزول عذاب الله تعالى وحلوله انتهى ابو السعود

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها قال الله تعالى ولا تحزن عليهم اي لا تغتم على ما فاتك
من مشاركتهم في الدنيا وعن ابي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدري
ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت اي النار • وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
الى من اسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم • وقيل هذه الاية متصلة
بما قبلها لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاه عن الرغبة في الدنيا • وروي ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي لم يستغن قال الله تعالى واخفض جناحك لين جانبك للمؤمنين وارفق بهم
والجناح من ابن آدم جانباه قال الله تعالى انا النذير المبين الى مجازه • انذركم عذابا كعذاب المقتسمين الى معالم
قال القشيري قدس الله سره لم يسلم له اسباغ النظر الى زهرة الدنيا وزينتها ويقال غار على عينيه ان يستعملها في النظر الى المخلوقات
ويقال لما اتاه الله تعالى بهذا التاديب لم يعد طرفه مخلوقا من حيث الاستئناس به ويقال امره بحفظ الوفاء لانه لما لم يكن اليوم لاحد سبيلا
الى رؤيته قال لحبيبه لا تمدن عينيك الى ملاحظة مستلذ من المناظر من جملة ما خولناهم كما قال بعضهم چون يقينم شد
كه نبينم رخت چشم بستم تا نبينم غير تو ويقال شتان بين موسى عليه السلام وقال له لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فاباح له النظر الى الجبل ونبينا صلى الله عليه وسلم منعه من النظر الى المخلوقات بوصف هو تمام النظر فقال لا تمدن عينيك
ويقال لما لم يسلم له اسباغ النظر بظاهره الى الدنيا فكيف يسلم السكون بقلبه الى غير الله تعالى ويقال لما امر بغض بصره
عما متع به الكفار في الدنيا تادب عليه الصلوة والسلام فلم ينظر ليلة المعراج الى شيء مما اري في الاخرة فاثنى الحق عليه
بقوله ما زاغ البصر وما طغى وكان يقول لكل شيء يراه التحيات لله اي الملك لله انتهى

كما أنزلنا على المقتسمين قيل إنه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب
الذين جعلوا القرآن عضين أي قسموه إلى حق وباطل حيث قالوا عناداً وعدواناً بعضه حق موافق للتوراة
والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما • أو اقتسموه لأنفسهم استهزاءً حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي و
بعضهم سورة آل عمران لي هكذا • أو قسموا ما قرأوه من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه
وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على إمداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك امداد
بأنه جل المقام عن التشبيه • ولقد أوتي عليه السلام ما لم يؤت أحد قبله ولا بعده مثله • وقيل
إنه متعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإنذار كأنه قيل أنذر قريشاً مثل ما أنزلنا
على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك
وأنت خبير بأن ما يشبه به العذاب المنذر وهي تأكيد الإنذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم
وقوعه إذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب • وتنزيل المتوقع منزلة
الواقع له موقع جليل من الإعجاز لكن إذا صادف مقاماً يقتضيه كما في قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً
ونظائره على أن تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى
في الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة • وفي الاقتسام بمعنى التحريف إن شمل للكتابين بل تخصيص
العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج الاقتسام تخصيص من غير مخصص • وقد جعل الموصول مفعولاً أولاً
لأنذر أي أنذر المعضين الذين يجزئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم
الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الإيمان
صلى الله عليه وسلم ويقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر • ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله
يوم بدر وقبله بآفات • وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به
العذاب المنذر واقعاً ولا معلوماً للمنذرين ولا موعود الوقوع أنه لا داعي إلى تخصيص وصف التعضية
بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونه أسوة لهم في ذلك فإن وصفهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وهل هو إلا نفس التعضية
ولا إلى إخراجهم من حكم الإنذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب
غيرهم ولا مخصوصاً بهم بل عاماً لكلا الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص أي المعضين والمقتسمين
بن وائل والأسود بن المطلب قد هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثاني على
الأول كما ترى • وقيل إنه وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما مر
وفيه ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام والاعتذار بأن ذلك
من باب ما يقول بعض خواص الملك أمرنا بكذا وإن كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا إنها
لمن الغابرين تعسف لا يخفى وأن إعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الذهاب
إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولاً لغير صريح أي أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين
وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه السلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري
أن عذابهم حيث كان متحققاً ومعلوماً للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يقع مشبهاً به
العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن صفة للمقتسمين حينئذ سواء جعلناه مفعولاً
أول للنذير أو لما دل هو عليه من أنذر لا يكون للتعرض لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان
الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما أن ذلك إنما يكون للإشعار بعلية الصلة
والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم
خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب

...كما أن أولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوماً
...تصحح وقوع أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر الموهوم
...اتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان
...على ذلك وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية
...بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة
...متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية
...بهم • ومحل الكاف النصب على المصدرية • وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر
...والمعنى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم إيتاءً مماثلاً لإنزال الكتابين على أهلهما •
...التعرض لذكر ما أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتائين لا بين متعلقيهما
...عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع
...الذين آتيناهم الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الإيتائين من التنائي أي التباعد فإن الأول على وجه
...والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبهاً به فإن ذلك إنما هو
...عندهم وتقدم وجوده على المشبه زماناً لا لمزية تعود إلى ذاته كما في الصلوات الخليلية فإن
...المشبه فليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على إبراهيم عليه السلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي صلى الله
...وإنما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة
...بأفضلية المشبه به من المشبه فضلاً عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني •
...وا بعنوان الاقتسام إنكاراً لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الإنزال المذكور وإيذاناً بأنه
...من حقهم أن يؤمنوا بالكل حسب إيمانهم بما أنزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة
...مطلق الوحي • ويتوسط قوله تعالى لا تمدن الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما أوتي النبي
...عليه وسلم ولتقديمه أو لأعلويته ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عليه السلام بمكانه
...آتاه به تعالى سواه ثم نهي عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إيتائها لأهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك
...نهيه عن الحزن بعدم إيمان المنهمكين فيها وأمر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وبإظهار قيامه ○

بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم ...
كيفية اتيانه على وجه ادرج فيه ما يزيل شبهة المنكرين ويستنزلهم من العناد من بيان ...
لا ريب لهم في كونه وحياصادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا • وقد قيل المعنى قل ...
النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى ...
ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في ...
النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتاب اي ...
لذلك فالانسب حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريف ...
وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة ...
عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء • وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين ...
والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته ...
وابطال اسمه دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات ...
للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل فعلة من عضهته اذا بهته • وعن عكرمة ...
السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسئلنهم اجمعين** اي ...
يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا ...
قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ونجزيهم بذلك ...
جزاء موفورا • وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى • والفاء لترتيب الوعيد على ...
اعمالهم التي ذكر بعضها • وفي التعريض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام اظهار اللطف به عليه ...
انتهى ابو السعود

كما انزلنا متعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا
عليك مثل ما انزلنا **على المقتسمين** وهم اهل الكتاب
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة
واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه
الى حق وباطل وعضوه • وقيل كانوا يستهزؤن
به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر
سورة آل عمران لي • او اريد بالقرآن ما يقرؤنه
من كتبهم وقد اقتسموه فاليهود اقرت ببعض
التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت
ببعض الانجيل وكذبت ببعض • ويجوز ان يكون
الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
اي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن
الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا
مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر
شاعر فاهلكهم الله تعالى • ولا تمدن عينيك
على الوجه الاول اعتراض بينهما لانه كان ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم
وعداوتهم اعترض بما هو مدد بمعنى التسلية
من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف
على كفرهم ومن الامر بان يقبل بكليته على
المؤمنين **فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون**
اقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيمة
واحدا واحدا من هؤلاء المقتسمين عما قالوا في
رسول الله صلى الله عليه وسلم او في القرآن او في كتب الله انتهى المدارك

كما انزلنا على المقتسمين في محل النصب صفة مصدر لآتيناك
لانه في معنى انزلنا عليك كانه قال ولقد انزلنا عليك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم كما انزلنا على اهل الكتاب
المقتسمين الذين اقتسموا القرآن الى حق وباطل حيث
قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما • او اقتسموا الى شعر وسحر وكهانة
واساطير الاولين فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم • وقوله لا تمدن الخ اعتراض بينهما • او صفة
مفعول للنذير اقيم مقامه اي انذر قريشا عذابا مثل
ما انزلنا من العذاب على المقتسمين الذين اقتسموا
مداخل مكة للتنفير عن الرسول والصد عن الدين **الذين
جعلوا القرآن عضين** اجزاء جمع عضة بمعنى جزء
واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته • وعن عكرمة رضي الله عنه
العضه بلسان قريش السحر يقولون للساحرة العاضهة
ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة
ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء • وانما جمع
جمع السلامة جبرا لما حذف منه كقولهم قلون وثبون
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره
فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من
التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام
اي عن كل ما عملوا من المعاصي فيتناول ما هو وعيد لهم
وقيل سئلهم سؤال تقريع انتهى ابن كمال

قوله تعالى لنسئلنهم قال عدة من اهل العلم عن قول لا اله الا الله
فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان قال ابن عباس رضي الله عنهما لا نسألهم
هل علمتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا •
واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام
وسؤال توبيخ فقوله تعالى لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
يعني استعلاما وقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين يعني توبيخا
وتقريعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآيتين ان يوم القيمة
يوم طويل فيه مواقف يسألون في بعض المواقف
ولا يسألون في بعضها نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
وقال في آية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون معالم

فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره • وقيل افرق بين الحق و
الباطل به • والصدع في الاصل شق في الاجسام الصلبة
كالزجاج والحديد ويلزمه الابانة والتمييز • وما موصولة
اي بالذي تؤمرون به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به • او مصدرية اي بامرك كقول
ابي طالب فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وهو مصدر
من الفعل المبني للمفعول • قيل فيه خلاف والصحيح انه لا يجوز
ورد بان الخلاف هو في المصدر المصرح به واما الحرف
المصدري فليس محل النزاع واعرض عن المشركين اي
لا تلتفت الى ما يقولونه • فالاعراض كناية عن عدم
الالتفات انا كفيناك اي نكفيك وذكره على صيغة
الماضي للدلالة على قربه المستهزئين باهلاكهم وتدميرهم
وهم كانوا خمسة نفر من اشراف قريش وقصتهم مذكورة
في كتب التفاسير والسير الذين يجعلون مع الله الها آخر
صفة المستهزئين فسوف يعلمون ما ينزل بهم عاجلا وآجلا
ولقد نعلم انك يضيق صدرك ضيق الصدر كناية
عن انقباض النفس كما ان انشراحه كناية عن انبساطها
بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفيما انزل عليك
والمستهزئين فيك فسبح بحمد ربك فنزه ربك
عن العجز والانتقام منهم وحمده • وتفريعه على ما تقدم
باعتبار انه كناية عن الوعد بازالة ما هو السبب بضيق
صدره عليه الصلوة والسلام • ومن لم يقف على هذا فسره
بقوله فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق •
واما ما قيل فافزع الى الله فيما نابك يكفك ويكشف
الغم عنك والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود
فلم يصب نحره لان التوسل بالذكر انما هو معنى قوله
وكن من الساجدين اي من المصلين • وعنه عليه السلام
انه اذا كان حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك
ودم على عبادته من خلقك وربك حتى يأتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن اللحوق لكل جسم ذي حيوة
اي ولا تخل بالعبادة ما دمت حيا وفيه اشارة
وبشارة اما الاشارة فالى انه عليه الصلوة والسلام
يموت كما مات سائر الانبياء والمرسلين كما في قوله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل واما البشارة فما منه عن العاهات المانعة للتكليف بالعبادة
الى ان قضى نحبه تم الكتاب

ابو حيان

شهاب

ثم ينسب للكفاية المذكورة فان الاضعف صح

فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره • يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا من الصديع وهو الفجر • او
فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في
الزجاجة وهو الابانة بما تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به و
اعرض عن المشركين هو امر استهانة به انا كفيناك
المستهزئين الجمهور على انها نزلت في خمسة نفر
كانوا يبالغون في ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فاهلكهم الله تعالى • وهم الوليد بن المغيرة
مر بنبال فتعلق بثوبه سهم فاصاب عرقا في
عقبه فقطعه فمات • والعاص بن وائل دخل
في اخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات • والاسود
بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات • والحارث بن قيس
امتخط قيحا فمات الذين يجعلون مع الله الها
آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم يوم القيمة ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فيك او
في القرآن او في الله فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع
الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف
عنك الغم واعبد ربك ودم على عبادة ربك
حتى يأتيك اليقين اي الموت يعني ما دمت
حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حزبه امر فزع الى الصلوة انتهى المدارك

فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا • او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز •
وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني
السبع والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول اني انا النذير المبين واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون
ولا تبال بهم ولا تقصد للانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش •
الوليد بن المغيرة • والعاص بن وائل • والحارث بن قيس بن الطلاطلة • والاسود بن عبد يغوث • والاسود بن المطلب
يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق
الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات • واومى
الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات • واشار
الى عيني الاسود بن المطلب فعمي • والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات • والى اسود بن عبد يغوث وهو قاعد
في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوكة حتى مات الذين يجعلون مع الله الها آخر وصفهم
بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه السلام
بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك • وتحلية الجملة بالتأكيد
لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية • وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار
ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح
والتقديس ملتبسا بحمده • وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار
اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اي المصلين
يكفيك ويكشف الغم عنك • او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين • وعنه عليه الصلوة والسلام
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك دم على ما انت عليه من عبادته تعالى • وايثار الاظهار بالعنوان
... لتأكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق • واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب
للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

بما تؤمر

فاصدع قال ابن عباس رضي الله عنهما اظهره وامضه وقال الضحاك اعلم وقال الاخفش افرق بالقرآن بين الحق والباطل
وقال سيبويه اقض بما تؤمر • واصل الصدع الفصل والفرق • امر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار الدعوة • روي عن عبد الله
بن عبيدة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج واصحابه واعرض عن المشركين فنسختها آية القتال
انا كفيناك المستهزئين يقول الله تعالى لنبيه فاصدع بامر الله تعالى ولا تخف احدا غير الله فان الله تعالى كافيك من عاداك
كما كفاك المستهزئين وهم خمسة نفر من قريش الخ الذين يجعلون مع الله الها آخر وقيل استهزاؤهم واقتسامهم هو ان الله لما
انزل في القرآن سورة البقرة والنحل والنمل والعنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء هذا في سورة البقرة
ويقول آخر هذا في سورة النحل وآخر هذا في سورة العنكبوت فانزل الله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك فصل بامر ربك وكن من الساجدين من المتواضعين او قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين
من المتواضعين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت الموقن به • وعن جبير بن نفير قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين • ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
العالم

والمستهزئون هم خمسة نفر من رؤساء قريش • الوليد بن مغيرة كان رئيسهم • والعاص بن وائل • والاسود بن
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده • والاسود بن عبد يغوث
والحارث بن قيس • فاتى جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس
فقال قد كفيت واومى الى ساق الوليد • فمر برجل من خزاعة ينال بريش نبلا وعليه برد يماني
ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يتطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته
فمرض منه ومات • ومر به العاص بن وائل فقال جبريل عليه السلام كيف تجد هذا يا محمد قال بئس عبد الله
الى اخمص رجليه وقال قد كفيت فخرج على راحلته ومعه ابناه له يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ
شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت
حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه • ومر به الاسود بن المطلب فقال جبريل عليه السلام كيف تجد هذا قال
عبد سوء فاشار بيده الى عينيه وقال كفيت فعمي فقال ابن عباس رضي الله عنهما رماه جبريل بورقة
فذهب بصره ووجعت عينه يضرب برأسه الجدار حتى هلك • ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل
كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على انه ابن خالي فقال قد كفيت اشار الى بطنه فاستسقى بطنه
جنبا وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله فاصابه السموم فاسود حتى عاد حبشيا فاتى اهله فلم
واغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد • ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف
تجد هذا قال عبد الله سوء فاومى الى رأسه وقال قد كفيت فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه
اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب من الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
معالم

قوله انا كفيناك المستهزئين دفعنا عنك شرهم وذرأنا عنك سوء مكرهم ونصرناك بموجب عنايتنا بك
فلا عليك بما يقولون او يفعلون فما العاقبة الا لك بالتعزز والظفر قوله يضيق صدرك لم تقل قلبك لانه قلبك
في محل الشهود فلا راحة للنفس دون لقاء الله تعالى ولا يكون مع اللقاء وحشة وقال ان ضاق قلبك
فيك من ذلك فارتع بل انك في رياض تسبيحنا والثناء علينا يكن ذلك سببا لزوال الضيق عنك وسماع ما
بما تذكر من جلال قدرنا وتقديسنا في استحقاق عزنا حتى يأتيك اليقين قف على بساط العبودية منتقلا
الى ان تجلس على بساط القربة وتأدب باداب الوصلة وقال الزم شرائط العبودية الى ان ترتقي بصفات
وقال ان اثر خصالك قيامك بحق العبودية لا ادعي الابها اعبدها فانه اصدق اسمائي قشيري رحمه الله

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة • عبر عن ذلك
بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب
واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع • او عن اتيان مباديه القريبة
على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات • وايا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به
لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب
او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأسا
من قرب وقوعه ووقوع مباديه • والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب
واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين • ان
اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة • اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال
الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه • واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة
الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما
غير ان يكون هناك نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل • وما روي من انه لما نزل
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى
ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل
لما توهم من ان التصدير بالفاء يأباه فانه بمعزل عن ابائه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم
انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا التحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال
المستلزمة لامتناع النهي عنه لما ان النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل
بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه اي فيما روي دلالة واضحة على عدم العموم
لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص
الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز
التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه • ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبته
عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء
وعيده وقد قالوا في تضاعيف ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها ردّ ذلك فقيل بطريق
الاستيناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل
عنهم • او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه • وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم
واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية
شنائعهم لغيرهم • وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط النهي عما
وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملائكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جنابه
الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه الانبياء عليهم السلام
وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم
الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم واختصاصه عليه السلام بذلك
واظهارا لبطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب • وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة
مستمرة له سبحانه • والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام • قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا
او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى • وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين
وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل **بالروح** اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب
الميتة بالجهل • او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد • والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين
بالروح **من امره**

بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير • او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه • او صفة له
على من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه • او متعلق بينزل
ومن سببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره **على من يشاء من عباده** اي يأمرهم
ملتبسين بان **انذروا** اي بهذا القول • والتخصيص به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام
والله سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به انبائه في المبدأ منه • وان اما مخففة من ان وضمير الشأن
الذي هو اسمها محذوف اي بان الشأن اقول لكم انذروا • او مفسرة على ان تنزيل
الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا • فلا محل لها
من الاعراب • او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل
سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا • والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء
اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس • اي اعلموا الناس
انه لا اله الا انا فالضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به • وفائدة تصدير
الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريرها في الذهن فان الضمير لا يفهم منه
من اول الامر الا ان شأنا مبهما له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه
قيل انذروا ان الشأن الخطير هذا • وانباء مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف
المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كونه اعلامه انذارا • وقوله سبحانه **فاتقون** خطاب
للمستعجلين على طريقة الالتفات • والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة
على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال
بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء • وبعد تمهيد الدليل السمعي
على التوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اي اوجدهما على ما هما عليه
من الوجه الفائق والنمط اللائق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين **عما يشركون**
اي عن اشراكهم المعهود • او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد • وبعد ما نبه على صنعه
المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقيل
خلق الانسان اي هذا النوع غير الفرد الاول منه **من نطفة** جماد لا حس له ولا حراك سيال
لا يحفظ شكلا ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين**
لحجته لقن بها • وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى
ووحدته • او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد جفاة
الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا
بعد ما قد رم فنزلت

ابو السعود

أتى أمر الله أي جاء ودنا وقرب قال ابن عرفة تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد أي أتى أمر الله وعدا
فلا تستعجلوه وقوع أمر الله تعالى. قال الكلبي وغيره المراد منه القيمة. قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل
قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا يزعم أن القيمة قد قربت فأمسكوا عن بعض
ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما لم ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله اقترب للناس حسابهم
فأشفقوا أي فخافوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى أتى أمر الله
فوثب رسول الله ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا.
والاستعجال طلب الشيء قبل حينه. ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين
وأشار بإصبعيه لتسبقني. قال ابن عباس رضي الله عنهما كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط
الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة.
وقال قوم المراد بالأمر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك أن النضر بن الحارث قال اللهم
إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء. فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل
النضر يوم بدر. معالم

سبحانه تعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون (وتعالى عما يشركون) ينزل الملائكة قرأ العامة
وقرأ يعقوب تنزل الملائكة بالروح بالوحي سماه روحا لأنه يحيي به القلوب والحق قال عطاء بالنبوة
وقيل بالرحمة وقيل بالروح يعني مع الروح وهو جبريل. معالم

قوله تعالى فإذا هو خصيم مبين جدل بالباطل مبين نزلت في أبي بن خلف وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال
إن الله يحيي هذا بعدما قد رم كما قال تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه نزلت فيه أيضا والصحيح أن الآية
عامة وفيها بيان القدرة وكشف قبح ما فعلوا من جحود نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم. معالم

8 لما أجمل في قوله سبحانه وتعالى [illegible] أولا ثم نعى عليهم ما هم فيه من الشرك ثم أردفه بدلائل السمع والعقل
وقدم السمعي لأن صاحبه هو القائم بتحرير العقلي وتهذيبه أيضا فليس النظر إلى دليل السمع بل إلى من
قام به من الملائكة والرسل عليهم السلام خلق الإنسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة
لا تحفظ الوضع والشكل فإذا هو عطف على ما تقدم باعتبار أن المراد من خلق الإنسان إيجاده
وترتيبه إلى أن يبلغ حد النطق والإدراك فإذا فاء التعقيب والمفاجأة أصابنا المح خصيم
منطيق مجادل عن نفسه في الخصام مبين للحجة على خصمه مميز للحق عن الباطل فهو صفة مدح أي
نقله من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الحالة الشريفة وهي حالة النطق والإبانة ويؤيده التعقيب
بذكر ما امتن به عليه في قوام معيشته وقيل معناه مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فهو
صفة ذم ويأباه التوصيف بالإبانة ولا يساعده سياق الكلام ولحاقه ومساقه فإنه للدلالة على كمال القدرة
والإرادة انتهى ابن كمال

قال الفضل الكرماني ومن سورة التي يذكر فيها النحل وهي كلها مكية غير أربع آيات
نزلت بالمدينة قوله وإن عاقبتم فعاقبوا الآية واصبر وما صبرك إلا بالله الآية
وقوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية [illegible] من بعد
ما عملوا الآية وهؤلاء مدنيات فهو بسم الله الرحمن الرحيم عن ابن عباس رضي
لما نزلت قوله اقترب للناس حسابهم الآية وقوله اقتربت الساعة الآية فمكثوا
على ذلك ما شاء الله أن يمكثوا ولم يتبين لهم شيء فقالوا يا محمد متى يأتينا
ما تعدنا من العذاب فأنزل الله أتى أمر الله يعني عذاب الله وكان النبي صلى الله
عليه وسلم جالسا فقام لا شك أن العذاب قد أتى فقال فلا تستعجلوه بالعذاب
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه نزه نفسه عن الولد والشريك وتعالى
أي ارتفع وتبرأ عما يشركون به من الأوثان انتهى

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة
او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله اي هو بمنزلة الآتي
الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه
سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون
له شريك • او عن اشراكهم فما موصولة او مصدرية
والاتصال هنا باستعجالهم من حيث ان استعجالهم استهزاء
وتكذيب وذلك من الشرك ينزل الملائكة بالتخفيف
مكي وابو عمرو بالروح بالوحي او بالقرآن لان كلا منهما
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد • او يحيي
القلوب الميتة بالجهل من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي
فيه معنى القول • ومعنى انذروا انه لا اله الا انا
فاتقون اعلموا بان الامر ذلك • من نذرت بكذا
اذا اعلمته والمعنى اعلموا الناس قولي لا اله الا انا
فاتقون اي فخافون وبالياء يعقوب • ثم دل
على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر
عليه غيره من خلق السموات والارض وهو قوله
خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
وبالياء في الموضعين حمزة وعلي وخلق الانسان
وما يكون منه وهو قوله خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين اي فاذا هو منطيق مجادل ٥

سورة النحل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله اي دنى وقرب • تعالى من
طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث • والمراد
من امر الله ما اوعدهم من قيام الساعة • او اهلاك الله تعالى
اياهم وعلى هذا وجه اصابة الفاء في قوله فلا تستعجلوه وحده
الظاهر بخلاف ما اذا كان المعنى ان الامر الموعود الآتي
المحقق من حيث انه واجب الوقوع • والاستعجال طلب الشيء
قبل حينه • كانوا يستعجلون ما اوعدهم الله تعالى استهزاء
وتكذيبا فنزلت • ولما كان المستعجل المستهزئ معجزا له
عن القدرة على ما اوعده وفيه تشبيه بالمخلوق قال
سبحانه وتعالى عما يشركون اي ينزه ان يحوم حول سرادق
كبريائه وجل عن ان يكون له شريك في المعبودية فيدفع
ما اراد بهم كانوا يقولون ان صح ما قلت يا محمد فالاصنام
يخلصننا منه • فنزلت • وقرئ تشركون بالتاء على وفق
فلا تستعجلوه وبالياء على تلوين الخطاب • واما ما قيل
الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت
أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم
فنزلت فلا تستعجلوه فيأباه التصدير بالفاء ينزل
الملائكة بالروح استعار الروح للوحي او للقرآن لانه يحيي
القلوب الميتة بالجهل حيوة الجسد بالروح وذكره عقيب
ما وعد به اشارة الى طريق العلم به وازاحة لاستبعادهم
اختصاصه عليه السلام بالعلم به • وقرئ ينزل من انزل
وتنزل بمعنى تتنزل وتنزل على المضارع المبني للمفعول
من التنزيل من امره بامره او من اجل امره على من يشاء
من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا
والانذار الاعلام ويختص بما فيه تخويف ولتلك
الخصوصية مناسبة للمقام من حيث ان المشرك دائر
امره بين الاسلام والسيف فابلاغ امر التوحيد اعلام
يتضمن التخويف بالقتل • ويجوز ان يكون ان مفسرة
لان الوحي بمعنى القول • او مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح • او مخففة من الثقيلة انه لا اله الا انا ان الشأن
لا اله الا انا او خوفوا اهل الشرك بانه لا اله الا انا فاتقون
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود • والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملك وان حاصله التنبيه على
التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو كمالات القوة العلمية وان النبوة عطائية
والتي بعدها دليل وحدانيته تعالى من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة و
المصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل
واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون لانه موجد للعالم وكل ما سواه مفتقر اليه
فهو المتعالي عن رتبة الكل • والتحقيق ان قوله تعالى أتى أمر الله تنبيه والقاض ليكون ما يرد بعده ممكنا في نفس حاضرة
ملقية اليه وهو تمهيد لما يرد من دلائل التوحيد وقوله ينزل الملائكة بالروح تفصيل لما اجمل في قوله سبحانه وتعالى ٥

٥ اي فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين
لحجته بعد ما كان نطفة لا حس فيه ولا حركة فاذا هو خصيم
لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وهو
وصف للانسان بالوقاحة والتمادي في كفران النعمة وخلق
ما بدله من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته
اسعى المدارك

الا بشق الانفس وقيل اثقالكم ابدانكم ومنه الثقلان
للجن والانس ومنه اخرجت الارض اثقالها ان
ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل
وتيسير هذه المصالح انتهى المدارك

والانعام ذكر اولاً ما هو اكثر منفعة والزم لمن انزل
القران بلغتهم • وقد تقدم شرح الانعام في سورة الانعام
وانتصابها بمضمر يفسره قوله خلقها وكم في قوله لكم فيها دفء
خبر مقدم لدفء وفيها حال منه والجملة بيان لما خلق له
او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق
لاجله ودفء مبتدا خبره فيها والجملة مع ما بعدها
تفصيل لما خلق له والدفء ما يدفا به اي يسخن
فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها • وانما عبر
عنها بالمنافع ليتناول عرضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما
يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان • وتقديم الظرف
للاختصاص اشارة الى ان الاصل المعتد به في اكل اللحم
انما هو منها واما الاكل من غيرها فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه فجعل لمجرد محافظة الفاصلة بتنزيل اللازم
منزلة الفاصلة ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تردونها من مراعيها اي مراوحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها
وتجاوب الرعاء والثغاء فيانس اهلها ويفرح اربابها
وتجلهم في اعين الناظرين اليها وتكسبهم الجاه والحرمة
وتقديم الاراحة على التسريح لان الجمال فيها اظهر اذا
اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت
الى الحظاير حاضرة لاهلها يانسون بها مبتهجين •
وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون كلاهما وصف
لحين اي تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم
احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ليس من شانكم
بلوغه بانفسكم على اقدامكم الا بشق الانفس الا بجهد
ومشقة لو لم يكن الابل فضلا ان تحملوا على ظهوركم
اثقالكم فكيف اذا فضلت اثقالكم من ان تحملوها
او لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس • وقرئ بشق
الانفس بكسر الشين وفتحها وهما لغتان في المعنى المذكور
وقيل بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه
شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع
واما الشق بالكسر فهو النصف كانه يذهب نصف
قوته لما يناله من الجهد ان ربكم لرؤف رحيم يرؤف
بكم بتيسير مصالحكم ومعايشكم ويرحمكم بخلق صنوف المنافع
والحوامل انتهى ابن كمال

والانعام خلقها لكم هي الازواج الثمانية واكثر ما يقع
على الابل • وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر
قدرناه منازل او بالعطف على الانسان اي خلق
الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها
الا لكم يا جنس الانسان فيها دفء وهو اسم ما يدفا به
من لباس معمول من صوف او وبر او شعر ومنافع
وهي نسلها ودرها ومنها تاكلون قدم الظرف
وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها
لان الاكل منها هو الاصل يعتمده الناس قد تعلم
في معايشهم واما الاكل من غيرها كالدجاج والبط
وصيد البر والبحر فيكون المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه ولكم فيها جمال حين تريحون تردونها
من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون
ترسلونها بالغداة الى مسارحها من الله تعالى
بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشي لان الرعيان اذا روحوها
بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بارواحها
وتسريحها الافنية وفرحت اربابها وكسبتهم
الجاه والحرمة عند الناس • وانما قدمت الاراحة
على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت
ملأى البطون حافلة الضروع وتحمل اثقالكم
اي احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
وبفتح الشين ابو جعفر وهما لغتان في معنى المشقة
وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته
راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق
فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من
الجهد والعنى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
لو لم تخلق الابل الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا
على ظهوركم اثقالكم • او معناه لم تكونوا بالغيه

والانعام وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز • وانتصابها بمضمر يفسره قوله
خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله
لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله دفء مبتدا وهو ما يدفا به فيقي من البرد •
والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدا المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان
صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك • وانما عبر عنها بها ليتناول الكل
مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم • وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى
ومنها تاكلون اي تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك • وتغيير النظم للايماء الى انها
لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على
حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل • وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد
المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع
ان فيه مراعاة للفواصل • ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب
والثمار الماكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع
المنافع الضرورية جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها
الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها • فالمفعول محذوف
من كلا الفعلين لرعاية الفواصل • وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية
والاكناف بها وتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين
واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء
ولا ينظر اليها ناظر • وتقديم الاراحة على التسريح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في
استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار
على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع • وقرئ حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل
وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن ومصر
والشام • ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة • وقال عكرمة اريد به مكة • ولعله نظر الى ان اثقالهم
واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس • والظاهر انه عام لكل بلد سحيق
لم تكونوا بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن
استصحابها معكم • وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة • وقيل المفتوح مصدر من
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب
نصف القوة لما ينال من الجهد • فالاضافة الى الانفس مجازية • او على تقدير مضاف اي الا بشق
قوى الانفس • وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق
الانفس • ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية
المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشا وبحسب المتعلق
والشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السابقة فانها بحسب المنشا خاصة
بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة
واما سائر النعم المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات
ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة

انتهى ابو السعود

والخيل هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها
تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها
وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره لان الركوب اهم منه ● او مصدر
محذوف اي وتتزينوا بها زينة ● وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ● ويجوز ان يكون مصدرا
واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون
اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه ● فالعدول
الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد ● او لاستحضار الصورة ● او يخلق لكم في
الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم ان تعلموه ● وهو ما
بقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
سمعت ولا خطر على قلب بشر ● ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما
دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة والظاهرة ● عن ابن عباس رضي الله
ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل
جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض
فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك
البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة وعلى الله قصد السبيل
مصدر بمعنى الفاعل ● يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة ● او على نهج اسناد حال
اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده
بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل
الكتب لدعوة الناس اليه ● او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقا اي عليه عز وجل
وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا لتعديلها بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل
ابتداء كذلك على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل ● وحقيقته راجعة الى ما
من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي
وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا
الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار وحق الهادي الى سبيل الاستدلال
الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن فيافي الضلالة ومهاوي الردى ● الا ترى كيف
بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم
ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى
ونهيهم عن الاشراك ● ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طرق
الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض
تعالى عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر
يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله
ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد غب بيانه وتعديل له ايما تعديل
فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الا
اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر
اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها
المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع اليها بتقدير

ومن جنسها ما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه
الخرافه واما ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون
تقتضي الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقمني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم
الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام
مستقيم حتى يتجه اسناد انه جائز اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد
لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة ● وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من
الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر
يقال وجائرها حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم
تقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائرها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه
الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل او لاظهار جلالة قدر النعمة في
ذلك فعلى الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة
سلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد ● وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل
المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته
الكسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد
اليه اشير بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة
مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك
المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي
يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء ● هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ● وقد فسر كون
قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة ● وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة
على وجه تمثيلي من ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم
قصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما ترى ● وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى
ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهديكم جميعا الى الاول ● وانت خبير
بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق
ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك
ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه
من احوال النبات فقيل هو الذي انزل الآية

ابو السعود افندي رحمه الله

وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق ● او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا ● او عليه تعالى
قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة ومنها جائر اي من السبيل جائر اي ما هو مائل عن الاستقامة بارادته تعالى دون رضاه
ولو شاء لهداكم اجمعين لهديكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء ● انتهى القاضي رحمه الله

وعلى الله قصد السبيل يعني بيان طريق الهدى من الضلالة ● وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم
ومنها جائر يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج فالقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية
وسائر ملل الكفر ● وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض ● وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله
قصد السبيل السنة ومنها جائر الاهواء والبدع دليله قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولو شاء لهديكم اجمعين
نظيره قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها معالم التنزيل ● قوله وعلى الله قصد السبيل هداية الطريق في البر والبحر ومنها
من الطرق جائر مائل لا يهتدى به ولو شاء لهديكم اجمعين الى الطريق في البر والبحر ● ويقال على الله قصد السبيل الهدى الى التوحيد
ومنها من الاديان جائر مائل ليس بعادل مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ولو شاء لهديكم اجمعين لدينه
من تفسير الكرباجي

قوله والخيل اى وخلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة نصبا على انه مفعول لها لمعنى وخلق للزينة والآية
لاتدل على تحريم لحوم الخيل وان ذكرت مع البغال والحمير لان القصد بهذه الآية اظهار المنة بان خلق لنا
من الحيوان ما نركبه ونتجمل به ولحوم الخيل حلال بالسنة اخبرنا ابو اسحق احمد بن ابراهيم الواعظ انا محمد بن
عبد الله بن زكريا الحافظ انا مكي بن عبدان نا عبد الله بن هاشم نا يحيى بن سعيد عن هشام بن عروة
عن فاطمة بنت المنذر عن اسماء بنت ابي بكر قالت اكلنا لحم فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري
عن قتيبة عن جرير عن هشام • اخبرنا عمرو بن محمد بن احمد العدل انا ابو الهيثم المروزي انا محمد بن يوسف
انا محمد بن اسمعيل نا مسدد نا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر نهى النبي صلى الله
عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل انتهى الواحدي رحمه الله

وفي معالم التنزيل للامام البغوي رحمه الله قال ذهب جماعة الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء
وسعيد بن جبير وبه قال الشافعي واحمد واسحق • ومن اباحها قال ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم
بل المراد منه تعريف الله تعالى عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بحديث جابر رضي الله عنه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في لحوم الخيل • وعن عطاء بن ابي رباح
عن جابر رضي الله عنه انهم كانوا ياكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن لحوم البغال والحمير •
وروي عن المقداد بن معدي كرب عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الخيل و
البغال والحمير واسناده ضعيف انتهى

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام اى وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج ابو حنيفة رحمه الله على حرمة اكل لحم الخيل لانه علل خلقها للركوب ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام ومنفعة الاكل • والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم ان يذكر في موضع النعمة ادنى النعمتين ويترك اعلاهما • وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق ما لا تعلمون من اصناف خلائقه وهو قوله ويخلق ما لا تعلمون ومن هذا وصفه يتعالى عن ان يشرك به غيره وعلى الله قصد السبيل المراد به الجنس ولذا قال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق عليه تعالى كقوله تعالى ان علينا للهدى وليس ذلك للوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضلا • وقيل معناه والى الله • وقال الزجاج وعلى الله تعالى تبيين الطريق المستقيم والدعاء اليه بالحجج ومنها جائر ومن السبيل مائل عن الاستقامة ولو شاء لهديكم اجمعين اراد هداية اللطف وبالتوفيق والانعام بعد الهدي العام انتهى

والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام • وواحد الخيل خائل كضائن واحد ضأن • وقيل لا واحد له لتركبوها ذكر ههنا منفعة الركوب عبارة والحمل بيان منفعة الحمل على الدلالة وعكس فيما تقدم اعتبارا في كل منهما للاصالة وزينة انتصب بالعطف على محل لتركبوها على انه مفعول له • وخولف بينهما لان الركوب فعل المخاطبين فيفقد شرط نصبه • واما الزينة ففعل الخالق لانه لا يأبى عن نظم الثاني في سلك الاول بل لان الاول مقصود بالذات والثاني بالعرض • وقرئ زينة بغير واو • فجاز ان يكون حالا عن احدى الضميرين وان يكون علة لتركبوها • واستدل به على حرمة لحومهن ووجه الاستدلال ان المقام مقام الامتنان بعد المنافع والكلام مشتمل لنوعي المقصود استيفاء لها فلو كان اكلها حلالا لكان احق بالتعرض من الزينة • واما اكل لحم الحمار وان كان حلالا وقتئذ الا انه في معرض التحريم فالامتنان لا يليق بالحكيم ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات المحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها مما لا يعلم كنهه وتفاصيله اي فيكم ولكم على سبيل الامتنان او ما لم تحصوه ولم يكن لكم به علم لكثرتها دلالة على مزيد قدرته وحكمته • ويدخل فيه ما خلق في الجنة والنار مما لا يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه • وعبر النظم الى المضارع استحضارا للايجاد ما لم يحط به علما من الاشياء المنافعة له • والدلالة على قدرته تذكرا للنعمة وتعجيبا وتقريرا لدلائل القدرة و تعجيزا لما يشركون من الالهة وعلى الله قصد السبيل اي عليه الله تعالى رحمة وفضلا هداية الطريق المستقيم الموصل الى الحق او عليه الطريق المستقيم اي يصل اليه من يسلكه لا محالة كما تقول هذا الطريق على موضع كذا انتهت اليه • والقصد مصدر بمعنى اسم الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك • والمراد بالسبيل الجنس لاضافة القصد اليها ولقوله ومنها جائر لا يوصل الى الحق لسوء استعداد صاحبه • وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد • وتغيير الاسلوب للدلالة على انه ليس على الله تعالى الهداية الى الطريق الجائر عن القصد والاستقامة او لا يوصل الى الله سالكها او لان المقصود بيان سبيله وذكر قسيمه انما جاء بالعرض ولو شاء لهديكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين اى قصد السبيل لهداكم اليه هداية مستلزمة للاهتداء • ابن الكمال

قال الواحدي في الوسيط قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا قصد بك ما تريد وقصد السبيل الاسلام والمعنى ان اقصد السبيل الذي هو الاسلام على الله اى يؤدي الى رضاء الله وثوابه وجزائه • قال مجاهد طريق الجنة على الله وهذا القول كالعز صراط على مستقيم وقوله ومنها جائر اى عادل مائل عن الحق • قال الكلبي يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية • وقال ابن المبارك يعني الاهواء والبدع • ثم بين ان المشية اليه فقال ولو شاء لهديكم اجمعين قال ابن عباس رضي الله عنهما لو شاء لارشدكم كلكم حتى لا يختلف عليك يا محمد احد انتهى

هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء. لما استدل على وجود الصانع الحكيم باحوال الحيوانات اتبعه بذكر الاستدلال عليه بعجايب احوال النبات ماء تنكيره لانه على خلاف الماء المعهود حيث يسيل بل ينزل قطرات غير متداركة لكم متعلق بانزل او خبر شراب في قوله منه شراب اي مشروب ومنه على الاول خبر شراب وعلى الثاني تبعيضية متعلقة به في حصر المشروب المستفاد من تقديم منه دلالة على ان مياه الارض منه ومنه شجر ومنه تكونه والمراد بالشجر ما يرعاه المواشي • وقيل كل ما نبت على الارض تطلق عليه الشجر قال الشاعر يعلفها اللحم اذا عز الشجر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها واصلها من السومة التي هي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع وقرئ بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب تقديم الزرع لانه الاصل في الغذاء وتخصيص الاجناس الثلثة من الثمرات وتقديمها لاثمار فضلها وانافتها على سائرها • ولعل تقديم ما يسام فيه على الكل لصيرورته غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية اسرع ما يكون اي اللبن واللحم ومن كل الثمرات اي وبعض كلها لان كل ما يمكن من الثمرات لا يكون في الارض ان في ذلك لاية لدلالة واضحة لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها على وجود الصانع وحكمته وقدرته • ولما كان الاستدلال بانبات الماء وهو واحد وان كثرت انواع النبات قال هنا لاية على صيغة الافراد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره نصب على الحال اي نفعكم بها حال كونها مسخرات بامره التكويني • او على المصدر • وجمع للتنويع

هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب لكم متعلق بانزل او خبر لشراب وهو ما يشرب ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب ومن كل الثمرات ولم يقل كل الثمرات لان كلها لا يكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته • والاية الدالة الواضحة وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بنصب الكل على وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامي على الابتداء والخبر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم في الارض معطوف على الليل والنهار وما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون يتعظون

جمع مسخر بمعنى تسخير اي سخرها انواعا من التسخير كانه قيل سخرها تسخيرات • وقرئ برفع الشمس والقمر على الابتداء والخبر مسخرات بالرفع وبرفع والنجوم وحده ونصب ما قبله ومسخرات خبر • يعني انها مسخرات حقيقة لذلك • وانما قيل انها سخرت لكم باعتبار ان فائدة تسخيرها عائدة اليكم • ومن وهم ان المعنى لما خلقن له فقد وهم اذ حينئذ يكون اعادة بلا افادة ان في ذلك لايات اتى هنا بصيغة الجمع لان وجه الدلالة في السماويات متعدد لقوم يعقلون ذكر العقل لان الاحتياج الى تجريد العقل الصرف في الاستدلال فان القوة الفكرية كافية في الاستدلال بما يشاهد من احوال النبات وتغيراته واختلاف اشكاله والوانه احوال العلويات فلا بد فيها من مزيد عقل ومعرفة بالعلم الطبيعي والهيئة والهندسة • ومن زعم ان وجه الدلالة مع تعدده اظهر من وجهها ثمة مع وحدته فقد كابر مقتضى العقل الصريح وما ذرأ لكم في الارض من انواع الحيوان والنبات والمعادن • في موضع نصب بفعل محذوف اي وخلق وانبت كذا قال ابو البقاء استبعد تسلط سخر اذ حينئذ يلغو قوله لكم فقدر فعلا لا يلغا • ومن لم يتنبه لهذا قال اي سخر لكم ما خلق لكم فيها مختلفا الوانه اصنافه فانها بالكون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اي يعتبرون فان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع حكيم وافراد الاية لانه عبر عنه بمفرد ووصفه بمفرد انتهى بالكمال

زد

زد

زد

زد

مسخرات حال مؤكدة لان تسخيرها قد عرف بقوله وسخر • وقرأها ابن عامر بالرفع فالابتداء والشمس والقمر مسخرات خبر اخرها • وقرأ حفص مسخرات بالرفع وحدها جعلها خبر ابتداء محذوف كانه قال هي مسخرات

ولما خلقن له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء اخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا • وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل يقدر يبنى عنه الفعل المذكور مسخرات مفعولا ثانيا له اي وجعل النجوم مسخرات بامره • او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء • او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه • او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع

هو الذي انزل بقدرته القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر
وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا الاخبار بانه انزل من السماء
والتنبيه ما سيأتي من ان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى الذهن مترقبا لمؤخر مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده
عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه، وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو خبره
والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب، ومن تبعيضية، وليس في تقديمه ايهام
حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله تعالى
فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض، وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني
خبر لشراب والجملة صفة لماء، وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني
منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه
المواشي، والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه
من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه وهو السحاب الابيض يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ
الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها، وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون
من سامت الماشية واسامها صاحبها، واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت اي الله عز وجل، وقرئ بالنون لكم به اي بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بيان للنعم
الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف، وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
والاشارة الى ان ذلك سنته الجارية على مر الدهور، او لاستحضار صورة الانبات، وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء، وتقديم الزرع على ما عداه لانه
اصل الاغذية وعمود المعاش، وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه،
وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وتغايرها، وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف
المختلفة، وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها،
وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر، او للاشارة الى مكارم الاخلاق فان
مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه، او لان اكثر المخاطبين
من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر، وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان
وهو اشرف الاغذية، وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ان في ذلك اي في انزاله
الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون
فان من تفكر في ان الحبة او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق
تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه
الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع
وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على نمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية
والتأثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال
فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم
وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من صرفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره
بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم،
وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين،
وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات بامره
مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى ٥

٥ اي انواعا من التسخير، وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب
واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه
الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبانه
ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه
ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون، وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به
الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية، وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم
ان يشاركه شيء في شيء فضلا ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق
بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة
ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر، جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير
حاجة الى التأمل والتفكر، ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك، فالمراد اليه حينئذ تعاجيب
الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا تتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين
علماء الحكمة، ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا
على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه
فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات
او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم، وقد عطف
على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول
لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال، وقيل هو منصوب
بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من
التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون
فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية، واما ما يقال من ان
اختلافها في الطبايع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان
ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه
بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة
المجيء به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية

انتهى ابو السعود رحمه الله

خ

بالاحياء آمانيا بسبب مقام اظهار القدرة والقى فى الارض رواسى عطف على محذوف تقديره والارض مددناها
والقينا فيها رواسى ولما حذف المعطوف عليه عدل من الغيبة الى التكلم وقد مر تفسيره فى سورة الحجر ان تميد بكم
كراهة ان تميد بكم اى تتحرك وتميل • والميد الاضطراب • وذكر ان الارض لو بقيت على بساطتها لكانت
كرية مجيبة للتحرك بادنى سبب او متحركة كالفلك فلما خلقت الجبال راسخة فيها تفاوتت جوانبها
وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة والميل من جانب الى جانب

فيه،

وانهارا اى وجعل فيها انهارا لان القى فيها معناه وسبلا لعلكم تهتدون تهتدون بها فى اسفاركم الى مقاصدكم
وايراد لعلكم لانه لا بد من استدلال فى بعض المواضع للاهتداء الى المقاصد وعلامات ومعالم يستدل بها
السابلة فى النهار من الجبال والانهار ونحو ذلك وبالنجم والمراد به الجنس او الثريا والفرقدان وبنات النعش
والجدى • وساعدها قراءة بضمتين وضمة وسكون على الجمع هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار
وتقديم النجم وتوسيط الضمير اقحاما • واخراج الكلام عن سنن الخطاب الى الغيبة للدلالة على ان
المنكرين من قريش بالنجم خاصة هم خصوصا يهتدون لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشتهرين
اعلم الناس بالاهتداء بالنجوم فى مسايرهم فكان الاعتبار بذلك الزم لهم والشكر له اوجب عليهم

وهو الذى سخر البحر شروع فى تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا
ونباتا اى جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه
لحما طريا هو السمك • والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به فى الاكل • ووصفه بالطراوة
للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعله
مبدأ الاكل وللايذان بكمال قدرته تعالى فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق • ومن اطلاق اللحم عليه ذهب
مالك والثورى الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله • والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب
فى انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر
الا يرى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث
بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر فى مقام الامتنان
عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن فيه مواخر جوارى
فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء • وقيل صوت جرى الفلك
ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادى الابتغاء ودفع توهم كونه
باستخراج الحلية • او على علة محذوفة اى لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانبارى • او متعلقة بفعل
محذوف اى وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون حق
نعمه الجليلة فتقومون باداء حقها بالطاعة والتوحيد • ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث
ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة فى مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة
مع انها فى تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن
التصريح به وبحصولهما معا والقى فى الارض رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه فى اول سورة الرعد ان تميد بكم
كراهة ان تميل بكم وتضطرب • او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك • او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت
الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد • وقيل لما خلق الله تعالى
الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت الجبال وانهارا
اى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم
السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به الطرقات وبالنجم
هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار حيث لا علامة بين غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان
وبنات النعش والجدى • وقرئ بضمتين وبضمة وسكون • وهو جمع نجم كرهن ورهن ورهن • وقيل
بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش كانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء
بالنجوم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
الزم لهم واوجب عليهم انتهى ابو السعود رحمه الله

قال الامام العالم الفاضل العارف القشيرى رحمه الله
[...] انزل المطر وجعل به السقيا والنبات واجرى الانهار وادام به الحيوة وبه ينبت الاشجار والثمار ثم قال
ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون ثم قال بعده لايات لقوم يعقلون ثم قال بعده لاية لقوم يذكرون
[...] على هذا الترتيب يحصل المعرفة فاولا التفكر ثم العلم ثم التذكر ثم المعرفة • يتفكر اولا فيضع النظر فى
[...] صنعه فاذا لم يقع فى نظره خلل وجب له العلم ثم بعده يستديم النظر وامعن وهو التذكر بهذه الانعامات
[...] الالطاف ثم يشكره ويوحده ويعبده حبا ويكون من اولياء الله من الناجين فى الدنيا والاخرة لان العوامل
[...]ت ودلائل فبدليل واحد يكفى للعاقل العارف على انه واحد خالق ورازق فواحد موفق لهذا واخر
[...] لول فالموفق يجرى وقته فى طاعة ربه والمخذول يجرى اوقاته فى متابعة هواه • فالعابد يكون فى خرمى
[...] به او نفل يديمه • والعارف فى ذكر وتذكر بخليقته او وارد يغلبه على قلبه فيونسه • واما ارباب التوحيد
[...] مختطفون عن الاحساس بالاوقات لغلبة ما يرد عليهم من الاحوال والمقامات انتهى
[...] مواخر جوارى • قال قتادة مقبلة ومدبرة وهو انك ترى سفينتين احدهما تقبل والاخرى تدبر
[...] يجريان بريح واحدة • وقال الحسن مواخر اى مملوة • وقال الفراء والاخفش تشق تشق الماء بجؤجؤها
[...] مجاهد تمخر السفن الرياح واصل المخر الرفع والشق • فى الحديث اذا اراد احدكم البول فليستمخر الريح
[...] لينظر من اين مجراها وهبوبها فليستدبرها حتى لا ترد عليه البول • وقال ابو عبيدة صوائخ والمخر صوت
[...] هبوب الريح عند شدتها كذا فى العالم

وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك
وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه
فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وانما لا يحنث
بأكله اذا حلف لا يأكل لحما لان مبنى الايمان
على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم
لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار وتستخرجوا
منه حلية وهو اللؤلؤ والمرجان تلبسونها المراد
بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن انما يتزين بها
من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك
مواخر جواري تجري جريا وتشق الماء شقا
والمخر شق الماء بحيزومها فيه في البحر ولتبتغوا
من فضله وهو معطوف على محذوف اي لتعتبروا و
لتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ولعلكم تشكرون
الله على ما انعم عليكم به والقى في الارض رواسي
جبالا ثوابت ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم و
تضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف الكاف
اكثر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
فقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم
خلقت وانهارا وجعل انهارا لان القى فيه
يعني جعل وسبلا طرقا لعلكم تهتدون
الى مقاصدكم او الى توحيد ربكم وعلامات هي
معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة
من جبل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون
المراد بالنجم الجنس او الثريا والفرقدان
وبنات نعش والجدي فان قلت وبالنجم هم
يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه
النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا
هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت
كانه اراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم

جعيه

وهو الذي سخر البحر بان مكنكم من الانتفاع به
بالركوب والاصطياد والغوص وغير ذلك لتأكلوا
منه لحما طريا هو الحوت ● وانما عبر عنه باللحم وهو مما
يؤكل من الحيوان تنبيها على جهة فضله وامتيازه عن
سائر الحيوانات المأكولة فانها لا يكون لحما الا بعد الذبح
والسلخ ولا يخفى لطف موقع هذا التنبيه والتمهيد
السابق بقوله منه حيث تضمن الاشعار بانهم
يبتغون اكله من البحر مبالغة في تهيئه للاكل في
مقام الامتنان ● وفي تخصيص اكله طريا بالذكر
اشارة الى انه في معرض ان يسرع اليه الفساد لكمال
لطافته فيسارع الى اكله فكانه قيل لتأكلوا منه
لحما في غاية اللطافة وهذا الطف الكنايات
التي قلما يتنبه لها ولا بد من الحمل عليها اذ على تقدير
ابقائه على ظاهره يكون بيانا للواقع خاليا عن فائدة
الخبر ولازمها ● روي ان ابا حنيفة رضي الله عنه
لما قال لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث
لان لحم السمك ليس بلحم ● سمع سفيان الثوري رحمه الله
قوله فانكر عليه محتجا بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة
رجلا سأله عمن حلف لا يصلي على البساط فصلى
على الارض هل يحنث ام لا فقال سفيان لا يحنث
فقال الرجل اليس ان الله تعالى قال والله جعل لكم الارض
بساطا فعرف سفيان ان ذلك بتلقين ابي حنيفة
وقيل في وجه قوله ان مبنى الايمان على العادة وعادة
الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك
واذا قال لغلامه اشتر بهذا الدرهم لحما فجاء بلحم العصفور
استحق الانكار ايضا مع انه يحنث باكل لحم العصفور
من حلف لا يأكل اللحم وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان
فان الحلية اسم لما يتحلى به وزيادة حرف التنفيس هنا
للدلالة على ان اخراجها بمشقة تقتضي المهلة تلبسونها
يلبسها النساء فهو من قبيل اسناد فعل البعض الى الجملة
كقرينة الآتي وترى الفلك مواخر فيه جواري
فيه تشقه بحيزومها مع صوت من المخر وهو شق
الماء بصوت ولتبتغوا عطف على محذوف تقديره
لتركبوا فيه ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها
للتجارة ولعلكم تشكرون اي ولتشكروا الله تعالى على
هذه النعمة الجليلة حيث يقطع بها المسافة البعيدة في المدة
القليلة مع ما فيها من الاحمال والاثقال بلا مؤونة الرفع والوضع
في اثناء السفر كما هو المعتاد في مسافرة البر هذا هو الوجه
بتخصيص هذه النعمة بتعقيب الشكر واما جعل المراكب
سببا للانتفاع وتحصيل المعاش فلا يناسب مقام الامتنان

قوله ان تميد الميد الحركة والاضطراب ماد يميد ميدا قال ابن عباس رضي الله عنهما اوتدها بالجبال
لئلا تميد باهلها وانهارا وجعل فيها انهارا النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وسبلا طرقا الى كل
البلاد لعلكم تهتدون لكي تهتدون الى مقاصدكم من البلاد فلا تضلوا وعلامات يعني الجبال وهي
علامات الطرق بالنهار كالنجوم بالليل وبالنجم هم يهتدون اراد جميع النجوم لان بها يهتدى الى الطرق
والقبلة في البر والبحر ● ثم دل بهذه الاشياء التي خلقها على نفسه فقال افمن يخلق واحديه

● من قال فلما خلقت الجبال على وجهها فقد غفل عن وجه العدول عن القى على الارض اي القى في الارض
في تغير سوره

والقبر في بيعثوه للدا على اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم • وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث • انتهى المدارك •

أفمن يخلق كمن لا يخلق الهمزة للانكار دخلت على فاء التعقيب اي ابعد هذه الدلائل المتكاثرة الواضحة الدالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وانفراده بخلق ما عدد من مبدعاته يقولون بمساواة الخالق المطلق لما لا يخلق شيئا واورد من الجمادات التي هي الاصنام اما لكمال خلة واما بناء على اعتقادهم وتسميتهم الهة وعبادتهم لها • وفيه ضرب من التهكم • واما لان المراد كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالجماد للمبالغة وكان حق الكلام ان يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق لانه الزام لعبدة الاوثان لكنه عكس تفظيعا لشانهم بانهم لما سموها باسمه وعبدوها كعبادته وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله تعالى من جنس هذه المخلوقات وشبيها بها فانكر ذلك عليهم • وحذف مفعول يخلق لان المراد نفس صدور الفعل منه اي ايكون الخالق شبيها بغير الخالق • او للتعميم اي أفمن يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا • او لان ما عدد من المخلوقات دل عليه اي أفمن يخلق ما عدد من الاشياء العظيمة العجيبة كمن لا يخلق شيئا منها أفلا تذكرون بعد هذه التنبيهات فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه ووضوحه كالبديهي المغفول عنه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا يبلغ طاقتكم ضبط عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها • اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على انفراده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراءها من النعم ما لا ينحصر وان القيام بحق عبادته وشكره غير مقدور لاحد ان الله لغفور حيث يغفر تقصيركم في اداء شكرها ويتجاوز عنه رحيم لا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها • وفيه اشعار بانه تعالى ما كلفكم حق الشكر لعدم الامكان وتجاوز عن الممكن الى السهل الميسور في قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ما يشعر بانهم قصروا في هذا الميسور ايضا فاستحقوا العقاب اي يعلم ما تسرون من عقايدكم وعزايمكم وما تعلنون من اعمالكم واقوالكم • وهو وعيد على شركهم باعتبار العلم والعمل وتقصيرهم في الشكر والعبادة • وتقديم ما تسرون لان الوعيد من جهة العقايد والعزايم اقوى ظ

أفمن يخلق اي الله سبحانه وتعالى كمن لا يخلق اي الاصنام • وجيء بمن الذي هو لاولي العلم لزعمهم حيث سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم • ولان المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بالاعلم عنده وانما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله تعالى لانهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة في خلق الافعال أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ما انتم عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا يبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر • وانما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اقوالكم وافعالكم وهو وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وبالتاء غير عاصم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات اي هم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون نفى عنهم خصايص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون اموات جاهلون بالبعث • ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات او غير جائز عليها الموت وامرهم بالعكس من

والذين تدعون من دون الله الا

[...] عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة واما نعمة فالجملة تعليل للحكم بعد الاحصاء • [...] وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقايد [...] والاعمال وما تعلنون اي تظهرونه منهما وحذف العايد لرعاية الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط [...] وعلنكم • وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى • وتقديم السر على [...] لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود ع من تحقيق المساواة بين علمه المتعلقين بهما على ابلغ وجه [...] علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن • او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى [...] الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل [...] استحقاق العبادة • وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية [...] مناقاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال [...] عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه [...] على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اي ليس من شانهم ذلك [...] لم يكن بين نفي الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك [...] فقيل وهم يخلقون اي شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها [...] ووجوداتها الى الموجد • وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي [...] عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص [...] الفعل بفاعله جل جلاله • ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة [...] وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم [...] حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم • وانما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كالفعل فلا حاجة له اذ القدرة [...] على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم [...] مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء بذلك قيل اموات

والذين يدعون من دون الله اي والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دونه تعالى او يعبدونهم لا يخلقون شيئا
لما نفى المساواة والمشابهة بين من يخلق ومن لا يخلق بيّن انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يساوونه
ولا يماثلونه ثم اثبت لهم صفات تنافي الالوهية تأكيدا لذلك فقال وهم يخلقون اي وهم ممكنات
مفتقرة الى التخليق فكيف يكون آلهة والاله يجب ان يكون واجب الوجود غنيا عن الكل اموات
هم اموات • ولما احتمل ان يكون المعنى اموات فيما بعد على طريقة انك ميت وانهم ميتون دفعه بقوله
غير احياء. ويجوز ان المعنى جمادات لا يعرض لها حيوة كما يعرض لبعض الاموات كالنطف التي يحييها
الله تعالى ويجعلها حيوانات فكاجساد الموتى التي يبعثها الله تعالى وذلك اعرق في كونها امواتا • ويجوز
ان يكون المعنى اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله حقه ان يكون حيا
بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم فكيف
يجازونهم فان المعبود يجب ان يعلم عبادة العابد ووقت بعثه وجزائه حتى يقدر على مجازاته بعد موته
فان البعث والجزاء من لوازم التكليف والعبادة • وفيه تهكم بهم وبآلهتهم فانها جمادات لا شعور لها بشيء
فكيف بما لا يشعر به هي غير الله تعالى   انتهى ابن الكمال

أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا
اصلا • وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من
المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد اذ ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا • وتعقيب الهمزة بالفاء
لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص
به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الآية • والاقتصار
على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها • او لكون كل منها على ذكر الخلق من بينها لكونه
اعظمها واظهرها واستتباعه اياها • او لكون كل منها خلقا مخصوصا • اي ابعد ظهور اختصاصه تعالى
بمبدئية هذه الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق
العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراكهم ومدارها
وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه
النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة
قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط ل
منزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول • والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شانه
كائنا ما كان • والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة • او العقلاء خاصة • ويعرف منه حال غيرهم
بدلالة النص فانه من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان
فدخول الاصنام في حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق
الانفهام بدلالة النص لا على الطريقة البرهانية لا بانها هي المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون
اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله
تذكير اجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى
ويخلق ما لا تعلمون • ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر
اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها عليها
وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت
من مستتبعات الحيثية الاولى استغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمة الله الفائضة
عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا
بحصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابراهيم عم
بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة
على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من اصناف الكفر التي من ٥

اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل • او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات
مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله حيوانا •
احترز عن ذلك فقيل غير احياء. اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله
وما يشعرون ايان يبعثون اي ما يشعر اولئك الآلهة ايان تبعث عبدتهم • فعلى طريقة التهكم بهم
لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير
وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية
ابو السعود رحمه الله

والمعنى انه قد ثبت بما مر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على
من الانكار والاستكبار • وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللاً بما في حيز الصلة فان الكفر
بالاخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدي الى قصر النظر
على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار
عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التامل في الايات
والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا ولا
تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك
من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين
عن التوحيد او عن الايات الدالة عليه او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا
قيل لهم اى لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل
الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم • وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اى اى
شئ انزل او ما الذى انزل قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية
احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شئ • قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه صلى الله
عليه وسلم ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهى اوزار ضلالهم
كاملة لم يكفر منها شئ بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن
اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان
هذا يضل وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر • واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا
وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من
الفاعل اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال • واما حمله على معنى غير عالمين بانهم
يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتاييده بما سيأتي
من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال
من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور
انما هو العذاب الدنيوى كما ستقف عليه او حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال
وفائدة التقييد بالاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه
على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع
وبين المبطل الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه ما ذكر • انتهى ابو السعود افندى
قوله لا جرم قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد حقا انهم هم الاخسرون قال الفراء لا جرم كلمة كانت في الاصل
بمنزلة لا بد ولا محالة فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا الا ترى ان العرب تقول لا جرم لاتينك
فتراها بمنزلة اليمين وكذلك فسرها المفسرون في قوله لا جرم انهم حقا انهم وقال الزجاج لا جرم لا نفى لما
ظنوا انه ينفعهم كانه قال لا ينفعهم ذلك وجرم انهم في الاخرة هم الاخسرون اى كسب الفعل لهم الخسران
وجرم معناه كسب ذكرنا ذلك في قوله لا يجرمنكم قال الازهرى وهذا من احسن ما قيل فيه من الواحدى

[في الحاشية:] انهم في الاخرة هم الاخسرون

الهكم اله واحد اى ثبت بما مر ان الالهية لا تكون لغير الله تعالى وان معبودكم واحد فالذين
لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة للوحدانية
وهم مستكبرون عنها ومن الاقرار بها لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
اى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد
انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين
واذا قيل لهم لهؤلاء الكفار ماذا انزل ربكم
قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل
اى اى شئ انزل ربكم • او مرفوع بالابتداء
اى اى شئ انزله ربكم • واساطير خبر مبتداء
محذوف • قيل هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما
انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اساطير
الاولين اى احاديث الاولين واباطيلهم •
واحدتها اسطورة واذا رأوا اصحاب رسول الله
يخبرونهم بصدقه وانه نبى فهم الذين قالوا
خيرا ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن
اوزار الذين يضلونهم اى قالوا ذلك اضلالا
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض
اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال
لان المضل والضال شريكان واللام للتعليل
بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم
انهم ضلال الا ساء ما يزرون محل ما رفع
انتهى المدارك

الهكم اله واحد تلخيص للنتيجة وتكرير للمطلوب
بعد اقامة الحجة عليه على ابلغ الوجه فالذين لا يؤمنون
بالاخرة قلوبهم منكرة تعكيس للمقصود من
النتيجة وبيان لموجب انكارهم اى انه قد ثبت
وتحقق بالبراهين المذكورة ان الالوهية ه

تمتنع ان يكون الا الله وحده وانه لا شريك له فيما فانتج
لهم ذلك اصرارهم واستمرارهم على شركهم وانكار قلوبهم
للوحدانية وذلك لعدم ايمانهم بالاخرة فان الذى
لا يؤمن بها لا ينظر في الدلائل ولا يتاملها بخلاف
المؤمن بها وهم مستكبرون وهم قوم عادتهم الاستكبار
عن التوحيد وعن الاقرار به لما رسخ في قلوبهم من
تقليد آبائهم لا جرم قد سبق تفسيره في سورة هود
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ذلك
وعيد على ما ذكر على ابلغ وجه • وهو في موضع الرفع
على الفاعلية لان جرم فعل او مصدر انه لا يحب
المستكبرين تعليل للوعيد اى لا يحب كل مستكبر
فكيف بالذى يستكبر عن توحيده او اتباع رسوله
وفى اطلاق المستكبرين تعميم برهانى واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون
عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب
بانزل اى اى شئ انزل ربكم وتقدير الجواب ما يدعون
نزوله اساطير الاولين • او مرفوع بالابتداء اى اى شئ
انزله ربكم وتقدير الجواب هو اساطير الاولين •
او المنزل اساطير الاولين على السخرية والتهكم • ق
المجيبون المقتسمون مداخل مكة ينفرون عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة متعلق
بقالوا على التعليل في نفس الامر لا الغرض • واللام لام
العاقبة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار
الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من ضل وهو
وزر الاضلال فان ضلاله انما حصل بامرين اضلال هذا
ومطاوعة هذا فيتحملان الوزر بغير علم حال من المفعول
اى يضلونهم على جهلهم وفائدة التقييد به الدلالة على
ان جهلهم ليس بعذر اذ كان عليهم ان يبحثوا وينظروا
فيعرفوا من يقلدونهم ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم انتهى ابو الكمال

الهكم اله واحد لا يشاركه شئ في شئ وهو تصريح بالمدعى و
تلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون
بالاخرة واحوالها التى من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه
من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة
للوحدانية جاحدة لها او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون
عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها • والفاء يعنى الفاء
للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار في فالذين
وقع موقع النتيجة للدلايل الظاهرة والبراهين الباهرة ه

قد مكر الذين من قبلهم اى سوّوا منصوبات ليمكروا
بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاه امره
من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخرّت
عليهم السقف قال ابن الاعرابى العرب تقول خر
علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه
وان لم يكن عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج به هذا
عن الذى من كلام العرب اى عليهم وقع وكانوا
تحته فهلكوا واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون • تمثيل اى قد دبروا
حيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله تعالى هلاكهم فى
تلك المماكين والحيل واستيصالهم بها كحال قوم بنوا
بنيانا واحكموا قواعده فاتى الله بنيانهم من جهة الاساس
فسقط عليهم السقف وهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم قيل بعذابهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته وياباه قوله ويقول اين شركاى
لانه قبل دخولهم فى النار • اضاف الى نفسه الشركاء
حكاية لاضافتهم توبيخا لهم بها وتهكما بهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شانهم • و
قرئ بكسر النون يعنى تشاقوننى فان مشاقة
المؤمنين كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اى
الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد
فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزى اليوم
متعلق بطرفيه والسوء الذلة والعذاب على الكافرين
تقريرا لما كانوا يعظونهم به وتحقيقا لما اوعدوهم
او المراد الشماتة بهم وحكاية الله تعالى قولهم ليكون لطفا
لمن سمعه وقيل المراد من القائل الملائكة ويابى
قوله الذين تتوفاهم الملائكة يحتمل الجر صفة للكافرين
فيكون داخلا تحت القول والنصب والرفع على الذم
ظالمى انفسهم بان عرضوها على العذاب المخلد نصب
على الحال فالقوا السلم فالمراد اخبتوا ونزلوا عما
كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والتكبر والتعظم
قيل حين عاينوا الموت ويأباه السياق واللحاق
ما كنا نعمل من سوء من كفر وعدوان اى قائلين ذلك
ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول
الدال على الاستسلام لما جحدوا ما كانوا عليه من
الكفر والعدوان رد عليهم اولوا العلم بقولهم بلى ان
الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا
من باب الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم اى
كل صنف بابه المعدّ له وقيل ابوابها اصناف عذابها
خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين هى جهنم والوصفية
بالتكبر للايذان باستحقاق صاحبه النار ومن لا يجوز
الكذب يومئذ اول قولهم ذلك بانا لم نكن فى زعمنا
من حال فيجيبهم الملائكة لم يعيب بهم

قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
اى من جهة القواعد وهى الاساطين وهذا تمثيل
يعنى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله
فجعل الله تعالى هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم
بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان
من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف
وماتوا وهلكوا • والجمهور على ان المراد به نمرود
بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف
ذراع وقيل فرسخان فاهب الله تعالى الريح فخر
عليهم وعلى قومه فهلكوا فاتى الله اى امره بالاستيصال
فخر عليهم السقف من فوقهم واتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون
ولا يتوقعون ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب
الخزى سوى ما عذبوا به فى الدنيا ويقول اين
شركائى على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم
تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين
فى شانهم تشاقون نافع اى تشاقوننى لان مشاقة
المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اى الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم
الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم او هم الملائكة ان الخزى
اليوم الفضيحة والسوء العذاب على الكافرين
الذين تتوفيهم الملائكة وبالياء حمزة وكذا ما بعده
ظالمى انفسهم بالكفر بالله فالقوا السلم اى الصلح
والاستسلام اى اخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا
عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا ما كنا نعمل من
سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعدوان
فرد عليهم اولوا العلم وقالوا بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة
وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى
المتكبرين جهنم انتهى المدارك

قد مكر الذين من قبلهم يعنى نمرود بن كنعان بنى صرحا طويلا ورام منه الصعود الى السماء ليقاتل اهلها
بزعمه • ومعنى المكر ههنا التدبير الفاسد فاتى الله بنيانهم اى اتى بامر الله وهو الريح التى خربتها وحركتها •
قال المفسرون ارسل الله ريحا فالقت رأس الصرح فى البحر وخر عليهم الباقى من القواعد قال الزجاج من اساطين
البناء التى تعمده فخر عليهم السقف من فوقهم سقط اعلى البيوت على اصحاب نمرود واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون ظنوا انهم منه فى امان ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم ويهينهم بالعذاب ويقول اين
شركائى قال الزجاج هذا حكاية لقولهم والله لا شريك له والمعنى اين الذين فى دعواكم انهم شركائى اى اين هم
ليكفروا عنكم فيدفعوا عنكم العذاب الذين كنتم تشاقون فيهم تخالفون المسلمين فيهم فيعبدونهم وهم
يعبدون الله وقرأ نافع بكسر النون اراد تشاقوننى فيهم فحذف احدى النونين كما ذكرنا فى قوله
فبم تبشرون والمعنى تنازعوننى فيهم وتتخذونهم اولياء من دونى • والمعنى تخالفونهم امر الله لاجلها
قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس يريد الملائكة وقال غيرهم المؤمنون يقولون حين يرون خزى الكفار
يوم القيمة ان الخزى اليوم والسوء اى الفضيحة والعذاب على الكافرين لا علينا • ثم وصفهم فقال الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم تقدم تفسيره فالقوا السلم انقادوا واقروا لله تعالى بالربوبية اخبر الله
عنهم بالمشاقة فى الدنيا واخبر عنهم عند الموت ينقادون ويتبرؤن من الشرك وهو قوله ما كنا
نعمل من سوء فقالت الملائكة ردا عليهم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون من التكذيب والشرك ثم يقال لهم
فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين عن توحيد الله وعبادته من الواحدى

مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم
ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فأتى الله اي امره
وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده ●
او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ
لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد ● شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد
والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله
اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه
بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ● وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب
اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون
ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب
مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه
ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس
الاشهاد ● واصل الخزي ذل يستحيى منه ● وثم للايماء الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل
عليه من التراخي الزماني ● وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو
المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخر وبا
فيبقى النفس مترقبة على وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه في الاخرة فيسوق الكلام
على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة ● والضمير اما للمفترين في حق القرآن
الكريم اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه ● وتخصيصه بهم يأباه السباق والسياق
كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا فهو الى اخره بيان للاخزاء اين شركائي اضافهم اليه سبحانه
حكاية لاضافتهم الكاذبة ● ففيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون
الانبياء والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها ● والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء ●
او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم
متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا ليس ببعيد فانه
قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد ● وقرئ بكسر النون
اي تشاقونني لان مشاقة الانبياء والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل
قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم
في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا
يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به ● وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد
في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان
اليوم منصوب بالخزي على رأي من يرى اعمال المصدر المعرف باللام او بالاستقرار في الظرف ● وفيه فصل
بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف ● وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة
وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتأنيث الفعل ●
وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء ● والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها
من الهول ● والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين ● او بدل منه ● او في محل النصب ● او الرفع على الذم ●
وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره اي على الكافرين
المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم
حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي

للدلالة على تحقق الوقوع ● وهو عطف على قوله تعالى ويقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا
لما حاق بهم من الخزي على رؤوس الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا
من الكبر وشدة الشكيمة قائلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم
كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ● وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك
مع الاعتراف بصدوره عنهم ● ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه
وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام ٥ لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم
استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم
تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف
بابه المعد له ● وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان
اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين
اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها ● والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتأويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين
ذلك في اعتقادنا روما للمحافظة على انه لا كذب ثمة يرده الرد المذكور ● وما في سورة الانعام من
قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم ● انتهى ابو السعود رحمه الله ●

٥ من قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

وقيل للذين اتقوا اي المؤمنين الذين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة • والمعنى اي انزل
خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا • واما الكفرة فانهم حين سألهم الله تعالى عدلوا
الجواب عن نهج الحق الواقع الذي ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا
الاساطير روما لما هو من انكار النزول • روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك
فيقول انا شر وافد رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اعمالهم او فعلوا الاحسان
وعده الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة مكافأة فيها ولدار الاخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا
في الدنيا من المثوبة • او خير على الاطلاق • فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الاخرة ولنعم دار المتقين
اي دار الاخرة • حذف لدلالة ما سبق عليه • وهذا الكلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم
المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والاخرة • فلا محل له من الاعراب • او بدل من خيرا
او تفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
او مبتدأ خبره محذوف اي لهم جنات • ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على
تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات
ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول • او متعلق به اي حاصل لهم
فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات • وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان
حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى
يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي فيدخل فيه المتقون المذكورون
دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى • او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم
الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان
بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم • ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار
على ذلك ولغيرهم على تحصيله • وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة • او طيبين
بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اي قائلين لهم
سلام عليكم قال القرطبي رحمه الله اذا استدعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام فقال
السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وتبشر بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات
عدن الخ ولذلك جردت عن النعت • والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تأخر
المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس
الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة • او بالذي كنتم تعملونه من ذلك • وقيل المراد
بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم
الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين
انتظاره لا لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه
فكأنهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده • وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه للطف به صلى الله عليه وسلم وان كان
عذابا عليهم • والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان
الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانه ليست شرطا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد
بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فاصابهم سيئاته ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاصابهم الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هؤلاء من الشرك
والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم وما ظلمهم الله بما سيأتي من عذابهم ولكن كانوا
مستمرين عليهم من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين

في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم
مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه
في سورة يونس عليه السلام فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك
ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته
لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو
احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب • انتهى ابو السعود •

وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا انزل ربكم قالوا خيرا

وانما نصب ورفع اساطير لان التقدير هنا انزل خيرا

فاطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو اساطير

الاولين فعدلوا بالجواب عن السؤال للذين احسنوا

في هذه الدنيا اى امنوا وعملوا الصالحات او قالوا

لا اله الا الله حسنة بالرفع اى ثواب وامن و

غنيمة • وهو بدل من خيرا حكاية لقول الذين

اتقوا اى قالوا هذا القول • فقدر عليه تسمية خيرا

ثم حكاه • او هو كلام مستانف عدة للقائلين

وجعل قولهم من جملة احسانهم ولدار الاخرة خير او وعد

اى لهم ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف

المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن

خبر مبتدا محذوف • او هي المخصوص بالمدح

يدخلونها حال تجري من تحتها الانهار لهم فيها

ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين الذين

تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم

بالكفر لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون

سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد على الموت جاءه ملك

فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك

السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم في الاخرة ادخلوا

الجنة بما كنتم تعملون بعملكم هل ينظرون ما ينتظر

هؤلاء الكفار الا ان تاتيهم الملائكة لقبض

ارواحهم وبالياء حمزة وعلي او ياتي امر ربك

العذاب المستاصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل

من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما

ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون

حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير فاصابهم سيئات

ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وحاق بهم ما كانوا

به يستهزؤن واحاط بهم جزاء استهزائهم

وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين عطف على قيل لهم في قوله

واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا انزل

ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا • وانما رفع الاول ونصب الثاني

فرقا بين جواب الجاحد وجواب المقر اي ان المتقين

لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا

والمشركين عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير

الاولين وليس من الانزال في شيء للذين احسنوا في

هذه الدنيا كلام مدح الله تعالى به القائلين خيرا وجعل

قولهم ذلك من جملة احسانهم وحمدهم عليه ووعدهم به

فهو كلام مبتدا لا محل له من الاعراب • ويجوز ان يكون

ما بعده بدلا من خيرا على انه من كلام المتقين اي قالوا

خيرا ثم فسروا الخير بهذه الجملة بمعنى انزل هذا الكلام

بعد ما ابهموه وسموه خيرا حسنة مكافاة باحسانهم

في الدنيا وهي العصمة والتوفيق والنجاة من العذاب

المعجل ولدار الاخرة ولثوابهم في الاخرة خير مما لهم

في الدنيا ولنعم دار المتقين اللام للقسم ونعم كلمة مدح

اذ لا خوف فيها ولا حزن ونعيمها مقيم ومكثها دائم وصاحبها

فيها خالد • وحذف المخصوص بالمدح وهو دار الاخرة لتقدم

ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف • ويجوز

ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها

الانهار لهم فيها ما يشاؤن تقديم لهم للتخصيص اي لهم

خاصة دون غيرهم • وعموم ما مع تقديم فيها يفيد ان

الانسان لا يجد جميع ما يشاء من المشتهيات الا في الجنة

كذلك يجزي الله المتقين فذلكة للتاكيد مع تعظيم الجزاء

وفيه تقوية للوصف الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين

طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي

انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او

طيبين بقبض ارواحهم لقوة ايمانهم وتوجه نفوسهم

بالكلية الى عالم القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعده

مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على

الاعمال الصالحة • وانما قالوا ادخلوا الجنة لان القبر روضة

من رياض الجنة في حقهم • ومن غفل عن هذا ذهب الى ما ذهب

وارتكب ما يخل حسن الانتظام في الكلام هل ينظرون

اي الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم

او ياتي امر ربك العذاب المستاصل الواقع بغتة وقد سبق

وجه التعبير عن مثله بامر الله تعالى وتفسير الامر بالقيمة يا باه

كلمة او لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة في حقه

العطف بالواو الجامع دون او الفارقة كذلك مثل ذلك

الفعل الشنيع القبيح من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم

من قال ههنا فاصابهم ما اصابهم فكانه غفل عن ان الاخبار عنه بعد هذا صريحا في نظم القران يابى عن اعتباره ههنا تقديرا

وما ظلمهم الله بتدميرهم او تعذيبهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بما استوجبوا به ذلك فاصابهم سيئات ما عملوا

جزاء سيئات اعمالهم لا على حذف المضاف بل على تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه

وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء
نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء من البحائر
والسوائب وغيرها مما احل الله تعالى • وانما قالوا ذلك
عناداً وتعنتاً والزاماً لموحدين بناءً على زعمهم وقولهم
ما شاء الله يجب وما لم يشاء يمتنع • ومنعاً للبعثة
وانكاراً للتكليف لعدم الفائدة فيهما وانكار القبح
ما انكر عليهم من الشرك والتحريم ونحوهما متمسكين
بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها
عنهم ولشاء خلافه ملجئاً اليه لا اعتذاراً اذ لم يعتقدوا
قبح اعمالهم كذلك فعل الذين من قبلهم اى مثل ذلك الفعل
الشنيع من الاستهزاء بالرسل وانكار البعثة والتكليف
والجدال بالباطل فعل اسلافهم فلا فهم منه ان انذار
الرسل وارشادهم لم يجد نفعاً في الضالين المعاندين
اتجه السؤال بان يقال فما بال المرسلين حيث لم يتموا
مصلحة الارشاد اجاب عنه بما حذف واقيم تعليله
مقامه لاستلزام العلة للمعلول فقوله فهل على الرسل
الا البلاغ المبين لا بأس فيه فهل عليهم الا البلاغ الموضح
للحق اى ليس عليهم الهداية ولكن الله سبب الاسباب
بحكمته وجعل تبليغ الرسل من اسباب الهداية لمن يشاء
هدايته فليس عليهم عليهم السلام الا ما كلفهم من التبليغ
والابانة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن
بينة • ثم بين ان بعثة الرسل والدعوة الى الحق و
التكليف امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها
سبباً لهدى من اراد اهتدائه وازدياد ضلال
من اراد ضلاله كالغذاء الصالح الذي ينفع من
اعتدل مزاجه ويضر من انحرف مزاجه بقوله ولقد
بعثنا في كل امة رسولا التنكير للتعظيم ان اعبدوا الله ان يجوز
ان يكون تفسيرية لان البعث يتضمن معنى القول • وان يكون
مصدرية اى بعثناه بان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
قد سبق تفسيره في سورة البقرة فمنهم من هدى الله وفقهم
للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة •
تغيير الاسلوب بالعدول عن قوله ومنهم من اضله للتنبيه
على ان الثاني لسوء استعدادهم على ما افصح عنه قوله تعالى
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
ومن لم يتنبه لذلك قال اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم
فسيروا في الارض ترتيبه على موجب ما تقدم من نزول
العذاب عليهم فكانه اخبر عنه واحالهم في معرفة ذلك

وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا هذا الكلام
صدر منهم استهزاءً ولو قالوه اعتقاداً لكان
صواباً ولا حرمنا من دونه من شيء يعني البحيرة
والسائبة ونحوهما كذلك فعل الذين من قبلهم
اى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم
استهزاءً فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا ان يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك
وقبحه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله بان وحدوه واجتنبوا الطاغوت
الشيطان يعني طاعته فمنهم من هدى الله
لاختيارهم الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة
اى لزمت لاختيارهم اياها فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين حيث
اهلكهم واخلى ديارهم عنهم • ثم ذكر عناد قريش
وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم
واعلمه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة لله تعالى
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من
يضل بفتح الياء وكسر الدال كوفي • ابا تون
بضم الياء وفتح الدال • والوجه فيه ان من يضل
مبتدا ولا يهدى خبره وما لهم من ناصرين
يمنعونهم من جريان حكم الله تعالى عليهم ويدفعون
عنه عذابه الذى اعد لهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
معطوف على وقال الذين اشركوا لا يبعث الله
من يموت بلى وهو اثبات لما بعد النفي اى بلى
يبعثهم وعداً عليه حقاً هو مصدر مؤكد لما دل
عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى وبين ان
الوفاء بهذا الوعد حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان وعده حق او انهم يبعثون المدارك

على السير في الارض ولا اختصاص للامر المذكور بقريش فانظروا العطف بالفاء للدلالة على ان الغرض من الامر بالسير
هو النظر المذكور اى سيروا في الارض لهذا الامر واجعلوه غاية لسيركم فالفاء لبيان ترتب احد الامرين على الآخر بكون
وسيلة للثاني لا التعقيب السير بالنظر فتدبر كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون
ان تحرص

...ده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق • وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم
...تعالى واذا امرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه
الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له وحده
...روا يا معشر القريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار
...سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك
...العذاب • وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب
...للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان • وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في
...تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب
...لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وقرئ بفتح الراء وهي لغية على هداهم اى ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله
لا يهدي من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبراً وقسراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره
...المراد به قريش • وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة • وللاشعار
...بعلة الحكم • ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص على هداهم فلست بقادر
على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم • وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي
في الدال • ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي • وقرئ يضل بفتح الياء • وقرئ لا هادي لمن يضل
...ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم • وصيغة الجمع في الناصرين
باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفي طائفة من الناصرين
من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكار البعث جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال
اى جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله بلى اى بلى يبعثهم وعداً

تحرص الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من حقه ان يفضل تعليل للجزاء اقيم مقامه
لاستلزام العلة للمعلول اي فتهون على نفسك ولا تتبعها وتسل عنهم فان هداهم ممتنع • وقرئ لا يهدي على البناء
للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين ينصرونهم اذ خذلهم الله تعالى او يدفعون العذاب عنهم اذا عذبهم •
واما نفي الجمع لان الاجتماع مظنة زيادة القوة والقدرة على النصرة واقسموا بالله جهد ايمانهم مستعار من
جهد نفسه اذا ابلغ طاقتها واقصى وسعها للمبالغة في اليمين وبلوغ غاية غلظتها واقصى وكادتها وهو في حكم الحال
لان اصله واقسموا بالله يجهدون ايمانهم فحذف الفعل ووضع المصدر مكانه مضافا الى المفعول لا يبعث الله من يموت
اراد به نفي قدرته تعالى على بعث • والجملة عطف على وقال الذين اشركوا تصريحا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث
مقسمين عليه زيادة في البت على فساده للايذان بانهما كفرتان عظيمتان حقيقتان بان تحكيا وترويا
ليتعجب منها ويعتبر بهما وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد لما دل
عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى عليه صفة لوعدا حقا صفة اخرى اي له وعدا ثابتا عليه الوفاء به لعدم
لامتناع الخلف في وعده • او لكون البعث مقتضى حكمته ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون • او ان
وعده حق عليه انجازه بمقتضى حكمته وعدم العلم به لا يستلزم العلم بالعدم فضلا عن العلم بالامتناع • كما قيل
في التعليل لقصور نظرهم بالمألوف يتوهمون امتناعه من قصور النظر انتهى ابو السعود

وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم • والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة
وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء الله عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك
نحن ولا اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحائر وغيرها • وانما قالوا ذلك
تكذيبا للرسول عليه السلام وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء
ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر
كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما
يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم
من الامم اي اشركوا بالله وحرموا احله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ • وهدوهم الى الحق
فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ
الرسالة تبليغا واضحا او موضحا • وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي الذي من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى
باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا •
واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم
ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل
او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في
تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان
الثواب والعقاب اضطراريين • والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان
الرسل ليس شانهم الا التبليغ لاوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها واجراء موجبها على الناس قسرا والجاء •
وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مامورون • او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم اداؤه • وبهذا ظهر
ان حمل قولهم لو شاء الله ما عبدنا ولا حرمنا من دونه من شيء على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله اعلم بالصواب
ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف
الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم •
اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان يكون ان مفسرة لما في البعث
من معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان
وكل ما يدعوه الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم • والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده
واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف
قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت

وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه • او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا
صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة
صفة اخرى له • او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشئون الله عز شانه من العلم و
القدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والتكليف
القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم
فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين
انتهى ابو السعود

أنهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت • والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامة
وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلها غاية للبعث المشار إليه باعتبار ور
في معرض الرد على المخالفين وإبطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم إلى الإذ
للحق فإن الكفرة إذا علموا أن تحقق البعث إنما كان لتبيين أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره كان ذلك
أزجر لهم عن إنكاره وأدعى إلى الاعتراف به ضرورة أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر كون
تصلي لأصلين رغما لأنفك وإظهارا لكذبك ولأن تكرر الغايات أدل على وقوع الفعل المغيا بها والغا (رغما)
الأصلية للبعث باعتبار ذاته إنما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته
وإنما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع أخر وشهرته وإنما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بأن
وأن الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لأن ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو عبارة عن
ما كان مبهما قبل ذلك بأن يختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون
وأما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل مما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبل أنفسهم وقد مر تحقيقه
سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا • وأما حق الإسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا أن
الآية لأن علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك أيضا إنما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الإطلاق
ابتداء وإعادة بعد التنبيه على آنية البعث • ومنه يظهر كيفيته • فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله لشيء أي أي شيء كان مما
وهان • متعلق به على أن اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية أي لأجل شيء وليس
والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا أنه كان شيئا قبل ذلك إذا أردناه ظرف لقولنا
أي وقت إرادتنا لوجوده • أن نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون إما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام
أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون • وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا
ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما
المعدوم أو تحصيل الحاصل • أو يقال إن ما يستدعيه انحصار قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار أسباب
التكوين فيه كما يفيده قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون • فإن المراد بالأمر هو الشأن الشا
والفعل • ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات
حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الآمر المطاع
فالمعنى إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون • ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول
مخصوص وجب أن يعبر عن مطلق الإيجاد بالقول المطلق فتأمل • وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار
العقول والألباب • وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الأمر والذين هاجروا في الله
أي في شأن الله ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه لنبوئنهم في
الدنيا حسنة أي مباءة حسنة أو تبوئة حسنة كما قاله كذا وهو الأنسب لما هو المشهور من كون السورة
غير ثلاث آيات من آخرها مكية • وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها نزلت في صهيب وبلال وعمار
وخباب وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام • فأما
صهيب فقال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه
أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب • وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فإنما يناسب
ما حكي عن الأصم من كون كل السورة مدنية • وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر السورة مدنية فيحمل ما
عنه من نزول الآية في أصحاب الهجرتين على أن يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين • وأما حمل رواية من جملتهم
خلاف ما عليه نظم التنزيل ولا تساعده الجليل • وقرئ لنثوينهم ومعناه أثواه حسنة أو لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب كافة وأهل الشرق والغرب كافة ولأجر الآخرة
أي أجر أعمالهم المذكورة في الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا • وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل لو كانوا يعلمون
الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين أي لو علموا
ذلك لزادوا في الاجتهاد أو لما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها الذين صبروا على الشدائد من أذية الكفار

من الآلام

مفارقة الأهل والوطن وغير ذلك وتحمل المتاعب والرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين إلى الله
معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والجملة إما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله
وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا انتهى أبو السعود رحمه الله

ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم
ليبين لهم • والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين
والكافرين الذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث
الله من يموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون اى فهو يكون وبالنصب
شامي وعلى جواب كن • قولنا مبتدا . وان
نقول خبره كن فيكون من كان التامة التي بمعنى
الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شيء
فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف
وهذه عبارة عن سرعة الايجاد يبين ان مرادا
لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور عند امر الآمر المطاع اذا ورد
على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة
فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض
المقدورات والذين هاجروا في الله في حقه
ولوجهه من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه
ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله تعالى
منهم من هاجر الى الحبشة ثم منها الى المدينة
فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة
لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر
اى تبوئة حسنة او لنبوئنهم مباءة حسنة
وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم و
لاجر الآخرة اكبر الوقف لازم عليه لان جواب
لو كانوا يعلمون محذوف والضمير للكفار اي
لو علموا ذلك لرغبوا في الدين او للمهاجرين
لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
الذين صبروا اى هم الذين صبروا او اعني الذين
صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على مفارقة الوطن

الذي هو حرم الله تعالى المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب
قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح
في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون الامر
الى ربهم ويرضون بما اصابهم في دين الله تعالى انتهى المدارك

ليبين لهم تعليل لما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم • والضمير
لمن يموت عام للناس كلهم الذي يختلفون فيه وهو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث الله
من يموت وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث
المقتضي له من حيث الحكمة وهو التميز بين الحق والباطل
والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا ،
ان نقول خبره • واذا تجرد الظرفية اى وقت ارادتنا له
او شرطية محذوفة الجواب لدلالة الجملة الاسمية عليه
اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فيحدث
عقيب ذلك بلا توقف • تمثيل لبيان امكان البعث
وسهولته على الله تعالى • ومعناه ان كل ما تعلق به ارادته من الاشياء
لا يمتنع عليه ولا يتوقف بل يكون كمأمور مطيع امره امر مطاع
فلم يلبث ان يمتثل • والمبعوث احد الاشياء الممكنة فكيف
يمتنع عليه ولا قول • وقرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول
او جوابا للامر والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه المهاجرون ودل قوله في الله على ان الهجرة اذا لم تكن لله
لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد
وقوله تعالى من بعد ما ظلموا على انهم كانوا مظلومين في ايدي
الكفار او المحبوسين المعذبين بمكة بعد هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة
او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم في الدنيا
لو كانوا يعلمون الضمير للمهاجرين اي لو كانوا يعلمون ان الله تعالى
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لرغبوا في دينهم الذين
صبروا على اذى الكفار ومفارقة الوطن • ومحله النصب
او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله
مفوضين اليه الامر كله انتهى ابو السعود

ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت
او التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك
لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة
عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من
مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان
الذي يختلفون فيه من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به
الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين
كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق

[illegible]

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه والوحي
لا يلزم ان يكون بواسطة الملك فضلا ان يكون على لسانه
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم
لا تعلمون جوابه محذوف دل عليه ما قبله وفي الاية دليل
على انه تعالى لم يرسل ملكا ولا امرأة ولا صبيا للدعوة العامة
ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها اخص من
الرسالة وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر بالمعجزات والكتب متعلق بلا تعلمون على ان
الشرط للتبكيت والالزام من حيث الاعتراف بعدم العلم
وسبيل الجاهل سؤال من يعلم لا الانكار ويجوز ان
يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء اي ما ارسلنا
الا رجالا بالبينات وان يكون صفة رجالا اي رجالا
متلبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحال
عن القائم مقام فاعله على ان قوله فاسئلوا
اعتراض ويجوز ان يتعلق بارسلنا مضمرا كانه قيل
بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر فهو على هذا كلام اخر
مستأنف وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا
لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم
في الذكر بتوسط انزاله عليك من الاحكام والمواعيد
والتبيين اعم من ان يبين بالمقصود او يرشد الى
ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون
وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق والواو للعطف
على محذوف تقديره ارادة ان يصغوا اليه افأمن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا
لهلاك الانبياء عليهم السلام او الذين مكروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراموا صد اصحابه رضي الله عنهم عن الايمان
دخول الهمزة على فاء التعقيب انكار لانهم بعد اطلاعهم
على عاقبة المكذبين والبينات التي انزلت على الرسول
عليه السلام ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون اي في حال غفلتهم
نائمين ولا يلزم ان يكون من جانب السماء والا ان يكون
بغتة ولهذا جمع بينهما في قوله من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون او يأخذهم الاخذ ههنا كناية
عن الاهلاك كما في قوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه في تقلبهم في تصرفاتهم في امورهم وهذا ايضا زمان غفلتهم عن تدارك
لتوغلهم في تحصيل المهمات الا ان لهم فيه شعورا وهذا تفصيل ما اجمله الضحاك بقوله بالليل والنهار فما هم بمعجزين بفائتين
والفاء للدلالة على شدة الاخذ بحيث لا ينقلب المأخوذ ولو انا وبه يتم الكناية المذكورة آنفا او يأخذهم على تخوف
على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون وهو خلاف الاتيان والاخذ المذكورين بغتة
اخذ على توقع فيكون الغرض التعميم وقيل هو من تخوفته اذا انقصته اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا فان ربكم لرءوف رحيم لا يعاجلكم بالعقوبة مع استحقاقكم لها وهذا كالتعليل للاخذ على التخوف لان فيه امهالا

ولما قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
انزل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم
على السنة الملائكة نوحي حفص فاسئلوا اهل
الذكر اي اهل الكتاب ليعلموكم ان الله تعالى لم يبعث
الى الامم السالفة الا البشر وقيل للكتاب الذكر
لانه موعظة وتنبيه للغافلين ان كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر اي بالمعجزات والكتب والباء
تتعلق برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بارسلنا مقدرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات
او بنوحي اي نوحي اليهم بالبينات او بلا تعلمون
وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه
المتقدمة وانزلنا اليك الذكر القرآن لتبين
للناس ما نزل اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا
عنه ووعدوا به واوعدوا ولعلهم يتفكرون
في تنبيهاته فيتنبهوا افأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخسف الله بهم
الارض كما فعل بمن تقدمهم او يأتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون اي بغتة او يأخذهم في
تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين او يأخذهم على تخوف متخوفين وهو
ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم وهم
متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث
لا يشعرون فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم
عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى انه اذا
لم يأخذكم مع ما فيكم فانما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من
ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة
بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس وحيث كان
المقصود من الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسئلوا اهل الذكر
اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة
ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة
الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع
جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع
رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على
نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخر صلة
ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية
او الحالية من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط
للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين
لتبين للناس كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال
القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في
الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد
الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم
يتفكرون اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي
الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب افأمن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من تعم الفريقين
الا ان المراد تحذيرهم عن اصابة مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر
محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى الفعل اي عملوا
السيئات فقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اي افأمن
الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الله الخ بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب
ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه
الانكار الى المعطوفين معا او الم يتفكروا فأمنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله
احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي امكروا فأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مأمنهم او من حيث يرجون اتيان
ما يشتهون كما حكي فيما سلف كما نزل بالماكرين او يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم
فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ
او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى
اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا لنفي الدوام او يأخذهم على تخوف
اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون
وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته
حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فان ربكم لرءوف رحيم
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها انتهى ابو السعود

أما الأول ما يكون بتعليمه تعالى من التطبيع
فلأن سر ما الاختيارية دون الثانية وأما فظاهر

ومن ذكر بدل الأول ما يكون طوعاً وبدل الثانية ما يكون طبعاً لم يصب في واحد منهما **ما في السموات وما في الأرض**
من دابة بيان لما في الأرض لأن الدابة ما يدب في الأرض ولا يلزم أن يكون على وجهها وأن يكون عن
ما في السموات للإشعار بكثرة ما فيها أجناساً وأنواعاً • ومن رام تعميم البيان زاعماً أن الدبيب هي الحركة
الجسمانية سواء كانت في جرم سماوي أو أرضي فقد غفل عما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء من الدلالة
على اختصاص الدابة بما في الأرض لأن ما في السماء لا يخلق بطريق التوالد **والملائكة** خصت بالذكر بعطفها
على ما في السماوات للتعظيم كعطف جبرئيل على الملائكة أي والملائكة خصوصاً من الساجدين لأنهم أطوع الخلق
وأعبدهم **وهم لا يستكبرون** عن عبادته جملة استينافية وتقديم هم للتخصيص **يخافون ربهم** خوف هيبة
وتعظيم حال من ضمير لا يستكبرون أو بيان لنفي الاستكبار وتأكيد له لأن من خاف الله تعالى
لم يستكبر عن عبادته **من فوقهم** حال من ربهم مجاز بمعنى القهر والعلو أي عالياً لهم قاهراً **ويفعلون**
ما يؤمرون خوفاً له وعلماً بعظمته ونفاذ سلطانه وقدرته • ولا دلالة فيه على أن الملائكة مكلفون بالتكليف
الشرعي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب انتهى أبي السعود بارك الله يا أهل الكمال

أولم يروا استفهام إنكاري • وقرئ على صيغة الخطاب • والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم ينظروا
ولم يروا متوجهين **إلى ما خلق الله من شيء** أي من كل شيء **يتفيؤ ظلاله** أي ترجع شيئاً فشيئاً حسبما يقتضيه
إرادة الخالق تعالى فإن التفيؤ مطاوع الإفاءة • وقرئ بتأنيث الفعل **عن اليمين والشمائل** أي الأيمان
الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها • استعير لهما ذلك من يمين الإنسان
وشمالها **سجداً لله** حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال • والمراد بسجودها تقرفها على
مشيئة الله تعالى وتأتيها لإرادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له حال
وهم داخرون أي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله • والجمع باعتبار المعنى • وإيراد الصيغة
الخاصة بالعقلاء لما أن الدخور من خصائصهم • والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس
وانحدارها • أو باختلاف مشارقها ومغاربها فإنها كل يوم من أيام السنة تتحرك على مدار معين من
المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ • أو واقعة على الأرض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى • ووصفها بالدخور مغن عن
وصف ظلالها به • أو كلاهما حال من الضمير المشار إليه • والمعنى ترجع ظلال تلك الأجرام حال كونها منقادة
داخرة • فوصفها بها مغن عن وصف ظلالها بها • ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار و
الأحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها • أو اختلاف مشارقها
ومغاربها • وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه • وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه
الشرقي لأن الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والطلوع • وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فإن
الظلال في أول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال تبتدئ من الغرب
واقعة على الربع الشرقي منها • وبعدما بين سجود الظلال وأصحابها من الأجرام السفلية الثابتة في أحيازها
ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أم لا
فقيل **ولله يسجد** أي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالاً أو اشتراكاً فالقصر ينتظم
والإفراد إلا أن الأنسب بحال المخاطبين قصر الإفراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين
ما في السموات قاطبة **وما في الأرض** كائناً ما كان **من دابة** بيان لما في الأرض • وتقديمه لقلته ولئلا يقع
بين المبين والمبين فصل • والإفراد مع أن المراد الجمع لإفادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب كما
قال الأخفش هو كقولك ما أتاني من رجل مثله وما أتاني من الرجال مثله **والملائكة** عطف على ما في السموات عطف جبريل
على الملائكة تعظيماً وإجلالاً أو على أن يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح أو يراد به ملائكة السماء
وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم **وهم** أي الملائكة مع علو شأنهم **لا يستكبرون** عن عبادته
والسجود له • وتقديم الضمير ليس للقصر • والجملة إما حال من فاعل يسجد مسنداً إلى الملائكة أو استيناف أخبر عنهم
بذلك **يخافون ربهم** أي يخافونه جل وعلا خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده
أي مالك أمرهم وفيه تربية للمهابة وإشعار بعلة الحكم **من فوقهم** ح

أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
... وتقرير لأن من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته **ويفعلون**
ما يؤمرون أي ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وإيراد الفعل
مبنياً للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل
لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مداورون
بين الخوف والرجاء • وبعدما بين أن جميع الموجودات يخضعون لخضوع
الانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم
... الانقياد أصلاً بالله عز وجل أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى
... عن الإشراك فقيل **وقال الله** الآية.

أولم يروا قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب كذلك في سورة العنكبوت
والباقون بالياء خبراً عن الذين مكروا السيئات **إلى ما خلق الله من شيء** من جسم
... له ظل **يتفيؤ** قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء
... أي تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم
تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى **سجداً لله** فميلانها ودورانها سجودها
... ويقال للظل بالعشي فيء لأنه من فاء أي رجع من الغرب إلى الشرق
... الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة إذا مالت **قوله**
عن اليمين والشمائل قال الكلبي الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك
... وخلفك وكذلك إذا غابت فإذا طلعت كان من قدامك

اولم يروا وبالتاء حمزة وعلي وابو بكر الى ما خلق الله
ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء
يتفيؤا ظلاله اي يرجع من موضع الى موضع
وبالتاء بصري عن اليمين اي الايمان والشمائل جمع
شمال سجدا لله حال من الظلال عن مجاهد اذا
زالت الشمس سجد كل شيء وهم داخرون
صاغرون وهو حال من الضمير في ظلاله لانه في
معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل
وجمع بالواو والنون لان الدخور من اوصاف
العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب
والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله تعالى من الاجرام
التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي
ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله
تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ
والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة
لافعال الله تعالى فيها غير ممتنعة ولله يسجد ما في
السموات وما في الارض من دابة من بيان
لما في السموات وما في الارض او بيان لما في
الارض وحده والمراد بما في السموات وما في الارض
جميعا على ان في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب
الاناسي في الارض او بيان لما في الارض وحده
والمراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة
ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وقيل المراد
بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم
انقياده لارادة الله تعالى ومعنى الانقياد يجمعهما
فلم يختلفا فلذا جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد
وجيء بما لانه صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن
لتناول العقلاء خاصة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم
وهو حال من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون
خائفين من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخا

ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه
فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله تعالى وهو القاهر
فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون وفيه دليل على ان
الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي وانهم بين الخوف والرجاء

انتهى

اولم يروا الى ما خلق الله استفهام انكار اي قد
رووا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم
كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وانما قال من شيء لان المخلوقات
على نوعين ما خلق من شيء كعالم الخلق وهو عالم الاجسام
وما خلق من غير شيء كعالم الامر وهو عالم الارواح كما قال الله
سبحانه وتعالى الا له الخلق والامر وانما سمي عالم الارواح بالامر
لانه خلق بامر كن من غير شيء والظل من خواص ما في
عالم الخلق وبهذا اندفع ما قيل ان بيان ما خلق بشيء بيان
المبهم بما هو ابهم فافهم يتفيؤا ظلاله التفيؤ تفعل
من فاء يفيء اي رجع واختلف في الفيء فقيل هو مطلق
الظل سواء كان قبل الزوال او بعده وهو الموافق لمعنى
الآية وقيل الفيء هو الذي بعد الزوال عن اليمين والشمائل
اي عن الجوانب كلها استعير اليمين والشمال من جنبي
الانسان لجانبي الشيء ثم اراد بالشمائل الشمال والخلف
والقدام على طريقة التغليب لان الظل يفيء من الجهات
كلها سجدا لله وهم داخرون حالان من الضمير في ظلاله
باعتبار المعنى لانه يرجع الى ما وحد باعتبار اللفظ
وجمع داخرون بالواو لتغليب العقلاء على سائر ما
خلق الله تعالى او لان السجود والدخور من اوصاف العقلاء
ويجوز ان يكونا حالين من الظلال او الاول منها والثاني
من الضمير وهذا اولى لما فيه من وصف الظلال بالسجود
ووصف اصحابها بالدخور الذي هو ابلغ لانه انقياد قهري
مع صفة الانقياد فيكمل حسن المعنى بتصوير سجود الظل
وذي الظل وتقارنهما في الوجود ويظهر وجه تغيير الاسلوب
في الحال الثاني واستعير السجود والدخور للانقياد و
الاستسلام والتسخير لما يريد من المخلوقات او من ظلالها
سواء كان بالاضطرار او بالاختيار يقال سجدت النخل
اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه
ليركب والمعنى والله اعلم يرجع الظلال بارتفاع الشمس
وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله
سبحانه وتعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من
التفيؤ او واقعة على الارض ملصقة بها على هيئة
الساجد والاجرام في نفسها ايضا داخرة اي صاغرة
منقادة لافعال الله تعالى فيها ولله خاصة يسجد ينقاد
لارادته وقدرته انقيادا يعم الاختياري والاضطراري

واذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فاذا كان قبيل ان تغرب
الشمس كان على يسارك فهذا تفيؤه وتقلبه وهو سجوده وقال قتادة
والضحاك اما اليمين فاول النهار والشمائل اخر النهار تسجد الظلال لله
وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء وقيل المراد من الظلال سجود
الاشخاص فان قيل لم قدم اليمين وجمع الشمائل قيل من شان العرب في اجتماع
العلامتين الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور وقيل اليمين راجع الى قوله ما خلق الله ولفظه
واحد والشمائل ...
الى المعنى

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين اكد الهين بالوصف
الذي هو احد في قوله انما هو اله واحد دلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية دون الالهية وانها لازمة للالهية
فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم ايقاعا
للرهبة في القلوب وتمكينا لها في النفوس ومبالغة في
الترهيب وتصريحا بالمقصود ولذلك قدم المفعول
مع فاء السببية وكرر الفعل اي ان كنتم رهبتم
شيئا فاياي ارهبوا فارهبون دون غيري
فان ذلك الاله الواحد القاهر لكل شيء وله ما في السموات
والارض التفات آخر للتعظيم وتقدير وجوب
تخصيص الرهبة به ووجوب الانقياد له في قوله
ولله يسجد اي له ما فيهما خلقا وملكا فكيف لا ينقادون
له ولا يخصونه بالرهبة وتقديم الظرف تاكيد و
تقوية بمعنى الاختصاص الذي في اللام وكذا في قوله
وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا واجبا
ثابتا او وله الجزاء دائما سرمدا لا يزول وهو تاكيد
وتقرير آخر او تعليل لوجوب الانقياد والرهبة
اعني على الوجه الثاني وكذا افغير الله تتقون
تاكيد آخر بتقديم المفعول مع الهمزة الانكارية داخلة
على الفاء التعقيبية اي ابعد العلم بالتوحيد و
تخصيص الكل به خلقا وملكا تخصون غيره بالاتقاء
وفيه توبيخ بليغ وما بكم اي شيء اتصل واستقر بكم
من نعمة فمن الله او الذي اتصل بكم فهو من الله تعالى
وما شرطية او موصولة متضمنة بمعنى الشرط باعتبار
الاخبار او العلم لان استقرار النعمة بهم سبب للاخبار
او العلم بانه من الله تعالى لا الحصول منه ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجارون الجوار رفع الصوت بالدعاء و
الاستغاثة اي فما تتضرعون في كشفه الا اليه وفرق
بين حصول النعمة ووقوع الضر بعموم ما وايراد الباء
الالصاقية في الجملة الاسمية اي وكل ما استقر بهم من
النعم المستمرة فهو من الله يجب عليكم شكره لان
الانسان لا يخلو حال ما من نعم كثيرة وبايراد ثم
المفيد معنى التراخي والمس الذي هو ادنى اصابة
وجنس الضر الذي يكفي في اطلاق اقل ما ينطلق عليه
الاسم في الجملة الفعلية اي ثم اذا تجدد اصابة ادنى
شيء من جنس الضر بعد زمان طويل لا يجارون
الا اليه وانما جاء باذا دون ان لان وقوع هذا القدر
من الضر في بعض الاحايين محقق ثم اذا كشف
الضر عنكم ثم مستعار للاستبعاد والشرك بعد كشف
الضر عنكم تخصيصه تعالى بالتضرع اليه في طلب كشفه
والعلم بحصول جميع النعم منه اذا فريق منكم بربهم يشركون

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد
فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء
الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة لان
المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما
رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد
فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان
اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد و
التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد
المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني
به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على
القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت
انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل
انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي
فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وهو
من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب
من قوله فاياه فارهبوه فارهبون في يعقوب
وله ما في السموات والارض وله الدين
اي الطاعة واصبا واجبا ثابتا لان كل نعمة
منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه
وهو حال عمل فيه الظرف او وله الجزاء دائما
يعني الثواب والعقاب افغير الله تتقون
وما بكم من نعمة واي شيء اتصل بكم من نعمة
عافية وغنى وخصب فمن الله فهو من الله تعالى
ثم اذا مسكم الضر المرض والفقر والجدب
فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار
رفع الصوت والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم
اذا فريق منكم بربهم يشركون الخطاب في وما بكم
من نعمة ان كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وان
كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض
كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون
فيهم من اعتبر لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم
في الشرك كفران النعمة ثم اوعدهم فقال فتمتعوا فسوف
تعلمون هو عدول الى الخطاب على التهديد انتهى

الفائدة الخطاب عامّ والفريق هم الكفرة او خاص بالمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض اي اذا فريق
وهو انتم بربهم يشركون او للتبعيض على ان منهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم بيان لرسوخ الكفران فيهم وغلبته على طباعهم حتى كانهم جعلوا غرضهم
من الشرك كفران النعمة فتمتعوا وقرئ فيتمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان اللام
للتعليل ويجوز ان يكون لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب فسوف تعلمون تخلية لهم ووعيد بليغ
ويكون ليكفروا ايضا واردا على سبيل الخذلان والتخلية انتهى ابو السعود

ولما بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة
ومن لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين
عن الاشراك فقيل وقال الله عطفا على قوله وله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر
للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث
يتحقق الانتهاء عنه برفض احدهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد
مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية
كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها
من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول
وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على رأي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه
في الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية
المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا
فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في
السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به
وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة و
الانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل
واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء الدائم اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه السياق اي اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى
وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى
به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شئ يلابسكم ويصاحبكم من نعمة
اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر
مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة
والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن
الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما
ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها
بالمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا
دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست
للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب
عليه من مفاجأة الاشراك الدال على ما يقول اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية
من الضلال ثم انه ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان

فقيه

كانه قيل اذا فريق كافر وهو انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ٥
فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا
امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر
المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف

اسمعيل ابو السعود
افندي

ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف • او لما لا علم له اصلا ذلك • فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن • وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن الالهة التي وصفوها بصفات العقلاء • او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسئلن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها الهة حقيقة بان يتقرب اليها • وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبي عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك • او تعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين • ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ • والظرف المقدم خبره • والجملة حالية • وسبحانه اعتراض في حاق موقعه • وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس • واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشور وهو كظيم مملئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوءه • والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد • والتذكير باعتبار لفظ ما • وقرئ بالتانيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه عندهم من الهون والحقارة لله تعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين • فمدار الخطاء جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه • ويجوز ان يكون مداره التعليل لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالاخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم • وايثار الذكور للاستظهار بهم • ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ • ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالاخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشان التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته

ويجعلون لما لا يعلمون يعني الاوثان لا يعلمون لها ضرا ولا نفعا • ومفعول العلم محذوف وتقديره ما ذكرنا وهذا قول مجاهد وقتادة • وقال اهل المعاني هذا من صفة الاوثان والمعنى ويجعلون للشركاء والاصنام الذين لا يعلمون شيئا ولا معرفة لهم ولا حس نصيبا مما رزقناهم • قال المفسرون هم مشركوا العرب جعلوا الاوثان لهم جزءا من اموالهم كقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم خاطبهم بعد الخبر فقال تالله لتسئلن سؤال توبيخ عما كنتم تفترون تتقولون على الله من انه امركم بذلك ويجعلون لله البنات يعني خزاعة وكنانة زعموا ان الملائكة بنات الله سبحانه تنزيها له عما زعموا ولهم ما يشتهون يعني البنين • وهذا كقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون • ثم ذكر كراهتهم البنات فقال واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادة بنت • التبشير ههنا بمعنى الاخبار كقوله تعالى فبشرهم بعذاب ظل وجهه مسودا تغير وجهه تغير مغتم • قال قتادة هذا صنيع مشركي العرب اخبر الله بخبث صنيعهم فاما المؤمن فحقيق بان يرضى بما قسم الله له • وقضاء الله للمرء خير له من قضاء المرء لنفسه • وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك مما تحب فاتق الله وارض بقضائه فانه رب جارية خير لاهلها من غلام ورب غلام

ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لالهتهم والمعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى وليس كذلك لانها جماد لا تضر ولا تنفع • او الضمير في لا يعلمون للالهة اي الاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله لتسئلن وعيد عما كنتم تفترون انها الهة وانها اهل للتقرب اليها • ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين • ويجوز في ما الرفع على الابتداء • وكون الخبر • والنصب على العطف على البنات • وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه • اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا اي صار • فظل وامسى واصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملو حنقا على المرأة يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه على هون ايمسك ما بشر به على هون وذل ام يدسه في التراب ام يئده الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله تعالى ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى

الاولاد الذكور وكراهة البنات ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الغالب في تنفيذ ما اراد الحكيم في امهال العباد اسهى

ويجعلون لما لا يعلمون اي لالهتهم التي لا يعلمون حقيقتها فيعتقدون انها تضر وتنفع وتشفع لهم عند الله تعالى وهي جمادات لا تضر ولا تنفع على ان العائد اليها محذوف • او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به • او لالهتهم التي لا علم لها لانها جمادات فيكون الضمير لما نصيبا مما رزقناهم من انعامهم وزروعهم تقربا به اليها تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له عن قولهم وتعجيب منه ولهم ما يشتهون • نصب عطفا على البنات اي ويجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين اي يختارون • او رفع على الابتداء • ولهم خبره • وسبحانه اعتراض واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة • واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشور وهو كظيم مملو غيظا اي على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ايمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه ام يخفيه في التراب اي يئده • وتذكير الضمير للفظ ما • وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن ينزه عن الولد ما هذا محله عندهم ولانفسهم من هو على ضد هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء صفة السوء من الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم • وارادة الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق المنادي على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى من الغنى المطلق بالوجوب الذاتي والوجود الكامل والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز المنفرد بكمال القوة والقدرة على بطشهم واخذهم بذنوبهم الحكيم الذي يؤخرهم الى اجل مسمى يقتضيه الحكمة اسهى

ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة

٧ الى من تقدمك من الامم فزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والتكذيب بالرسل فهو وليهم اليوم
اى قرينهم فى الدنيا تولى اضلالهم بالغرور او
الضد لشىء كى قرينى اى زين للكافرين قبلهم اعمالهم
فهو ولى هولاء لانهم منهم او هو على حذف
المضاف اى فهو ولى امثالهم اليوم ولهم عذاب
اليم فى القيمة

اسمى المدارك

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بسبب كفرهم
ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وجاز اضمارها
من غير ذكر لدلالة الدابة عليها لما عرفت انها ما يدب
فيها من دابة قط لان الانسان من الدواب
انما خلق لاجله لقوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا
ولو اخذ الظالم بظلمه لانقطع نسل الانسان اذ ما من
شخص الا وفى اباءه ظالم فلا دلالة فى الاية على
ان يكون الناس كلهم ظالمين لما عرفت ان المراد من الظلم
المعاصى انهم ما صدر منهم ولكن يؤخرهم الى اجل
مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا
جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
قد سبق تفسيره فى سورة الاعراف ويجعلون لله ما يكرهون
اى ما يكرهون لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة
والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال وتصف
السنتهم مع ذلك الكذب وهو ان لهم الحسنى
اى عند الله تعالى كقوله تعالى ولئن رجعت الى ربى ان لى
عنده للحسنى بدل من الكذب او على اسقاط الحرف
اى بان لهم وقرئ الكذب بضمتين جمع كذوب صفة
للالسنة لا جرم قد سبق تفسيره فى سورة هود ان
لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون
بالفتح مخففا ومشددا اى بمعنى مقدمون الى النار
اى معجلون من افرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء اذا
قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفى
اذا خلفته ونسيته وقرئ بالكسر مخففا من الافراط فى
المعاصى ومشددا من التفريط فى الطاعات وما يجب
عليهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من
الغم بسبب جهالات القوم ووعيد لاهل مكة فهو وليهم
اليوم حكاية الحال الماضية التى كانت يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها واليوم عبارة عن ذلك الوقت اراد
استحضار صورة التزيين فى وقته لنا معاين عسى
ان يعتبروا بما فيه ويرتدعوا عن مثلها ويخرجوا عن ولاية اللعين
والولى بمعنى القرين والذى يتولونه او حكاية الحال الاتية
وهى حال كونهم معذبين فى النار والفائدة الاستحضار المذكور

ولو يؤاخذ الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض من دابة ولا هلك بها
قط
كلها بشوم ظلم الظالمين عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن
ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره
بذنب ابن ادم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من
دابة من مشرك يدب عليها ولكن يؤخرهم اى
بحكم الحكمة
اجل مسمى اى اجل كل احد او وقت تقتضيه
او القيمة فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وفى المعالم قال قتادة وقد فعل
الله ذلك فى زمن نوح عليه السلام فاهلك من على الارض
الا من كان فى سفينة نوح عليه السلام وروى ان ابا هريرة
رضى الله عنه سمع رجلا يقول الظالم لا يضر الا نفسه
فقال بئس ما قلت ان الحبارى تموت فى وكرها
من ظلم الظالم وقيل معنى الاية لو اخذ الله اباء
الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولو يؤاخذ الابناء
فلم يبق فى الارض احد انتهى ويجعلون لله ما يكرهون
ما يكرهونه لانفسهم من البنات ومن شركاء فى
رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم او يجعلون
له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف
السنتهم الكذب مع ذلك اى تقولون الكذب
ان لهم الحسنى عند الله وهى الجنة ان كان البعث
كقوله تعالى ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده
للحسنى وان لهم الحسنى بدل من الكذب
لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون مفرطون
نافع مفرطون ابو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون
الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته
فى طلب الماء اذا قدمته او منسيون متروكون
من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته
والمكسور المخفف من الافراط فى المعاصى والمشدد
من التفريط فى الطاعات اى التقصير فيها تالله
لقد ارسلنا الى امم من قبلك اى ارسلنا رسلا ٧
المذكور

٢

فى اذهان المخاطبين والولى بالمعنى المذكور او بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره فيكون نفيا للناصر لهم
على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى النار انتهى ابن الكمال رحمه الله

ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما عدد من
قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد
لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله من دابة اى ما ترك عليها شيئا من دابة
قط بل اهلكها بالمرة بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن
ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى الحبارى لتموت فى وكرها
بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل
لو اهلك الاباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون فى الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى
هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
كى يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون ساعة فذة وهى مثل فى قلة المدة
ولا يستقدمون اى لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجىء الاجل مبالغة
فى بيان الاستيخار بنظمه فى سلك ما يمتنع كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له
اصلا قد نظم فى سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة يونس
ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه فى زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير
لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون له تعالى ما يجعلون
ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله تعالى
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة
لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التى ليست
وراء عذابها عذاب وهى علم فى السوئى وانهم مفرطون اى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته
فى طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء
من فرطته فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات وبكسر المخففة من الافراط
فى المعاصى فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا
اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها
مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق
حكاية الحال الماضية او فى الدنيا او يوم القيمة على طريق حكاية الحال الاتية وهى حال كونهم معذبين
فى النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة فى نفى الناصر عنهم ويجوز
ان يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولى هولاء لانهم منهم
وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم فى الاخرة عذاب اليم هو عذاب النار انتهى ابو السعود

وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة
من العلل الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد
وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اي وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري
فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود
وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من
جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد
ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
فاحيا به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء
من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي في انزال الماء من السماء
واحياء الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون
هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة
واي عبرة يحار في دركها العقول ويهيم في فهمها الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما ابهم اولا
من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير ههنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكياش واخلاق كما ان تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية
جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به لجميعها
الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى
من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما
ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم
تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثقله وهو
الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال
ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان
الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا
لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها
الغددية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت
على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى
تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير
يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا
لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث
لا يتراءى نارهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم
من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة
ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونه
مكتنفا له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا
بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء
من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب

وقيل لم يغص احد باللبن قط ومن الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
لابتداء الغاية ويتعلق ومن ثمرات النخيل والاعناب بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات
النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا
بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير الظرف للتوكيد والضمير في منه يرجع
الى المضاف المحذوف الذي هو العصير والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا
نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان احدهما ان تكون الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون
منسوخة وثانيهما ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة
وابي يوسف الى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها
والسكر من كل شراب وباخبار جمة ورزقا حسنا هو الخل والرب والتمر والزبيب
وغير ذلك ان في ذلك لآية لقوم يعقلون انتهى المدارك
نطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان
الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدا محذوف صفته تتخذون
اي من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصول اذا كان في الكلام كلمة من سائغ
كقوله وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لان المحذوف اعني العصير
او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا
كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها
والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في الآيات بالنظر والتأمل انتهى ابو السعود رحمه الله

وما أنزلنا عليك الكتاب القرآن إلا لتبين لهم
للناس الذي اختلفوا فيه هو البعث لأنه كان
فيهم من يؤمن به وهدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما
لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخل اللام
على لتبين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل
لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء
فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك
لآية لقوم يسمعون سماع إنصاف وتدبر
لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع وإن لكم
في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وبفتح
النون نافع وشامي وأبو بكر قال الزجاج
سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه
الأنعام في الأسماء المفردة الواردة على
أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردا وأما في
بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع
وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا
أي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم
يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما
عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص
من ذلك كله قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر
في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا
وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف
الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق
واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش
ثم ينحدر وفي ذلك عبرة لمن اعتبر و
سئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغا للشاربين سهل المرور في الحلق ض

وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم للناس الذي
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحوال المعاد
من البعث والجزاء وأحكام الأفعال من التحليل والتحريم
ونحوها وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عطف على محل
لتبين نصبا على التعليل لكونهما فعلي فاعل الإنزال
المعلل بهما بخلاف التبيين فجيء فيه باللام لفقدان شرط
نصبه والله أنزل من السماء ماء قد سبق وجه تنكيرها
فأحيا به الأرض أنبت فيها أنواع النبات بعد موتها
بعد يبسها والتعقيب الذي دل عليه الفاء لا ينافي
المهلة الواقعة بين المعطوفين لأن ذلك أن يكون
على حسب ما يعده الناس متعقبا والإحياء بعد
الإنزال يعد متعقبا لا متراخيا ألا يرى إلى صحة
قولك تزوج زيد فولد له إذا لم يكن إلا مهلة الحمل
إن في ذلك لآية لقوم يسمعون أراد بالسمع القبول
كما في سمع الله لمن حمده أي لقوم يتأملون فيها ويعقلون
وجه دلالتها ويقبلون مدلولها وإنما خص كونها آية لهم
لأن غيرهم لا ينتفعون بها وهذا التخصيص كالتخصيص
في قوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ويحتمل أن يكون
المعنى لقوم يسمعونه من الغير فكيف الذي يبصرونه
أي ذلك آية الأعمى فكيف البصير وبما قررناه تبين
وجه العدول عن يبصرون إلى يسمعون وإن لكم في
الأنعام لعبرة دلالة على قدرة الله تعالى وحكمته
والتنكير للتفخيم نسقيكم استئناف لبيان العبرة مما
في بطونه ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وأنث في سورة
المؤمنين للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه
في المفردات المبنية على أفعال ومن قال إنه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو
لواحده أو له على المعنى فإن المراد به الجنس من بين فرث
ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش
وكثيف ما يبقى من الأكل في المعاء من الأولى تبعيضية
لأن اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية لأن
الإسقاء يبتدئ من مادة بين الفرث الذي من الفضول
المحضة والدم الذي من الأصول المحضة فهو بالنسبة
إلى الفرث أصل لأنه لا بد منه في بقاء النسل وبالنسبة
إلى الدم فضل لأنه لا حاجة إليه في بقاء الشخص وعلى هذا
يجوز أن يكون من الثانية أيضا تبعيضية لأن تلك
المادة غير منحصرة في اللبن فإن الدم الذي يصير غذاء
الجنين منها وكذا مادة المني ويجوز كون المقول المذكور
حالا أي كائنا من بين فرث ودم وإنما قدم على لبنا وهو
صفة له في المعنى لأنه موضع العبرة فهو مبني به جدير ٥

٥ جدير بالتقديم لكونه فاصلا من نجس وهو في معرض أن ينقلب إليه لأنه إن لم يسق يخرج من مخرج فضلات
الهضم الرابع وذلك أن العلف ينهضم فينجذب صفاوته إلى الكبد ويتولد منه الدم ويبقى الفرث
في الكرش ويتسفل ويتوزع الدم على الأعضاء ليغذوها وينفصل من غذائه قسط صالح يرتقي
إلى الضرع الذي هو لحم غددي رخو أبيض فينقلب الدم عند انصبابه إليه إلى اللبن هذا هو القول
الصحيح في تولد اللبن فمن وهم أنه تخلل بين الفرث والدم فقد وهم خالصا منقى عما يصحبه من الأجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه ولهذا صار سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وأما ما قيل صافيا
لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث فمبناه الوهم الفاسد المذكور آنفا وإلا فأين موضع تولد
اللبن من محل الفرث ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بما في الإسقاء من معنى الإطعام
أي نطعمكم منها فينتظم المأكول منها والمشروب المتخذ من عصيرها ولا حاجة إلى تقدير تتخذون
وتعلقه بنسقيكم يؤدي إلى إخراج التمر والزبيب من الرزق الحسن ولا وجه له تتخذون منه سكرا
استئناف لبيان الإطعام وتذكير الضمير باعتبار جنس الثمر ولما كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة منا
أخبر عن نفسه تعالى بقوله نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج إلى معالجة منا قال تتخذون
وإنما قال منه لأن منه ما لا يؤكل كالحبات والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل السكر النبيذ ورزقا حسنا
كالتمر والزبيب والدبس والخل ونحوها وفي عطفه على سكرا تعريض بكراهة الخمر وأنه ليس
ورمز إلى أن السكر وإن كان مباحا فهو مما يحسن اجتنابه وهذا على ما قالوه أن الآية نازلة قبل
تحريم الخمر وقيل لما جرد السكر من الرزق الحسن قال أكثر الصحابة رضي الله عنهم لو كان فيه خير لم يعتبر
عن الرزق الحسن فامتنعوا عن شربها ونزول الآية قبل تحريمها لا ينافي كونها جامعة بين العتاب
والمنة فإن المنافي للإباحة هو العتاب في الآخرة لا العتاب في الدنيا الذي مرجعه النهي الإرشادي
إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات ولما قال في ابتداء الكلام
لعبرة ناسب ختمه بيعقلون لأنه لا يعتبر إلا ذوو العقول وأوحى ربك إلى
انتهى ابن الكمال

فعليكم بالشفائين القرآن والعسل. ومن بدع الروافض
ان المراد بالنحل علي وقومه. وعن بعضهم انه قال عند
المهدي وهو ثالث خلفاء العباسية انما النحل بنو هاشم
يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك
وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث
به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم ان في ذلك
لآية لقوم يتفكرون في عجيب امرها فيعلم ان الله
اودع علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم
والله خلقكم ثم يتوفاكم بقبض ارواحكم من ابدانكم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر اخسه واحقره وهو خمس وسبعون
سنة او ثمانون او تسعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا لينسى
ما يعلم او لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم بحكمة
التحويل الى الارذل من الاكمل او الى الافناء من الاحياء
قدير على تبديل ما يشاء كما يشاء من الاشياء. انتهى الكازروني

واوحى ربك الى النحل الاية. اي النحل الهاما وايداعا علما
دل عليه صناعتها في صنعها وتدبيرها وترتيب مراتب
عملها ان اتخذي من الجبال بيوتا بان اتخذي ويجوز
ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول.
وتانيث الضمير لان النحل جمع نحلة ومن الشجر ومما يعرشون
يعرش الناس ويرفعونه من سقوف البيوت. وانما ذكر
بحرف التبعيض لانها لا تتخذ في كل جبل وكل شجر و
كل ما يعرشون ولا في كل مكان منها وليس المراد من بيتها
ما تبنيه لتتعسل فيه كما توهمه من قال وانما سمي
ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها بالذي يبناه والانسان
لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا تقوى
عليها حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وانظار دقيقة
ولعل ذكره للتنبيه على ذلك بل ما تتخذه في الجبال وكواها
وفي متجوف الاشجار وفيما يعرشون ابن آدم من
السقوف من كل الثمرات كل للتكثير كما في قوله تعالى و
اوتيت لها من كل شيء ومن لابتداء الغاية فاسلكي
سبل ربك التي الهمك راجعة الى بيوتك لا تضلين
فيها فانها ربما ابعدت في طلب مجتناها الى مواضع بينها و
بين بيوتها فراسخ ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل
اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك يخرج من
بطونها التفات من خطاب النحل الى الغيبة تعريفا
للخطاب الى الناس لان الغرض الامتنان بالنعمة الجسيمة
الجامعة بين الغذائية والدوائية واللذة والشفاء
عليهم والاعتبار بحالها العجيبة ولطف صنعها التي
يبهر العقول والاستدلال بها على قدرة الصانع ظ

واوحى ربك والهم الى النحل ان اتخذي من الجبال
بيوتا هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتانيث
فيه باعتبار هذا ومن في من الجبال ومن الشجر و
مما يعرشون يبنعون من سقوف البيت او ما
يبنون النحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن
التي تتعسل فيها للتبعيض لانها لا تبني بيوتها
في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش للناس وبفتح
الراء شامي وابو بكر ثم كلي من كل الثمرات اي
ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا
اكلتها فاسلكي سبل ربك فادخلي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل او اذا اكلت
الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي
الى بيوتك راجعة سبل ربك ولا تضلين
فيها ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل لان الله
ذللها وسهلها او من الضمير في فاسلكي
اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة
يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما
يشرب ملقية من فيها مختلف الوانه منه ابيض
واصفر واحمر من الشباب والكهول والشيب
او على الوان اغذيتها فيه شفاء للناس لانه
من جملة الادوية النافعة وقل معجون من
المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض
انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك
وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه
بعض الشفاء لان النكرة في الاثبات تخص
وشكى رجل استطلاق بطن اخيه فقال صلى الله
عليه وسلم اسقه عسلا فجاء وقال زاده شرا
وقال صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك
اسقه عسلا فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضي الله
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور

فيه رد لصاحب الكشف

...اعلم وحكمته شراب يعني العسل لانه مما يشرب وفيه دلالة على ما هو المختار عند المحققين من ان النحل
...الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها ثم تقي ادخارا للشتاء. ومن زعم ان العسل نباتي محض
...انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار ويضعها في بيوتها
...لزمه ان يجعل البطون مستعارة لافواه النحل ويكون الاكل ترشيحا لها مختلف الوانه
...من واحمر وازرق بحسب لون النور او سن النحل فيه شفاء للناس لانه من الاغذية الدوائية
...معجون لم يقع فيه. وانما نكر شفاء لان فيه شفاء ما لبعض الامراض لا لكلها او لتعظيم الشفاء الذي فيه
...ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
...التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة
...منكم من يرد يعاد عطف على محذوف تقديره فمنكم من يعجل وفاته ومنكم من يرد الا قالوا وفصيحة الى ارذل العمر
...يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة
...شبيهة بحالة الطفولية في النسيان وسوء الفهم كي مصدرية ناصبة ينتصب الفعل بعدها وهي ومنصوبها
...في تأويل مصدر مجرور باللام التعليلية المتعلقة بيرد ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب القوي
...الشيخ الضعيف وفيه دليل على ان تفاوت اجال الناس بتقدير قادر حكيم وانه لا دخل فيه للاستعداد
واقتضاء الطبع وسوء التدبير
فلا دلالة عليه
انتهى ابن كمال

وأوحى ربك إلى النحل أي ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه إلا العليم الخبير • وقرئ بفتحتين أن
اتخذي أي بأن اتخذي على أن أن مصدرية • ويجوز أن يكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول • و
تأنيث الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على المعنى • أو لأنه جمع نحلة • والتأنيث لغة أهل الحجاز من الجبال بيوتا
أي أوكارا مع ما فيها من الخلايا • وقرئ بيوتا بكسر الباء • ومن الشجر ومما يعرشون أي يعرشه الناس أي يرفعه
من كرم أو سقف • وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال
والشجر إذا لم يكن لك أرباب وإلا فاتخذي ما يعرشونه لك • وإيراد حرف التبعيض لما أنها لا تبني
في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكي
ما أكلت منها سبل ربك أي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من أجوافك
أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل • أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تتوعر
عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل أي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك
أو من الضمير في اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان
ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعدما أمرت بما أمرت شراب أي عسل لأنه مما يشرب
واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء
ادخارا للشتاء • ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الأزهار والأوراق
وتضعها في بيوتها فإذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأسود
وأصفر وأحمر حسب اختلاف سن النحل أو الفصل أو الذي أخذت العسل فيه شفاء للناس إما بنفسه
كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع أن التنكير فيه
مشعر بالتبعيض • ويجوز كونه للتفخيم • وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي يشتكي
بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد
صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه فبرئ كأنما أنشط من عقال • وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله
من أحوال النحل • وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم
بالشفاءين العسل والقرآن إن في ذلك أي الذي ذكر من أعاجيب آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون
فإن من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين إلا بآلات رقيقة وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم
قطعا بأن له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها إليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب
أحوال ما ذكر من الماء والنبات والأنعام والنحل أشار إلى بعض عجائب أحوال البشر من أول عمره إلى آخره
وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في أربع • الأولى سن النشو والنماء • والثانية سن الوقوف
وهي سن الشباب • والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة • والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي
سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة أطفالا وشبابا وشيوخا
ومنكم من يرد قبل توفيه أي يعاد إلى أرذل العمر أي أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي
عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه وقيل خمس وتسعون وإيثار الرد على الوصول
والبلوغ ونحوهما للإيذان بأن بلوغه والوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون • ولا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل
والقوة لكيلا يعلم بعد علم شيئا كثيرا من العلم أو من المعلومات • أو لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء •
وقيل لئلا يعقل بعد عقله الأول شيئا إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير على كل شيء يميت الشباب النشيط
ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ انتهى أبو السعود

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا
فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية
والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساووهم
في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم
ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم
لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من
الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية
والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى
مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم
فيه سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا
نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج
البالغة بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر
وهي داخلة في المعنى على الفعل اي ايشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اوليس الموالي
برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي
اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى
على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم
فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون ذلك
فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد
يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم
وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد
جعل لكل منكم من زوجته لا من زوج غيره بنين وبانه نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد
الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم
وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن
البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين
وقيل الاختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور
باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل
لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات
من اللذائذ ومن الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهو للعطف
على مقدر اي ايكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى
بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمة الله تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان هم يكفرون
حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية
الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم
من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه انتهى ابو السعود رحمه الله

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل
مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم فما الذين فضلوا
في الرزق يعني الملاك برادي بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فكان ينبغي ان تردوا فضل
ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم
فهم فيه سواء جملة اسمية وقعت في موقع جملة فعلية
لانه جواب النفي بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا
برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا مع
عبيدهم في الرزق وهو مثل ضربه للذين جعلوا
له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين
عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه
شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم
ان تجعلوا عبيدي لي شركاء افبنعمة الله يجحدون
وبالتاء ابو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة
والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا
وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد
وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة
ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد و
اختلف فيه فقيل هم الاختان على البنات و
قيل اولاد الاولاد والمعنى جعل لكم حفدة اي خدما
يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ورزقكم من
الطيبات اي بعضها لان كل الطيبات في الجنة و
طيبات الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وشفاعتها
وبنعمة الله اي الاسلام هم يكفرون او الباطل
الشيطان والنعمة محمد صلى الله عليه وسلم او الباطل
ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة
ونعمة الله تعالى ما احل لهم انتهى المدارك

٥

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق تقديم اسم الله
للتخصيص اي الله تعالى فضل دون غيره بان جعلكم
متفاوتين في الرزق فما الذين فضلوا اي جعل رزقهم
افضل من رزق غيرهم برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فيسووهم بانفسهم في
الاكل واللبس فهم فيه سواء اي هم اخوانهم وامثالهم
فيجمعهم ان يساووهم في ذلك فالجملة لازمة للجملة المنفية
ومقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين
فانهم يشركون بالله تعالى بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون
ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم افبنعمة
الله يجحدون اي بتلك التسوية ذلك نعمة الله فانها
لم تسوهم بانفسكم في ذلك فذلك هو كفران نعمة الله
او فما المفضلون في الرزق برادي رزقهم على مماليكهم
فان رزقهم ما يأكلونه بل نحن نرزق المماليك كما نرزق
الموالي فهم اي الموالي والمماليك سواء في رزق الله تعالى
فلا يحسبن الموالي انهم يرزقون فانه رزقي اجريت
اليهم افبنعمة الله يجحدون حيث ينسبون رزق
مماليكهم الى انفسهم لا الى الله تعالى ويجحدون انه من عند الله
والباء في بنعمة الله لحمل الجحود على الكفور حمل النظير
على النظير وعلى الوجه الاول فما الذين فضلوا جملة
توبيخية والهمزة الداخلة على الفاء التعقيبية وتقديم
بنعمة الله تقرير للتوبيخ والانكار لفعلهم اي انعقد علمهم
بان الله تعالى هو الرزاق ووضوح دلائل ذلك بنعمة الله
خاصة يكفرون جاحدين لها وعلى الوجه الثاني فالتوبيخ
والانكار انما يكون في الجملة الاخيرة بالاصالة لا فيما قبلها
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم
لتأنسوا بها وليكون اولادكم امثالكم وجعل لكم من
ازواجكم لم يقل منها لاحتمال العود الى الانفس بنين
وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة
قيل المراد منهم البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
وقيل هم البنات وفيه اي في التعبير عنهن بالحفدة دون
البنات تنصيص على وجه الامتنان بالبنات وهو
انهن وصلة بالاجانب نعمة جليلة هم الربائب وحينئذ يظهر
وجه الاحتياج الى قوله من ازواجكم واما الحمل على اولاد
الاولاد فيأباه تخصيص البنين بالذكر فانه في حقه التعميم
اولا ايضا ورزقكم من الطيبات بعضها لان كلها انما يكون
في الجنة والمراد الاطعمة الشهية افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوها الى غيره تعالى
او بما احله لهم واقحام هم بين قوله بنعمة الله ويكفرون للتقوية العاضدة للتوبيخ والانكار بالهمزة الواردة للتعقيب

[illegible]

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات وهو مفعول رزقا ان كان بمعنى المصدر وبدل ان كان بمعنى المرزوق ويجوز ان يكون مصدرا ليملك للتاكيد اى ما لا يملك رزقا ما شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا وصفة له ان كان اسما والتنوين في رزقا وشيئا للتحقير والتقليل وفي ابدال شيئا من رزقا تقليل آخر وفي ايراد ما دون من تحقير آخر وفي التقييد بقوله في السموات والارض مبالغة في نفي ملك الرزق عنها اى ما لا يملك لهم رزقا ما في جهة من جهات العالم ولا في شىء منه وحظ منه ولا يستطيعون الضمير لما لانه في معنى الالهة وهو من الافعال التى لا يقدر لها مفعول ويجعل مطلقة كالفعل اللازم وأراد نفي الاستطاعة المطلقة اى لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم اصلا لانهم موات وان قدر المفعول لدلالة القرينة وهو مفعول الملك عليه فالمراد بالجمع بين نفي الاستطاعة والملك جميعا التوكيد او نفي الوقوع وامكانه اى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ويجوز ان يكون الضمير للكفار اى ولا يستطيع هؤلاء الكفرة مع انهم احياء متصرفون عقلاء شيئا من الرزق فكيف بالجماد الذي لا حراك به ولا حس فلا تضربوا لله الامثال نهى عن الاشراك بالله في التشبيه على طريق التمثيل لان من يضرب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة فجعل ضرب المثل مثلا للاشراك والتشبيه فكانه قيل فلا تشركوا بالله وعدل الى المنزل دلالة على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا وفي لفظ الامثال كنية لا مثال له اصلا نعي عظيم عليهم سوء فعلهم وفيه ادماج ان الاسماء توقيفية وهذا هو الظاهر لدلالة الفاء وعدم ذكر ضرب المثل منهم سابقا ان الله يعلم تعليل للنهي عن الشرك ووعيد عليه اى ان الله يعلم قبح ما يفعلون وكنهه وعظمه فهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم وانتم لا تعلمون كنه ذلك وكنه عقابه فلذلك اجترأتم عليه ويجوز ان يراد بقوله فلا تضربوا ظاهره وهو النهي عن ضرب الامثال لله ويكون معنى التعليل ان الله وحده يعلم كيف يضرب المثل له وانتم لا تعلمون ذلك وكانه اريد المبالغة في ان لا يلحدوا في اسمائه تعالى وصفاته فاذا لم يجز ضرب المثل والاستعارة بشبه ما والاطلاق بتلك العلاقة كان فقدم جواز اطلاق الاسماء من غير سبق تعليم منه تعالى واثبات الصفات اولى واولى ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا الآية

انتهى ابو كالك

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا اى الصنم جماد لا يملك ان يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت شيئا اى لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه اى قليلا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا اى لا يرزق من السموات مطرا ومن الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعدما قال لا يملك على اللفظ والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له اى فلا تجعلوا له شركا ان الله يعلم انه لا مثل له من الخلق وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك ضرب الله مثلا عبدا هو بدل من مثلا مملوكا لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا مصدران في موضع الحال اى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد بالمملوك ليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شىء ليمتاز من المكاتب والماذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة اى وحرا رزقناه ليطابق عبدا او موصولة هل يستوون جمع الضمير لارادة الجمع اى لا يستوي القبيلان الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان وضرب

ويعبدون من دون الله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اى ايكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اى ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصبه على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اى كائنا منهما ويجوز كونه تاكيدا للا يملك اى لا يملك رزقا شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اى لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اى لا تشبهوا بشانه شانا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا على احد الوجهين اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اى انه تعالى يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وقفوا في مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا الآية

ابو السعود افندي

ضرب الله مثلا اى ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى
تباعدهما بحيث ينادى بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء بدل من مثلا وتفسير له
والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية
للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادرج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن
المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة وفى ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة
ومن رزقناه من موصوفة معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار
باختلاف حالى ضرب المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعالى رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند
الناس مرضيا فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر على ثبات الانفاق
واستمراره التجددى سرا وجهرا اى حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه
للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة
وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال
مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخى تحقيق الحق بان الاحرار تحت ربقة عبوديته
سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل
في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك
حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير
للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما اى
هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية
لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث
لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اى كل الحمد له
لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدى بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة
وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع اليه سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه
بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفى العلم عن اكثرهم للاشعار بان
بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون
وضرب الله مثلا اى مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك ليتشوق
النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده فضل تمكن بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد
اخرس لا يقدر على شىء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه
وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلى امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد
ذكر عدم قدرته على شىء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اى حيث يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على
اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه لا يأت
بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اى من هو منطيق
فهم ذو رأى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر
من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما
يقابلها فان تحصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع
لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما
هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي
بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا لخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك
للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون به فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضى
انتهى ابو السعود

ضرب الله مثلا عبدا هو بدل من مثلا مملوكا
لا يقدر على شىء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا تقديره ان في موضع
الحال اى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من
سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف
وبين حر مالك قد رزقه الله تعالى مالا فهو
يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء وقيد
بالمملوك ليميز من الحر لان اسم العبد
يقع عليهما جميعا اذ هما من عباد الله تعالى
وبلا يقدر على شىء ليمتاز من المكاتب
والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن
موصوفة اى وحرا رزقناه ليطابق عبدا
او موصولة هل يستوون جمع الضمير لارادة
الجمع اى لا يستوي القبيلان الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون ان الحمد والعبادة لله ثم زاد في
البيان فقال وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم لا يقدر على شىء الابكم الذي ولد اخرس
فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اى ثقل
وعيال على من يلى امره ويعوله اينما يوجهه
لا يأت بخير حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة
او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي
هو ومن يأمر بالعدل اى ومن هو سليم
الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة
فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه
على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم
وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على
عباده من آثار رحمته ونعمه وللاصنام التى
هى اموات لا تضر ولا تنفع انتهى المدارك

وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء عبدا بدل من مثلا
ومن رزقناه منا رزقا حسنا من موصوفة عطفت
على عبدا او موصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا مثل ما اشرك به
بالمملوك العاجز عن التصرف مطلقا ومثل ذاته تعالى
بالحر الذي رزقه مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف
يشاء وقيد العبد بالمملوك ليمتاز عن الحر فان العبد
قد يطلق على الحر باعتبار انه عبد الله تعالى وبقوله لا يقدر
على شىء ليخرج عنه المكاتب والمأذون فانهما يقدران على شىء
ولا دلالة فيه على ان المملوك لا يملك لانه لم يجعل قسيما
للمالك الا بعد التقييد بقوله لا يقدر على شىء والاصل
في القيود الاحتراز بل للمخالف المالك على ما قيل
ان تمسك به بناء على هذا الاصل هل يستوون الاحرار
والعبيد فاذا كان هذا لا يستويان عندكم مع كونهما
من جنس واحد ومشتركين في الانسانية فكيف
تشركون بالله تعالى وتسوون به من هو مخلوق له مقهور
بقدرته الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره
ويعبدونه لاجلها وكلمة بل رد لما زعموه من استحقاق
الاصنام للعبادة والحمد وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
اى لا نفع فيه من جهة القول وقد سبق بيان معنى الابكم
والفرق بينه وبين الاخرس لا يقدر على شىء فلا نفع فيه
من جهة الفعل ايضا وهو كل على مولاه مع ذلك فهو ثقل
وعيال على من يلى امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله
مولاه في امر لا يأت بخير بنجح ونفع والتنكير للتقليل
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو منطيق فهم
ذو كفاية ورشد يأمر الناس بالعدل لكونه جامع
الفضائل كلها وهو على صراط وهو في نفسه على طريق
مستقيم وذي قويم اى كامل مكمل كرر التمثيل لزيادة
الكشف والايضاح وتصوير امتناع الاشتراك والتشبيه
في صورتين محسوستين ليتمكن في نفس السامعين
واتضح في كل واحد من المثلين امتناع الاشتراك
والتسوية بين الاصنام التي هي اخس المخلوقات
واعجزها وبين الله تعالى الواجب بذاته الخالق القادر على الاطلاق
ابن كمال

ولله غيب السموات والارض اى يختص به علم ما غاب فيهما
عن العباد • وقيل يوم القيمة فان علمه غايب عن اهل السموات
والارض • وعلى هذا يكون العدول من الغيب فى قوله وما امر الساعة
اى امر قيامها ووقوعها الى الاسم الظاهر لما فيه من التقوية
للخبر الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى
اسفلها • تمثيل لامر اتى الوقوع غير زمانى باقل ما يمكن
ان يدرك من الزمان ولهذا قال او هو اقرب اى اسرع
واقصر زمانا بان يكون فى مقدار نصف تلك الحركة
او فى ان ابتداء تلك الحركة لان الله يحيى الخلايق
دفعة واحدة وما هو دفعى الوجود يكون حدوثه فى ان
دا و بعيني بل ان الله على كل شئ قدير فيقدر على ان يقيم
الساعة ويبعث الخلق فى اسرع وقت كما قدر على
احيائهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم
من بطون امهاتكم بيان لعجزنا فى الابتدا يعنى لم تكونوا
قادرين بانفسكم على الخروج فانا اخرجكم كما انه قوله لا تعلمون
شيئا بيان لجهلنا فيه • فى موضع الحال اى غير عالمين • وفيه
دلالة على ان حركة الجنين غير ارادية وجعل لكم السمع
والابصار خصهما بالذكر • والمراد جميع الحواس لانهما اشرفهما
والاعتبار والاستدلال بهما اكثر كما خص الصلوة و
الزكوة فى مواضع من القران بالذكر والمراد جميع العبادات
لانهما اصلها • وتقديم السمع لانه اعم نفعا واتم حيث
يحصل به العلوم النقلية التى لا يتطرق فيها الغلط والافئدة
اى انعم عليكم بهذه الالات والقوى ليدركوا بالحواس
والمشاعر الجزئيات وتنبهوا بالافئدة لكلياتها فيحصل لكم
العلوم البديهية وتقتدروا على اكتساب النظريات بها
والافئدة من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة
اذ لم يرد فى السماع غيرها لعلكم تشكرون ارادة ان
تشكروا نعمه الظاهرة والباطنة بالعمل بتلك العلوم فترثوا
العلوم الكشفية كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم فتكملوا وتسعدوا وانما ذكر الله
العلم فى مقام الامتنان والحث على الشكر دون القدرة
تعظيما للعلم • وتنبيها على ان المقصود من خلق
بنى ادم بل ايجاد العالم معرفة الله كما علم من قوله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون ومن قوله
صلى الله عليه وسلم كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف الحديث
الم يروا الى الطير جمع طاير مسخرات مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة وهيئ لها من الاسباب الواقعة
لذلك فى جو السماء فى الهواء المرتفع من الارض • وفى
اضافته الى السماء اظهار لجهة لطافته تقوية لمعنى
التسخير ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل اجسادها
يقتضى السقوط ولا علاقة فوقها ولا دعامة
تحتها تمسكها فلا ممسك الا الله بقدرته ان فى ذلك لايات
خلقه تمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيها واحسن
طبعها لقوم يؤمنون خصهم بتلك الايات لانهم المنتفعون

ولله غيب السموات والارض اى يختص به علم ما غاب
فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه • او اراد بغيب
السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غايب
من اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم
وما امر الساعة فى قرب كونها وسرعة قيامها
الا كلمح البصر كرجع طرف • وانما ضرب به
المثل لانه لا يعرف زمان اقل منه او هو
اى الامر اقرب وليس هذا لشك المخاطب
ولكن المعنى كونوا فى كونها على هذا الاعتبار
وقيل بل هو اقرب ان الله على كل شئ قدير
فهو يقدر ان يقيم الساعة ويبعث الخلق
لانه بعض المقدورات • ثم دل على قدرته
على البعث
بما بعده فقال والله اخرجكم من بطون
بكسر الالف وفتح الميم على اتباعا لكسرة النون
وبكسرهما حمزة • وللهاء مزيدة فى امات
للتوكيد كما زيدت فى اراق فقيل اهراق
وشذت زيادتها فى الواحدة لا تعلمون
شيئا حال اى غير عالمين شيئا من حق المنعم
الذى خلقكم فى البطون وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
اى وما ركب فيكم هذه الاشياء الا الات
لازالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته و
القيام بحقوقه • والافئدة فى فؤاد كالاغربة
فى غراب • وهو من جموع القلة التى جرت مجرى
جموع الكثرة لعدم السماع فى غيرها الم يروا
وبالتاء شامى وحمزة الى الطير مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية
لذلك فى جو السماء هو الهواء المتباعد من الارض
فى سمت العلو ما يمسكهن فى قبضهن وبسطهن
ووقوفهن الا الله بقدرته وفيه نفى لما يصفون
ان فى ذلك لايات لتسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة تمكن معها الطيران فيها واحسن لها ما يمكن معه من التنقل فى الهواء مع غاية لطافته على ...
المنتفعون بها انتهى ابى البركات

... جامعة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اى الامور الغائبة عن علوم المخلوقات
... حيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا • ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما
... واما باعتبار الغيبة عن اهلهما • والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه
... الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك فى نفس الامر • وفيه اشعار بان علمه سبحانه
... فان تحقق الغيوب فى انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض
... امر الساعة التى هى اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور اثارها
... وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كانت هى من الغيوب التى نصبت
... الادلة اى ما شانها فى سرعة المجئ الا كلمح البصر اى كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اى بل امرها فيما ذكر
... ذلك واسرع زمانا بان يقع فى بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة اينية لها هوية اتصالية منطبقة
... زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هى ازمنة ايضا بل فى ان غير منقسم من ذلك الزمان وهو ان
... الحركة او ما امرها الا كالشئ الذى يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة
... حسبما عبر عنه فى فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شئ قدير ومن جملة الاشياء ان يجئ بها اسرع ما يكون
... قادر على ذلك او وما امر الساعة التى كنهها وتفيد من الغيوب الخاصة به سبحانه وهى اماتة الاحياء واحياء
... الاموات من الاولين والاخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل
... الامكان فى سرعة الوقوع وسهولة التاتى الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شئ
... فهو قادر على ذلك لا محالة • وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه
... عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله
... ... ازواجا منتظم معه فى سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم
... والله فضل بعضكم على بعض • والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق
... اراق وشذت زيادتها فى الواحدة وقال امهتى خندف والياس ابى • لا تعلمون شيئا فى موضع الحال اى غير عالمين
... شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من
... الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه الالات
... تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما
... بين المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم
... والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب بمنزلة القلب من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التى جرت
... جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس
... الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كى تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه • وتقديم
... السمع لما انه طريق تلقى الوحى او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر • وافراده باعتبار كونه مصدرا فى الاصل
... الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طاير اى الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة و
... الاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشئ منقادا لاخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر
... ... والدواب للانسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط
... ... الله تعالى للطيران • وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى فى جو السماء اى فى الهواء
... المتباعد عن الارض والسكاك واللوح العدمية • واضافته الى السماء لما انه فى جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة
... ما يمسكهن فى الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام
... الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر فى مسخرات او من الطير واما
... ... ان فى ذلك الذى ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك
... ... لها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق
... ... ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لايات ظاهرة لقوم يؤمنون اى من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم
لانهم المنتفعون به انتهى ابو السعود:

لما أن أسير إليهم من كون وقاية الحر أهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
تنظرون في نعمه الفائضة عليكم فتؤمنون به وتنقادون له • وقرئ تسلمون بفتح التاء من السلامة أي تشكرون
نعمه فتسلمون من نقمه أو تسلم قلوبكم من الشرك • أو تسلمون من الجراح بلبس الدروع فإن تولوا فعل
أن يكون ماضيا على الالتفات أي فإن أعرضوا عن الإسلام ويحتمل أن يكون مضارعا أي فإن تتولوا
وحذفت التاء ويكون جاريا على الخطاب السابق فإنما عليك البلاغ المبين أي فلا يضرك فإنما عليك
البلاغ وقد بلغت • فهو من باب إقامة السبب مقام المسبب فإن البلاغ سبب العذر • وكونه معذورا
عن عدم التضرر من جهة الرسالة يعرفون نعمة الله يعرف المشركون نعمة الله من التي عددناها وغيرها حيث
يعترفون بها وأنها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وبقولهم هي من الله لكن بشفاعة آلهتنا أو
بسبب إلى من جراها الله تعالى على يده • وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات
ثم أنكروها عنادا • وثم مستعار لاستبعاد الإنكار بعد المعرفة وأكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا أو
أكثرهم لأنه فيهم من لم يكن معاندا بل جاهلا لم يعرف الحق لنقصان عقله أو تفريطه في النظر • أو لأن فيهم
من لم تقم عليه الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف وعلى هذا يكون الكافر على إطلاقه وكلا التقديرين لا
لحمل الأكثر على معنى الكل • انتهى أبو السعود

والله جعل لكم معطوف على ما مر • وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الإيذان
من أول الأمر بأنه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس إلى وروده وقوله تعالى من بيوتكم أي من بيوتكم
المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من
التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول أي موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم • أو تسكنون إليه وتطمئنون
وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا أي بيوتا أخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والأخبية
والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة الأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل
وقرئ بفتح العين ويوم إقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها
على قوله تعالى من جلود • والضمائر للأنعام على وجه التنويع أي وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الإبل
أشعار المعز أثاثا أي متاع البيت • وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث ومتاعا أي شيئا
تتمتعون بفنون التمتع إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم • أو إلى أن يبلى ويفنى فإنه في معرض البلى وال
وقيل إلى أن تموتوا • والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع
قبلكم ظلالا أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها • امتن سبحانه وتعالى بذلك
لما أن تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال أكنانا مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران
والسروب • والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما
يلبس أي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر أحد الضدين
عن ذكر الآخر أو لأن وقايته هي الأهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم بأسكم
أي البأس الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله تعالى علينا حيث ذكر جميع
النعم الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا • ثم بما يخص
المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام وأمثالها حيث قال وجعل لكم من جلود الأنعام الآية • ثم بما يعم من لا يقدر على
ذلك ولا يأويه إلا الظلال حيث قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا الآية • ثم بما لا بد منه لأحد حيث قال وجعل لكم سرابيل
ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم • ثم قال كذلك أي مثل ذلك الإتمام البالغ يتم
نعمته عليكم لعلكم تسلمون أي إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والأنفسية
والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره • وإفراد
أما لأن المراد بها المصدر أو لإظهار أن ذلك بالنسبة إلى جناب الكبرياء شيء قليل • وقرئ تسلمون
تسلمون من العذاب أو من الشرك • وقيل من الجراح بلبس الدروع فإن تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات
وصرف الخطاب عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له أي فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك
ما ألقي إليهم من البينات والعبر والعظات فإنما عليك البلاغ المبين أي فلا قصور من جهتك لأن
هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب يعرفون نعمة الله
لبيان أن توليهم وإعراضهم عن الإسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فإنهم يعرفونها ويعترفون
أنها من عند الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون أبناءهم ثم أنكروها عنادا

إليهم

ومعنى ثم لاستبعاد الإنكار بعد المعرفة لأن حق من عرف النعمة الاعتراف بها
لا الإنكار • وإسناد المعرفة والإنكار المتفرع عليها إلى ضمير المشركين على الإطلاق
من باب إسناد حال البعض إلى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل
واحد منهم فإن بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه وأكثرهم الكافرون أي المنكرون
بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر • والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث
إن الإطلاق ينبئ في كمال الفرقة الأولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الأكثر
لأن بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه
الحجة لأنه لم يبلغ حد التكليف فتدبر
أبو السعود أفندي

والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو فعل بمعنى
مفعول اي يسكن اليه وينقطع اليه من بيت
او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
هي قباب الادم تستخفونها تروتها خفيفة
الحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم
بسكون العين كعفر وسامح وبفتح العين غيرهم
والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ويوم اقامتكم
وقراركم في منازلكم والمعنى انها خفيفة عليكم في
اوقات السفر والحضر على ان اليوم بمعنى الوقت
ومن اصوافها اي اصواف الضان واوبارها
واوبار الابل واشعارها واشعار المعز اثاثا
متاع البيت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين
مدة من الزمان والله جعل لكم مما خلق ظلالا
كالاشجار والسقوف وجعل لكم من الجبال
اكنانا جمع كن وهو ما ستر من كهف وغار
وجعل لكم سرابيل اي القمصان والثياب من
الصوف والكتان والقطن تقيكم الحر وهي
تقي البرد ايضا الا انه اكتفى باحد الضدين
ولان الوقاية من الحر اهم عندهم لكون البرد
يسيرا محتملا وسرابيل تقيكم باسكم ودروعا
من الحديد ترد عنك سلاح عدوكم في
قتالكم والباس شدة الحرب والسربال عام
يقع على ما كان من حديد او غيره كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في
نعمته الفائضة فتؤمنوا به وتنقادون له
فان تولوا اعرضوا عن الاسلام فانما عليك
البلاغ المبين اي فلا تبعة عليك في ذلك
لان الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت
يعرفون نعمة الله التي عددناها بافعالهم فانهم
يقولون انها من الله ثم ينكرونها بافعالهم حيث
عبدوا غير المنعم او في الشدة او في الرخاء واكثرهم
الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين او نعمة الله
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها

والله جعل لكم من بيوتكم التي تبنونها من الحجر والمدر
سكنا فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن فيه
او اليه من مسكن او مالف وجعل لكم انما اعاده
لان الامتنان هنا بنوع اخر من النعمة من جلود
الانعام بيوتا التنكير للتنويع اي نوعا غريبا منها
وهي القباب المتخذة الادم ولا حاجة الى ان
يتكلف في تعميمها متخذة من الوبر والصوف
والشعر لا تدرجها فيما ياتي بعينه هذا تستخفونها
تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها يوم
ظعنكم الظعن بفتح العين وتسكينها الارتحال
ويوم اقامتكم وقت نزولكم وانما قيل تم ...
لم يثقل عليكم ضربها ونقضها او يوم قراركم في منازلكم
والاول اولى اذ ظهور المنة في خفتها في السفر
اتم واظهر ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز
والكنايات راجعة للانعام والفصل بما للابل
بين ما للضان وما للمعز لانه اكثر استعمالا في الحضر
والسفر اثاثا اي امتعة وثيابا تصلح للحضر والسفر
منها ما يلبس ومنها ما يفرش ومنها ما ينصب
كاخبية الشعر وللبود ومتاعا المتاع ما ينتفع به
ويتجر الى حين الى ان تبلى وتفنى او الى ان تقضوا
منه اوطاركم والتنوين للتعظيم في الاشارة
الى انها تبقى مدة مديدة او للابهام لانه غير متعين
اي مدة ما من الزمان غير معلومة والله جعل لكم
شرع في الامتنان بنعمة خالصة عن شوب الكسب
ولهذا اعاد الاسناد الى ظاهر اسم الله تعالى
مما خلق في الدنيا كالسحاب الظلم على ما ذكر في قوله
وظللنا عليكم الغمام او في الارض كالجبل والشجر
ظلالا ما يستظل به لما كانت بلاد غالبا عليها الحر
المفرط امتن عليهم لما تتقون به من حر الشمس
وفيه نوع تمهيد لتخصيص الحر بالذكر فيما سياتي
وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تكنون بها من
الكهوف والغيران الانسان اما مقيم او مسافر
والمسافر غني يستصحب معه ما يستظل به ويكن به
او فقير لا يقدر عليه فامتن على الاول بقوله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وعلى الثاني بقوله وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا وعلى الثالث بقوله جعل لكم
مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم
سرابيل من القطن والكتان والصوف جمع سربال
قال الزجاج كلما لبسته فهو سربال تقيكم الحر اقتصر
عليه لكون البرد في بلادهم يسيرا محتملا او اكتفى
باحد الضدين عن الاخر وتخصيص الحر بالذكر

وحثنا على الاجماع فيه بقوله ويتبع غير سبيل
المؤمنين • وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته باتباع اصحابه بقوله اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم • وقد اجتهد وقاس
ووطئ طرق الاجتهاد والقياس مع انه امرنا
بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار • فكانت السنة
والاجماع وقول الصحابي والقياس مستندة
الى تبيان الكتاب فتبين انه كان تبيانا لكل شيء
وهدى وبشرى للمسلمين ودلالة الى الحق ورحمة
لهم وبشارة لهم بالجنة انتهى المدارك النسفي رحمه الله •

ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر وهو نبيهم ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
اي لا عذر لهم فدل بانتفاء الاذن على انتفاء
العذر وثم مستعار لغاية البعد بين بليتهم بشهادة
الرسل عليهم السلام عليهم وبين بليتهم بانتفاء الاذن
في الكلام لما فيها من الاقناط الكلي عن العفو والغفران
بالمنع من الاعتذار والادلاء بحجة او شبهة ولا هم
يستعتبون الاستعتاب طلب الرضاء وازالة
الغضب من العتبى وهو الرضا اي لا يطلب منهم
ارضاء الرب لان الاخرة دار الجزاء لا دار العمل
ويوم منصوب بمحذوف اي ويوم نبعث وقعوا فيما
وقعوا فيه او كان ما لا يدخل تحت الوصف او واذكر
يوم نبعث وكذا واذا راى الذين ظلموا العذاب
اي حاق بهم ما حاق او شق عليهم ونحو ذلك فلا يخفف
عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء
او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بكونهم مخطئين
في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول اي اجابوهم بقولهم انهم لكاذبون في انهم
شركاء الله او في انهم حملوا على الكفر والزموهم اياه
كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم اه والقوا
والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم ضاع
عنهم وبطل ما كانوا يفترون من انهم شركاء الله تعالى
وانهم يشفعون لهم وينصرونهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا عن
الاسلام وحملوا على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا

ويوم انقضائه باذكر نبعث نحشر من كل امة شهيدا
نبيا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة
لهم ولا عذر ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون اي لا يقال ارضوا ربكم لان الاخرة
ليست بدار عمل ومعنى ثم انهم يمنون اي
يبتلون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منها
وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء
معذرة ولا ادلاء بحجة واذا راى الذين
ظلموا كفروا العذاب فلا يخفف عنهم اي العذاب
بعد الدخول ولا هم ينظرون ولا هم يمهلون
قبله واذا راى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم
التي عبدوها قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا اي
الهتنا التي جعلناها شركاء الذين كنا ندعو
من دونك اي نعبد فالقوا اليهم القول
انهم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب لانها
كانت جمادا لا تعرف من عبدها • ويحتمل انهم
كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى
من الشرك والقوا يعني الذين ظلموا الى الله يومئذ
السلم القاء الاستسلام لامر الله تعالى
وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل
وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله تعالى
شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم
وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وصدوا واحملوا
سبيل الله وحملوا غيرهم على الكفر زدناهم عذابا
فوق العذاب اي عذابا بكفرهم وعذابا بصدهم
عن سبيل الله بما كانوا يفسدون بكفرهم وصدهم
الناس بالصد ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم
منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من
امور الدين اما في الاحكام المنصوصة فظاهر وكذا
فيما ثبت بالسنة او بالاجماع او بقول الصحابي او بالقياس
لان مرجع الكل الكتاب حيث امرنا فيه باتباع رسوله
وطاعته بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول

يعني نبيهم من أنفسهم من جنسهم ومن وهو أن نبي كل أمة كان منهم فقد وهم وهذا القيد لم يذكر فيما سبق
لدلالة من عليه وجئنا بك يا محمد شهيدا أي يشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك
مجامع قواعدهم وأما كونه عليه السلام شهيدا على أمته فقد علم مما تقدم ونزلنا عليك الكتاب استيناف وحال
بإضمار قد تبيانا أي تبيانا بليغا لكل شيء عبارة عن كل للتكثير والتفخيم لا للإحاطة والتعميم كما في قوله تعالى تدمر كل شيء
وما قيل من أمور الدين على التفصيل أو الإجمال بالإحالة إلى السنة والقياس فيأباه ما في التبيان من المبالغة في البيان
ثم إن قوله من أمور الدين تخصيص لا يساعده الكلام ولا يقتضيه المقام وهدى وبشرى بشارة للمسلمين متعلق
ببشرى ومن حيث المعنى متعلق بهدى ورحمة أيضا لقوله تعالى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون انتهى
ابن كمال

ويوم نبعث من كل أمة شهيدا أي يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار إذ لا عذر لهم وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الإقناط الكلي وهو عندما يقال
لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام عليهم وأطم ولا هم يستعتبون
يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم إذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره
اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى وإذا رأى الذين ظلموا
العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون أي يمهلون كقوله تعالى
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الأوثان
أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم أو نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ
عنه قوله سبحانه فألقوا أي شركاؤهم إليهم القول إنكم لكاذبون فإن تكذيبهم إياهم فيما قالوا ليس إلا للمدافعة
والتخلص عن غائلة مضمونه وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لأن الأوثان ما كانوا راضين
بعبادتهم لهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن
يعنون أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها
لله سبحانه من الشريك والشياطين وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم
على وجه القسر والإلجاء كما قال إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي
فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم وألقوا أي الذين أشركوا إلى الله يومئذ السلم
الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم أي ضاع
وبطل ما كانوا يفترون من أن لله سبحانه شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم
وتبرؤا منهم الذين كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر
زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال
البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون
من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد إلى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم
أي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق
تثنية للتهديد في كل أمة شهيدا عليهم أي نبيا من أنفسهم من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى
عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم وجئنا بك إيثار لفظ المجيء على البعث
لكمال العناية بشأنه صلى الله عليه وسلم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الأمم
وشهدائهم كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على أمتك و
العامل في الظرف محذوف كما مر والمراد يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق
بأن يخص به اسم الجنس وهو إما استئناف أو حال بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بأمور الدين
ومن جملة ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملة ما أخبر به
هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء
في كسر أوله وكونه تبيانا لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصا على بعضها

وإحالة لبعضها على السنة حيث أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى
وحثا على الإجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى
تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية
كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد إنه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله تعالى وما للظالمين
من أنصار وهدى ورحمة للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب
وبشرى للمسلمين خاصة أو يكون كل ذلك خاصة بهم لأنهم المنتفعون بذلك
انتهى أبو السعود

ظ

فتحدث الجربزة والمكر والتفرعن وتارة تغلب الشهوة فتورث النهب وسلب الاموال وغصب حقوق
الناس وكلها ينافي العدالة ولا يوجد من الانسان شر الا وهو داخل في هذه الاقسام الثلثة بتوسط
احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن للخير والشر
وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه ولو لم يكن في القرآن الا هذه الاية لكفى به تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ولام ما عقبت قوله ونزلنا عليك الكتاب بها يعظكم بالامر
والنهي والتمييز بين الخير والشر حال من فاعل يأمركم او من مفعوله او منهما جميعا او خبر ثان لان لعلكم تذكرون

ان الله يامر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده
لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل
كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة
الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط
بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه
اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى اي اعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا
من الافراط في اظهار القوة الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم
وهو من اثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية
والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى
الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير
هذه الاية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يامر وينهى وهو اما استئناف
واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها فيما هو المعهود في
ابناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض الايمان
والعهود فيجازيكم على ذلك انتهى ابو السعود

ان الله يامر بالعدل بالتسوية في الحقوق
فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل ذي حق الى ذي حقه
والاحسان الى من اساء اليكم او هما الفرض
والندب لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط
فيجبره الندب وايتاء ذي القربى واعطاء
ذي القرابة وهو صلة الرحم وينهى عن الفحشاء
عن الذنوب المفرطة في القبح والمنكر ما تنكره
العقول والبغي طلب التطاول بالظلم
والكبر يعظكم حال او مستانف لعلكم تذكرون
تتعظون بمواعظ الله تعالى وهذه الاية سبب اسلام عثمان
بن مظعون فانه قال ما كنت اسلمت الا حياء
منه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما كان يعرض على
الاسلام ولم يستقر الايمان في قلبي حتى نزلت
هذه الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي
فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال
ابو جهل ان الهه ليامر بمكارم الاخلاق
وهي اجمع اية في القرآن للخير والشر ولذا يقرؤها
كل خطيب على المنبر في اخر خطبته ليكون عظة
جامعة لكل مأمور ومنهي واوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة بعد
توكيدها بعد توثيقها باسم الله تعالى واكد
ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة
بدل منها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا
ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن
عليه ان الله يعلم ما تفعلون من البر او حافظ
والحنث فيجازيكم به
انتهى المدارك

ان الله يامر بالعدل بمراعاة الوسط بين الافراط
وسلوك طريق التوسط بين طرفي الافراط والتفريط
فهو جماع الفضائل كلها اذ انه شامل للحكمة المتوسطة بين البلاهة
والدهاء والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والعفة
المتوسطة بين الشره وخمود الشهوة فمن الحكمة اعتقادا
كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول
بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المتوسطة بين
المداهنة والعنف في الامور الدينية وخلقا
كالتواضع المتوسط بين الضعة والتكبر والجود
المتوسط بين البخل والتبذير والقناعة المتوسطة
بين الحرص والقعود عن طلب الضروري من المعاش
ولما كانت مراعاة العدالة في غاية الصعوبة شفعه
بالاحسان بقوله والاحسان ليتدارك به ما فات
من العدالة احتياطا فان العدل هو القيام بالواجب في
كل شيء والاحسان هو الندب والانحراف عن سمت
العدالة الذي هو الطريق المستقيم الى احد الجانبين قد يكون
الى جانب التفريط احسن وقد يكون الى جانب الافراط
فالاحسن هو الاتيان بالحق والمحافظة على جانبيه
كالميل الى التنزيه في الاعتقاد والتطوع بالنوافل
في الاعمال باعتبار الكمية والزيادة في الاخلاص بالخفاء
باعتبار الكيفية والميل الى الصلابة التي هي الحمية الدينية
في الشجاعة والى الصفح والعفو دون الانتقام فيما
يتعلق بحق نفسه فيها والى الافراط في الجود والى
التفريط في كل ما سواه من خصال العفة ولهذا نهى
عن الافراط في متابعة الشهوة وهي الفحشاء وايتاء
ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو
تخصيص بعد التعميم للاهتمام به وتنبيها على فضل هذه الخصلة
من بين خصال العدل والاحسان وكذا الرذائل الثلث
المذكورة بعد فان النهي عنها داخل في الامر بالعدل
وخصت بالذكر والنهي عنها بالانفراد للتنبيه على قبحها
وكونها في غاية الرذالة الا ترى ان البغي هو الظلم المنافي
لصريح العدل فلا يفيد ذكره الا التاكيد والمبالغة في التحذير
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة
الشهوانية كالزنا والحرص والمنكر اي ما ينكر شرعا
او عقلا من افراط القوة الغضبية والبغي اي الاستعلاء
والتجبر على الناس والاستيلاء وهو تسلط القوة
الوهمية على العاقلة الذي يتولد منه الشيطنة فانه
يغلب الغضب ويحدث الاستكبار وتارة يميل
الى الافراط في باب الحكمة ظ

بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم عن الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة انتهى

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها بعد ما ابرمته واحكمته انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وهو ما نقض فتله وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت لتضمنه معنى صيرت ولا يجوز انتصابه على المصدرية لان النكث اسم لا مصدر والمراد تشبيه الناقض بمن هذا شانه وهي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا دخلا ثاني مفعولي تتخذ اي متخذين دخلا اي مفسدة ودخلا واصله ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون بسبب ان تكون امة اي جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة اي جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتوفون بعهد الله وما عقدتم على انفسكم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكون به ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وتخافون من قلة المؤمنين وفقرهم فتنقضون كانت قريش اذا راوا شوكة وقوة في اعادي خلفائهم غدروا وخالفوا اعدائهم فنهى المؤمنون عن عادتهم في الغدر وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي وتكرير له تاكيدا عليهم واظهارا لعظم المنهي عنه ومبالغة في قبحه ولهذا وحد قدم ونكر في قوله فتزل قدم بعد ثبوتها والمراد فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها تنبيها على ان زلل قدم واحد عظيمة من عظائم الذنوب فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة انتهى ابن الكمال

قريش

ولا تكونوا في نقض الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة وكانت حمقاء تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم حال كانكاثا دخلا احد مفعولي اتخذ اي ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة وخيانة ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين هي اربى مبتدا وخبر في موضع الرفع صفة لامة وامة فاعل تكون وهي تامة وهي ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين انما يبلوكم الله به الضمير للمصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة ولكن يضل من يشاء من علم منه اختيار الضلالة ويهدي من يشاء من علم منه اختيار الهداية ولتسئلن عما كنتم تعملون يوم القيمة فتجزون به ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظمه فتزل اقدامكم فتزل قدم بعد ثبوتها عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وانما وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء ... عن نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره

ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل في الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء [redacted] اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يعرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يعرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم انتهى ابو السعود

قوله انكاثا انقاضا واحدها نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان او حبلا قوله دخلا بينكم اي دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء للفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر الوفاء ويبطن النقض قوله ان تكون امة لان تكون امة هي اربى من امة اي اكثر واعلى من امة وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر فمعناه طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اكثر من امة فنهاهم الله عن ذلك قوله انما يبلوكم الله به يختبر الله بامره اياكم بالوفاء بالعهود قوله كالتي نقضت غزلها قال الكلبي هي امراة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ريطة وكانت بها وسوسة كانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتامر جواريها بذلك وكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دابها ومعناه انها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك انتم اذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عهدتم وفيتم معالكم

قال العارف القشيري رحمه الله يفترض على كافة المسلمين الوفاء بعهد الله في قبول الاسلام والايمان فيجب عليهم استدامة الايمان ثم لكل قوم منهم عهد مخصوص عاهدوا الله عليه وهم مطالبون بعهده فالزاهد عهده ان لا يرجع الى الدنيا فاذا رجع الى ما تركه منها فقد نقض عهده ولم يف به والعابد عهده في ترك الهوى والمريد عهده في ترك العادة وايثاره بكل وجه والعارف عهده التجرد له وانكار ما سواه والمحب عهده القول بترك نفسه معه بكل وجه من تغيره

هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما أن قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستيناف أي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وإن جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وإن جم عدده وينقضي وإن طال أمده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والأخروية باق لا نفاد له أما الأخروية فظاهرة وأما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالأخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي إيثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى إن ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من أن يقال ولنجزينكم أجركم بأحسن ما كنتم تعملون للتوسل إلى التعرض لأعمالهم والإشعار بعليتها للجزاء أي والله لنجزين الذين صبروا على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات أجرهم مفعول ثان لنجزين أي لنعطينهم أجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الأمور المذكورة بأحسن ما كانوا يعملون أي لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما في قوله تعالى وحسن ثواب الآخرة لا لإفادة قصر الجزاء على الأحسن منه دون الحسن فإن ذلك مما لا يخطر ببال أحد لا سيما بعد قوله تعالى أجرهم أو لنجزينهم بحسب أحسن أفراد أعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الأدنى من أعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الأعلى منها من الأجر الجزيل لا أنا نعطي الأجر بحسب أفرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بأن نجزي الحسن منها بالأجر الحسن والأحسن بالأحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل أو لنجزينهم بجزاء أحسن من أعمالهم وأما التفسير بما ترجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بما ترجح تركه أيضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على أن ذكر هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الأعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل غيرها بل التعرض لإخراج بعض أعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا أي عملا صالحا أي عمل كان وهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى من ذكر أو أنثى مبالغة في بيان شمول للكل وهو مؤمن قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب أو تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وإيثار إيراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لإفادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا أما إن كان موسرا فظاهر وأما إن كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه ولنجزينهم في الآخرة أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه تكرار والجمع في الضمائر العائدة إلى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وإيثار ذلك على العكس لما أن وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوعها في حيز الصلة على طريق الافتراق والتعاقب الملائم للإفراد وإذ قد انتهى الأمر إلى أن مدار الجزاء المذكور هو العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الإرشاد إلى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد

فإذا قرأت القرآن

136

ابو السعود

وهو أنسب بالتقسيم المقدر

ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدون لهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله تعالى إنما عند الله من ثواب الآخرة هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد ولنجزين وبالنون مكي وعاصم الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى من مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين جميعا وهو مؤمن شرط الإيمان لأن أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان فلنحيينه حياة طيبة أي في الدنيا لقوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وعده الله تعالى ثواب الدنيا والآخرة لقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عما سوى الله

انتهى المدارك

ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قد سبق تفسيره في سورة البقرة والمراد هنا من الثمن القليل ما يعده قريش لضعفاء المسلمين ويشرطون لهم على ارتدادهم إنما عند الله من نصركم وتغنيمكم في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز ما عندكم من أعراض الدنيا ينفد وينقض وما عند الله من الثواب الموعود المدخر في خزائنه لكم باق لا يزول وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم على أذى الكفار ومشاق التكاليف ومرارة الفاقة بأحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله على تركه مما فعلوا كالواجبات والمندوبات وما ترجح تركه على فعله مما تركوا كالمحرمات والمكروهات والتعبير بالعمل عن الكل للتنبيه على أن الترك إنما يثاب عليه إذا قارنه عمل القلب وهو النية والقصد إلى الامتثال بالانتهاء عما نهي عنه وفي عبارة الصبر نوع إشارة إليه وفي الآية دلالة على أن المباح حسن وأنه لا يثاب عليه وعبارة كان للدلالة على أن المباح لا يستحق الأجر وإن وجد الاستمرار عليه فكيف إذا وجد نادرا من عمل صالحا من ذكر أو أنثى بين من لإبهامه وكونه ظاهرا في الذكور لو لم يبين فسر بهما ليعم الوعد وإنما قال وهو مؤمن إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة لا في استحقاق الثواب ولا في تخفيف العقاب لأنها تجعل هباء منثورا بدلالة نص الكتاب هذا ما عندي والله أعلم بالصواب ثم العمل الصالح لا يكون إلا للمؤمن ففي زيادة القيد المذكور لبيان أن العمل من عمل صالحا في الحال وهو مؤمن في المآل لأن اعتبار صفاء الحال بوفاء المآل والأمور بخواتيمها فلنحيينه في الدنيا بعيش عيشا طيبا لأن المؤمن الصالح إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة والفاجر بالعكس فإنه إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف العواقب أن يتهنأ بعيشه وإنما قلنا إنه في الدنيا لدلالة قوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون يعني في الآخرة عليه وليس بتكرار لأن الأول في حق الذين عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا عهودهم وهذا في كل من آمن وعمل صالحا انتهى [illegible]

ولا تشتروا بعهد الله أي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم أو آياته الناطقة بإيجاب المحافظة على العهود والأيمان ثمنا قليلا أي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا إن ما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الأخروي

فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته واطلاق الفعل
على ارادته من قبيل اطلاق المسبب على السبب مجازا لملابسته له
ولزومه اياه غالبا. وقيل المجاز السنة المستفيضة.
واما الفاء فلا دلالة فيها عليه انما دلالتها على تأخير المعنى
المراد بمدخولها عن المعنى المراد بقرأت واجماعهم
على صحة هذا المجاز قد دل ان وجود القرينة المانعة
عن ارادة الحقيقة ليس بشرط فيه فاستعذ بالله من
الشيطان الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه
لئلا يوسوسك في القراءة. والجمهور على انه للاستحباب
ولا دلالة فيه على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة بناء على
ان الحكم المترتب على الشرط يتكرر بتكرره لان ما يقع
في خلال الصلوة من القراءات في حكم قراءة واحدة و
لهذا لا يستحب الحمدلة والبسملة عند الشروع لكل فعل
من افعال الصلوة قبل تعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد
عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل. ولا يذهب عليك ان الامر الاستحبابي
اغنى عن هذا الايذان. والاولى ان يقول استعيذ
بالله ليوافق القرآن. ويقرب منه اعوذ بالله كذا
قالوا. ويرده ما روي عن ابن مسعود رضه انه قال
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل عم عن القلم
عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط
وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فانهم لا يطيعون
اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور
غفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فلما ذكرها عقبها بسلب
سلطانه لئلا يتوهم ان له سلطنة عليهم انما سلطانه
على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه دون غيره
والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
لانه هو الذي حملهم على الاشراك بالله واذا بدلنا
آية مكان آية نسخناها بآية فجعلنا الناسخة مكان
المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل في باب
المصالح فان الشرع صلاح حال العباد بحسب المعاش
والمعاد. وما يكون مصلحة في وقت قد يصير مفسدة
في وقت آخر وبالعكس والله اعلم بمصالح الجمهور منهم
فينزل في كل وقت ما هو صلاح ذلك الوقت وينسخ
به ما كان صلاح الوقت الماضي وقد تغير في الوقت
الآتي الى مفسدة فوجد واتخذه للطعن لجهلهم
بحكمة النسخ قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله
تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم
الافتراء بانواع المبالغة والتغليظ وهي الحصر والخطاب
واسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار وهو جواب
اذا والله بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم

فاذا قرأت القرآن فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله
فعبّر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل مسبب
له والفاء لتعقيب ان القراءة المحذرة بالكلام آذن
من العمل الصالح المذكور من الشيطان الرجيم يعني
ابليس المطرود الملعون. قال ابن مسعود رضي الله عنه
قرأت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي
قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه
جبرئيل عليه السلام انه ليس له لابليس سلطان
تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وسوسته. والذين هم
به مشركون اي بسببه الضمير يعود الى ربهم او الى الشيطان
واذا بدلنا آية مكان آية تبديل الآية مكان الآية
هو النسخ والله سبحانه وتعالى ينسخ الشرائع بالشرائع
لحكمة رآها وهو معنى قوله والله اعلم بما ينزل
وبالتخفيف مكي وابو عمرو قالوا انما انت مفتر
هو جواب اذا وقوله اعلم بما ينزل اعتراض كانوا
يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بامر
وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون. ولقد
افترى. فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون
بالاشق بل اكثرهم لا يعلمون الحكمة في ذلك قل نزله
روح القدس اي جبرئيل عليه السلام. اضيف الى القدس
وهو الطهر كما يقال حاتم الجود. والمراد الروح المقدس
المطهر من المآثم من ربك من عنده وامره بالحق
حال اي نزله ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم
بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة
لانه حكيم لا يفعل الا ما هو حكمة وصواب حكم لهم او التقرير
بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب
وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل
ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة
للمسلمين وفيه تعريض بحصول اضدادها لخصال الغير
انتهى المدارك

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله قال الزجاج وجميع اصحاب المعاني معناه اذا اردت ان تقرأ القرآن
فاستعذ ليس معناه استعذ بعد ان تقرأ القرآن. ومثله اذا اكلت فقل بسم الله وهذا اجماع من الفقهاء ان الاستعاذة
قبل القراءة الا ما روي عن ابي هريرة وداود ومالك انهم قالوا الاستعاذة بعد القراءة ذهبوا الى ظاهر الآية والاولى
ان تقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لنص القرآن وللخبر المتنقل المتسلسل وهو اني قرأت على الاستاذ
ابي اسحق الثعالبي رحمه الله فقلت اعوذ بالسميع العليم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وايضا قرأت على
ابي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وعلى ابي الحسين عبد الرحمن بن محمد بالبصرة وعلى ابي محمد بن عبد الله بن عجلان الزنجاني الى
من غير واحد

والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا **بل اكثرهم لا يعلمون** بل اضراب عن الافتراء الذي نسبوه اليه وما دره تأكيد للاعتراض والتوبيخ بانهم جاهلون بحكمة الاحكام لا يميزون بين الصواب والخطاء وانما قال اكثرهم لان منهم من يعلمها لكن ينكرها عنادا **قل نزله روح القدس** جبرئيل اي الروح المطهر من الالواث البشرية • واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود في قولهم حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه • وفي ينزل ونزل من معنى التدريج في الانزال على حسب المصالح ما يشعر بان التبديل انما هو لرعاية المصالح التي كانت لو انزل دفعة **من ربك بالحق** ملتبسا بالحكمة **ليثبت الذين آمنوا** باعتقاد انه الحق من ربهم فانهم اذا لم يتشوش اعتقادهم بالنسخ وتيقنوا انه مقتضى حكمة وعلموا ان الناسخ هو الذي فيه صلاح الحال دون المنسوخ ثبتت اقدامهم ورسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم **وهدى وبشرى للمسلمين** المنقادين لحكمه وهما مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لمن سواهم من الكفار انتهى ابن الكمال

فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة **فاستعذ بالله** فاسأله عز جاره ان يعيذك **من الشيطان الرجيم** من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الآية • وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام • وفي سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الاعمال • والامر للندب • وهذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب • وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه • ومالك • وابن سيرين • وداود وغيرهم من القراء • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبرئيل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ **انه** الضمير للشان او للشيطان **ليس له سلطان** تسلط وولاية **على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم • وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي • وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين • والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعيذك او نحوه **انما سلطانه** اي تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى **على الذين يتولونه** اي يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك **والذين هم به مشركون** او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه • وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم • وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل • ففيه مبالغة في الحمل على التوكل • والتحذير عن مقابله • وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات • وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه • وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها **واذا بدلنا آية مكان آية** اي اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منسوخة وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها **والله اعلم بما ينزل** اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك

وما الشرايع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة
والتنبيه على فساد رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات
ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي
الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم تبدو لك فتنهى عنه
وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم
لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما
ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكره عنادا قل نزله اي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل
اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود
حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار
بان التدريج في الانزال مما يقتضيه الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره من الدلالة على
تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض
بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة
على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى
للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول
اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون غير ما نقل عنهم من المطاعن
الشنعاء انما يعلمه اي القرآن بشر على طريقة البت مع ظهور انه نزل به روح القدس الامين عليه السلام
وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب
استمرار التجدد في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام
عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم
وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور
كذبهم للايذان بان مدار خطئهم ليس بنسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان
مع كونه صلى الله عليه وسلم معدنا لعلوم الاولين والآخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة
من ألحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا
ألحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة
وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه
فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات
الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون
فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل
النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب
وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الافتراء والتعلم من البشر بعد كشف شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من
عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله
بالرد الاول والمعنى والله اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله تعالى ويقول انه افتراء ومعلم من البشر
اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى
في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه
٩٩

ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا به
غلاما لحويطب قد اسلم وحسن اسلامه اسمه
عايش او يعيش وكان صاحب كتب او يعني
جبر غلام رومي او عبدان جبر ويسار
كانا يقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقرآن او سلمان الفارسي
رضي الله عنه لسان الذي يلحدون اليه وبفتح الياء
والحاء حمزة وعلي اعجمي وهذا لسان عربي مبين
اي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم
وابطالا لطعنهم وهذه الجملة اعني لسان
الذي يلحدون اليه اعجمي لا محل لها لانها
مستأنفة جواب لقولهم والالحاد اللغة
ويقال لحد القبر والحده وهو ملحود وملحد
اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق
منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا
لحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد
لانه امال مذهبه عن الاديان كلها ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله اي القرآن لا يهديهم الله
ما داموا مختارين للكفر ولهم عذاب اليم
في الآخرة على كفرهم انما يفتري الكذب على الله
الذين لا يؤمنون بآيات الله انما يليق افتراء
الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه
وهو رد لقولهم انما انت مفتر واولئك اشارة
الى الذين لا يؤمنون اي فاولئك هم الكاذبون
على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب
آيات الله تعالى اعظم الكذب واولئك هم الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انتهى المدارك

ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا جبرا الرومي
وقيل وقيل لسان الذي يلحدون اليه لغة الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه يقال لحد والحد
اذا مال عن القصد ومنه اللحد اعجمي غير بين
وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستأنفتان ردا لقولهم و
ابطالا لطعنهم وتقريره ان القرآن معجز بلفظه
كما هو معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه
فكيف يعلمه هذا الكلام الذي بذ كل كلام عربي في البيان
والفصاحة وهو اعجمي وطعنهم في القرآن بامثال هذه
الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله اي الذين يعلم الله منهم انهم
لا يؤمنون بها اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة في الدنيا
ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم
بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه
ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
عنه فاولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون بالحقيقة الكاملون في الكذب لان
التكذيب بآيات الله اعظم الكذب او الذين عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء اذ لا يردعهم عنه مروة
ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انتهى بكماله
٩٩ وصيغة المضارع رعاية المطابقة بينه وبين ما هو
عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري
الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمنون بآيات الله لانه لا يترقب
عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف
ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه
افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم
الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى
والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك
ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم
وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع
ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب
مدافعة له سبحانه في فعله وقول النبي عنه معا او الذين
عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة
وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انتهى ابو السعود

الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين
ما داموا مختارين الكفر أولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فلا يتدبرونه و
لا يصغون الى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد
وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة لأن
الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة و
منتهاها لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون
انتهى المدارك

من كفر بالله من بعد إيمانه بدلاً من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض • أو من أولئك أو من الكاذبون
أو مبتدأ خبره محذوف دلت عليه قوله فعليهم غضب
أو منصب بالذم • أو مرتفع على أنه خبر مبتدأ مضمر على
الذم • أو من شرطية محذوفة الجواب دلت عليه قوله
إلا من أكره على الافتراء أو كلمة الكفر • استثناء متصل
لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان وقلبه
مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته جملة حالية • ولا دلالة
فيه على انحصار الإيمان في التصديق القلبي ولكن
من شرح بالكفر صدرا أي وسعه لقبول الكفر كان
عن الرضا وطيب الخاطر فعليهم غضب التنكير للتعظيم
وقوله من الله ترشيحه لأن الغضب من العظيم عظيم ولهم
عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه • روي أن قريشا
أكرهوا عمارا رضي الله عنه فأعطاهم بلسانه ما أرادوا
مكرها • ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
قال ما لك إن عادوا لك فعد لهم • وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه وإن كان
الأفضل التجنب عنه إعزازا للدين ذلك إشارة
إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد بأنهم بسبب أنهم استحبوا
الدنيا على الآخرة آثروها عليها وأن الله لا يهدي
القوم الكافرين وبأن الله لا يهدي إلى الإيمان من
حقت عليه الضلالة وعلم منهم الكفر هذا هو السبب
الحقيقي والأول هو السبب العادي أولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم قد سبق تفسيره
في سورة البقرة وأولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن غاية الغفلة
ومنتهاها الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم قد سبق
تفسيره أنهم في الآخرة هم الخاسرون البالغون في الخسران
إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب
المخلد انتهى ابن كمال عليه الرحمة على الكمال

من كفر بالله من بعد إيمانه شرط مبتدأ وحذف جوابه
لأن من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم
غضب إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ساكن به
ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب به نفسا
واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم
وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله
على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا
بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفتري
الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه • واستثنى
منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء • ثم
قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب
من الله • وأن يكون بدلا من المبتدأ الذي
هو أولئك أي ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم
الكاذبون • أو من الخبر الذي هو الكاذبون
أي وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه • و
أن ينتصب على الذم • روي أن ناسا من أهل
مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره
فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان
منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد
قتلا وهما أول قتيلين في الإسلام • فقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن عمارا كفر فقال
كلا إن عمارا مليء إيمانا من قرنه إلى قدمه
واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال
ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وما فعل
أبوا عمار أفضل لأن في الصبر على القتل إعزازا
للإسلام ذلك إشارة إلى الوعيد وهو لحوق
الغضب والعذاب العظيم بأنهم استحبوا آثروا
الحيوة الدنيا على الآخرة أي بسبب إيثارهم

من كفر بالله أي تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها
بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا • ومن موصولة • ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه
أو هو خبر لهما معا • أو النصب على الذم إلا من أكره على ذلك بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه
وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لأن الكفر لغة يعم القول كما أشير إليه وقوله
وقلبه مطمئن بالإيمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه لأن مقارنته
للكفر الواقع به أي إلا من كفر بإكراه أو إلا من أكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته
وإنما لم يصرح به إيماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة • وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن
كذلك بل شرح بالكفر صدرا أي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله
وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم إذ لا جرم أعظم من جرمهم
والجمع في الضميرين المجرورين لمراعات جانب المعنى كما أن الإفراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ •
روي أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فأباه أبواه فربطوا سمية بين بعيرين
ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين
في الإسلام • وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك
فعد لهم بما قلت • وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن
يجتنب عنه إعزازا للدين كما فعل أبواه • وروي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما
ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال فأنت أيضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة وأما الثاني فقد صدع بالحق ذلك
إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو إلى الوعيد المذكور بأنهم بسبب أنهم استحبوا الحيوة الدنيا آثروها على الآخرة
وأن الله لا يهدي إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر وإلجاء القوم الكافرين في علمه المحيط
فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إيثار الحيوة الدنيا على الآخرة
وإما عدم هداية الله سبحانه وتعالى للكافرين هداية قسر بأن آثروا الآخرة على الدنيا أو بأن هداهم الله تعالى هداية قسر
لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى أولئك أي أولئك
الموصوفون بما ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك الحق والتأمل فيه
وأولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ لا غفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في
الآخرة هم الخاسرون أي ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى ما لا يفضي إلا إلى العذاب المخلد انتهى أبو السعود

لا يغشى ساله

فطلع لالة منه

استعير للمعنى الانسان من اثر الجوع والخوف وهو ضررهما فالغاشي هو الضرر لا الجوع والخوف والا لكان لباس الجوع تشبيهاً على حد لجين الماء. وحينئذ يستقيم وجه ايقاع الاذاقة على اللباس اذ المعنى فاذاقهم ما غشيهم من ضرر الجوع والخوف وبهذا التقرير ظهر وجه ايثار التجريد على الترشيح لان الاذاقة تفيد ما لا يفيد الكسو من زيادة التأثير الموجبة لقوة الادراك • واما ايثار اللباس على الطعم فللدلالة على الشمول وهذا انما يتم حمل اللباس على انتقاع اللون ورثاثة الهيئة اللازمين للجوع والخوف اذ حينئذ يكون الاصابة ابلغ موقف • وقرئ والخوف بالنصب عطفاً على لباس او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي ولباس الخوف **بما كانوا يصنعون** بصنيعهم الذي استمروا عليه جرى ههنا على ما هو المراد من القرية

نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس • وفيما تقدم على ظاهر المجاز • ان انتهى كلامه قال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس هب انك تشك ان محمداً كان نبياً اما كان عربياً وكان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الاية وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس فكان الواجب ان يقال فكساهم الله لباس الجوع او يقال فاطعمهم الجوع

نقل ان ابن الراوندي

ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوهمه ظاهر اعمالهم السابقة • فالجار والمجرور خبر لان • ويجوز ان يكون خبرها محذوفاً لدلالة الخبر الاتي عليه • ويجوز ان يكون ذلك خبرها • ويكون ان الثانية تأكيداً للاولى • وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب • بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة **من بعد ما فتنوا** اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان • وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبراً حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا **ثم جاهدوا** في سبيل الله **وصبروا** على مشاق الجهاد **ان ربك من بعدها** من بعد المهاجرة والجهاد والصبر • فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له • او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم **لغفور** لما فعلوا من قبل **رحيم** ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد • وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم • وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلاة والسلام واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام ولكونهم اتباعاً له

يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم او بما ترتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين **تجادل عن نفسها** عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي **وتوفى كل نفس** اي تعطي وافياً كاملاً **ما عملت** اي جزاء ما عملت • بطريق الطلاق اسم السبب على المسبب اشعاراً بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال • وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد **وهم لا يظلمون** لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم **وضرب الله مثلاً قرية** قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد • وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل • وتأخير قرية مع كونها مفعولاً اولاً لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها • ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقباً لوروده وتشوقاً اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه • فان المثل مما يدعو الى الكلام على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتأخر عند وروده لديها فضل تمكن • والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلاً لاهل مكة خاصة او لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولاً اولياً **كانت آمنة** ذات امن من كل خوف **مطمئنة** لا يزعج اهلها مزعج **يأتيها رزقها** اقوات اهلها صفة ثانية لقرية • وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر **رغداً** واسعاً **من كل مكان** من نواحيها **فكفرت** اي كفر اهلها **بأنعم الله** اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر

فان ...

ثم ان ربك ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك **للذين هاجروا** من مكة اي ...

على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس **فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** بصنيعهم الاذاقة واللباس استعارتان ...

وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة **فاذاقها الله** اي اذاق اهلها **لباس الجوع والخوف** شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال • فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصار تسامحاً فيه الى الرداء المستعار للمعروف تجريداً • او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومئ اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامسة والذائقة • وتقديم الجوع الناشي مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينه وبين اتيان الرزق • وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضاً عطفاً على المضاف او اقامته له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف **بما كانوا يصنعون** فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور • اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقاً للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة

انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله ثم ان ربك الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الرضاعة • وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو • والوليد بن الوليد بن المغيرة • وسلمة بن هشام • وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا • وقال الحسن وعكرمة نزلت في عبد الله بن سعد وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فلحق بالكفار فامر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اسلم وحسن اسلامه فانزل الله تعالى هذه الاية • وقرا ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء

معالم

مطلب في بيان الاكراه الاكراه الاجبار وهو الحمل على الشي مكرهاً

والاكراه تارة يكون بقتل او تلف عضو • وتارة يكون بضرب يوجد منه الم شديد او حبس او قيد فيه اغتمام كثير حتى لو هدده بضرب سوط او سوطين او بحبس يوم او قيد لا يكون اكراها ولو هدده بالتجويع فان خاف منه التلف على النفس او عضو يكون اكراها والا فلا • وانما يتحقق الاكراه اذا غلب على ظن المكره انه ان لم يأت بما اكرهه عليه يفعل به المكره ما هدده وللمكره امكان ذلك • ثم الاكراه بالقتل وتلف عضو يكون اكراهاً على الافعال المحظورة كاجراء كلمة الكفر على لسانه او شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم مسلم او قتله او اتلاف عضوه او ماله او قتل نفسه او اتلاف عضوه او ماله فيما عرض بالاحراق او غرق او طرح في بحر او شرب الخمر او اكل الميتة او الزنا او السرقة

تهذيب

وان اكره على الكفر بالله تعالى او سب النبي صلى الله عليه وسلم بقيد او حبس او ضرب لم يكن ذلك اكراهاً حتى يكره بما يخاف منه التلف او على عضو من اعضائه فان ذلك وسعه ما اكره به ويوري فاذا اظهر ذلك وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم عليه وان صبر حتى قتل ولم يظهر الكفر كان ماجوراً

قدوري

كما فعل خبيب

قرأن ربك ثم يدل على تباعد حال هولاء
من حال اولئك للذين هاجروا من مكة اي
انه تعالى لهم لا عليهم يعني انه تعالى وليهم وناصرهم
لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه
فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما
فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر فتنوا اي اسامي
اي بعد ما عذبوا المؤمنين ثم اسلموا ثم جاهدوا
المشركين بعد الهجرة وصبروا على الجهاد ان ربك
من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة و
الجهاد والصبر لغفور لهم ما كان منهم من التكلم
بكلمة الكفر تقية رحيم لا يعذبهم على ما قالوا
في حالة الاكراه يوم تاتي منصوب برحيم او
باذكر كل نفس تجادل عن نفسها وانما اضيفت النفس
الى النفس لانه يقال لعين الشيء وذاته نفسه و
في نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى
هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي
كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل
يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هولاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار • ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا • والله ربنا ما كنا مشركين •
وتوفى كل نفس ما عملت تعطى جزاء عملها وافيا
وهم لا يظلمون في ذلك • وضرب الله مثلا قرية اي جعلت
القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله بها
عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله
بهم نقمته • فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه
الصفة • وان تكون في قرى الاولين قرية كانت
هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من
مثل عاقبتها كانت امنة من القتل والسبي مطمئنة
لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا واسعا من
كل مكان من كل بلد فكفرت اهلها بانعم الله جمع نعمة

وقرأ ابن عامر فتنوا [illegible]

على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع • او جمع نعم
كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون بصنيعهم • الاذاقة واللباس استعارتان
والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار •
ووجه صحة ذلك ان الاذاقة جارية عندهم مجرى
الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس
منها • فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه
العذاب • شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم
بما يدرك من طعم المر والبشع • واما اللباس فقد
شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان و
التبس به من بعض الحوادث • واما ايقاع الاذاقة
على لباس الجوع والخوف فانه لما وقع عبارة عما يغشى
منها ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف
انتهى المدارك

ثم ان ربك للذين هاجروا بالولاية والنصر من بعد
ما فتنوا اي عذبوا كعمار رضي الله عنه ثم مستعار لتباعد
حال هولاء وعن حال اولئك ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد
وما اصابهم على المشاق ان ربك من بعدها من بعد
الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم
مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب
برحيم او باذكر تجادل عن نفسها عن ذاتها اي كل شخص
يسعى لخلاص نفسه لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي
والمراد بالمجادلة الاعتذار عنها بمثل قولهم هولاء اضلونا
ما كنا مشركين وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت
وهم لا يظلمون لا يعاقبون بغير ذنب • واما نقص الاجر
فلا احتمال له بعد التوفية وضرب الله مثلا قرية جعل الله
قرية هذه صفتها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فابدلهم الله تعالى بالنعمة نقمة او لمكة خاصة كانت
امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها
رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها ولفظ كل للتكثير
فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع • او جمع نعم كبؤس وابؤس • واختيار جمع القلة
للتنبيه بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة
لما اوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة اولى به فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف لما تقدم ذكر الامن واتيان الرزق
كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم • وحقيقة الاذاقة استعيرت للاصابة
وانما اوثرت عليها للدلالة على شدة التاثير التي تفوت
لو استعملت الاصابة والعلاقة المشابهة بين المدرك
من اثر الضرر والمدرك من طعم المر والبشع واللباس

قوله يوم تاتي كل نفس الاية روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذي
نفسي بيده لو وافيت القيمة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا تهمك الا نفسك وان
جهنم لتزفر ما يبقى ملك مقرب ولا نبي منتجب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب
لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك الذي انزل الله سبحانه وتعالى عليكم يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها
وروي عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تخاصم
الروح والجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد
خلقتني كالخشب ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الشعاع النوري فيه نطق
لساني وبه ابصرت عيني وبطشت يدي ومشت رجلي قال اي الراوي فيضرب الله تعالى لهما مثلا فقال الله
انما مثلكما مثل اعمى ومقعد دخلا حائطا فيه ثمار والاعمى لا يبصر الثمر والمقعد يرى ولا يناله فحمل الاعمى
المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله فاذاقها ابتلاهم الله تعالى بالجوع سبع سنين فقطعت العرب
عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة
والعلهز والوبر يعالج بالدم حتى ان احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة
كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم للناس بحمل الطعام لهم وهم بعد مشركون • وذكر اللباس لان ما اصابهم من الهزال والشحوب
وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم والخوف
بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت
تطيف بهم انتهى المعالم

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد اليٰ ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او ضرب الحديد في حرب بدر وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة ومعنى الفاء في فكلوا التسبيب اي اذا انبهتم علىٰ سوء صنيع اهل القرية ووخامة عاقبتهم وذكرتم بالتمثيل فاعتبروا بحالهم وخذوا بضد ما انتم عليه من طريق الجاهلية كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم وجعل هذا الوصل ذريعة لما ترتب عليه من تعداد نوع اخر من قبايحهم وقد سبق في تفسير سورة البقرة ما يتعلق بهذا الكلام من وجوه الاعراب وما في قوله طيبا من الفائدة الزائدة واشكروا نعمة الله اضافة النعمة اليه للتشريف ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته لا تتم الا بشكر نعمه فلا وصل لما قبله ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته لان مبناه على اعتبار التخصيص في الشرط المذكور وتقديم المفعول لمحافظة الفاصلة اذ لا دخل لمعنى التخصيص في التعليق انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم قد سبق تفسيره في سورة الانعام لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة وقت نزول تلك الاية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل وفي نصب الكذب بوصف الالسنة نوع من المبالغة بديع وضرب من الفصاحة جميل ومبالغة في وصف كلامهم بالكذب عظيمة وبيانه جعل قولهم كانه نفس الكذب وحقيقته وكانت مجهولة فعرفته السنتهم بوصفها وحليتها وبينته بكلامها هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وهذا الوجه الاخر ان النحاة نصوا على ان المفعول له لا بد ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والفعل لا ينبعث لاتصاف يعنى ان يخرج التركيب ولا فرق بين هذا وباقي الحروف المصدرية وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفوز بقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يجدي عليهم افتراؤهم شيئا بينه بقوله متاع قليل اي منفعتهم فيما هم فيه من الافعال الجاهلية والتحريم والتحليل منفعة قليلة

ولقد جاءهم رسول منهم اي محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم وقالوا انه القتل بالسيف يوم بدر روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الى اهل مكة في سني القحط بطعام ففرق فيهم فقال الله لهم بعد ان اذاقهم الجوع فكلوا مما رزقكم الله على يدي محمد صلى الله عليه وسلم حلالا طيبا بدلا عما كنتم تاكلونه حراما خبيثا من الاموال الماخوذة بالغارات والمغصوب وخبائث الكسوب واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم انما للحصر اي المحرم هذا دون البحيرة واخواتها وباقي الاية قد مر تفسيره ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هو منصوب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى الوحي او الى القياس المستنبط منه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كانه عين الكذب فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقوله وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام في لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم هو خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم

اسهى المدارك

ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب اي لا جل وصفكم الكذب ... وصفكم للكذب والمعنى انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب ... فليس لتحليلكم ولا لتحليلكم معنى الا الكذب فقط والمعنى ... الاية ثم يقول هذا حلال وهذا حرام الى ما نوا ... ونه ويحرمونه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ... الغفرة لمن تاب بعد المعصية فقال ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة قال مجاهد كل من عمل بمعصية الله فذلك منه بجهالة حتى يرجع عنه وقال الزجاج كل من عصى الله فهو جاهل ... كقوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد ما عملوا من الشرك ... تابوا من بعد ذلك السوء واصلحوا قال امنوا وصدقوا ... ان ربك من بعدها من بعد تلك الجهالة لغفور رحيم

واحدي

ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها للبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك
معارضة لحجة الله تعالى على الخلق أيضا أي ولقد جاء أهل تلك القرية رسول منهم أي من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم
بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون فكذبوه في رسالته أو فيما أخبرهم به مما ذكر فالفاء
فصيحة وعدم ذكره للإيذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم فأخذهم العذاب المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا نبذة
من ذلك وهم ظالمون أي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين
عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد
وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري على سنة الله تعالى حسبما يرشد إليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وبه يتم التمثيل فإن حال أهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة أو لمن سار بسيرتهم كافة محاذية لحال أهل
تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف
الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم وأي رسول
يحار في إدراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بأنعم الله وكذبوا
رسوله صلى الله عليه وسلم فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث أصابهم بدعائه بقوله اللهم أعني عليهم بسبع كسبع
يوسف ما أصابهم من جدب شديد وأزمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم إلى أكل الجيف والكلاب الميتة والعظام
المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب هو الذي يقتضيه
المقام ويستدعيه حسن النظام وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لأهل مكة
قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر مثلهم وأن المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم
من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم
عما يؤدي إلى مثل عاقبته والمعنى وإذ قد استبان لكم حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك
من اللتيا والتي أولا وآخرا فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم
مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى وأطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه
حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران
والفاء في المعنى داخلة على الأمر بالشكر وإنما أدخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل
فاشكروا نعمة الله غب أكلها حلالا طيبا وقد أدمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في أن هذا إنما يتصور
حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعدما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر
ومن ذا الذي يؤمر بالأكل والشكر وحمل قوله تعالى فأخذهم العذاب وهم ظالمون على الإخبار بذلك
قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالأمر والنهي وتوجيه خطاب الأمر بالأكل إلى المؤمنين مع أن
ما يتلوه من خطاب النهي متوجه إلى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا أنتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله
من الغنائم مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل إن كنتم إياه تعبدون أي تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون
بعبادة الآلهة عبادته تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به تعليل لحل ما أمرهم بأكله
مما رزقهم أي إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها فمن اضطر بما اعتراه
من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ أي على مضطر آخر ولا عاد أي متجاوز قدر الضرورة فإن ربك
غفور رحيم أي لا يؤاخذ بذلك فأقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية إيماء إلى علة الحكم وفي
الإضافة إلى ضميره عليه السلام من إظهار كمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بإنما لحصر المحرمات في الأجناس الأربعة
إلا ما ضم إليه كالسباع والحمر الأهلية ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ولا تقولوا
لما تصف ألسنتكم اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات أي لا تقولوا في شأن
ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا
من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده إلى وحي أو قياس مبني عليه الكذب
منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل منه ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول
أي لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وأن يكون القول المقدر حالا من ألسنتهم أي قائلة
هذا حلال وهذا حرام

غبا

التباسهم

ويجوز أن ينتصب الكذب بتصف ويتعلق هذا حلال وهذا حرام بالكذب
واللام للتعليل وما مصدرية أي لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم
الكذب وتصويرها للكذب بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كأن
ألسنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه
ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على
طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة
وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الذم
أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا
ذكره ابن جني لتفتروا على الله الكذب فإن مدار الحل والحرمة
أمر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله سبحانه
من غير أن يكون ذلك منه واللام لام العاقبة إن الذين يفترون على الله
الكذب في أمر من الأمور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التي
ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم
فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الآخرة عذاب أليم
لا يكتنه كنهه انتهى أبو السعود رحمه الله

قانتاً مطيعاً له بما وامره حنيفاً مائلاً عن كل دين باطل لا مائلا الى دين الاسلام لقوله تعالى ولكن كان حنيفاً مسلماً
ولم يك من المشركين اى لم يكن من عبدة وهم وهذا فى سياق النفى ابلغ من لم يشرك والمراد استمرار النفى لا نفى
الاستمرار فمفهوم كان متقدم على مفهوم لم فى الاعتبار وانما نفى عنه عليه السلام الشرك على ابلغ وجه لكفار قريش
فى زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم عليه السلام وترغيبا لهم الى التوحيد ودين الاسلام شاكراً لانعمه يجوز ان يكون خبرا
ثانيا او حالا من احد الضميرين فى قانتا وحنيفا لانعمه انما جاء بلفظ القلة للتنبيه على انه عليه السلام كان لا يخل
بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة هذا ما يجب جليل النظر والذى يجب دقيقة انه للتنبيه على صعوبة
الشكر بالاشارة الى عجز البشر عن الشكر للكثير من نعمه فضلا عن الشكر لكلها وذلك انه عليه السلام مع جلالة
قدره لما كان قاصرا عن شكر النعم الكثيرة فغيره اولى بالقصور عنه وانما قلنا انه لما كان قاصرا لان المقام
مدحه بما كان فيه من الاوصاف الكاملة فلولا القصور عنه لكان المذكور على صيغة جمع الكثرة اجتباه اختاره
واختصه لنفسه والاجتباء هو ان يأخذ الشئ بالكلية واصله جمع الماء فى الحوض وهو الجابية حال او خبر آخر
وهداه الى صراط مستقيم ارشده الى طريق الحق انتهى باختصار

وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اى بقوله تعالى حرمنا كل ذى ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات
فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت
عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم الآية ولقد الفهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه عليه السلام لما قال
لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر
فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اى من بعد
عملوا ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة واصلحوا اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا فى
الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا
وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مع ظهور الاثر فى التائبين للايماء الى ان افاضة آثار الربوبية
من المغفرة والرحمة عليهم بتوسط عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان
امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة فى امة جمة حسبما قيل ليس
من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق
جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين
القاطعة والحجج الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هى فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا
يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب
تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان
حقيقة دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين فى امر من امور
دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره ردا على كفار قريش فقط فى قولهم نحن على ملة ابينا
ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله فى افترائهم وادعائهم انه عليه السلام ٥٥٥

٥٥٥ كان على ما هم عليه كقوله سبحانه وتعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة
للايذان بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه صلى الله عليه وسلم
على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام
بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء انتهى ابو السعود

وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
في سورة الانعام يعني وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم
ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم
عقوبة على معاصيهم ثم ان ربك للذين عملوا السوء
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم و
مرادهم لذة الهوى لا عصيانا فلكونه ثم تابوا من
بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم • ان ابراهيم كان امة انه كان
وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير
كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم
في واحد • وعن مجاهد رحمه الله كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار • او كان امة بمعنى مأموم
يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير قانتا هو القائم
بما امره الله تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان
معاذا كان امة قانتا لله تعالى فقيل له انما هو ابراهيم
عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير • و
القانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك
وقال عمر رضي الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت
لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون
حنيفا مائلا عن الاديان الى ملة الاسلام و
لم يك من المشركين نفى عنه الشرك تكذيبا
لكفار قريش لزعمهم انهم على ملة ابراهيم و
حذف النون للتشبيه بحرف اللين شاكرا لانعمه
روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم
ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم علة الجذام
جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى على انه
عافاني واجتباه اصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
الحنفية

قوله من ظفر اي ماله اصبع من دابة او طاير ويدخل فيه الانعام
اي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم نحرم
من البقر والغنم الا الشحوم قوله الا ما حملت ظهورهما
الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة او الحوايا
او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو الالية
او المخ ذلك جزيناهم اي جزيناهم ذلك ببغيهم بسبب ظلمهم
وانا لصادقون فيما اخبرنا
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك
اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا الآية
من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون فحرمنا عليهم ببغيهم وهو قوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه
كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين
عملوا السوء يعم الافتراء على الله تعالى وغيره بجهالة
بسببها او ملتبسين بها وتنكيرها للابهام لتشمل
عدم العلم بالله تعالى وصفاته وعقابه وثوابه وعدم
التدبر للعواقب بسبب الغفلة اللازمة للانهماك
في الشهوات ومتابعة الهوى في طلب اللذات ثم تابوا
قد دل ثم بالتراخي الا انها قد تستعار للتراخي في الرتبة
ولهذا زاد قوله من بعد ذلك السوء واصلحوا اي تاب
عنه وندم عليه وعزم ان لا يعود اليه واصلح العمل في
المستأنف ان ربك من بعدها من بعد التوبة واما
الاصلاح فهو تكميل للتوبة لا انه شيء آخر ولهذا
لم يذكر في قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم
وانما اعيد ان ربك على سبيل التاكيد لطول الكلام و
وقوع الفصل لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على
الانابة المستتبعة للعمل الصالح ان ابراهيم كان امة
اي كان وحده امة لحصول الكمالات والفضائل التي
لا تكون الا متفرقة في امة كثيرة مجموعة فيه ليس من
الله تعالى بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس
الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة عقب ذكره
بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في
النبوة وتحريم ما احله الله تعالى او لانه عليه السلام
كان وحده مؤمنا وسائر الناس كفارا وقيل هي
فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا
قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يأمّونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما ٥

قوله ان ابراهيم كان امة قال اكثر المفسرين معلما للخير قانتا مطيعا لله حنيفا قال ابن عباس رضي الله عنهما
انه اول من اختتن واقام المناسك وضحى فهذه صفة الحنيفية وفي حديث فروة بن نوفل الاشجعي
قال كنت جالسا عند عبد الله بن مسعود فقال ان معاذ بن جبل كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين قلت غلط ابن عبد الرحمن فقال يا ابا عبد الرحمن انما قال الله ان ابراهيم كان امة قانتا قال
فاعادها فعرفت انه تعمد الامر تعمدا فسكت فقال اتدري ما الامة الذي يعلم الناس الخير
وكان مطيعا لله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولم يك من المشركين اخلص لله التوحيد
صبيا وكبيرا شاكرا لانعمه اجتباه اختاره للنبوة وهداه الى صراط مستقيم وهو دين الحنيفية والله اعلم

وآتيناه في الدنيا حسنة هي اسم جامع لكل حالة جميلة فيتناول كل خصايصه المذكورة في النصوص من الرسالة والخلة والملك والصديق وغير ذلك • والعدول من الغيبة الى التكلم للالتفات لتعظيم شانه وتفخيم ما اعطاه وانه في الآخرة لمن الصالحين المستحقين لكل منزلة رفيعة ودرجة عالية في الجنة لم تكن وجعلناه في الآخرة من الصالحين تنبيه على انه اثر ذلك الايتاء لامر آخر فتدبر ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم وفي لفظ اوحينا ثم الامر باتباع الملة لا اتباع ابراهيم عليه السلام ما يدل على انه عليه السلام غير تابع له بل هو مستقل بالاخذ عن اخذ ابراهيم عليه السلام • والخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم • وفيه اشارة الى ان من اجل ما اوتي خليل الله صلوات الله عليه واشرف ما اولي من النعمة والكرامة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من جهة ان ثم دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة عن سائر النعوت التي اثنى الله تعالى بها عليه • وفيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله ما لا يخفى على الفطن • وبهذا البيان اندفع ما عسى ان يتبادر الى الوهم من انه عليه السلام كان دون ابراهيم عليه السلام ولذلك امر باتباعه واتضح وجه ايثار فبهديهم على فبهم في قوله تعالى فبهديهم اقتده • والمراد من الاتباع الاتباع في اصول الدين لا في فروعه لقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته حنيفا ولما كان التوصيف بالحنيف في مقام التعليل للامر بالاتباع كان في معنى فانه مال عن الاديان الباطلة فقطعت عليه قوله وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت فرض عليهم تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد • السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها على الذين اختلفوا فيه على نبيهم • وذلك ان موسى عليه السلام امرهم ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فذاك اختلافهم في السبت فالزمهم الله تعالى السبت وشدد الامر عليهم وذكرهم هاهنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب تمييزا بينهم وفصلا لخصومتهم في محل الاختلاف • وهذا ظاهر في ان الاختلاف بين العاصين والمطيعين • ويشهد لذلك ما في سورة الاعراف من قوله تعالى واذ قالت امة منهم الآية فلا وجه لما قيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل

وآتيناه في الدنيا حسنة بنبوة واموال واولاد او ثناء الله تعالى بذكره فكل اهل دين يتولونه او قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في ثم تعظيم منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة في اتباع رسولنا ملته انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون روي ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما هو اهله

وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة • وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية في الجنة حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا

ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على يد الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته • وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له • وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة • ومهما نسب الى من يقيمه يسمى دينا • قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها • والمراد بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة • والمأمور به الاتباع في الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار • وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله تعالى انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ • فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع ابراهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة • وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة طويلة • وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء • وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير • وقد قرئ على البناء للفاعل • وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال من تعاد الاختلاف من الطرف المخالف للحق • وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب • وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به • هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي • وقد قيل المعنى انما جعل السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه وتعالى به • وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى • ووجه ايراده هاهنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله سبحانه وتعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسط حديث المسخ للانذار المذكور بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل • انتهى ابو السعود المتوكل رحمه الله

قوله ثم اوحينا اليك يا محمد ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا هذا يدل على ان دين محمد صلى الله عليه وسلم دين ابراهيم حيث امر باتباعه لسبقه الى القول بالحق والعمل به وقال عبد الله بن عمر امر باتباعه في مناسك الحج كما علم جبرئيل ابراهيم عليهما السلام والله اعلم

ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين • ويجوز ان يرجع الضمير الى صبرهم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم بانهم صابرون
الشدائد • وفيه ارشاد ذكرى انه ان صبرتم فهو مشيئتكم المعروفة • وفيه ترغيب في الصبر بالبالغ ثم صرح الامر به
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه عليه فقال واصبر ولما كان الصبر
في هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه ومعونته •
ولما ذكر هذا السبب الكلي الاصلي في حصول جميع الطاعات ذكر بعده ما هو السبب الجزئي القريب فقال ولا تحزن
ولا تك في ضيق مما يمكرون وذلك لان الاقدام على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب
لفوات نفع كان حاصلا في الماضي واليه الاشارة بقوله ولا تحزن عليهم فعلى احد اي ولا تحزن بفوات
اولئك الاصدقاء او على اعراض الكافرين عنك واما لتوقع ضرر في المستقبل واليه الاشارة بقوله
ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم ان الله مع الذين اتقوا المعاصي ويدخل فيه دخولا
اوليا استيفاء الزيادة والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل ويدخل فيه دخولا اوليا ترك
الانتقام فكانه قال ان اردت ان اكون معك بالفضل والرحمة والتربية فكن من المتقين المحسنين
وقيل الاولى اشارة الى التعظيم لامر الله تعالى والثانية الى الشفقة الى خلق الله تعالى تمت السورة المباركة
التي ذكر فيها النحل

ادع اي من بعثت اليهم من الامة كافة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع
اي يفعل الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود
الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة
ابراهيم عليه السلام • وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا
فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام
الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة
اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابات المقنعة
والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم • ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم
اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر
واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين
اليه بذلك • وهو تعليل لما ذكر من الامرين • والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى
هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه
من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازاحة عذر
الضالين • او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة
عليهما فالى الله سبحانه وتعالى اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال ومن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه • وتقديم
الضالين لما ان مساق الكلام لهم • وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة
الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات
وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وماليهما من العقاب والثواب • وبعد ما امره
عليه السلام فيما يختص به من شان الدعوة من الضالين والمهتدين مما امره به من وجه اللائق عقبه بخطاب
شامل له ولمن تابعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي
ان اكلت فكل قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم • وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق
اسم المسبب على السبب كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم
من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لاتكاد
تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه •• بعد

عن القبلة المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما ياتون ويذرون
وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون • وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت
عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة • وقيل انه صلى الله عليه وسلم
لما راى حمزة رضي الله عنه يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت
فكفر عن يمينه وكف عما اراده • وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا
بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه • والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في
تقييده بقوله تعالى وان عاقبتم حث على العفو تعريضا • وقد صرح به على الوجه الاكد فقيل ولئن صبرتم
عن المعاقبة بالمثل لهو اي لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء
عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة • ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل
فيدخل فيه صبرهم لدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره
تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي
على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق
في مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة • وفيه من تسليته صلى الله عليه وسلم وتهوين مشاق
الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه • او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية
من حيث اشتماله على غايات جميلة • وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط
ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع الياس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تاس على القوم الكافرين
وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان
في الغل والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج • ويجوز ان يكون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق مما يمكرون
اي من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التالم بمحذور من جهتهم آت • والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر
المامور به لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه
بمطلوب من قبلهم فات والثاني ••

بنزه نفسه متنزها عن كل ما سواه من التوغل في شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف
عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم
حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من
حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائرها كافة والمراد بالتقوى المرتبة
الثالثة منها الجامعة لما تحتها من التقوى عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك اعني التنزه
عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولايته تعالى المقرونة
ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية
وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او
الخوف من وقوعه وهو المعنى بتمام الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقرب ويتم التعليل كما في قوله
فاصبر فان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والاقتصار على التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا للنهي
عن العزائم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفه وانما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله
مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت
الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه
المتنافسون على ما فعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر و
التقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان
الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته
سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة
كون مضمونها شيمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين
اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن شايعه عبر
بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الامة به كقوله ان

لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اجرتكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الرأس
هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم
سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه
في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية
خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس

والحمد لله وحده
ابو السعود رحمه الله

الواحدي من القدماء في تفسير القرآن في تفسيره اخبرنا ابو عثمان سعيد بن محمد
الحيري انا ابو عمرو ومحمد بن جعفر الحيري نا ابراهيم بن شريك الكوفي نا احمد بن
نا سلام بن سليم نا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه
في دار الدنيا واعطي من الاجر كالذي مات فاحسن الوصية انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا
وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

كذا في الكشاف
وفي عيون الافاضل
رحمه الله

ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة هي التي لا تخفى عليهم
انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها او
بالقرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة و
موعظة حسنة • والحكمة المعرفة بمراتب
الافعال • والموعظة الحسنة ان تخلط الرغبة
بالرهبة والانذار بالبشارة وجادلهم بالتي
هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين من غير فظاظة او بما يوقظ
القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول
وهو رد على من يأبى في الدين ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ
القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي
الفعل الاول عقوبة والعقوبة هي الثانية
لازدواج الكلام كقوله جزاء سيئة سيئة
مثلها • فالثانية ليست بسيئة والمعنى
ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه
فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه • روي ان
المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا
بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبي
صلى الله عليه وسلم حمزة مبقور البطن
فقال اما والذي احلف به لأمثلن
بسبعين مكانك • فنزلت فكفر عن يمينه
وكف عما اراده • ولا خلاف في تحريم المثلة
لورود الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب
العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
الضمير في فهو يرجع الى مصدر صبرتم • و
المراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن
صبرتم لصبركم خير لكم • فوضع الصابرون
موضع الضمير ثناء من الله تعالى عليهم لأنهم
صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واصبر انت فعزم عليه بالصبر
وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن
عليهم على الكفار ان لم يؤمنوا او على المؤمنين
وما فعل بهم الكفار فانهم وصلوا الى مطلوبهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون

ضيق مكي • والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق •
ويجوز ان يكونا مصدرين كالقيل والقول و
المعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فانه
لا ينفذ عليك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
اي هو ولي الذين اجتنبوا السيئات وولي العاملين
بالطاعات وقيل من اتقى في افعاله واحسن في
اعماله كان معه في احواله ومعيته نصرته في
المأمور وعصمته عن المحظور انتهى المدارك

ادع حذف المفعول للتعميم • وفيه الاشارة الى بعثته الى الامة
والتنبيه على فضله صلى الله عليه وسلم على من تقدمه من الرسل • وفيه
تأكيد للتدارك الذي لف ذكره الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة • وهو الدليل القاطع الموضح للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة بالخطابات الاقناعية والعبر
النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد بها ما
ينفعهم • والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي
بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين
واختيار الوجه الايسر والطرق الاشهر فان ذلك اشد
تسكينا لشغبهم وتليينا لعريكتهم ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي ما عليك الا الدعوة
بهذه الطرق واما الهداية والمجازاة فليسا اليك فان الله
اعلم بهم • فمن علم هدايته كفاه القدر اليسير من الحكمة ان كان
مستعدا لها • والموعظة ان كان قابلا غير منكر والجدال
الحسن الدقيق ان كان منكرا منصفا ولا حيلة في هدايته
ان كان معاندا فكل امره الى من هو اعلم به فانه يجازيه •
وانما قدم الضال لان الكلام وارد فيهم والخطاب وارد معهم
وذكر مقابله بصيغة الفاعل لان التدارك والثبات ينافي حاله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره صلى الله عليه وسلم
بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من شايعه بمراعاة
الحق مع الخلق وملازمة طريق العدالة مع من يناصبهم لان الدعوة
لا تخلو عن المناوأة والمناصبة من حيث انها ترفع العادات
وتبعث على رفع المألوفات ويقدح في الاديان و
المعتقدات وتحكم على اهلها بالكفر والضلالة • روي ان
المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حمزة رضي الله عنه وقد مثل به فقال اما والذي احلف به
لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك • فنزلت
فكفر عن يمينه وفيه امر رخصة في المثلة بواحد ثم نسخت
المثلة وفيه حث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الا ومصرحا على الوجه الآكد
بقوله ولئن صبرتم

ابتداء في ليالي حج ١٧

سورة بني اسرائيل بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح بمعنى
التنزيه البليغ وذلك من جهة الاشتقاق من السبح وهو الابعاد
في الارض والنقل الى التفعيل والعدول عن المصدر الى الاسم
الموضوع له خاصة والعامل فيه الفعل الذي من معناه لا من
لفظه اذ لم يجئ من لفظه فعل فالتقدير انزه الله تعالى تنزيها
فوقع سبحان مكان تنزيها ولما كان حديث الاسراء مظنة ان
يذهب الوهم الى ان له تعالى زماني او مكاني صدره بما هو علم
في تبعيده تعالى عما لا يليق بشأنه ويجوز ان يكون كلمة سبحان
للتعجب بالنسبة الى التعجب الذي جرى بينه وبين افضل خلقه
الذي اسرى بعبده الاسراء سير الليل خاصة فقوله ليلا
لقطع مجاز السير خفية كما ان قوله يطير بجناحيه بعد قوله
ولا طائر لقطع مجاز السير السريع والتنكير لتقليل مدة
الاسراء فانه كما يدل على البعضية في الاجزاء دل على ذلك
قول الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز ان التنكير في حيوة
في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة للدلالة على ان تلك الحيوة
بعض حيوة المفهوم بقتله والثاني هو المراد ويشهد لذلك
قراءة من الليل اي بعضه وهذا الاسراء كان جسمانيا ولذلك
كذبت قريش به وفي عبارة البغداد[?] الى ذلك من المسجد الحرام
بعينه او من الحرم فانه مسجد كله الى المسجد الاقصى بيت المقدس
سمي اقصى لانه لم يكن وقتئذ مسجد وراءه الذي باركنا حوله
البركة وورود الخير وثبوته وهي دينية ودنياوية وكلاهما
مراد هنا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام
ومحفوف بالانهار والاشجار والالتفات من الغيبة الى
التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات لنريه من آياتنا
كقطعه مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس في برهة
من الزمان وتمثل الانبياء عليهم السلام له والوقوف
على مقاماتهم واما البراق وسرعة سيره فليسا منها
لانه صلى الله عليه وسلم رأى الاول قبل السير والثاني قبل
الوصول الى المسجد الاقصى فلا ترتب لرؤيتهما
على السير انه هو السميع بلا اذن والبصير بلا بصر
دل على ذلك صورة الحصر فلا يحتاج الى قرب المسموع
وحضور المبصر فلا يختص بمكان دون مكان فلم يكن
الاسراء لاجله بل لاجل عبده بدأ بعبارة التنزيه
وختم باشارته فتجاوب طرفا الكلام انتهى ابو الكمال

(لم يجئ من لفظه) (زد الشريف) (وورود الخير)

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم
للتسبيح بمعناه للرجل حيث كان المسمى معنى لا عينا
وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل زيد المعارك
او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار
تقديره اسبح الله سبحان الذي اسرى بعبده الخ
وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث
الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد
في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري

سورة الاسراء مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان تنزيه لله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل
وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح
الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده
ودل على التنزيه البليغ الذي اسرى بعبده
محمد صلى الله عليه وسلم وسرى واسرى لغتان ليلا
نصب على الظرف وقيده بالليل والاسراء لا يكون الا
بالليل للتأكيد او ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الاسراء
وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين
ليلة من المسجد الحرام قيل اسري به من دار ام هانئ
بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته
بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر
فقد قال صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل
بالبراق وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان
العروج به الى السماء من بيت المقدس وقد اخبر قريشا
عن عيرهم وعدد جمالها واحوالها واخبرهم ايضا
بما رأى في السماء من العجائب فانه لقي الانبياء عليهم السلام
وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء
قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة
رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية
مثله وعلى الاول الجمهور اذ لا فضيلة للحالم ولا مزية
للنائم الى المسجد الاقصى لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه
متعبد الانبياء ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار
والاشجار المثمرة لنريه اي محمدا صلى الله عليه وسلم من آياتنا
الدالة على وحدانية الله تعالى وصدق نبوته برؤيته
السموات وما فيها من الآيات انه هو السميع للاقوال
البصير بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب
والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم انه هو وهي على
طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انتهى كلامه

غايب، مخاطب، بالغائب، بالمتكلم

ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لانها ومع علميته الى
الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه
ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه
في قوله سبحان كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة
تقليل زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث
الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد
منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له
ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه
وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء
ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف
فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في
مبدا الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد
الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هانئ
بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فكان ما كان
فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه صلى الله عليه وسلم لتمنعه خشية ان يكذبه القوم
قال صلى الله عليه وسلم وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء
فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا
وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا
اتصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس
فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت
فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس
قد اشرقت فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا قاتلهم الله
انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضي الله عنه والحسن انه كان
قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل
بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا
او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج
بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير
بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة
بهذه المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة
ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع
طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام
متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان
فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم يكن فيستبعد
لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية
معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
عليهم السلام ٥

٥ لنريه غاية للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من [illegible]
مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك ٥ كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم
والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه [illegible]
انه هو السميع لاقواله صلى الله عليه وسلم بلا اذن البصير بافعاله بلا [illegible]
يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء
ليس الا لتكرمته صلى الله عليه وسلم ورفع منزلته والا فالاحاطة بافعاله
افعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة
لتربية المهابة انتهى [illegible]
رحمه الله [illegible]

٥ في كون
الذهاب المذكور
من جملة الآيات
منه

وآتينا موسى الكتاب اي التورية وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكرها هنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما يكتنفه كما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي آتيناه التورية بعد ما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه ان لا تتخذوا اي لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلوا اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا من اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان من بركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا اي اتممنا واحكمنا منزلين او موصلين اليهم الى بني اسرائيل في الكتاب اي في التورية فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم بسخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحد فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى المرتين والافراد اي حان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا اولي بأس شديد ذي قوة وبطش في الحرب هم سنحاريب ملك اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا خلال الديار في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة بحيث لا صارف عنه ولا مبدل له

قوله وآتينا موسى الكتاب ذكر الله تعالى في الآية الاولى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بان اسرى به ثم ذكر انه اكرم موسى عليه السلام قبله فقال وآتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل دللناه على الهدى ان لا تتخذوا وقرأ ابو عمرو بالياء لان المعنى هديناهم لان لا تتخذوا من دوني وكيلا من قرأ بالتاء فهو على الانصراف الى الخطاب بعد الغيبة مثل الحمد لله رب العالمين ثم قال اياك نعبد قال الزجاج ان لا يتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني ربا ذرية من حملنا مع نوح قال مجاهد هذا نداء والناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لان من حمل مع نوح في السفينة كانوا ابناءه وذريته ثم اثنى على نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا قال المفسرون كان اذا اكل طعاما او لبس ثوبا حمد الله فسمي عبدا شكورا

انتهى الواحدي

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه اي الكتاب وهو التورية هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا اي لا تتخذوا وبالياء ابو عمرو اي لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي اي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح انه اي نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروي انه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوة وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا آباء الابناء كذلك وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة والكتاب التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف او جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اولاهما قتل زكريا وحبس ارميا عليهما السلام حين انذر والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى عليهما السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله ان فرعون علا في الارض والمراد به البغي والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين فاذا جاء وعد اولاهما اي وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم سلطنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد اشداء في القتال يعني سنحاريب وجنوده او بخت نصر او جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فجاسوا خلال الديار ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشيء بالاستقصاء وكان وعدا مفعولا وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل

انتهى المدارك

وآتينا موسى الكتاب التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على بان لا تتخذوا كقولك كتبت ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلوا اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ بالتاء الفوقانية على النهي او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق وآباؤهم الى ان ذلك لكونهم اتباع نوح عليه السلام ثم قال في تعليل تلك الفضيلة الجليلة الثابتة له عليه السلام انه كان عبدا شكورا وفيه حث للذرية على الاقتداء به وقضينا احكم القضاء الاحكام والاتمام وانما قال الى بني اسرائيل في الكتاب لتضمين معنى الانزال اي اعلمنا اعلاما محكما متمما منزلا اليهم في التورية وتفسير القضاء بالوحي اياه كما لا يخفى على ذوي الالباب لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قال واقسمنا لتفسدن مرتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا عليه السلام وثانيهما قتل زكريا ويحيى عليهما السلام ولا وجه لما قيل ان المقتول في الاولى زكريا وفي الثانية يحيى لان الكرة الاولى ذكرها لم تتخلل بينهما ولتعلن علوا كبيرا هو غلبة العدوان منهم على المصلحين افراطا مجاوزا عن القدر والعلو لغة هو الغلبة بحق كان او باطل فاذا جاء وعد اولاهما اي وقته والوعد بمعنى الموعود وهو العقاب فلا حاجة الى التقدير بعثنا عليكم هذا البعث من قبيل تولية بعض الظالمين على بعض وكان على مقتضى الحكمة ولذلك اسنده تعالى الى نفسه دون الجوس الآتي ذكره فلا وجه لصرفه عن معناه الى معنى التخلية عبادا لنا سنحاريب وجنوده وقيل بخت نصر وقيل جالوت قطع اضافتهم عن نفسه لعدم استحقاقهم للتشريف بها والتنكير من التهويل يناسب المقام اولي بأس شديد ذي قوة وبطش في الحرب فجاسوا خلال الديار قرئ خلل وهو واحد الخلال كجبل وجبال ويجوز ان يكون الخلال ايضا واحدا اي ترددوا وتخللوا بين الدور في طلبكم للقتل والسبي وقرئ بالحاء وهما اخوان وكان وعدا مفعولا اي لا بد ان يفعل

انتهى ابو السعود

ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم اي على
بعثوا عليكم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم والنفير من ينفر الرجل ولا يلزم ان يكون من قومه
وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للامر ولا يلزم ان يكون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان جزائه لها
اي فالاساءة لها واللام للاستحقاق كما في قوله لهم
عذاب في الحيوة الدنيا ولا وجه للحمل على الاختصاص
لان نفع الاحسان وضرر الاساءة قد يتعديان الى الغير
على ما دل عليه الاخبار وشهد له الآثار واما الازدواج
فانما يصار اليه عند تعذر المعنى الحقيقي فاذا جاء وعد
الآخرة وقت موعود المرة الآخرة وجواب اذا محذوف
دل عليه جواب الاول اي بعثناهم وانما عطف بالفاء
مع انه من تفصيل المجمل والظاهر فيه العطف بالواو
للدلالة على ان مجئ وعد الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم
وثروتهم وذلك انهم لما ازدادوا عدة وعدة
ازدادوا عدوانا وطغيانا الى ان تكاملت اسباب القوة
ليسوءوا وجوهكم بياء الغائبة على الجمع اي ليسوء
هؤلاء وجوهكم وانما عدى المساءة الى الوجوه وان
كانت عليهم لان آثار الاعراض النفسانية انما يظهر
في الوجه وقرئ بياء الغائبة على الواحد والضمير للقراءة
التي ذكرها او لله تعالى للقراءة بالنون وفتح الواو
وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه
اول مرة وخربوه وليتبروا اي وليدمروا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه ومدة علوهم تتبيرا تفنيتا
ومنه التبر لفتات الذهب عسى ربكم ان يرحمكم وعد
من الله تعالى ان يكشف عنهم بعد المرة الآخرة وان عدتم
توبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا
فبعث الله تعالى عليهم نبيا عليه السلام هذا ما لهم في الدنيا
ثم ذكر ما لهم في الآخرة بقوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
محبسا ضيقا قال القشيري قدس الله سره تعالى للذين يغرس
حجر الكفر بعضه على بعض بالنسخ انتهى ابو الكمال

ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين
بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل
اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل
اعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل جالوت
وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
مما كنتم وهو تمييز جمع نفر او هو من ينفر
مع الرجل من قومه ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها قيل اللام بمعنى على
لقوله وعليها ما اكتسبت والصحيح انها على بابها
لان اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء
عمله حسنة كانت او سيئة يعني ان الاحسان
والاساءة مختص بانفسكم لا يتعدى النفع
والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت
الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد
المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا هؤلاء وجوهكم
وحذف لدلالة ذكره اولا عليه اي ليجعلوها
بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا ليسوء شامي وحمزة و
ابو بكر والضمير لله تعالى او للوعد او للبعث
لنسوء علي وليدخلوا المسجد بيت المقدس
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل ما
غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى
ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة
اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة
عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة
بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما سلط عليهم المؤمنون
الى يوم القيمة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
يقال للسجن محصر وحصير انتهى المدارك

ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم
ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من
الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ
بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك
انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده
كشتاسف بن لهراسب القى الله تعالى في قلبه الشفقة
عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال
عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت وامددناكم باموال

الكرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعدما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير
من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والعبيد ان احسنتم
اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك
الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها اوان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان
اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على وجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها
وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اساءت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة حان وقت
ما وعد من عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم
ليسوءوا ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى
سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون
العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة
واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة اي
في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا
ذلك بان سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان منا فقال لم تصدقوني
فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا
عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة
اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم
وقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب
الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد
وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها
ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم
بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم انتهى ابو السعود رحمه الله
وقوله عسى ربكم ان يرحمكم هذا مما اخبر الله تعالى به بني اسرائيل في كتابهم والمعنى لعل ربكم ان يرحمكم ويعفو عنكم
بعد انتقامه منكم يا بني اسرائيل ثم عاد الله تعالى عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم قال وان عدتم عدنا قال الحسن
ان عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة قال ابراهيم ثم عادوا فاعاد الله بالعرب
واحدي

ولتعلموا عدد السنين والحساب تعليل لمحو آية الليل اي لتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون
اليه منه او الحساب المتعلق بالاوقات على ان التعريف للعهد بقرينة عدد السنين او بنقص نور القمر وزيادته
فان معرفة السنة القمرية المعتبرة عند العرب بذلك وكل شيء كلمة كل للتنكير والتفخيم لا للاحاطة والتعميم كما سبق
اليه وهم من قال مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا كافيا والمقام مقام الامتنان
لا مقام الالزام والافحام كما سبق الى بعض الافهام [illegible]

ان هذا القرآن الذي آتيناكه يهدي اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى للتي للطريقة التي
هي اقوم الطرق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها ولما هي له والحصلة وتحوها
عن القصد المذكور بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لاسيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بالهداية
لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ويبشر المؤمنين بما في
تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بمقابلة
تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات وان الذين لا يؤمنون بالآخرة واحكامها المشروحة
فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة
التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم عذابا أليما وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم فيما كفروا به
وانكروا وجوده من الآخرة عذابا أليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة
معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله ان لهم داخلة معه تحت التبشير والمراد به مجاز مطلق الاخبار
المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب
او التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم وقوله ويدع الانسان بالشر
بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده
او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير
ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر
من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعماله
السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا
فانه في معزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه اللائق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده
عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه
نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الاعمال
وعلى الثاني ان القرآن يدعو الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو الله على نفسه واهله
وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه صلى الله عليه وسلم دفع الى
سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها
فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق
من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في اموره حق
التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين
شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية
التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه
من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات
القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار
وفيه تظهر غرر الشهور ولان الليل اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر
ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر
على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى
اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا آية الليل

اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اي محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون
ان نقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل ابداعها على
كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية
الجعل المذكور وما عطف عليه ليس مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة
الجعل وتتمة له وجعلنا آية النهار اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء
ظالمها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار نيراهما
القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس
شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها
بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله وجعلنا آية النهار كما اشير
جعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي
عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق
عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو آية الليل وجعل آية النهار
لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين
ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وسائر احوالهما عدد
السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي الحساب المتعلق
بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة
السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه
ذلك بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر
كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة
بل من حيث ان كل فرد من تلك الطائفة المعدودة يعدها اي يفنيها من غير ان يعتبر
ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية
بتكرر امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم
مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرر امثاله من غير ان يتحصل منه شيء كذلك
ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق
الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة
مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل
المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما
على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات
او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث
انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط
من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شيء

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة التي
أقوم الحالات وأسدّها وهي توحيد الله تعالى
والإيمان برسله والعمل بطاعته • أو للملة
أو الطريقة ويبشّر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ويبشُر حمزة وعلي أن لهم بأن لهم
أجرا كبيرا أي الجنة وأن الذين وبأن الذين
لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا أي أعددنا قلبت تاء
لهم عذابا أليما يعني النار • والآية ترد
القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر
المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر
الفسقة • ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير
أي ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه
وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو
يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل
وإن جل وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى طلب
كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه
تأني المتبصر أو أريد بالإنسان الكافر وأنه
يدعو بالعذاب استهزاء يستعجل به كما يدعو
بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا
يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحارث
قال اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة
من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وجعلنا الليل
والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة أي الليل والنهار آيتين في أنفسهما فيكون
الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة
العدد إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل
وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة • أو وجعلنا
نيّري الليل والنهار يريد الشمس والقمر
فمحونا آية الليل محا القمر حيث لم يخلق له شعاعا
كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بيّنة •

وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار
إلى التصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين
عدد السنين والحساب يعني حساب الآجال ومواسم
الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار
ولا استراح حراص المكتسبين والتجار وكل شيء
مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم
حجة علينا اسعى

أي الدال
إن هذا القرآن يهدي للتي للطريقة التي
هي أقوم الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أي بأن لهم أجرا كبيرا الفسق لا ينافي الإيمان ولا العمل
الصالح • فلا خروج للفسقة بأحد القيدين المذكورين
فلا حاجة إلى المكابرة بأن يقال كان الناس حينئذ إما مؤمن
تقي وإما مشرك • وإنما حدث الفاسق بعد ذلك
وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على أن لهم أجرا
والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
أعدائهم أعتدنا لهم عذابا أليما في زيادة أعتدنا ههنا
نبأ عن شدة الغضب في حقهم ويدع الإنسان حذفت
الواو من يدعو لفظا لاستقبال اللام الساكنة كما في قوله
سندع الزبانية • وحذفت في الخط أيضا لكنها غير محذوفة
معنى بالشر بدعائه على نفسه وأهله وماله عند
الضجر مما لا يحب أن يستجاب له دعاءه بالخير مثل دعائه
بالخير يعني أن القرآن يهديهم إلى ما فيه السلامة وهم يأتوا
الآن يأتوا بما فيه من الندامة • ثم ذكر أن ذلك من عدم
تثبته وقلة صبره فقال وكان الإنسان عجولا العجلة طلب
الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يقع فيه • والسرعة عمل الشيء
في أول وقته وجعلنا الليل والنهار آيتين يدلان على القادر
الحكيم بتعاقبهما على نسق يترتب عليه أمور دينية وأحكام
شرعية فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الفاء فصيحة كأنه
قيل وخالفنا بين الآيتين فجعلنا الآية التي هي الليل فمحوناه أي
عديم النور • والآية التي هي النهار مبصرة أي مضيئة أصل
مبصرة للناس من أبصر فبصر • فإن الإضاءة ملازم الإبصار
على أن الإضافة في الآيتين للتبيين • وقيل آية الليل القمر
ومحوه إخلاؤه عن النور فإنه ما يرى فيه نور الشمس وآية
النهار الشمس وإبصارها نورها الذي يقع به الإبصار
تعليل لجعل آية النهار مبصرة فضلا رزقا من ربكم والابتغاء الطلب
والمعنى لتقدروا ببياض النهار على تحصيل أسباب المعاش
وفي عبارة الفضل إشارة إلى أنه لا يجب على الله تعالى أن يرزق
عباده وإنما ذلك تفضلا ففيه حجة على المعتزلة ولتعلموا عدد
السنين والحساب

وكل شيء تفتقرون إليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه
من المنافع الدينية والدنيوية • وهو منصوب بفعل يفسره قوله فصلناه تفصيلا
أي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء • فظهر كونه هاديا للتي هي أقوم ظهورا بينا انتهى أبو السعود رحمه الله
قوله ويدع الإنسان هو أن الإنسان ربما يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب ... كما يدعو لنفسه بالخير
قوله فمحونا آية الليل أي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد ويروى
أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله تعالى جبرئيل فأمر جناحه على وجه القمر
وطمس عنه الضوء

وكل انسان الزمناه طائره اراد بالطائر حظه من الخير والشر
كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير
لما هو سبب الفرح والترح من قدر الله تعالى وعمل العبد
في عنقه خص العنق بالاضافة اليه من بين سائر
الاعضاء لان فيه يكون الزاين من القلائد والاطواق
والشاين من الاغلال والاوهاق فاستعير لمحل الزام
الخير والشر ونخرج له اللام للاختصاص يوم القيمة يعني
وقت الموت فانه القيمة الصغرى قال صلى الله عليه وسلم
من مات فقد قامت قيامته كتابا هيكلا مصورا
بصور اعماله يلقاه منشورا لظهور تلك الهيئات
فيه بالفعل مفصلة لا منطوية كما كانت قبل ذلك عند
كونها فيه بالقوة • وهما صفتان للكتاب او الاول
صفة والثاني حال من مفعول • وقرئ يلقاه على البناء
للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول
فيقرأه قارئا كان او غير قارئ لان الاعمال هناك متمثلة
بصورها وهيئاتها يعرفها كل احد لا على سبيل الكتابة بالحروف
فلا يعرفها الامي وهذا وجه ما روي عن قتادة يقرأ ذلك
اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا كفى بنفسك الباء مزيدة
للاشارة الى لصوق ذلك الوصف وارتباطه بها اليوم قدم
الظرف لتخصيص الحكم المذكور بذلك الوقت عليك حسيبا
حاسبا او كافيا • نصب على التمييز وتعديته بعلى لتضمنه
معنى الشهادة • وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه
الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا • وتقديم الصلة
للاشارة الى ان لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه عن الالتفات
الى غيره من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فجزاء اهتدائه
له ومن ضل فانما يضل عليها فوبال ضلاله عليها • واما ان
الغير لا ينفع باهتدائه ولا يتضرر بضلاله فلا دلالة فيما ذكر
عليه ولا صحة له ايضا لما قدمناه في تفسير قوله تعالى
ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولا تزر
وازرة وزر اخرى مر تفسيره في سورة الانعام وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا الجمهور على ان هذا في حكم
الدنيا خاصة وقال فرقة انه في حكم الدنيا والآخرة ذكره
القرطبي • وعلى كلا التقديرين لا دلالة فيه على انه
لا وجوب قبل الشرع اما على الاول فظاهر واما على الثاني
فلانه لا يلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل
منهما عليها • وانما نفي الكينونة دون البعث لان المراد الاخبار
عن عادته تعالى لا الوعد فعدم العذاب مقطوع به الى وقت
البعثة وكلمة حتى لبيان غاية الامن عن العذاب لا لبيان
غاية عدم العذاب حتى يتعين العذاب عند البعثة ولما ذكر تعالى انه لا يعذب احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك
علة اهلاكهم بعد البعثة وهي مخالفة امر المبعوث اليهم فقال واذا اردنا ان نهلك الآية
انتهى ابن الكمال

رد للقاضي

رد آخر

وكل انسان الزمناه طائره عمله في عنقه يعني
ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل للعنق
لا ينفك عنه ونخرج له يوم القيمة كتابا
يلقاه وهو صفة لكتابا • يلقاه شامي منشورا
حال من يلقاه يعني غير مطوي ليمكنه قراءته
او هما صفتان للكتاب ونقول له اقرأ كتابك
اي كتاب اعمالك • وكل يبعث قارئا كفى
بنفسك اليوم عليك الباء زائدة اي كفى نفسك
حسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق
من قولك حسب عليه كذا او بمعنى الكافي ووضع
موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي
المدعي ما اهمه • وانما ذكر حسيبا لانه بمنزلة
الشهيد والقاضي والامير اذ الغالب ان يتولى
هذه الامور رجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا • او يؤول النفس بالشخص من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
اي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال
ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل نفس
حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا
ان نعذب قوما عذاب استيصال في الدنيا
الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة
واذا اردنا ان نهلك قرية اي اهل قرية
امرنا مترفيها متنعميها وجبابرتها بالطاعة
عن ابي عمرو والزجاج ففسقوا فيها اي خرجوا
عن الامر كقولك امرته فعصى او امرنا كثرنا دليله
قراءة يعقوب آمرنا ومنه الحديث خير المال سكة
مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النسل فحق علينا
القول فوجب علينا الوعيد فدمرناها تدميرا
فاهلكناها اشد اهلاك انتهى المدارك

وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال مجاهد ما عمله من خير وشر • قال السدي ما كتب له من خير وشر • وقال الحسن
قتادة سعادته وشقاوته بعمله • قال مجاهد في رواية • الحكم مكتوب في ورقة معلقة في عنقه شقي او سعيد
ى الطائر ما طار له من خير او شر اي صار له عند القسمة من قولهم اطرت المال وطيرته بين القوم
ار لكل منهم سهمه اي صار له • وذكرنا ذلك عند قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله • قال الازهري والاصل
هذا ان الله تعالى لما خلق آدم عم علم المطيع من ذريته والعاصي فكتب ما عمله منهم اجمعين وقضى
سعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل منهم ما هو صائر اليه عند خلقه وانشائه
قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي ما طار له في علم الله تعالى بدئيا وفي عنقه عبارة عن اللزوم
لزوم القلادة العنق من بين ما يلبس وقد روي في هذه الاية حديث مشروح وهو اخبرنا احمد بن محمد
ي انا عبد الله بن محمد الحافظ نا محمد بن العباح نا عبد الله بن عمر نا محمد بن معلي نا عمرو بن صبح عن مقاتل بن
ن عن ابي الطفيل سمعت حذيفة بن اسيد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان النطفة التي يخلق
النسمة تطير في المرأة اربعين يوما واربعين ليلة لا يبقى منها شعر ولا بشر ولا عرق ولا عصب الا دخلت
ها انها لتدخل بين الظفر واللحم فاذا مضى لها اربعون يوما واربعون ليلة اهبطه الله تعالى الى الرحم وكانت
اربعين يوما واربعين ليلة ثم تكون مضغة اربعين يوما واربعين ليلة فاذا اتت لها اربعون
الله تعالى اليها ملك الارحام فيخلق على يديها لحمها ودمها وشعرها وبشرها ثم يقول اي رب صور فيقول
ن ما اصور اذكر ام انثى اجميل ام ذميم اجعد ام سبط اقصير ام طويل ابيض ام آدم
ام ناقص أسوي ام غير سوي فيكتب من ذلك ما يأمر الله تعالى به ثم يقول اي رب اشقي ام سعيد
كان سعيدا نفخ فيه بالسعادة وان كان شقيا نفخ فيه بالشقاوة في آخر اجله ثم يقول اكتب اثرها

وكل انسان ألزمناه طائره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب
ووكر القدر • او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا
في عنقه تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة
او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال • وقرئ بسكون النون • ونخرج له بنون العظمة • وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل
على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا
مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا او قطميرا • وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين • او حال من المفعول المحذوف
الراجع الى الطائر • وعلى الاخيرتين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان
منشورا وهما صفتان للكتاب • او الاول صفة والثاني حال منه • وقرئ يُلَقّاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان
اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك • فاما الذي عن يمينك
فيحفظ حسناتك • واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك
في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اي قائلين ذلك • عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا
قارئا • وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله • فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا يحدث
في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس و
القوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد
وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على
لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره • وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
الباء زائدة • واليوم ظرف لكفى • وحسيبا تمييز • وعلى صلته • لانه بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي • وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه • وتذكيره لان
الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال • او لانه مبني على تاويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس
الذات كقول جبلة بن حريث • يا نفس انك باللذات مسرور • فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرق ولزوم الاعمال لاصحابها
اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه
الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله
عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد
للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها
ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها • وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه • واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل منها • وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة
نفسه وتضرر بسيئته • فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له • وانما يصل الى من يشفع
جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون
انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال • وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا
يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص
آثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته • وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها
اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة • او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا ان
نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم
عن الضلال • ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه • والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب
الاستيصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي
من عموم افراده وايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي
لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح
كيف تاخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة انتهى ابو السعود رحمه الله

ويحملها بالطاعة والمعصية فيكتب من ذلك ما يأمره الله تعالى به ثم يقول الملائكة يا رب ما نصنع بهذا الكتاب فيقول علقوه
في عنقه الى قضاي عليه فذلك قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه والى هذا ذهب مجاهد كما ذكرنا عنه فاذا كان
يوم القيمة اظهر له ذلك الكتاب فهو قوله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل
بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ
سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة وهو قوله كتابا يلقاه منشورا
كقوله تعالى واذا الصحف نشرت وقرأ ابن عامر يُلَقّاه من قولهم لقيت فلانا الشيء اي استقبلته به قال الله تعالى
ولقاهم نضرة وسرورا قوله اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ ذا القول ههنا مضمر قال الحسن يقرأه اميا كان او غير
وقال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم حسيبا الحسيب المحاسب كالشريك والجليس قال
عدل والله عليك من جعلك حسيبا والمعنى ان الانسان يفوض اليه حسابه ليعلم عدل الله بين العباد ويرى
وجوب حجة الله عليه واستحقاقه العقوبة ثم ان كان مؤمنا دخل الجنة بفضل الله لا بعمله وان كان كافرا استوجب
بكفره قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي ثواب اهتدائه له ومن ضل فانما يضل عليها على نفسه عقوبة ضلاله
ولا تزر وازرة وزر اخرى قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الوليد بن المغيرة انا احمل اوزاركم فقال الله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى قال الزجاج ان الآثم والمذنب لا يؤاخذ بذنب غيره وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال قتادة
ان الله تعالى ليس معذبا لاحد حتى يبين له ما به وفي هذه الآية تدل على ان الواجبات انما تجب بالشرع لا بالعقل
ولا يجب شيء على احد قبل بعث الرسول واحدي رحمه الله
اي لا تحمل حاملة ذنب اخرى بطيب النفس ولكن يحمل عليها بالعصيان وقيل الا تؤاخذ نفس بذنب نفس اخرى
• اي قومنا بالهلاك

وقوله

وإذا أردنا أن نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد
بالإرادة تحققها بالفعل إذ لا يتخلف عنها المراد ولا الإرادة الأزلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته
المقدر له إذ لا يقارنه الجزاء الآتي بل دنوه وقتها كما في قوله تعالى أتى أمر الله أي وإذا دنا وقت تعلق
إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها بما ذكرنا من عذاب الاستيصال الذي بينا أنه لا يصح
قبل البعثة أو بنوع ما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب أعني عذاب الاستيصال لما لهم من الظلم وال
ذنوب يقتضيه الحكمة من غير أن يكون له حد معين أمرنا بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها مترفيها
متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الأمر إليهم أكد وعدم التعرض للمأمور به أما لظهور
أن المراد به الحق والخير لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي إليه وأما لأن
المراد وجد منا الأمر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها أي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول أي كلمة
الحق بحلوله أو بظهور معاصيهم أو بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير أهلها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف
هذا هو المناسب لما سبق وقيل الأمر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم
وأفضى بهم إلى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال أمرت الشيء فأمر أي كثرته فكثر وفي الحديث
خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج ويعضده قراءة آمرنا وأمّرنا من الإفعال و
التفعيل وقد جعلتا من الإمارة أي جعلناهم أمراء وكل ذلك لا يناسب المقام الزجر عن الضلال
والحث على الاهتداء فإن مؤدى ذلك أن طغيانهم منوط بإرادة الله تعالى وإنعامه عليهم بنوع
أبطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بأن يعبر عنه بالأمر به وكم أهلكنا أي وكثيرا ما أهلكنا من القرون بيان
وتمييز لكم والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون أو ثلاثون أو أربعون أو ثمانون أو مائة وقد أيد ذلك
بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة أو مائة وعشرون من بعد نوح بعد زمنه عليه السلام كعاد
وثمود ومن بعدهم ممن قصت أحوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام في ذلك القرون المهلكة
لظهور أمرهم على أن ذكره عليه السلام رمز إلى ذكرهم وكفى بربك أي كفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها
وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الأعمال الظاهرة
أو لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات أيضا وفيه إشارة إلى أن البعث والأمر وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم
بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما هو لقطع الأعذار وإلزام الحجة من كل وجه من كان يريد
بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كأعمال البر أو بطريق ترتب المعلولات على العلل كالأسباب
أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفرة وأكثر الفسقة وعلى الثاني أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا
والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير أن يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان
مع الاقتصار على مطلق الإرادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبإرادتها إرادة ما فيها من فنون مطالبها
كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحيوة العاجلة كقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
لكن الأول أنسب بقوله تعالى عجلنا له فيها أي في تلك العاجلة فإن الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فالأنسب بذلك كلمة من
كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء أي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له
بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير لله تعالى
وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن أراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة
والإرادة لما أن الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا يقتضي وصول كل طالب إلى مرامه ولا استيفاء كل واصل
لما يطلبه بتمامه وأما ما يتراءى من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل إلى نتيجة أعماله فقد أشير إلى تحقيق القول فيه في سورة هود
بفضل الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من أصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير
أو من جهنم أو استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال إن السورة مكية سوى آيات معينة
انتهى أبو السعود رحمه الله

وفي المعالم في قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية
أمرنا مترفيها الآية قرأ مجاهد أمّرنا بالتشديد
أي سلطنا شرارها فعصوا وقرأ الحسن
وقتادة آمرنا بالمد أي أكثرنا والباقون
مقصورا مخففا أي أمرناهم بالطاعة فعصوا
ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء و
يحتمل أن يكون بمعنى أكثرنا يقال أمرهم الله تعالى
أي أكثرهم وفي الحديث خير المال مهرة مأمورة
أي كثيرة النسل يقال منه أمر القوم يأمرون
أمرا إذا كثروا وليس من الأمر بالفعل فإن الله تعالى
لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال
لأن المعاني الثلثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة
والكثرة
انتهى

وكم مفعول أهلكنا من القرون بيان لكم من
بعد نوح يعني عادا وثمود وغيرهما وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا وإن أخفوها في الصدور
بصيرا وإن أرخوا عليها الستور من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لا ما يشاؤه لمن
نريد بدل من له بإعادة الجار وهو بدل
البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى من أي من
كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة
تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد
فقيد المعجل بمشيته والمعجل له بإرادته و
هكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون
ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليه فقر
الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد
اختار غنى الآخرة فإن أوتي حظا من الدنيا فبها و
إلا فربما كان الفقر خيرا له ثم جعلنا جهنم في الآخرة
يصليها يدخلها مذموما ممقوتا مدحورا مطرودا
من رحمة الله تعالى انتهى المدارك

قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها قال
مجاهد أكثرنا فساقها وهو قول عكرمة وسعيد بن جبير
يقال أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله أي أكثرهم
وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير آمرنا بالمد وهي
اللغة العالية يقال أمر القوم وأمرهم الله أي أكثرهم
ونحو هذا روى خارجة بن نافع انتهى ما في الواحدي

وإذا أردنا أن نهلك قرية أي إذا تعلق إرادتنا في
الأزل بإهلاك قرية بما فيها في وقت مخصوص أمرنا أي وجد
منا الأمر قبل مجيء ذلك الوقت مترفيها متنعميها خصهم
بالذكر مع عموم الأمر للفريقين بدلالة أن الكلام في بيان
سبب استحقاق أهل القرية لعذاب الاستيصال لأنهم
الرؤساء المتبوعون ولأنهم مأمورون بنوعي العبادة
البدني والمالي ففسقوا فوجد الفسق وهو الخروج عن
الطاعة منهم أي من أهل القرية كلهم لما نبهت على أن غير
المترفين أيضا مأمورون لكنه استغنى بذكر المترفين عن
ذكرهم كما استغنى بذكر الملائكة عن ذكر الجن في قوله تعالى وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا على ما تحقيقه في سورة البقرة وقرئ أمرنا
يعني كثرنا القول الأول القديم بكسر الميم أي كثر وأمرهم الله بالفتح
أي كثرهم فصارت الحركة مما يصير به الفعل متعديا كما في شترت
بكسر التاء وشترها الله بفتحها ويؤيده قراءة آمرنا بالمد وأمّرنا
بالتشديد فيها فيه دلالة على أن هلاك نفس القرية أيضا
داخل تحت المراد فلا مجاز في لفظ القرية كما لا مجاز
في الإرادة واللام فحق عليها أي على القرية بما فيها القول
هو وعيد الله تعالى الذي قاله رسولهم عليهم السلام
فدمرناها التدمير الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء
مع إهلاك أهلها تدميرا ذكر المصدر للمبالغة في العذاب
الواقع بهم وكم أهلكنا كم في موضع نصب بأهلكنا ومن
القرون بيان لكم وتمييز له أي كثيرا من القرون أهلكنا من
بعد نوح خصه بالذكر لأنه أول من حلت بقومه عقوبة
الاستيصال وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك
بواطنها وظواهرها فيعاقب عليهما وتقديم الخبير لتقدم
متعلقه من المعتقدات والنيات فإنها أقدم على الأعمال
الظاهرة التي متعلقات البصير والعقاب عليها أشد
والعفو عنها أقل من كان يريد العاجلة من استمر على
إرادة الدار العاجلة ولم ينقطع عنها دل على ذلك
زيادة كان هنا دون قسيمه وأما اعتبار قصر الإرادة
عليها بمعونة المقابلة فيرده عدم صحة اعتباره في المقابل
ولا وجه للتخصيص مع الاشتراك في العلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والإرادة على اختلاف العبارة لأنه لا يجد كل مريد ما أراده ولا كل واجد جميع مراده
وحاصل الكلام أن حصول المرام موقوف على مشية الله تعالى وأما أنه لا دخل للهمم والإرادة فلا دلالة عليه فإنه يجوز أن يكون
من الأسباب العادية ومشية الله تعالى إنما يتعلق بشيء بعد تمام الأسباب فيه العادية إلا في خوارق العادات ولمن نريد
بدل بدل البعض من الكل وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى ليطابق المشهورة ثم جعلنا صيرنا جهنم يصليها حال من الضمير في له
أو في جهنم مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى انتهى ابن الكمال

فيه رد لصاحب الكشاف والقاضي

فيه رد لصاحب الكشاف والقاضي

فيه رد للقاضي

فيه رد لصاحب الكشاف ومن تبعه وصاحب الكشف

فيه رد للقاضي

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو
الاتيان بما امر والانتهاء عن المناهي بالجد قال الراغب
السعي المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد
في الامر خيرا كان او شرا وفائدة اللام اعتبار النية
والاخلاص وهو مؤمن هو الشرط الاعظم فلا ينفع السعي
الا به فاولئك اشارة الى من اتصف بهذه الاوصاف
كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه
كلا كل الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد الامداد
المواصلة بالشيء هؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا بدل
تفصيل من عطاء ربك متعلق بنمد والعطاء بمعنى المعطى
وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا عن عباده مؤمنا كان
او كافرا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في العطاء وانتصاب
كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات من درجات
الدنيا ودرجات منصوب على التمييز واكبر تفضيلا اي التفاوت
فيها اكبر لانه بالجنة ودرجاتها وبالنار ودركاتها لا تجعل مع الله
الها اخر الخطاب للانسان او للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
والجعل بمعنى التصيير بالعقد فتقعد فتبقى عاجزا فان القعود
مما يكنى به عن العجز مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم
من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى انتهى بيضاوي

ومن اراد بعمله الاخرة الدار الاخرة وما فيها من النعيم
وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر
والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية
للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك
اشارة الى الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة
وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى
ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع
اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني
ارادة الاخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا
مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق
المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا
التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين
لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد
اي نزيده مرة بعد اخرى بحيث يكون الانف مددا للسالف
وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة
وما اعد للاخر من العطايا الاجلة المشار اليها بمشكورية
السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا
واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه ○

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها مفعول به او حقها
من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة وهو
مؤمن مصدق لله في وعده ووعيده فاولئك
كان سعيهم مشكورا مقبولا عنده مثابا عليه
عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه
عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب
وتلا الاية فانه شرط فيها ثلاث شرائط في
كون السعي مشكورا ارادة الاخرة والسعي
فيما كلف والايمان الثابت كلا كل واحد من
الفريقين والتنوين عوض عن المضاف اليه
وهو منصوب بقوله نمد هؤلاء بدل من كلا اي
نمد هؤلاء وهؤلاء اي من اراد العاجلة ومن
اراد الاخرة من عطاء ربك من رزقه ومن
متعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى اي نزيدهم
من عطائنا ونجعل الانف منه مددا للسالف
لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على
وجه التفضل وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا
من عباده وان عصوا انظر بعين الاعتبار كيف
فضلنا بعضهم على بعض في المال والجاه والسعة
والكمال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
روي ان قوما اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه
فخرج الاذن من عمر رضي الله عنه لبلال وصهيب
فشق ذلك على ابي سفيان فقال سهيل بن
عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا
يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب
عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن حسدتموهم
على باب عمر فما اعد الله تعالى لهم في الجنة اكثر لا تجعل
مع الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
امته فتقعد مذموما مخذولا فتصير على نفسك
الذم والخذلان وقيل مشتوما بالاهانة مخذولا
عن الاعانة اذ الخذلان ضد النصر والعون
دليله ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
ذا الذي ينصركم من بعده حيث ذكر الخذلان بمقابلة
انتهى المدارك

ربك هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة
متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذوات فقط كالاضمار وفيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه
المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء
ربك اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور
ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر
اظهارا لمزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب
المشيئة المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين
والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية
العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخر اي انظر بنظر الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وصالع وضليع ومالك
ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الاجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة
الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللاخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ
اكثر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها
كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به
الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص
ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا
يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط
من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره
انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض اخرهما وللاخرة اكبر الاية واعتبار عدم
المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه
ينفي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له
فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب
التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان اي
جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة انتهى ابو السعود

الواسع

يفصح

وقيل اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرئ بالفتح على التخفيف
وقرئ منونا وبالضم للاتباع والنهي عن هذه اللفظة الدالة على التضجر والتبرم يفصح عن النهي عن سائر أنواع الأذى
بطريق الدلالة وقال الأصمعي الأف وسخ الأذن والتف وسخ الأظفار فكثر استعماله حتى ذكر في كل ما
يتأذى به وعلى هذا يكون النهي عن الكل بطريق العبارة ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظ وقل لهما قولا كريما
وهو السالم عن كل عيب واخفض لهما جناح الذل أي قل لهما قولا كريما بدل القول اللئيم وهو أف وافعل
الفعل اللطيف بدل الفعل العنيف وهو النهر نهى عن قول وفعل وأمر بقول وفعل بدلا عنهما وفي تقريره
وجهان أحدهما أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك ذلك خفض جناحه فصار
خفض الجناح مجازا مرسلا مرتبا على الكناية عن فعل التواضع والثاني أن الطير إذا ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه
فخفض الجناح في الأصل كناية عن حسن التدبير فكأنه قيل للولد اكفل والديك بضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك
حال صغرك ويرشدك إلى هذا قوله كما ربياني صغيرا ويقوي الأول إضافة الجناح إلى الذل بطريق الاستعارة
التخييلية وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد من الرحمة من فرط رحمتك إليهما حيث افتقرا إلى من كان أفقر خلق الله تعالى
إليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية والكفر لا يمنع عن
جواز الدعاء لأن الهداية إلى الإيمان من جملة الرحمة بل معظمها وصحة التشبيه في قوله كما ربياني صغيرا باعتبار أن
التربية صغيرا لا يكون إلا عن رحمة فذكر تلك التربية وذكر الرحمة اقتضاء فكأنه قال كما رحماني وربياني صغيرا
وبالعبارات المذكورة نبه على الموصية للإحسان إليهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيرا وتلك الحالة مما
يزيده إشفاقا لهما ورحمة إذ هي تذكير بحاله احتياجه لهما وقت أن لا يقدر على الإحسان لنفسه ابن كمال

وقضى ربك أي أمر أمرا مبرما وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك أن لا تعبدوا أي بأن لا تعبدوا إلا إياه على أن أن
ولا نافية أو أي أن لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام
وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين أي وبأن تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما إحسانا لأنهما السبب الظاهر للوجود
والتعيش إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل
الفعل نون التأكيد ومعنى عندك كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتنبيه
إلى وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول
لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل
إلى جعل كلاهما تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن
التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل
هذا المرام فلا تقل لهما أي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع أف وهو صوت ينبئ عن تضجر أو اسم
هو أتضجر به وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون أي لا تتضجر بما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه إظهارا للاعتناء بشأنه
فقيل ولا تنهرهما أي لا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ قيل النهي والنهر والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما
ذا كرم إذ هو وصف له بوصف صاحبه أي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب
ويستدعيه النزول عن المروءة مثل أن يقول يا أبتاه يا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه يا أبت مع
ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر
الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك
مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن
النبي صلى الله عليه وسلم أن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن إلانة الجانب
والتواضع والتذلل لهما فإن إعزازهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل أو جعل له
جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها للقرة زماما وللشمال يدا
تشبيها له بطائر يخفض جناحه لإفراخه تربية لها وشفقة عليها وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران
كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم

على الأول
على الثاني

إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية
وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جملتها الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك
كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما لي أو مثل
رحمتهما لي على أن التربية رحمة ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر
أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعريض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء
كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز أن يكون الكاف للتعليل أي
لأجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث
افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق
الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات
الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة
بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي
يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل
الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في
الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل
ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ابني هذا له مال كثير
وإنه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أبياتا
ما قرع سمع مثلها فاستنشدها فأنشدها الشيخ فقال عذوتك الخ صح

وقضى ربك وأمر أمراً مقطوعاً أن لا تعبدوا إلا إياه
أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا و
بالوالدين إحساناً وأحسنوا بالوالدين إحساناً
أو بأن تحسنوا إحساناً إما يبلغن عندك الكبر
إما هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها ولذا
دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن
لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيداً يكرمك
ولكن إما تكرمنه أحدهما أو كلاهما عطف على أحدهما
فاعلاً وبدلاً فلا تقل لهما أفٍّ مدني وحفص أفَّ
مكي وشامي أفُّ غيرهم وهو صوت يدل على تضجر
فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف
والتنوين لإرادة التنكير أي أتضجر تضجراً وتركه
لقصد التعريف أي أتضجر التضجر المعلوم ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر
أخوان وقل لهما بدل من التأفيف والنهر قولاً كريماً
جميلاً ليناً كما يقتضيه حسن الأدب أو هو أن يقول
يا أبتاه يا أماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من
الجفاء ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة
رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وفائدة عندك
أنهما إذا صارا كلاً على ولدهما ولا كافل لهما غيره
فهما عنده في بيته وكنفه (أي عيالاً) وذلك أشق عليه فهو
مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول
لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما أف فضلاً عما
يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه وتعالى في الوصية
بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده
ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى
كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع
أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها واخفض لهما
جناح الذل أي اخفض لهما جناحك كما قال واخفض
جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود

والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل من الرحمة من فرط
رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى
من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس وقال الزجاج وألن
جانبك متذللاً لهما من مبالغتك في الرحمة عليهما وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيراً ولا تكتف برحمتك عليهما التي
لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل
ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب
غيره عليه السلام والدعاء مختص بالأبوين المسلمين وقيل إذا كانا
كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه
في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار
ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه
صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد
ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله
رب العالمين

المدارك النسفي رحمه الله

وقضى ربك أمر أمراً مقطوعاً به أن لا تعبدوا
بأن لا تعبدوا إلا إياه ويجوز أن يكون أن مفسرة ولا
ناهية قال القرطبي في مصحف عبد الله ووصى ربك وذكر أبو حاتم
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ووصى ربك فالتصقت إحدى
الواوين بالصاد فقرئت وقضى ربك إذ لو كان على القضاء
ما عصى الله أحد وقال الضحاك [illegible] ثم روى أبو حاتم أن يكون
ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا هذا لطعن الزنادقة
في مصحفنا وأما التعليل الذي نسبوه إليه فهو مناف
لما نقل عنه من أنه ليس قضاء حكم بل هو قضاء أمر وبالوالدين
وبأن تحسنوا بالوالدين إحساناً ويجوز أن يتعلق الباء بإحساناً
وقد مر في تفسير سورة الأنعام تحقيق وجه جواز تقدم صلة المصدر
إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما إما هي إن الشرطية زيدت
عليها ما تأكيداً لها ولذلك صح دخول النون المؤكدة في الفعل
وأحدهما فاعل يبلغن وبدل من الألف الراجع إلى الوالدين على
قراءة يبلغان وكلاهما عطف على أحدهما على الاحتمالين ولا احتمال
لأن يكون تأكيد الضمير يبلغان لا لكونه معطوفاً على البدل لأنه
لا يقتضي أن يكون بدلاً فإن عطف التأكيد على البدل سائغ
بل لأن فيه دلالة على أن التأكيد غير مراد في المقام لأن فائدة
تأكيد التثنية الشمول والإحاطة ولو قصدت تلك الفائدة
لما قيل أحدهما فالمانع ذكره لا عطفه على البدل وإنما قيد
بقوله عندك لأن مراعاة الأدب مع طول المصاحبة أشق
فكانت مظنة التقصير فتدورك وإنما خص حالة الكبر
لأن من بلغ لسوء خلقه فكان فيه تقوية لما ذكر آنفاً من
المظنة وإيضاحاً حالة يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما
بالضعف فلا تقل لهما أراد تعميم النهي لكل منهما لا تقييده
بحالة اجتماعهما لعدم تحملا أحد التقديرين أف صوت يدل على التضجر

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تعل بما أجني عليك وتنهل إذا ليلة ضافتك
بالسقم لم أبت لسقمك إلا باكياً أتململ كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت
به دوني وعيني تهمل فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل فليتك إذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت ومالك لأبيك
قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد
وأمر ربك ليس هو قضاء حكم وهو قول مجاهد والحسن وقتادة وعامة المفسرين
قال الفراء العرب تقول تركته يقضي أمور الناس أي يأمر فيها فينفذ أمره قال الله
وقضى ربك معناه أمر لأنه أمر قاطع حتم وبالوالدين إحساناً أي أمر بالوالدين
إحساناً أي أمر أن تحسنوا بالوالدين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال
أفضل قال الصلاة لميقاتها قال ثم أي قال بر الوالدين ولو استزدته لزادني وقال
صلى الله عليه وسلم من بر والديه طوبى له وزاد الله في عمره وعن أبي أسيد مالك بن
ربيعة الأنصاري قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني
سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة
عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي
لا توصل إلا بهما انتهى الواحدي

أبو السعود

ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب
لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح فانه كان للاوابين الاواب
الراجع عن ذنبه بالتوبة غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر
من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما
لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته
اندراجا اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه
لما امر ببر الوالدين امر بصلة القرابة والحق هنا ما يتعين له
من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال
والمعونة بكل وجه والمسكين وابن السبيل قدر تغيرهما ولا تبذر
تبذيرا اصل التبذير التفريق من القاء البذر في الارض وهو
تفريق جنابته والفرق بينه وبين الاسراف ان الاسراف
تجاوز في الكمية وهو جهل بمقادير الحقوق والتبذير تجاوز
عن موضع الحق فهو جهل بمواقعها وكلاهما مذمومان وان الثاني
ادخل في الذم وينفصح عن التفاوت بينهما قوله ان الله لا يحب
المسرفين وقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اتباعهم
الملازمين لهم فان العرب تسمي الملازم للشيء اخا له فيقول
اخو المكارم اذا كان مواظبا عليها وكان الشيطان لربه كفورا
كثير الكفران لنعمه بجحود الحقوق ودخل كان فيه اخبار العادية
ومذهبه في القديم واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
اي ان اعرضت لك حالة اخرجتك الى الاعراض عن هولاء
المحتاجين لضيق يد انتظار الرزق ترجو من الله تعالى فقل لهم
قولا ميسورا فلا تدع تعهدهم بالقول الجميل والميسور من
يسر الامر مثل سعد ونحس وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سئل ولم يكن عنده ما يعطيه سكت انتظار الرزق
ياتي من الله تعالى كراهية الرد فنزلت هذه الاية فكان بعد ذلك
اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال رزقنا الله تعالى واياكم
من فضله وذلك قوله فقل لهم قولا ميسورا اي لا تسكت
فيكون ذلك ايحاشا لهم ولا تؤيسهم فيكون ايلاما لهم
ويجوز ان يتعلق ابتغاء رحمة بالجواب لان ما بعد الفاء
لا يعمل فيما قبلها في غير باب اما وما يلحق بها في المذهب
المنصور الا اذا اريد التعلق المعنوي فيضمن ما يتضمنه
ويجعل المذكور جاريا مجرى التفسير اسهبا بكماله

ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر والعقوق ان تكونوا صالحين
قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى
كان للاوابين اي الراجعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد
يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم تقصير او اذية فعلية
او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة
حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه
الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي
القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة

من نوع [illegible] ٤

ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى
الوالدين ومن النشاط والكراهة في خدمتهما ان
تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرط منكم
في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدي
الى اذيتهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان
للاوابين غفورا الاواب الذي اذا اذنب بادر الى
التوبة وجاز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت
منكم جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على
ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت
ذا القربى منك حقه اي النفقة اذا كانوا محارم فقراء
والمسكين وابن السبيل اي وآت هولاء حقهم من الزكوة
ولا تبذر تبذيرا ولا تسرف اسرافا قيل التبذير تفريق
المال في غير الحق والحل فعن مجاهد لو انفق مدا في باطل
كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فقال له صاحبه
لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة
لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم
لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف وكان
الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو
الا الى مثل فعله واما تعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا
اي وان اعرضت لفقد رزق من ربك ترجو ان
يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا
فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال
يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس
وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله تعالى واياكم من فضله
معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعا فيه يسر
وابتغاء مفعول له او مصدر في موضع الحال وترجوها حال
انتهى [illegible]

٢
عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة اي وآتهما حقهما
مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل من
[illegible] المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق
في غير موضعه ماخوذ من تفريق حبات والقائها كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في
صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط
فكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في
قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي
كانوا فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر
من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي او القارنة اي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان
لربه كفورا من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من
القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله
وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه
القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر
الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران
نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما
تعرضن عنهم اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك
اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى
لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم
بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم
انتهى ابو السعود رحمه الله
ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما يضمرون من البر والعقوق فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر
عقوقا غفر الله له ذلك وهو قوله تعالى ان تكونوا صالحين طائعين لله تعالى فانه كان للاوابين الراجعين عن المعاصي
التائبين عن الزلات غفورا يغفر لهم ما بدر منهم ثم حض على صلة القرابة وبر الاقارب فقال وآت
ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال الحسن هو ان يؤتيهم وان كان يسيرا ولا تبذر تبذيرا قال ابن مسعود
التبذير النفقة في غير حق قال عثمان بن الاسود كنت اطوف مع مجاهد حول الكعبة فرفع راسه الى ابي قبيس
فقال لو ان رجلا انفق مثل هذا في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين ولو انفق درهما واحدا في معصية الله تعالى كان
من المسرفين ان المبذرين المنفقين في غير طاعة الله كانوا اخوان الشياطين لانهم يوافقونهم فيما يدعونهم اليه
ويشاكلونهم في اجابة الشيطان الى ما سوّل له فهو من اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا جاحدا لانعمه وهذا
يتضمن ان المنفق في السرف كفور لربه فيما لكم حليه واما تعرضن عنهم عن هولاء الذين اوصيناك بهم من ذوي
القربى والمساكين وابن السبيل ابتغاء رحمة من ربك انتظار رزق ياتيك من الله تعالى والمعنى ان تعرض
عن السائل اضاقة واعسارا ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اي عدهم عدة حسنة قاله الفراء ومجاهد والكلبي
وقال ابن زيد قولا جميلا رزقكم الله قبلك يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل وليس عنده ما يعطي امسك
انتظارا لرزق ياتي الله به ويكره الرد فلما نزلت هذه الاية كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله واياكم
من فضله ومعنى الميسور اللين السهل
من تفسير الواحدي رحمه الله
واما تعرضن عنهم نزلت في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه
ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزل واما تعرضن عن هولاء الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة
من ربك ترجوها انتظار رزق الله تعالى ترجوه ان ياتيك فقل لهم قولا ميسورا لينا وهو العدة اي عدهم وعدا جميلا
وقيل القول الميسور ان تقول يرزقنا الله واياك معالم

فتقعد ملوما اي فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا احتجت وندمت على ما فعلت محسورا
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا بلغ منه • وما قيل من انه روي عن جابر رحمه الله انه قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا
فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه
وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت • فيأباه ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا
ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء ابن عباس
مرداس فانشاء يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان
مرداس في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه
عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من
الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده
خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم • ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر
العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض • فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا • وان يراد انه تعالى
يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط • وان يراد انه تعالى
يبسط ويقدر حسب مشيته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق اي مخافة فقر • وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم
لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم • وتعليل للنهي المذكور بابطال
موجبه في زعمهم • وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم
في افاضة الرزق • او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز • ولذلك قيل من املاق • وههنا الاملاق
المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه
واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم
والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما • وقرئ بالفتح ذات سكون • وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر
وقيل بمعنى ضد الصواب • وبكسر الخاء والمد • وبفتحها ممدودا • وبفتحتين وحذف الهمزة • وبكسرها كذلك
ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته • وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق
ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه • ولان قربانه داع الى مباشرته • وتوسيط النهي عنه بين النهي
عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب
فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا
اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن
كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقلع رجع
اليه • وقال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن • وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال صلى الله
عليه وسلم اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب
البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار انتهى ابو السعود

قال الواحدي في الوسيط في قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك • روى ابو الاحوص عن عبد الله بن مسعود
قال جاء غلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسألك كذا وكذا فقال ليس عندنا اليوم شيء قال فيقول لك
اكسني قميصك قال فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى لا تمسك يدك
عن البذل كل الامساك حتى كانها مقبوضة الى عنقك لا تنبسط بخير ولا تبسطها كل البسط قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي في النفقة والعطية وكانه نهى عن بذل جميع ما عنده حتى لا يبقى له شيء وقال مجاهد معنى التبذير والانفاق في غير حق
قوله فتقعد ملوما قال الكلبي تلوم نفسك وتلام محسورا قال ابن عباس ليس عندك شيء فقال المحسور المنقطع
الحسرة اذا افنيت جميع ما عنده ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء
انه كان بعباده خبيرا بصيرا حيث اجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم انتهى

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط كل نصب على المصدر لاضافته اليه
وهذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف • امر بالاقتصاد الذي بين الاسراف والتقتير فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس • يقول الفقير اعطى فلانا
وحرمني • ويقول الغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت
على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر اذا اثر فيه اثرا بليغا • او
عاريا من حسرته • وقد حاضرت مسلمة يهودية فأبت اخوة من موسى عليهما السلام
فبعثت ابنتها تسأله صلى الله عليه وسلم قميصا الذي عليه فدفعه
وقعد عريانا فاقيمت الصلوة فلم يخرج للصلوة
فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
ذلك ليس لهوان منك ولا لبخل به عليك ولكن
لان بسط الارزاق وقدرها مفوض الى الله
فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء فليس
البسط اليك ويقدر اي هو يضيق فلا لوم عليك
انه كان بعباده خبيرا بمصالحهم فيمضيها بصيرا
بحوائجهم فيقضيها ولا تقتلوا اولادكم قتلهم
اولادهم وأدهم بناتهم خشية املاق فقر
نحن نرزقهم واياكم نهاهم عن ذلك وضمن ارزاقهم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا اثما عظيما يقال خطئ
خطأ كاثم اثما خطاء بريد وهو ضد الصواب
اسم من اخطأ • وقيل هو والخطا كالحذر والحذر
خطاء علي ولا تقربوا الزنا القصر فيه اكثر والمد
لغة • وقد قرئ به وهو نهي عن دواعي الزنا كاللمس
والقبلة ونحوهما • ولو اريد النهي عن نفس الزنا
لقال ولا تزنوا انه كان فاحشة معصية مجاوزة
حد الشرع والعقل وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
انتهى المدارك

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
تمثيلان لمنع الشحيح واتلاف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد
الذي هو بين التبذير والامساك البليغ • واما الكرم
فلا اختصاص له ببذل النوال بل تعم سائر الاحوال
فتقعد فتبقى عاجزا ملوما يلومك الناس على الشح
وهذا اثر النهي اولا محسورا منقطعا عن النفقة
والتصرف بسبب التبذير • وهذا اثر النهي ثانيا والاوجه
ان يكون كلاهما مترتبا على الثاني • واما الاول فقد اكتفى فيه
بما فهم من تمثيله على اقبح وجه في التصوير ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه لمن يشاء
لا للعجز ولا للبخل انه كان بعباده خبيرا عالما بخفيات
امورهم بصيرا بمصالحهم فيوسع لقوم ويضيق لآخرين على
مقتضى علمه وحكمته • ويجوز ان يكون المعنى ان البسط والقبض
يليق لرب العالم بالسرائر والظواهر • واما العباد فحقهم ان
يقتصدوا • او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته ولا تفرطوا • وعلى كلا التقديرين يكون جاريا مجرى
الاستيناف للتعليل • ويجوز ان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق مخافة فقر وكان هذا نهيا عن وأد
البنات وكانوا يفعلونه نحن نرزقهم لا انتم فلا وجه لقتلهم
بسبب الرزق وزيادة قوله واياكم لبيان ان رزق الآباء
ايضا على الله تعالى فكيف يتولى رزق الغير من يعجز عن رزق
نفسه ان قتلهم كان خطأ كبيرا لما فيه من قطع التناسل
وانقطاع النوع • قرأ الجمهور خطأ بكسر الخاء وسكون الطاء
والهمز والقصر • وقرأ ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء والهمز
والقصر • وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والهمز والمد
وقال النحاس لا اعرف لهذه القراءة وجها ولذلك جعلها ابو حاتم
غلطا • وقال ابو علي هي مصدر خاطأ يخاطئ وان كنا لا نجد
خاطأ ولكن وجدنا تخاطأ وهو مطاوع خاطأ فدلنا عليه
والخطأ والخطاء مصدر خطئ يخطأ كالحذر والحذر يقال خطئ
اذا اثم واخطأ ضد تعمد والخطأ بالكسر لا يكون الا تعمدا
والخطأ بالفتح قد يكون عمدا وقد يكون خطأ • ولا تقربوا الزنا
بمباشرة مقدماته وهذا نهي عنه بابلغ وجه انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة في القبح متناهية فيه وساء سبيلا وبئس
طريقا طريقه لا لانه غصب على الابضاع لانه غير لازم له
بل لانه يؤدي الى النار انتهى ابن كمال

رد للقاضي

رد للقاضي

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على
ما بينهما من الاقتصاد • كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح
الشح معارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير
باقبح الصور • ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه
في اثره فقيل فتقعد ملوما

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها وحقن دمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا بحق يوجب قتلها كالرجم او شبهه كالقصاص قيل الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصوم عمدا • وفيه نظر ذكرنا في تفسير سورة الانعام ومن قتل مظلوما غير مستوجب لقتله ولا مبيح له سواء كان عمدا او خطأ فان الظلم غير مشروط بالعمد يشهد بذلك انهم شرطوا الاول في التشهد دون الثاني فقد جعلنا لوليه هو من له حق الطلب بدمه شرعا سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه فلا يسرف في القتل نهي عما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد • وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتاء المخاطبة جزما • والخطاب للولي • وقرأ الباقون بياء الغائب جزما والضمير يرجع الى الولي • ورجوعه الى القاتل وتوجيه الخطاب اليه يأباه عبارة الاسراف فان حقه النهي عن القتل مطلقا انه كان منصورا تعليل للنهي على الاستيناف والضمير للولي لتناسق الضماير ونصره بتسليط الله اياه على القاتل وامره الولاة بمعاونته ووجه التعليل ان الولي اذا اسرف في القتل وتجاوز عن حد المشروع ينقلب عليه الامر ويدخل تحت القاتل ظلما ولا تقربوا مال اليتيم قد مر الكلام في نظيره والنفس ميالة الى المال والمباشرة دون القتل ولهذا خص النهي عن القربان بالاولين الا بالتي الا بالطريقة التي هي احسن الطرائق حتى يبلغ اشده قد مر في سورة الانعام واوفوا بالعهد عام لما عقده الانسان بينه وبين ربه وما عقده بينه وبين آدمي في غير معصية ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه فحذف الجار واوصل مسئولا الى الضمير كما في قوله ويفعلون ما يؤمرون اي به • وقيل ان العهد تسئل تبكيتا لناقضه فيقال لم نقضت كما تسئل الرحم عن وصلها وقطعها • قيل ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسئولا وعلى هذا لا يظهر وجه للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر • وقيل اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به • وفيه تعسف لفظا ومعنى اما الاول فظاهر اذ حينئذ يكون المسئول عدم تضييعه لا نفسه واما الثاني فظاهر لانه حينئذ لا يزيد على معنى اوفوا بالعهد وقد ذكر في مقام التعليل له على الاستيناف

فيه رد ضئ

منه رد ضئ

منه رد ضئ

فيه رد

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق اي بما ركبه ما يبيح الدم ومن قتل مظلوما غير مرتكب ما يبيح الدم فقد جعلنا لوليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه فلا يسرف في القتل الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية او الاسراف المثلة • او الضمير للقاتل • فلا تسرف حمزة وعلي • على خطاب الولي • او قاتل المظلوم انه كان منصورا الضمير للولي اي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك • او للمظلوم اي ان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الاخرة بالثواب او الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف وظاهر الاية يدل على ان القصاص يجري بين الحر والعبد • وبين المسلم والذمي لان انفس اهل الذمة والعبيد داخلة في الاية لكونها محرمة ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن • وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده اي ثمانية عشرة سنة واوفوا بالعهد باوامر الله ونواهيه ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا تضيعه ويفي به او ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس بكسر القاف حمزة وعلي وحفص وهو كل ميزان صغيرا وكبيرا من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون المستقيم المعتدل ذلك خير في الدنيا واحسن تأويلا عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان • وزنى بعد احصان • وقتل نفس معصومة عمدا • فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء • ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة • او بان يقتل غير القاتل من اقاربه • او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية • او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا

4

تعليل ثاني • والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبتغ ما وراء حقه ولا يسرف • وعليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر • او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شانه • او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا • ووجه التعليل ظاهر • وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضمير في التعليل عائد الى الولي او المقتول فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن نفس التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس • والايفاء بالعهد والوفاء هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ان العهد اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه • او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود كان مسئولا اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا • ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت واوفوا الكيل اي اتموه ولا تخسروه اذا كلتم اي وقت كيلكم للمشترين • وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون • وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية • وقرئ بضم القاف المستقيم اي العدل السوي • ولعل الاكتفاء باستقامة عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال • وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي خير في الدنيا اذ هو امانة يوجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه

انتهى ابو السعود رحمه الله

واوفوا الكيل اي لا تبخسوا فيه وفائدة قوله اذا كلتم اي وقت كيلكم تعيين النهي عن الكيل بنقصان ثم تكميله بعد ما كان وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقيل هو القبان لفظ رومي عرب والاحرى على انه لفظ عربي ليس بشرط في التعريب على ما حققناه في رسالتنا المعمولة فيه والمستقيم السوي ذلك خير في الدنيا لانه امانة توجب المحمدة والرغبة في معاملته واحسن تأويلا عاقبة اذ لا يبقى تبعة في الآخرة تفعيل من آل اذا رجع ففيه نفع الدارين

للفاضل الشيخ زاده رحمه الله

قوله قبان فيه لغتان ضم القاف اسمي ابي كمال وكسرها واحد

ولا تجعل مع الله الهاً آخر كرّره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه ورتّب عليه اولاً ما هو عائدة في الدنيا
وثانياً ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك مدحوراً مطروداً مبعداً على سبيل الاهانة
قوله سيّئه ولا فرق بين قراءة سيئه وبين قراءة سيئاً الاتراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة
فلا يفرق بين اسنادها الى المذكر والمؤنث
ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه
ومنه القافة في جمع القائف ما ليس لك به علم اي لا يكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع
مسلكاً لا يدري انه يوصل الى المقصد واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد
الراجح المستفاد من سند قطعياً كان او ظنياً واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع
والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضاء
فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولاء وان غلبت في
العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلتين جاء لغيرهم ايضاً قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولاً اي كان كل من تلك الاعضاء مسئولاً عن نفسه
على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات
اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولاً وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولاً معللاً
بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى
الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جاراً ومجروراً ويجوز ان يكون من باب الحذف
على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسّر ويعود الضمير مستكناً كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوّز
ان يكون مسئولاً مسنداً الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعل المصدر وهو السؤال وعنه
في محل الجر النصب ورد ابن جني ابا علي عن قولهم فيك ترغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع
فقال المصدر اي فيك يرغب الرغب بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع
وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولاً او مسئولاً صاحبه
ولا تمش في الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحاً تكبراً
واختيالاً وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحاً او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك
لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها
اي لن تجعل فيها خرقاً بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض
اجزاء الارض طولاً حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما
مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك
اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه
نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة عند ربك مكروهاً مبغوضاً غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير
معلل لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي
عنها جميعاً ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى
كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها الى البعض
ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضياً
عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذاناً بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار
وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروهاً بدل من سيئة
او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئاً وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اي امراً مكروهاً
او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالاً من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة وقرئ شأنه وقرئ سيئاته ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك

اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من
الحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآيات
ثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الهاً آخر قال الله تعالى وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن اما متعلقة باوحي على انها تبعيضية
او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالاً من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائناً
من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الهاً آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه
فانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك
بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولاً حيث قيل فتقعد مذموماً مخذولاً
وما رتب عليه ههنا نتيجة في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوماً من جهة نفسك ومن جهة غيرك
مدحوراً مبعداً من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنياً للمفعول جري على سنن الكبرياء
وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور انتهى ابو السعود
ولا تقف ما ليس لك به علم تقول قفا يقفو قفواً اذا اتبع الاثر قال الكلبي لا تقل ما ليس لك به
علم وقال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم والمعنى ولا تقولن في شيء
بما لا تعلم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً قال الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما
يسأل الله تعالى العباد فيما استعملوها وفي هذا زجر عن النظر الى ما لا يحل والاستماع الى ما يحرم وارادة
ما لا يجوز انتهى
الواحدي

ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع ما لا تعلم اي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت • وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور • وعن ابن عباس رض لا ترم احدا بما لا تعلم • ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لانه نوع من العلم قال الله تعالى فان علمتموهن مؤمنات الخ اقام الشارع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به كما في الشهادات و اما في العمل بخبر الواحد لما ذكرنا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لان اولئك كما يكون اشارة الى العقلاء يكون اشارة الى غيرهم كقول جرير ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام • وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسئولا عنه • فمسئول مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في غير المغضوب عليهم • يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه • ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه • ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا في الكشاف • وفيه نظر لبعضهم لان الجار والمجرور انما يقوم مقام الفاعل اذا تأخر عن الفعل فاما اذا تقدم فلا • ولا تمش في الارض مرحا وهو حال اي ذا مرح انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال اي ولن تحاذيها قوة • وهو حال من الفاعل او المفعول كل ذلك كان سيئه كوفي وشامي على اضافة سيء الى ضمير كل سيئة عند غيرهم عند ربك مكروها ذكر مكروها لان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم فزال عنه حكم الصفات فلا اعتبار لتانيثه • الا تراك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة • فان قلت الخصال المذكورة بعضها سيء وبعضها حسن وكذا قراءة من قرأ سيئة بالاضافة اي ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فما وجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية مما اوحى اليك ربك من الحكمة مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس باسوته ۝

ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا مطرودا من الرحمة • عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثمانية عشر آية كانت في الواح موسى عليه السلام • اولها لا تجعل مع الله الها آخر واخرها مدحورا ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم

ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل نهى ان يقول ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه التقليد على العمى يقال قفوته وقفيته اذا اتبعت اثره ومنه القافة لتتبعهم الآثار وقافية كل شيء آخره ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الثلاثة المذكورة ولا اختصاص بالعقلاء • قال الزجاج ووافقه الطبرسي ان العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل باولئك وانشد قول الشاعر والعيش بعد اولئك الايام • وان نظر الى غلبة استعماله في العقلاء فتقول لما كانت تلك الاعضاء مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها اجريت مجرى العقلاء كان عنه مسئولا عنه في موضع نصب • والضمير عائد على معنى اولئك اي عن كل واحد مما تقدم ومسئولا فيه ضمير يعود على كل من حيث اللفظ وهذا الضمير هو المفعول الذي لم يسم فاعله • ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم • والمجرور بالحرف لا يلتبس بالمبتدا • ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه كان كذلك • ولا دلالة في الآية على ان العبد مؤاخذ بالعزيمة اذ يجوز ان يكون مما سئل عنه الفؤاد الظنون والعقائد ولا تمش في الارض المشي انما يكون في الارض فالتقييد به لقطع المجاز فانه شايع فيه كما في الذهاب مرحا نصب على الحال اي ذا مرح ولا بد من التقدير لان المبالغة المستفادة من التوصيف بالمصدر لا يناسب المقام لان المراد النهي عن اصل المرح لا عن المبالغة فيه • وقرئ مرحا بالكسر والمرح هو الخيلاء والكبر • وقد دل قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور على ان المرح هو مشي المختال الفخور انك لن تخرق الارض بشدة وطئتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه • قرئ سيئة منصوبا على انه خبر كان والاسم ضمير كل والاشارة الى المنهيات من الخصال المذكورة • وقرئ بالرفع والاضافة اي الذي منه لانه سبق ذكر المامور به والمنهي عنه فكان القبيح بعضه عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها ولا حاجة الى الحمل على المعنى لانها في حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثها • ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كان او الظرف على انه صفة سيئة • والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي من الاشياء الموضوعة في مواضعها متعلق باوحى او بدل من ما او حال من الضمير المنصوب المحذوف العائد عليها ولا تجعل مع الله

افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا
بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف العقول
والمعروف • والتعبير عن البنات بالاناث لاظهار جهة
خساستهن انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد التي
وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم
عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين
هم من اشراف الخلائق ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى
بوجوه من التقرير فترك الضمير لانه معلوم في هذا القرآن
في مواضع منه • ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة
البنات الى الله تعالى لانه مما صرفه وكرر ذكره بتقدير ولقد
صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه •
وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا
ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما
يحتج به عليهم وما يزيدهم التصريف المذكور الا نفورا عن
الحق • والنفور مقابل الطمانينة قل لو كان معه آلهة كما
تقولون ايها المشركون والكاف في موضع نصب اي مثلما •
وقرئ بالياء على ان الكلام مع الرسول عليه السلام اذا لابتغوا
اي طلبوا متوسلين الى ذي العرش الى مغالبته وافساد
ملكه اشار الى ذلك بالتعبير عنه تعالى بذي العرش سبيلا
لانهم شركاؤه على الفرض المذكور كما يفعل الملوك
بعضهم بعضا وهذا على دفق قوله ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا
تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون تسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه
عما هو من عوارض الامكان ولواحق الحدوث بدلالته
على الصانع القديم الواجب لذاته قطعا لسلسلة الحاجة
ولكن لا تفقهون ايها القاصرون عن النظر الصحيح تسبيحهم
في قوله يفقهون دلالة على ان تسبيحهم من جنس
ما يفهم بدقة النظر لا من جنس ما يدرك بالة السمع
فتعين حمله على معنى الدلالة ولم يبق وجه للحمل على المشترك
بينها وبين اللفظ انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة
على الغفلة والشرك غفورا لمن تاب منكم اسهل ابي كمال

في عباره
يفقهون ؟

افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا خطاب
للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه • والاصفاء بالشيء
جعله خالصا • والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه
الكم الذكر وله الانثى • وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون • وقد قصد هاهنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد النكير
وتاكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام
بالانوثة

ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله افاصفيكم
ربكم بالبنين الهمزة للانكار يعني اخصكم على وجه الخلوص
والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من
الملائكة اناثا واتخذ ادونهم وهي البنات • وهذا
خلاف الحكمة وما عليه معقولكم • فالعبيد لا يؤثرون
باجود الاشياء واصفاها ويكون اردؤها وادونها
للسادات انكم لتقولون قولا عظيما حيث اضفتم اليه
الاولاد وهي من خواص الاجسام ثم فضلتم عليه
انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ولقد صرفنا
في هذا القرآن اي التنزيل والمراد ولقد صرفناه
اي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لانه معلوم ليذكروا وبالتخفيف حمزة وعلي اي
كررنا ليتعظوا وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وكان الثوري اذا قرأها يقول زادني لك خضوعا
ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون
وبالتاء مكي وحفص اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض • او لتقربوا اليه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
واذا دلالة على ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن
مقالة المشركين وجزاء للو سبحانه وتعالى عما يقولون
وبالتاء حمزة وعلي علوا اي تعاليا والمراد البراءة من
والتنزه كبيرا وصف العلو بالكبر مبالغة في
معنى البراءة والبعد مما وصفوه به يسبح بالياء
عراقي غير ابي بكر له السموات السبع والارض ومن
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده اي يقول سبحان الله
وبحمده • عن السدي قال عليه السلام ما اصطيد حوت
في البحر ولا طير يطير الا بما يضيع من تسبيح الله تعالى
ولا تفقهون تسبيحهم لاختلاف اللغات او يتعسر
الادراك او يسبب التسبيح الناظر اليه والدال
على الخير كما عليه والوجه الاول انه كان حليما عن
جهل العباد غفورا لذنوب المؤمنين انتهى المدارك

وان من شيء الا يسبح بحمده روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال وان من شيء من حي الا يسبح بحمده وقال قتادة
الحيوانات والناميات وقيل الشجر يسبح والاسطوانة لا تسبح • وقيل ان التراب يسبح
ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح • وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت من موضعها تركت
التسبيح • وان الماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح • وان الثوب يسبح ما دام
نظيفا فاذا وسخ ترك التسبيح • وان الوحش والطير يسبح اذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح
قال ابراهيم النخعي وان من شيء من جماد وحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف
وقال مجاهد كل الاشياء يسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده • عن علقمة عن عبد الله
قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء وقال
اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده الى الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك
والبركة من الله تعالى فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل
وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات
وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها • معالم
فصار ذلك بمنزلة التسبيح منها والاول هو المنقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات
لا يقف عليه غيره فينبغي ان يوكل علمه اليه تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح
بلغاتكم والسنتكم
كما تقولون وقرأ ابن كثير بالياء على المعنى كما يقول المشركون من اثبات الالهة اذا
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اذا لابتغت الالهة ان تزيل ملك صاحب العرش والمعنى • معالم وتعالى الا
لطلبوا سبيلا اليه مما نعته ومضادته وهذا قول الحسن والكلبي وسعيد بن جبير ثم نزه نفسه فقال سبحانه

بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم
الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث
لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد
القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون
الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيالها من ضلة ما اقبحها وكفرة
ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التصريف في مواضع منه • وانما ترك
الضمير تعويلا على الظهور • وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه • والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم • وقرئ بالتخفيف من الذكر
بمعنى التذكر • ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة
على اساليب مختلفة • ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي •
وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن ونتايجها وما يزيدهم
اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي الى معرفة
بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اي المشركون
قاطبة • وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبيل النبي صلى الله عليه وسلم • والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف
اي كونا مشابها لما يقولونه • والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء
وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو
ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا • وقيل بالتقرب اليه تعالى
كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة • والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح
في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون • واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس
مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اي تنزه بذاته تنزها
حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غاية الوجود وهو الوجوب
الذاتي وما يقولونه من ان له شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود
هو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه
ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه آلهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا
عن دخوله تحت الوجود وكونه ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من من شانه ذلك تسبح بالفوقانية
والتحتانية • وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح
معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا
الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث
اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا
للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك • وقرئ لا يفقهون
على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها
من الاعراض عن التدبر في الدلايل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم

ابو السعود رحمه الله

قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر هذا خطاب لكل احد من المؤمنين كانه قال ولا تجعل ايها الانسان
ثم خاطب المشركين الذين زعموا ان الملائكة بنات الله منكرا عليهم فقال افاصفاكم ربكم بالبنين وقال اصفاه بالشيء
اذا آثره به • قال ابو عبيدة افاصفيكم خصكم وقال المفضل اخلصكم وهذا توبيخ للكفار يقول اختار لكم ربكم البنين
دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه فاختصكم بالاجل وجعل لنفسه الادون انكم لتقولون بهذا الزعم الباطل
قولا عظيما يعظم خطاه واثمه قوله ولقد صرفنا في هذا القرآن اي صرفنا ضروب القول فيه من الامثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به
ومعنى التصريف ههنا التبيين لانه انما يصرف القول ليبين قوله وما يزيدهم الا نفورا قال ابن عباس ينفرون من الحق
ويتبعون الباطل والمعنى ما يزيدهم تصريف الآيات الا نفورا كقوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وذلك انهم اعتقدوا
في القرآن شبهة وحيلا فنفروا منها اشد النفور انتهى الواحدي

قوله تعالى تسبح له السموات الآية المراد بالتسبيح ههنا الدلالة على ان الله عز وجل خالق حكيم مبرأ من الاسواء
المخلوقون والمخلوقات كلها تدل على ان الله تعالى خالقها كما قال ابن عباس في قوله تعالى وان من شيء الا
اي يخشع له ويخضع قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم مخاطبة للكفار لانهم لا يستدلون ولا يعتبرون

قوله وان من شيء اي ليس من موجود من الحيوانات والنباتات الا يسبح
بلسان الحال ملتبسا بحمدك وينزهه عما لا يجوز عليه من الشرك والولد لان كل شيء
يدل على الصانع وقدرته وحكمته فكانه ينطق بذلك قال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة
لا تسبح والشجرة او النبات اذا قطع تسبح ما دام رطبا وقيل كل هذه الاشياء تسبح الله تعالى
حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا ممكن عقلا وقدرة وقيل ان الثوب يسبح
ما دام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح والتراب يسبح ما لم يبتل واذا ابتل ترك التسبيح والماء يسبح ما دام جاريا
فاذا ركد ترك التسبيح وكذا كل حيوان يسبح ما دام يصوت فاذا سكت ترك التسبيح
ويقال اذا قطع الشجرة فانه يسبح ما دام رطبا بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
مر بقبرين فقال انهما يعذبان في القبر وما يعذبان بكبيرة فاما احدهما فانه كان يمشي بالنميمة واما
الآخر فكان لا يستنزه من البول ثم اخذ جريدتين من شجرة وغرز احدهما في قبر والاخرى في القبر الآخر
وقال لعلهما لا يعذبان ما دام رطبتين وقالت الحكماء الحكمة في ذلك انهما ما دام رطبتين يسبحان الله

ابو الليث رحمه الله

وانما كان هذا الامثال لانهم ضربوه بعبارات شتى وصور متعددة • وقيل مثلوك بالساحر والشاعر والكاهن والمجنون ... انهم ما مثلوه عليه السلام بما ذكر بل قالوا تارة ساحر واخرى شاعر الى غير ذلك • وايضا لو كان المعنى ما ذكر لقيل فعلك ... لانه عليه السلام ح يكون من ضرب فيه الامثال فضلوا عن الحق فلا يستطيعون سبيلا اليه وقالوا ءاذا كنا عظاما بيان ... ولولا الفصل بينه وبين المبين بالجمل التفريعية لكان حقه التصدير بالفاء التفصيلية والعامل في اذا ما دل عليه ... تقديره انبعث اذا كنا عظاما والاستفهام للانكار ورفاتا صدره بالواو العاطفة اخراجا له مخرج الاستقلال في الاستبعاد والرفات الاجزاء المفتتة من كل شيء مكسر ولما فيه من زيادة معنى التفتت اوثر على الحطام ولم يلتفت الى ما فيه من صنعة الجناس ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم ... المباعدة والمنافاة

واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة • وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما ... عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا • وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك فقال عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى ... مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم • او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر • او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه ... اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به • وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له • جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم التي لا حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده غير مشفوع به آلهتهم • وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا او ... نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن • يروى انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه ... بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور ... يتعلق به العلم لان العلم مستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم • او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم ... الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير وبما به التناجي وقت تناجيهم • ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون • وانما وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد ○

قوله حجابا مستورا قال الاخفش اراد ساترا والفاعل والفاعلون قد يكونوا في لفظ المفعول تقول انك لمشؤوم وميمون وانما هو شائم ويامن وقال غيره حجاب مستور عن الاعين لا يبصر ... هو من قدرة الله تعالى حجب النبي صلى الله عليه وسلم عن اعين اعدائه بحجاب لا يرونه ويراه النبي عليه السلام ثم ذكر ان الله تعالى منعهم عن فهم القرآن بقوله وجعلنا قلوبهم اكنة وقد تقدم تفسيره في سورة الانعام قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده يعني قلت لا اله الا الله وانت تتلو القرآن ... لوا على ادبارهم نفورا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يعني ان يوحدوا الله • وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لا اله الا الله انكر ذلك المشركون وكبر عليهم والمعنى انصرفوا هاربين ... كراهية لما يسمعونه من توحيد الله تعالى قوله نحن اعلم بما يستمعون به قال المفسرون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعو اليه اشراف قريش من المشركين ففعل ذلك علي ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وكانوا يستمعون ويقولون ح

... يقولون كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ... ون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا ... كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ... الحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون ... في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد • وفيه من الوعيد وتسلية الرسول ... عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد ... الاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنائي ... استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته ... الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام او اذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر ... فعل ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما ... وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار • وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به ... ينكرون بالاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه ... في حالة منافية له • وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد النكير • وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد ... لا لانكار التوكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة ح

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر او
حجابا لا يرى فهو مستور وجعلنا على قلوبهم اكنة
جمع كناة وهو الذي يستر الشئ ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا يمنع
عن الاستماع واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
يقال وحد يحد وحدا فهو مصدر ساد مسد
الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا
على ادبارهم رجعوا على اعقابهم نفورا مصدر
بمعنى التولية • او جمع نافر كقاعد وقعود اي
يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون
فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما يستمعون به
اي نحن اعلم بالحال او الطريقة التي يستمعون القرآن
به • فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال
وبيان لما اي يستمعون القرآن هازئين لاجادين
والواجب عليهم ان يستمعوا جادين اذ يستمعون
اليك نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به
يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به او هم
ذوو نجوى اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان
تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن انظر كيف
ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
المجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اي
فضلوا عن جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه
طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره
لا يدري ما يصنع وقالوا اي منكروا البعث أئذا
كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا
اي مجددا وخلقا حال اي مخلوقين • اسهى المكلك

واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا تسترك عنهم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهم قال
لما نزلت سورة تبت يدي ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل
بنت حرب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في
المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله
لقد اقبلت واخاف ان تراك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه
ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومن وهم انه حجاب الفهم
كانه ما فهم انه بينهم وبين القرآن لا بينهم وبينه عليه السلام
مستورا عن اعين الناس اي ليس من جنس الحجب
الظاهرة وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وانما لم يقل وجعلنا قلوبهم في اكنة مع انه ابلغ في تصوير المعنى
المقصود للاشعار بانه امر عارض كسبي لا ذاتي خلقي
فانه كل مولود يولد على الفطرة السليمة ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه • والضمير لما يوعدون اليه • ويجوز ان
يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اي
منعناهم ان يفقهوا وفي آذانهم وقرا لم يقل ان يسمعوه
اكتفاء بما فهم بقرينة قريبة • وهذه حكاية لما كانوا يقولونه
على ما دل عليه قوله فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب • قوله فهم لا يسمعون صريح في ان عدم سماعهم بسبب
اعراضهم لا المانع في آذانهم فقولهم وفي آذاننا وقر اظهار
كراهية منهم لا اخبار عن عارضتهم • ومن غفل عن هذا
قال ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت
لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك ولم يدر ان الاول
موقوف على الثاني فالجعل الثاني على تقدير كونه حقيقة
كاف في الارض وايضا مبنى ما ذكره على ان يكون الضمير
في يفقهوه للقرآن وتاباه قوله واذا ذكرت ربك في القرآن
اذ لا وجه للعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر وايضا ما في الآية
الاخرى قوله مما تدعونا اليه بدل ان يفقهوه ظاهر في خلافه وحده
واحد غير مشفوع به آلهتهم قال سيبويه وحده اسم موضوع
موضع المصدر وهو الايجاد الموضوع موضع الحال وهو موحد ولوا
على ادبارهم نفورا نافرين من استماع التوحيد على ان النفور
جمع نافر كقعود في جمع شاهد • ويجوز ان يكون مصدرا على
غير الصدر اذ كان قوله ولوا على ادبارهم بمعنى نفروا وهذا دليل

على انهم قادرون على الاستماع لا وقر في آذانهم حقيقة نحن اعلم بما يستمعون به بسببه الداعي الى الاستماع من الهزء بك
وبالقران ومن اللغو اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكنا واذ هم نجوى يتناجون بالطعن في القرآن اي نحن اعلم بغرضهم
من الاستماع في حالتي الاصغاء والاعراض بالتناجي • ونجوى مصدر • ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا • والمسحور من سحر فاختل عقله
انظر كيف ضربوا لك الامثال في امر الحشر والبعث بدلالة قوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم وانما كان
٥

ردّ للقاضي

ردّ للقاضي

ط فما بينهم متناجين هو ساحر هو مسحور فاخبر الله تعالى نبيه بذلك وانزل عليه نحن اعلم بما يستمعون
به اي يستمعونه والباء زائدة اخبر الله تعالى انه عالم بتلك الحالة وبذلك الذي كانوا يستمعون
اذ يستمعون الى الرسول واذ هم نجوى قال ابن عباس يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء
قوله حجابا مستورا يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به قال قتادة والاكنة والمستور
بمعنى الساتر كقوله كان وعده مأتيا مفعول بمعنى الفاعل وقيل مستور عن اعين الناس فلا يرونه
وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روى عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب

٥ كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مرادا انكارهم كونهم مبعوثين في المبعوثين
بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك
واستبعادهم ورجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر
وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او على الحال
قوله واذا قرأت القرآن جعلنا الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله على ان مخلوق بمعنى
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قال الكلبي وهم ابو سفيان والنضر بن الحرث وابو جهل انتهى الواحدي
وام جميل امرأة ابي لهب حجب الله تعالى رسوله عن ابصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يأتونه
ويمرون به ولا يرونه • عن اسماء قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت العوراء ام جميل
ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس وابو بكر رضي الله عنه الى جنبه فقال ابو بكر لقد اقبلت هذه وانا اخاف ان تراك
فقال انها لن تراني وقرأ قرآنا اعتصم به واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا قالت فجاءت حتى قامت على ابي بكر ولم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر بلغني ان صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فانصرفت وهي تقول قد علمت
قريش اني بنت سيدها رواه الحاكم في صحيحه انتهى الواحدي

قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا رد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم • اوثر في الحجارة صيغة الجمع رعاية للمناسبة بكونوا • والعدول في الحديد عن [illegible] السني لما في مفرده صنعة الجناس مع الحديد او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا يقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه • وانما قال في صدوركم لان اثر الاستعظام البليغ يظهر فيها فان القلب يضطرب عند ذلك لما يعتريه من الخشية فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم يقال انغض رأسه اي حركه كالمتعجب من الشيء وكل حركة في ارتجاف نغض • والعدول من التعدية الى الى لتضمنه التوجه والالتفات ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا انتصابه على الخبر او الظرف وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر اجابهم بقرب وقوعه لا لان كل آت قريب بل لانه مضى اكثر الزمان وبقي اقله ولم يجبهم بتعيين وقته لان ذلك مما استأثره الله تعالى بعلمه ولم يوردوا تلك الاسولة استرشادا بل عنادا واستهزاء وقد اخرجت اجوبتهم بطريق الجد والتحقيق وعدم المبالاة باستهزائهم • وفيه نوع تمهيد للامر بحسن المجادلة الآتي ذكره يوم يدعوكم بدل من قريبا والدعاء النداء الى المحشر بكلام يسمعه الخلائق قال عليه السلام انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسمائكم فتستجيبون الاستجابة موافقة الداعي فيما دعي اليه بالفعل لاجل دعائه بحمده حال منهم اي حامدين لله تعالى على الاحياء او على كمال قدرته عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا تظنون معلقة عن [illegible] فالجملة بعده في موضع نصب وقلما ذكر النحويون في ادوات التعليق ان النافية • وانتصاب قليلا على انه نعت لزمان محذوف ويجوز ان يكون اي الا زمانا قليلا كقوله لبثنا يوما او بعض يوم • ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي لبثا قليلا وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد بالوسوسة ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاررة والمشاقة وقدم في آخر الاعراف تحقيق معنى النزاع ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة امر واحسن المجادلة ونبهوا على انه قد يكون من الشيطان اغراء واغواء وذكروا بعداوته القديمة لهم انتهى باكماله

العملية

قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي السموات والارض فانها يكبر عندكم عن قبول الحيوة فسيقولون من يعيدنا قل يعيدكم الذي فطركم اول مرة والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله تعالى خلقكم ويرده الى حال الحيوة بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة وهو ان تكونوا حجارة او حديدا لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو اي البعث استبعادا له ونفيا قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب وعسى للوجوب يوم يدعوكم الى المحاسبة وهو يوم القيمة فتستجيبون بحمده اي تجيبون حامدين والباء للحال عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم و يقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي لبثا قليلا او زمانا قليلا في الدنيا او في [illegible] وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم وهي ان يقولوا يهديكم الله ان الشيطان ينزغ بينهم يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والنزغ ايقاع الشر وافساد ذات البين • وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة • اي فسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالهداية والتوفيق او ان يشأ يعذبكم اي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض

جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم مبعوثون ومعادون فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اي اخترعكم من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شممتم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا على انه خبر ليكون • او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب • ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر عسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب • او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او يكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير • وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم • فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم متعجبين او حامدين له على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشاررة والمعاندة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم

اسمي ابو السعود

قوله قل كونوا حجارة او حديدا قال الزجاج انهم كانوا يقرون ان الله تعالى خالقهم وينكرون انه يعيدهم فقيل لهم انكم لو خلقتم من حجارة او حديد او خلقا مما يكبر في صدوركم الاكثرون قالوا يعني الموت وليس شيء اكبر في صدور بني آدم من الموت يقول لو كنتم الموت لاماتكم الله واحياكم لان القدرة التي بها انشأكم بها يعيدكم هذا معنى قوله فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وقال مجاهد ما شئتم فكونوا حجارة او حديدا او سماء او ارضا او جبلا سيعيدكم الله كما كنتم فسينغضون يقال انغض رأسه ينغضه انغاضا اذا حركه والمعنى يحركون رؤسهم تكذيبا لهذا القول واستبعادا له ويقولون متى هو اي البعث والاعادة قل عسى ان يكون قريبا يعني هو قريب وعسى من الله واجب ثم ذكر انه متى يكون فقال يوم يدعوكم اي بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال يوم ينادي المنادي من مكان قريب فتستجيبون بحمده قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانك وبحمدك ولا ينفعهم في ذلك اليوم لانهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم مما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة • ومن المفسرين من ذهب الى ان هذه الآية خطاب للمؤمنين لانهم يستجيبون لله بحمده يحمدونه على احسانه اليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لانهم كانوا غير معذبين قوله وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن قال الكلبي كان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم اني لم اؤمر فيهم بشيء فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي احسن • قال الحسن يقول له يهديك الله ان الشيطان هو الذي يفسد بينهم انه عدو كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة من تفسير الواحدي

قوله تعالى الا قليلا يعني ان لبثتم في القبور الا يسيرا وقال الكلبي وذلك انه يرفع عنهم العذاب ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة فينسون العذاب فيظنون انهم لم يلبثوا في قبورهم الا يسيرا روي ذلك عن ابن عباس وهذا اصح ما قيل فيه لان بعض المبتدعين قالوا اذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب الى وقت البعث فيظنون انهم مكثوا في القبر قليلا او قوله الا قليلا لان الانسان لو مكث في الرخاء الوفا السنين في الدنيا وفي القبور عد ذلك قليلا في مدة القيمة والخلود وقيل تستحقرون مدة الدنيا في جنب الآخرة معالم

فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك
الذين يدعون اي يدعونه آلهة يبتغون الى ربهم الوسيلة القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون
اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله تعالى الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد
فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية
الا نحن مهلكوها مخربوها قبل يوم القيمة عن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسير هذه الآية اما مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف ثم ذكر بلدا
بلدا او معذبوها اي معذبوا اهلها على ان المجاز في الاسناد دون المسند والاول للقيل ومعذبوهم عذابا شديدا
بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا انتهى ابو الكمال

ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما
لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان
وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك
قبل نزول آية السيف • وقيل نزل في عمر رضي الله تعالى عنه شتمه رجل فامر بالعفو • وقيل افرط اذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله
وربك اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستاهلون
الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه • وهو رد عليهم اذ قالوا
بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر
والصناديد • وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لابطال
قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل
النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله
عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة • وفيه ايذان لتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان
نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطور في الزبور • وان المراد بعبادي الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض
يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في
الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول • واما لان المراد آتينا داود زبورا
من الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم • وقرئ بضم الزاء على انه جمع زبر بمعنى مزبور
قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف
الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون
اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم
ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي
موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص
فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بالوسيلة فضلا عن الآلهة
ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل
لقوله تعالى ويخافون عذابه • وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم
وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق
بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية
ومن استغراقية • والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها

نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات
الموجبة لذلك • وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقق
والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة
وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا لا بالقتل
ونحوها من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما
ينبئ عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية
العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب
في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته
المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة • وعن مقاتل وجدت في كتاب
الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكر بلدا بلدا • وقال الحافظ
ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب
ارمينية ولا يكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية
على يدي رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس
وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة
من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة
من قبل الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب
خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان
وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير
بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق انتهى ابو السعود

او فسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا حافظا لاعمالهم وموكولا اليك امرهم وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم وبكل ما يستاهل كل واحد منهم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فيه اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه كالعباس وعباس والفضل وفضل قل ادعوا الذين زعمتم انهم الهتكم من دونه من دون الله وهم الملائكة او عيسى او عزير او نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا الضر عنكم من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى اخر اولئك مبتدا الذين يدعون صفته اي يدعونهم الهة ويعبدونهم والخبر يبتغون الى ربهم الوسيلة يعني ان الهتكم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى ايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم الوسيلة الى الله تعالى فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد الخير ويرجون رحمته ويخافون عذابه كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا ع

وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب فيصيبهم هدة اي صيحة فيهلك اهلها واما بلخ فيخربها اقوام واما ترمذ فاهلها يموتون بالطاعون واما صغانيات اي واسجرد فيقتلون بقتل ذريع واما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطورا فيقتلون اهلها قتلا ذريعا وكذا فرغانة واشاش واسبيجاب وخوارزم واما بخارى فهي ارض الجبابرة فيموتون قحطا وجوعا واما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد واما هراة فيمطرون بالحيات فتاكلهم اكلا واما نيسابور فيصيب اهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك اكثرهم واما الري فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم واما ارمينية واذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف واما همدان فالديلم يدخلها ويخربها واما حلوان فيمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح اهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لاهل مصر وويل لاهل دمشق وويل لاهل افريقية وويل لاهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس واما سجستان فيصيبهم ريح عاصف اياما ثم منه تاتيهم ريح فيها العلاء واما كرمان واصبهان وفارس فياتيهم عدو وصاح صيحة تنخلع القلوب وتموت الابدان انتهى المدارك

ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بالتوفيق للاسلام او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر وكلمة او للدلالة على الانفصال الحقيقي بين الشيئين والجملة تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان خاتم امرهم غيب لا يعلمه الا الله وفيه ان الظاهر عموم النهي للتصريح بانه ولو كان فيا ولا يعني ان عليهم عمل اهل النار وهذه الصيغة لا تصلح علة له وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على ما امروا به وانما ارسلناك عليهم دون اليهم افاده بمعنى القسر والالجاء وربك اعلم بمن في السموات والارض فيختار منهم لنبوته وولايته من يليق بها وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالرسالة وبكونه صاحب شريعة وبكونه اولي العزم وبكونه خاتم الانبياء عليهم السلام وآتينا داود زبورا يعني ان داود عليه السلام وان لم يكن اولي العزم ولا صاحب شريعة لكنه من جملة الفضلاء بالرسالة حيث اوتي كتابا وقدم ما تعلق بالزبور في اخر سورة النساء قل ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دونه تعالى كالملائكة وعزير والمسيح عليه السلام فلا يملكون ○

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سننه في أخباره وتعل الله تعالى آراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يومي إلى الأرض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء والشجرة

انتهى الكاشف

وما منعنا أن نرسل بالآيات المقترحة استعير المنع للترك للمبالغة ولا يجوز استعارته للصرف لأنه ايضا ممتنع في حقه تعالى والباء للتعدية فإن ارسل يتعدى بنفسه وبالباء قال كثير لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول إلا أن كذب بها الأولون إلا لتكذيب أمثالهم في الطبع من الأمم السالفة كعاد وثمود يعني انها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك الأمم واستوجبوا الاستئصال على مقتضى سنتنا وهو خلاف مقتضى الحكمة لا لأن فيهم من يؤمن لأنه غير مانع عن استئصال العاندين خاصة كما وقع في قوم نوح عليه السلام بل لأن فيهم من يلد من يؤمن ثم ذكر بعض من كذب بالآيات المقترحة فاستوصل بقوله وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة نصب على الحال وهي قراءة الجمهور وقرئ بالرفع على اضمار مبتدأ اي هي مبصرة اضيف إليها الابصار مجازا لما كانت يبصرها الناس وقرئ مبصرة بفتح الصاد اسم مفعول فظلموا بها اي جحدوا بها وما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا إليك إن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش اي اهلكهم يعني في وقعة بدر والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج وكانت رؤية عين إلا أنها كانت بالليل سميت رؤيا كما يقال بات يفعل اذا فعل ليلا فسمي ما يفعله بيتوتة وان لم يكن نوما فلا متمسك فيه لمن زعم انها في المنام بل نقول ان تمسك به يكون حجة عليه لأنه لأن كانت رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها وقد كانت تلك الرؤيا فتنة على ما نطق به قوله إلا فتنة للناس وهي ارتداد قوم من المسلمين حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه أسري به والشجرة الخ

انتهى ابن الكمال

وما منعنا أن نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك إلا أن كذب بها الأولون

(في الهامش: رد لصاحب الكشاف والقاضي — رد للقاضي — رد للقاضي)

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون استعير المنع لترك ارسال الآيات وأن الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنه مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنه فاعل منعنا والتقدير وما منعنا ارسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وسنة الله تعالى في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو ارسلت لكذبوها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فأهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم مبصرة آية بينة فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها إلا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل من الآيات كآيات القرآن إلا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وهو مفعول له وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم في قبضته فلا تبال بهم وامض لأمرك وبلغ ما ارسلت به او بشرناك بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر

... حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه ... عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لما ان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة ... كانوا يقولون لو كان رسولا حقا لأتى بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام فكأنه قيل ... تذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون ... الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة الا ترى ... الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة مع أنها ما اورثت ضعفا ... وفتورا في حالك وقد فسرت الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي ... ان منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون ... وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام ... في المنام من مصارعهم لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم ... وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه ... وانه عليه السلام رأى انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية ... بعد عن كون ما ذكر مدنيا بأنه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا ... من المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا ... بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه ... عليه السلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا ... لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس

ابو السعود

الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها لشيء من الاشياء الا لتكذيب الاولين بها جنس
اقتراحهم وعدم ارسالها بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب او غيره لاستحالة
ذلك عليه لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين
بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما احل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافياً
لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير
العقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع
على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده عليه السلام بالمعجزات
وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير
واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء
مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل
بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوه من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة
مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازاً
او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيراً • وقرئ على صيغة المفعول • وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية
وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف فظلموا بها فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا
من العقر • او ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها • ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم
وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا • او لانها من جهة
الحيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات
المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك
فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب • ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته
والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس اي علماً كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية
والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على
تحققه بالاستدلال عليه بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات
منزلة من جنابه تعالى لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب
الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة • والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة • والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها
وبين الرؤية • او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا مع
انها آية عظيمة وآية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس
حتى ارتد بعضهم ٥

والشجرة لخ

ابو السعود

والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعمها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة فانها
تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك • وقالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة • ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم
فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل
تلقى في النار فلا تؤثر فيها • ويرون ان في كل شجر نارا • وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في
القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائره من الآيات فان الكل للتخويف • وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار فما يزيدهم اي التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات
لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة
الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال
والطاعة من غير تردد • وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا • ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم
من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس
حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل
المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا للامر واداء لحقه عليه السلام الا ابليس كان داخلا
في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون
مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك • وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما
في سورة الحجر ءاسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين
او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي ءاسجد له واصله طين والتعبير
عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد
الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد • وانما لم يصرح
بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني
بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا
مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته
علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي • وقيل هذا مبتدا حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته
خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني أهذا من كرمته علي • وقيل معنى أرأيتك
أتأملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحقار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن حيا الى يوم القيمة كلام
مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم من قولهم احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا
من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا القول
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام
له او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا
وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى

ابو السعود رحمه الله

والشجرة الملعونة في القرآن اي وما جعلنا الشجرة
الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فانهم حين سمعوا
بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية
وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول
ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره اذ
قالوا ذلك فانه لا يمتنع ان يجعل الله الشجر من
جنس لا ياكله النار • فوبر السمندل وهو دويبة
ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت
طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما
لا تعمل فيه النار • وترى النعامة تبتلع الجمر فلا تضرها
وخلق في كل شجر نارا فلا تحرقه فما انكروا ان يخلق في
النار شجرة لا تحرقها • والمعنى ان الآيات انما نرسل
تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا
وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة
الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي بمخاوف
الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
فكيف يخاف قوم هذا حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات
وقيل الرؤيا هي الاسراء والفتنة ارتداد
من استعظم ذلك • وبه تعلق من يقول كان الاسراء
في المنام • ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا
بالرؤية • وانما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث
قالوا لعلها رؤيا رايتها استبعادا منهم كما سمى
اشياء باساميها عند الكفرة كقوله فراغ الى
آلهتهم • اين شركائي • او هي رؤياه انه سيدخل
مكة والفتنة الصد بالحديبية • فان قلت
ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم • قلت
معناه والشجرة الملعون آكلوها وهم الكفرة لانه
قال فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون
فوصفت بلعن اهلها على المجاز ولان العرب
تقول لكل طعام مكروه وضار ملعون ولان
اللعن هو الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم
في ابعد مكان من الرحمة واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا
وهو تمييز او حال من الموصول والعامل فيه اسجد
او على اسجد له وهو طين اي اصله طين قال
ارايتك هذا الذي الكاف لا موضع لها لانها ذكرت
للخطاب تاكيدا هذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا

الذي كرمت علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا
لدلالة ما تقدم عليه ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني و
بلا ياء كوفي وشامي واللام موطئة للقسم المحذوف
الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم باغوائهم
الا قليلا وهم المخلصون قيل من كل الف واحدا وانما علم
الملعون ذلك بالاعلام او لانه راى انه خلق شهواني

انتهى المدارك

والشجرة الملعونة عطف على الرؤيا • وهي شجرة الزقوم واللعن
لطاعميها • وانما وصفت هي به مجازا للمبالغة • وقيل ذلك لانها في
ابعد مكان من الرحمة وهو اصل الجحيم • او لانها مكروهة [illegible]
في القرآن قال ابو جهل ومن معه هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق
الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف
الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت تمرا وزبدا
وقال لاصحابه تزقموا فافتتن بهذه المقالة بعض الضعفاء ولقد علموا
ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء
النعامة من اذى الجمر قادر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها
وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم التخويف
الا طغيانا كبيرا عتوا كبيرا متجاوزا عن الحد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قد مر تفسيره قال ءاسجد
لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب على نزع الخافض
ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو
طين انكار وتعليل على ما صرح به في قوله انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين او من الموصول اي ءاسجد له
واصله طين ويرد عليه انه حينئذ يضيع قوله خلقته قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب
على ما مر تحقيقه في سورة الانعام وهذا مفعول اول والذي
صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى
اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته
علي • والاكرام اسم جامع لكل ما يحمد عليه • وتعديته بعلى
لتضمنه معنى التفضيل لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا
واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته لاقودنهم
حيث شئت من قولهم حنك الفرس اذا جعلت في فيه الرسن
وكذلك احتنكه الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم
وهم الذين ذكرهم الله في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
قال الحسن ظن ذلك لانه وسوس آدم عليه السلام فلم يجد له عزما

انتهى البيضاوي

من فضله يعني الربح في التجارة انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر اي خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه او ضل من تدعونه من الهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص بعد الخلاص وكان الانسان اي الكافر كفورا للنعم

انتهى المدارك

قال اذهب لشأنك الذي اخترته امره امر اهانة وعقبه بذكر ما جره سوء فعله من جزائه وجزاء اتباعه فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب جزاء نصب على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا مكملا لا انقصان فيه عن قدر الاستحقاق من وفرته واستفزز واستخف اصله القطع بشدة يقال فزز الثوب اذا قطعه بشدة تخرق والمعنى استزله بقطعك اياه عن الحق من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم الاجلاب السوق بجلبة من السياق وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والرجل اسم جمع لراجل كركب وصحب جمع راكب وصاحب وقرئ بكسر الجيم وهي لغة فيه كندس وندس وشاركهم في الاموال بحملهم على جمعها من غير وجهها وانفاقها في غير حقها والاولاد بالحث على تحصيلهم بالوجه المحرم و الاشراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى ونحوه والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور ما اغتر به ان عبادي يعني المخلصين والاضافة للتشريف ليس لك عليهم سلطان على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ربكم الذي يزجي اي هو الذي يزجي والازجاء السوق لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضل من رزقه انه كان بكم رحيما حيث سهل لكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن اوهامكم من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانه لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه وقيل ضل كل من تعبدونه من اعانتكم الا اياه وفيه ان هذا المعنى لا اختصاص له بوقت الخوف فلما نجاكم خلصكم عن هول البحر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص في العبادة وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض ولم يخاطبهم بذلك بل اسنده الى الجنس لطفاً بهم انتهى ابن الهمام

قال اذهب ليس من الذهاب الذي هو ضد المجي وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم و التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب جزاء موفورا موفرا باضمار تجازون واستفزز استنزل او استخف استفزه اي استخفه والفز الخفيف من استطعت منهم بصوتك بالوسوسة او بالغناء او بالمزمار واجلب اجمع وصح بهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك بكل راكب وماش من اهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على ان فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لانه اقصى ما يستطاع في طلب الامور الخيل والرجل وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال وشاركهم في الاموال والاولاد قال الزجاج كل معصية في مال وولد فابليس شريكهم فيها كالربوا و المكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وايثار العاجل على الاجل ونحو ذلك وما يعدهم الشيطان الا غرورا هو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي الصالحين ليس لك عليهم سلطان يد بتبديل الايمان ولكن بتسويل العصيان وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك او حافظا لهم عليك واكل امر بتهديد يعاقب به او اهانة اي لا تخل ذلك بكلي ربكم الذي يزجي يجري ويسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا

قال اذهب اي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفره وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم اي تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمها مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة عليهم لثبوت الحكم في قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن زيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون كشف الضر عنكم انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم كل من تدعونه من دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله تعالى على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض انتهى ابو السعود رحمه الله

وحملناهم في البر والبحر اي حفظناهم فيهما فان الحمل يتضمن الحفظ عادة حتى لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء او حملناهم
على الدواب والسفن من جملته اذا جعلت لهم ما يركبونه ورزقناهم من الطيبات من ضروب المستلذات وفنون النعم مالم يعط
بني من سائر الحيوانات لما فرغ عن تفصيل بعض وجوه تكريمهم البدني شرع في الاخبار عن تكريمهم النفسي
واجمل فيه اشعارا بقصور العبارة عن تفصيله وفضلناهم تفضيلا يسيرا كالذكر على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالشرف
والكرامة اي بالتاكيد ههنا اما لكونه معنويا بخلاف تلك الاحوال الثلثة ولان الاحكام المذكورة من شواهد هذا الحكم
فكان شهادتها تاكدت بعضها ببعض فظهر اثر تلك الشهادة ثبت في الدعوى فلما كان سياق الكلام في النعم المشتركة
بين افراد الانسان شريفها وخسيسها على ما نبهت عليه انفا ظهر وجه تخصيص الحكم المذكور بالكثير فان كل فرد من افراد
الانسان غير مفضل على جميع ما عداها وذلك ظاهر ولا دلالة فيه على عدم تفضيل جنسه على جنس الملائكة لان في
تفضيل جنس على جنس اخر لا حاجة الى تفضيل جميع افراد الاول على جميع افراد الثاني بل يكفي تفضيل فرد من
الاول على جميع افراد
وحملناهم من جملته اذا جعلت له ما يركبه في البر والبحر اي حملناهم على المراكب من الدواب
والسفن وهذا من وجوه فضل الانسان على سائر انواع الحيوان واما حفظه عن الخسف والغرق
فانما يناسب مقام الامتنان لا مقام التفضيل على سائر الحيوانات
من الطيبات احترز به عن الخبائث التي لا يحترز عنها سائر الحيوانات من الماكولات والمشروبات ولعل تغييرها بالملاذ
فلا يناسب المقام لانه مقام بيان جهات كرامة الانسان لا مقام الامتنان باطايب النعم فانه لا يصلح جهة كرامة خاصة

افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم
اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته
سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر او
كله في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان
باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث
لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته
وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم
كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او
كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من
جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني ادم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة
والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد
يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه
الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد
والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن
من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم يخسف بهم الارض
لم يغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات
فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم
من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم ما عدا الملائكة عليهم السلام
تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم
عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملا الاعلى الذين هم العقول
وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطاء والخلل وليس فيه دلالة على افضلية
الملائكة بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان التفضيل في امر مشترك بين افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون
ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل جميع
بعد بيان

تنقيصف
او التي لها
القوى
وهم من عدا الملائكة عليهم السلام

ان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم
استثناء هم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد
على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من كل دنيء حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
انتهى ابو السعود رحمه الله
وفضلناهم على كثير الخ ظاهر الاية انه فضلهم على كثير ممن خلقه لا على الكل فقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة
وقال الكلبي فضلوا على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم
وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف وقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل
كقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اي كلهم وعن جابر رضي الله عنه يرفعه قال
لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة
فقال لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل
من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده
معالم
والاية تدل على انهم فضلوا على كثير من خلقه لا على كله وانهم فضلوا على غيرهم من ذوي العقول ايضا لان من لمن يعقل
واستدلوا على انهم مفضلون على جميع المخلوقات سوى الملائكة وفي تفضيلهم على الملائكة اختلاف قال قوم هم مفضلون
عليهم ايضا فوضع الاكثر موضع الكل واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم لما خلق ادم وذريته قال الملائكة يا رب
خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال لي وعزتي وجلالي لا اجعل من خلقته بيدي
ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وبعضهم فضل الملائكة كلهم على بني ادم وبعضهم فضل المقربين
من الملائكة على خواص بني ادم والاولى ان يقال عوام الملائكة افضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين افضل من
خواص الملائكة والتفضيل حقيقة لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى
شيخ زاده رحمه الله
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم
ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف
قاضي بيضاوي رحمه الله
فيها تعسف بقول كثير جنس الملائكة لان المعنى فضلناهم اي جنس الانسان على بعض كثير ممن خلقنا ولم نفضلهم على
قليل وهم جنس الملائكة فورد عليه انه يلزم من عدم تفضيل بعض جنس الانسان على الملائكة عدم تفضيل بعض افرادهم
كالانبياء عليهم السلام وهذا دفع لاهل السنة فاشار المص الى رده بقوله ولا يلزم الخ

أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض أن يخسف بكم جانب البر انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض • وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر اي يقلبه وانتم عليه • والحاصل أن الجوانب كلها في قدرته سواء • وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب من اسباب الهلاك ليس جانب البر وحده مختصا به بل كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب • والغرق تغييب تحت الماء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان أو يرسل عليكم حاصبا هي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف ذلك عنكم أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم اي أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجيكم منه فأعرضتم بأن يرسل عليكم قاصفا من الريح وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد او هو الكاسر للفلك فيغرقكم بما كفرتم بكفرانكم النعمة وهو اعراضكم حين نجاكم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا يجدون احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا ودركا للثار من جهتنا أن نخسف او نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكي وابو عمرو ولقد كرمنا بني آدم بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الاشياء وتناول الطعام بالايدي • وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف رحمه الله فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنه قوله ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه وحملناهم في البر على الدواب والبحر على السفن ورزقناهم من الطيبات

باللذيذات او بما كسبت ايديهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على الكل كقوله واكثرهم كاذبون قال الحسن اي كلهم وقوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا • ذكر في الكشاف ان المراد بالاكثر الجميع • وعنه صلى الله عليه وسلم المؤمن اكرم على الله من الملائكة • وهذا لانهم يجبلون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفي البهائم شهوة بلا عقل وفي الآدمي كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو اكرم من الملائكة • ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم ولانه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه انتهى المدارك للنسفي رحمه الله

فيه رد

أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض أن يخسف بكم جانب البر الخسف ان تنهار الارض بالشيء • وتعديته بنفسه وبكم حال اي مصحوبا بكم قال الجوهري خسف الله به الارض اي غاب به فيها وجانب ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء رميا متتابعا ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك • وفي عبارته اشارة الى انه تعالى يحفظهم مرة ولا يعود اليه

فيه رد

بعد الكفران والعود الى الشرك أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر لم يقل اليه اذ لا يلزم من العود اليه التلبس به تارة أخرى بخلق الداعي الى ذلك فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته بشدة فيغرقكم قرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به بسبب ما فعلنا بكم تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار • قال الفراء التبيع طالب الثار ولقد كرمنا بني آدم تكريما مشتركا فيما بينهم بحيث لا يختص بعض دون آخر ولهذا اتى بصيغة الجمع والمراد الكرامة البدنية • ولهذا عبر عنهم بوصف البنوة وعبارته وان لم يتناول آدم عليه السلام لكن دلالته متناولة له عليه السلام • وذلك ان ترتيب التكريم على وصف البنوة المضافة اليه عليه السلام لا يخلو عن دلالة على انه عليه السلام منشأ التكريم ومبدؤه فلا حاجة الى تاويل بني آدم بنوع الانسان بل لا وجه له اذ حينئذ يفوت الدلالة على التكريم المشترك • ولما ابهم في جهة التكريم للتعظيم واتى بالتعميم في جانب المكرم حيث ذكره بصيغة الجمع النص في التكثير دون اسم الجنس المحتمل للتقليل والتكثير تعين اول الكلام وآخره للمبالغة فكان احرى ان يصدر طرفا الكلام بحرف التاكيد مرة بعد اخرى قيل ومن جملة كرامته ان كل حيوان يتناول طعاما بفمه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده • وفيه نظر لان القردة مع انها من الحيوانات الخسيسة يشاركه فيما ذكر فلا يصلح كرامته ولا ان يعد خاصية له

رد وتلفظا

يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون
وقيل هو على الاغراء اي احذر [?] يوم ندعوا • وقرئ يدعو ويدعى
ويدعوا على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعوا • ويجوز
ان يقال ان الواو علامة الجمع كما في اسروا النجوى الذين ظلموا • او
ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها
ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس
كل جماعة من الانس • الاناس لغة الناس وهو اسم جمع وقد مر
بيانه في اوائل سورة البقرة بامامهم بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين • وقيل بكتاب اعمالهم
فانه يرجع اليه في تعرف الاعمال ويرده ان المدعوا الى
كتاب واحد من الانس لا كل جماعة منه لعدم الاشتراك
بين الاثنين في كتاب واحد • وقيل بامهاتهم جمع ام كخفاف في
جمع خف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسنين وان لا يفتضح اولاد الزنا ويرده ايضا ما اشير اليه
من ان كلا ليست ما يشترك فيه جماعة من الانس ثم ان تلك
ما ذكر من وجوه الحكمة مردود بما ذكر في الصحيحين من طريق [?] الدال
على ان الناس يدعون في الاخرة باسمائهم واسماء ابائهم فمن اوتي
من المدعوين كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك اورده جمعا
على معنى من وقد حمل على اللفظ اولا فافرد في قوله كتابه وفي
قوله بيمينه يقرؤن كتابهم لكمال فرحهم ووفور تهللهم والذين
يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم لا يقرؤن كتابهم
واشير اليه في قوله واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني
لم اوت كتابيه لم يذكر القراءة فيه وفي قوله ياليتني دلالة ظاهرة
على ان الحبس السنتهم عن التكلم • وتعليق القراءة على ايتاء
الكتاب باليمين لا يخلو عن الدلالة على ما اشير اليه بعدم ذكر القراءة
في مقابله ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون مما يستحقون من
الجزاء ادنى شيء • وقد مر شرح الفتيل في سورة النساء ومن كان
في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى اي من كان في هذه الدار اعمى عن
النظر في ايات الله وغيره فهو في الاخرة اعمى • ولما نزل هذه
الاية جاء عبد الله بن ام مكتوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فانزل الله فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فلا دلالة فيما ذكر
على ان من اوتي كتابه بشماله لا يقدر على القراءة لعدم بصره
وقد مر في تفسير قوله اقرأ كتابك ما يقطع عرق الشبهة
وقد جوز ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ويعضد ذلك
ظاهر ما عطف عليه من قوله واضل سبيلا ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة لانه
بالامالة في قوله بالذي هو ادنى بل لانه اراد ابو عمرو ان يفرق بينهما لما اختلف معناهما واجتمعا في اية واحدة وانما قال الاول
دون الثاني لما ذكر فانه يصلح للرجحان وان لم يصلح للعلية واضل سبيلا لبطلان الاستعداد وفقدان الالة والمهلة
ولا دلالة فيه على انهم لا يدعون مرة اخرى باسماء امهاتهم فلذلك لم نقل ان اصل التفسير مردود به فافهم

يوم ندعو منصوب باذكر كل اناس بامامهم الباء للحال
والتقدير مختلطين بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي
او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا تابع
فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا • وقيل بكتاب
اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب
الشر فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه
فاولئك يقرؤن كتابهم وانما قيل اولئك لان من في
معنى الجمع ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم
ادنى شيء ولم يذكر الكفار وايتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء
بقوله ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى
كذلك واضل سبيلا من الاعمى اي اضل طريقا • و
الاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد
حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في
الدنيا فيفقد النظر • واما في الاخرة فلانه لا ينفعه
الاهتداء اليه • وقد جوز ان يكون الثاني بمعنى التفضيل
بدليل عطف واضل • ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول
ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن
وكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام فلم يقبل الامالة
واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في
الطرف فقبلت الامالة وامالهما حمزة [?] وفخمهما الباقون
وفي معالم التنزيل للبغوي رحمه الله ومن كان في هذه اعمى
اختلفوا في هذه الاية فقال قوم الاشارة في هذه راجعة
الى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الاية من قوله تعالى
يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا يقول من كان في
هذه النعم التي قد عاينها اعمى فهو في الاخرة التي لم يعاينها
ولم يرها اعمى واضل سبيلا • يروى ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقال اخرون هي راجعة الى الدنيا يقول
من كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله
واياته ورؤية الحق فهو في الاخرة اعمى عن الاعتبار [?] • وقال
من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
لانه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا يقبل توبته • وامال
بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم وكان ابو عمرو يكسر
ويفتح الثاني يعني فهو في الاخرة اشد عمى واضل سبيلا

ومن كان في هذه يعني في الدنيا اعمى عما يرى من قدرة الله في
خلق السموات والارض والبحار والجبال فهو في الاخرة اعمى اي في
امرها بالم يعاينه اعمى اشد عمى وكلاهما من عمى القلب لا من
عمى العين قال قتادة من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن فهو اعمى عما
غاب عنه ان يؤمن به هذا الذي ذكرنا قول عامة المفسرين
وقال الحسن من كان في الدنيا ضالا كافرا فهو في الاخرة اعمى واضل
سبيلا لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل واختار
ابو اسحق الزجاج هذا القول فقال تاويله انه اذا عمي في الدنيا
وقد عرفه الله الهدى وجعل له التوبة وصلة فعمي عن رشده ولم يتب
فهو في الاخرة اعمى اي اشد عمى واضل سبيلا لانه لا يجد طريقا الى
الهداية واختاره ابو علي الفارسي ايضا فقال معنى قوله فهو في
الاخرة اعمى اي اشد عمى لانه في الدنيا كان ممكنا من الخروج عن عماه
بقبول الحق ولا سبيل له في الاخرة الى الخروج من عماه لانه قد حصل في
[?] قوله واضل سبيلا لان ضلالته في الاخرة لا سبيل له الى
الخروج منه انتهى من تفسير الواحدي من القدماء في التفسير رحمه الله

وقرأ ابو عمرو في هذه اعمى بكسر الميم فهو في الاخرة اعمى بفتح الميم
اراد ان يفرق بين ما هو اسم وبين ما هو افعل منه
فغاير بينهما بالامالة وتركها لان معنى قوله فهو في الاخرة
اي اعمى منه في الدنيا ومعنى العمى في الاخرة انه لا يهتدي
الى طريق الثواب
انتهى الواحدي

يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون • وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول
يدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو • وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى
وضميره وكل بدلا منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع • وقد يكتفى بتقديره كما في
يدعي كل اناس من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل • وهذا شروع في بيان
تفاوت احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين
او كتاب او دين • وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير • يا اصحاب كتاب الشر • او يا اهل
دين كذا يا اهل كتاب كذا • وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف • والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله
بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة
الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على
وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء • وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي
اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور يقرؤون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا
بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي ولا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة
في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل
مثل في القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم و
التفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكريم والتفضيل فضلا عن
شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف
الحقة فهو في الآخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى
الاول موجب للثاني • وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الاخرة اشد من عماه في الدنيا
ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل
الآلات بالكلية • وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حاصل ما سبق من الفريق المقابل له •
ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة
الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين
بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين
المسبب وفي الاخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله
عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله انتهى ابو السعود رحمه الله
يوم قال الزجاج يعني به يوم القيمة وهو منصوب على معنى اذكر يوم يدعو كل اناس بامامهم قال مجاهد وقتادة
بنبيهم ويكون المعنى على هذا ان ينادى يوم القيمة فيقال هاتوا متبعي ابراهيم • هاتوا متبعي موسى • هاتوا متبعي محمد
عليهم السلام فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء • فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان • هاتوا متبعي
رؤساء الضلالة وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير امام هدى وامام ضلالة • ونحو هذا روى الوالبي
قال بائمتهم في الخير والشر • قال الضحاك وابن زيد يعني بكتابهم الذي انزل عليهم والمعنى على هذا ان يقال يا اهل
القرآن يا اهل التورية يا اهل الانجيل • وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة
دعيت الامم فيقال من هذه الامة وتشوق اي يتطلع اليها الناس فيقال هذا محمد وامته فينادي المنادي
نحن الاخرون هم الاولين فيأتي فيتخطى رقاب الناس حتى يكون اقرب الناس من الله منزلة • ثم يدعى اليهود
فيقال ما انتم فيقولون نحن اليهود فيقال ما كتابكم فيقولون التورية فيقال من نبيكم فيقولون نبينا موسى
فيقال ما تعبدون قالوا نعبد عزيرا ونعبد الله فيقال اسلكوا بهؤلاء في جهنم • ويدعو النصارى فيقال ما انتم
فيقولون نحن النصارى فيقال ما كتابكم فيقولون الانجيل فيقال من نبيكم فيقولون نبينا عيسى بن مريم فيقال ما تعبدون
قالوا نعبد عيسى وامه والله فيقال اسلكوا بهؤلاء في جهنم • ثم يدعون بشر اكثر اما كانوا يعبدون من الهتهم منها
حجارة ومنها الشمس والقمر فيقال من كان يعبد الها فليتبعه يقدمهم الهتهم • ثم يبقى المسلمون فيقف بهم ربهم عز وجل
فيقول ما انتم فيقولون نحن المسلمون فيقول خير اسم وخير داعية فيقول من نبيكم قالوا نبينا محمد فيقول ما كتابكم فيقولون
القرآن فيقول ما تعبدون قالوا نعبد الله وحده فيقول اتعرفونه ان رأيتموه فيقولون نعم

اعلم انه اختلف في المراد بالامام في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم [illegible]

مما اقترحته ثقيف • او قريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم كنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها • ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته اذن لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير • وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا • ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها • وقيل الضعف من اسماء العذاب • وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب انتهى ابو السعود رحمه الله

وان كادوا ليفتنونك اي هموا وقاربوا ان يزلوك ويصرفوك عن الذي اوحينا اليك يعني القرآن والمعنى عن حكمه نزلت في ثقيف اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا متعنا باللات سنة • وحرم وادينا كما حرمت مكة • فانا نحب ان تعرف العرب فضلنا عليهم وان كرهت ما نقول وخشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعط غيرنا فقل الله امرني بذلك فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمعهم الطمع وقد هم ان يعطيهم ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وكان في اعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن لذلك قال ان يفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره لتختلق غير ما اوحينا اليك وهو قولهم قل الله امرني بذلك واذا لاتخذوك خليلا لو فعلت ما ارادوا ولولا ان ثبتناك على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن همت وقاربت ان تركن اليهم اي تميل عبارة عن المقدر اي ركونا قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث سكت عن جوابهم والله اعلم بنيته ثم توعده على ذلك لو فعل اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات يريد عذاب الدنيا والآخرة اي ضعف ما يعذب غيره قال ابن عباس رضي الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم ولكن هذا تخويف لامته لئلا يركن احد من المؤمنين الى احد من المشركين في شيء من احكام الله وشرائعه

قوله وان كادوا ليفتنونك

اختلفوا في سبب نزولها فقال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدثت نفسه ما علي ان افعل ذلك والله تعالى يعلم اني لها كاره لعلهم ان يدعوني حتى استلم وقيل طلبوا منه ان يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدثت نفسه به فانزل الله تعالى هذه الآية • وقال ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا نجبي في الصلوة ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود • واما ان لا تكسروا اصنامكم بايديكم فذلك لكم • واما الطاغية يعني اللات فاني غير ممتعكم بها • فقالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فطمع القوم سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله هذه الآية وان كادوا ليفتنونك ليصرفونك الا معالم

فان قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر قيل كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما فقد عفى الله تعالى عن حديث النفس قال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقد ثبته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقد افضل ولم يتبعوه

اي يقرب

تجني

ولا تجبي اي لا نركع

وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتقول علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى مكرهم شيئا قليلا ركونا قليلا • وهذا تهييج من الله تعالى له وفضل تثبيت اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة الآية واصل الكلام لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار اي مضاعفا وكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات • ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار • وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله • ولما نزلت كان عليه السلام يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم لا تجد لك علينا نصيرا معينا لك يمنع عذابنا عنك انتهى المدارك

وان كادوا ليفتنونك ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يخدعوك فاتنين بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر • ولا نجبي في صلوتنا • وكل ربوا لنا فهو لنا • وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا • وان تمتعنا باللات سنة • وان تحرم وادينا كما حرمت مكة • وان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به • وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك واذا اي لو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا وخليلهم بريء من خلة الله تعالى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت قاربت تركن اليهم شيئا قليلا جواب لولا يقتضي اذا كان مثبتا امتناعه لوجود ما قبله فمقاربته الشيء القليل من الركون وهو الميل اليسير لم يقع منه صلى الله عليه وسلم فضلا عن وقوع ذلك الشيء القليل من الميل اليسير • وهذا غاية المبالغة في تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الميل الى هواهم والكون في صدده • ففيه دلالة ظاهرة على ان قوله تعالى ليفتنونك بيان قصدهم لا فعله عليه السلام اذا لاذقناك اي لو قاربت ضعف الحيوة وضعف الممات الضعف بمعنى المضاعف وكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات • ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف • ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لهم لما بعد الموت • وفي ذكر الكيد وتقليل الميل مرة بعد اخرى مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان من كانت درجته ارفع ونعم الله تعالى عليه اسبغ كان وعيد الله تعالى في حقه ابلغ ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك عذابنا بالغلبة علينا انتهى

وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة • فان قالت العرب لم فعلت فقل ان الله تعالى امرني بذلك • وقيل في قريش حين قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة • او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا • فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته

معنى لا نحشر

اي لا نؤخذ

اي نزل

اي طلبته

وان كادوا الضمير لاهل مكة ليستفزونك قد مر تفسير
الاستفزاز من الارض اى من ارض مكة ليخرجوك
منها متعلق لكادوا واذا اى لو اخرجوه منها لا يلبثون
خلافك بعدك وقرئ خلفك وهو لغة فيه اى لم يبقوا فيه رد
الا قليلا قدر ما ينزل بهم العذاب وما اخرجوه منها بل
خرج بنفسه امتثالا لامر الهجرة نعم ارادوا اخراجه عليه السلام
لكن التعليق على الاخراج لا على الازعاج • وقيل الضمير
ليهود المدينة والارض ارضها وذلك انهم ارادوا ما اكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك تخاف الروم فان كنت
نبيا فاخرج اليها فان الله تعالى يحميك كما حمى سائر الانبياء عليهم
السلام فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل
من المدينة مرحلة فانزل الله تعالى هذه الاية • وعلى هذا
ايضا لم يوجد اخراجه عليه السلام كما هو الظاهر من قوله
واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا منصوبا باذا على انه معطوف
على قوله ان كادوا لا على خبر كاد فان اذا لا يعمل اذا كان
معتمدا ما بعدها على ما قبلها سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
نصب على المصدر اى سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان يهلك فيه رد
كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة للمرسل •
والاضافة الى الرسل لادنى ملابسة دل على ذلك قوله
ولن تجد لسنتنا تحويلا تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها وقيل لغروبها واصل التركيب هو ينتظم
المعنيين قال ابن عطية الدلوك الميل في اللغة فاول
الدلوك هو الزوال واخره هو الغروب • وقال الازهري
من جعل الدلوك اسما لغروبها فلان الانسان يدلك عينيه
لتبيين حالة المغيب ومن جعله اسما لزوالها فلانه يدلك
عينيه لشدة شعاعها عند ذلك • واللام للتاقيت لانها انما
تجب بزوال الشمس الى غسق الليل هو اجتماع الليل وظلمته
وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقيل المراد بالصلوة فيه رد
صلوة المغرب • وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا
الوقت ومنتهاه على ان الدلوك هو الغروب • واستدل به
على امتداد الوقت الى غروب الشفق وقران الفجر وصلوة
الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا ولكن اصلاح
لا دلالة فيه على ذلك كما لا دلالة في تسميتها قنوتا على ان
القنوت ركنها وكذا لا دلالة فيه على وجوب القراءة فيها
لجواز ان يكون التجوز بها لكونها مندوبة في الصلوة نعم
لو كان التجوز في الفجر بان يكون المراد منه الصلوة في
ذلك الوقت لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها عبارة
وفي غيرها دلالة • وانتصب قران عطفا على الصلوة
قاله الفراء او على الاغراء اى فعليك بقراءة الفجر قاله
الزجاج وعزاه الى البصريين ان قران الفجر كان مشهودا
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار رواه الترمذي عن ابي
هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث حسن صحيح ○

اى اثقل ملة ح

وان كادوا ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذا
لا يلبثون لا يبقون خلفك بعدك اى بعد اخراجك
خلافك كوفي غير ابي بكر وشامي بمعناه الا قليلا
زمانا قليلا فان الله مهلكهم • وكان كما قال فقد
اهلكوا ببدر بعد اخراجهم بقليل • او معناه
ولو اخرجوك لاستؤصلوا • عن ابي بكر لم
ولم يخرجوك بل هاجر بامر ربه • وقيل من ارض
العرب او من ارض المدينة سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين
ظهرانيهم فسنة الله تعالى ان يهلكهم • ونصبت
نصب المصادر المؤكدة اي سن الله ذلك سنة
ولا تجد لسنتنا تحويلا تبديلا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها وعلى هذا الاية جامعة للصلوات الخمس
او لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر الى غسق
الليل هو الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقران
الفجر صلوة الفجر • سميت قرانا وهو القراءة
لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على
الاصم حيث زعم ان القراءة ليست بركن • او
سميت قرانا لطول قراءتها وهو عطف على الصلوة
ان قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء • فهو في اخر
ديوان الليل واول ديوان النهار • او يشهده
الكثير من المصلين في العادة ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد التهجد ترك الهجود للصلوة
ويقال في النوم ايضا تهجد به بالقران نافلة لك
عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس • وضع نافلة
موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان
التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى
ان التهجد زيدت على الصلوات المفروضة غنيمة
لك او فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف
اى عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما
محمودا • او ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة
عند الجمهور ويدل عليه الاخبار او هو مقام يعطى فيه
لواء الحمد

انتهى المدارك

ان قران الفجر كان مشهودا كلهم قالوا صلوة الفجر يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار
ابا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم
وحده بخمس وعشرين جزءا ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلوة الفجر ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا رواه البخاري قوله ومن الليل فتهجد به
قال ابن عباس فصل بالقران • وقال مجاهد وعلقمة والاسود التهجد بعد النوم قال الليث تهجد
استيقظ للصلوة • وقال الازهري المتهجد القائم الى الصلوة من النوم • وقيل له متهجد
لالقائه الهجود عن نفسه كما يقولون تحرج وتاثم وتحوب قوله نافلة لك معنى النافلة في اللغة
ما كان زيادة على الاصل وصلوة الليل كانت زيادة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لرفع الدرجات
لا للكفارات لانه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وليست لنا بنافلة لكثرة ذنوبنا انما نعمل لكفارتها
هذا قول جميع المفسرين قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال ابن عباس رضي الله عنهما عسى
من الله واجبة يريد اعطاك ربك يوم القيمة مقاما محمودا يحمدك فيه الاولون والاخرون تشرف فيه
على جميع الخلائق وتسل فتعطى وتشفع فتشفع لك وليس احد الا تحت لوائك • واجماع المفسرين
على ان مقام المحمود هو مقام الشفاعة • ومعنى يبعثك ربك مقاما يقيمك في ذلك المقام • عن ابي هريرة رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا الشفاعة وعنه في قوله
صلى الله عليه وسلم عسى ان يبعثك مقاما محمودا قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي انتهى الواحدي

حديث حسن صـ
ومن الليل فتهجد
قال الحجاج
بعد رقدة
يقال تهجد
التي فرك
يكون من
وقد روي
فسر النافـ
بواجب
الفرايض
مثل هذا
رضي الله
الموضع

قوله تعالى أقم الصلوة أي أتم الصلوة يا محمد لدلوك الشمس بعد زوال الشمس صلوة الظهر والعصر إلى غسق الليل
وبعد دخول الليل صلوة المغرب والعشاء. وقرآن الفجر صلوة الغداة أي وقرآن الفجر صلوة الغداة كان
مشهودا تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار انتهى من تفسير الكرماني

والحاصل أن العلماء اختلفوا في الدلوك. قال ابن مسعود الدلوك هو الغروب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو زوال الشمس ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل إذا زالت أو غربت
والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين ولأنا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة
لمواقيت الصلوة كلها فدلوك الشمس يتناول صلوة الظهر والعصر إلى غسق الليل وهو يتناول
المغرب والعشاء. وقرآن الفجر هو صلوة الصبح فقوله إلى غسق الليل إلى ظهور ظلمة الليل وقيل
الليل وتحته صلوة المغرب. وقال مجاهد غروب الشمس وقرآن الفجر يعني صلوة الفجر سمى الصلوة
قرآنا لأنها لا تجوز إلا بقراءة وانتصاب القرآن أما على أنه عطف على الصلوة أي أقم قرآن الفجر
وأما على أنه منصوب على الإغراء أي وعليك بقرآن الفجر انتهى المعالم

ومن الليل فتهجد به نافلة لك أي ثم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد النوم يقال تهجد
إذا نام بعد ما نام وهجد إذا نام والمراد من الآية قيام الليل للصلوة وكانت صلوة الليل فريضة على
النبي صلى الله عليه وسلم في الابتداء وعلى الأمة لقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا
أو زد عليه ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقي الاستحباب
قال تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حق النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت
ثلث هي علي فريضة ولكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل قوله نافلة لك أي زائدة لك يريد
فريضة زائدة على سائر الفرائض فرضها الله تعالى وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخا في حقه كما في
حق الأمة فصارت نافلة لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما
في حقه صلى الله عليه وسلم قيل التخصيص من حيث أن نوافل العبادة كفارة لذنوبهم والنبي صلى الله عليه وسلم
قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نافلة لا تعمل في كفارات الذنوب فبقي له زيادة في الدرجات
عن المغيرة بن شعبة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا. وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال لأرمقن
صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين
ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما
ركعتين

بالنوم الذي هو اخو الموت • او يشهده كثير من المصلين • او من حقه ان يشهده الجم الغفير • فالآية على تفسير الدلوك
بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر ومن الليل قيل هو نصب على الاغراء
الزم بعض الليل • وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع ليست
بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي
ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها
الضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر • او للبعض المفهوم من قوله تعالى ومن الليل
التهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في • وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على
طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة
قيل هو الفضة في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها • او تطوعا لكن لا لكونها زيادة
على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات • على ما قال مجاهد والسدي فانه صلى الله عليه وسلم
مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة
فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم • وانتصابها اما على المصدر بتقدير
تنفل • او وجعل تهجد بمعناه • او وجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة • واما على الحالية
من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة • واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل
والعامل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي
يبلغك الى كمالك اللائق بك من بعد الموت الاكبر كما انبعثت من النوم الذي هو الموت الاصغر
بالصلوة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لابد
من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار • ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف
اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس • وفيه تهوين لمشقة قيام الليل • وروى ابو هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى
وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك

١١

ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلث عشر
ركعة • وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان
ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن
وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسأل عن حسنهن يا عائشة عيناي تنامان ولا ينام قلبي •
وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ
من صلوة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بواحدة و
يسجد سجدتين قدر ما يقرأ احدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن
في صلوة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى
يأتي المؤذن للاقامة فيخرج وبعضهم يزيد على بعض معالم

١١٢

حديث حسن صحيح والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال وللصلوات الليل فقط ان فسر بالغروب

ومن الليل فتهجد من للتبعيض والفاء ناسقة على مقدر اي قم فتهجد به اي بالقرآن • والتهجد التيقظ من النوم مطلقا

قال الحجاج بن عمرو رضي الله عنه صاحب النبي عليه السلام ايحسب احدكم اذا قام في الليل كله انه قد تهجد انما التهجد الصلوة

بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة ثم الصلوة بعد رقدة كذلك كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال من الهجود

يقال تهجد اذا القى الهجود وهو النوم عن نفسه وهذا الفعل جار مجرى تحوب وتحرج وتحنث وتنجس اذا

التي [illegible] عن نفسه نافلة لك زايدة على تلك الفرائض المذكورة في الآية السابقة والزائد حقه ان

يكون من جنس المزيد عليه • فالتهجد من الفرائض • وانما قال لك لانه ليس بفرض في حق امته عليه السلام

وقد روي عنه ثلث على فريضة ولامتي تطوع قيام الليل • والوتر • والسواك • ومن زعم انه تطوع في حقه ايضا

فسر النافلة بالزيادة اي زيادة لك في الدرجات • وذلك لانه عليه السلام مغفور له فهو اذا تطوع بما ليس

واجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته وغيره من الامة تطوعهم كفارات لذنوبهم وتدارك لخلل يقع في

الفرائض عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف على تقدير العامل او تضمينه اذ لا يصلح للعمل في

مثل هذا الظرف الافعل فيه معنى الاستقرار • ويجوز ان يكون حالا اي ذا مقام محمود • وروى الترمذي عن ابي هريرة

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود وهو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال هذا حسن فالمقام

الموضع الذي يقوم فيه الانسان للامور الجليلة • ومعنى كونه محمودا انه تعالى يقيمه عليه السلام فيه فيشفع فيحمده الخلق انتهى

ابن الكمال رحمه الله

وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض

اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذن لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد • وقرئ لا يلبثوا

بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك اي بعدك قال خلت

الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا • اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك • وقرئ خلفك

الا قليلا الا زمانا قليلا • وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام • وقيل نزلت الاية في اليهود

حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا

فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه السلام فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي

بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اي سن الله تعالى سنة

وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم

على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه

قوله عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر • واشتقاقه من الدلك

لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه • وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت • وقيل اصل الدلوك

الميل فينتظم كلا المعنيين • واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلث خلون الى غسق الليل الى اجتماع ظلمته وهو

وقت صلوة العشاء • وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عينه

لها بيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه السلام • ولعل الاكتفاء ببيان

المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة

فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر

ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات • وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور

بيان لمبدائه ومنتهاه • واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق وقوله تعالى وقران الفجر اي صلوة

الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء كما قال الزجاج • وانما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا

واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها

نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة • ويجوز ان يكون

وقران الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به كان

مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم ظ

٨٨

وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا يتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول

لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا

ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض قال قتادة هم اهل مكة باخراج نبي الله منها ولو فعلوا ذلك ما نوظروا ولكن الله

كفهم من ذلك حتى امره بالخروج • والمعنى انهم قاربوا ان يزعجوك من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون

خلفك وخلافك اي بعدك يعني بعد خروجك وخلافك بمعنى خلفك لغتان بمعنى قولها بقعدهم خلاف رسول الله

قوله الا قليلا اي لو اخرجوك لاستاصلناهم بعد خروجك بمدة يسيرة سنتنا فيمن قبلهم وهو قوله

سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا قال سفيان بن عيينة يقول لم نرسل قبلك رسولا فاخرجه قومه

الا اهلكوا • وقال الزجاج يقول ان سنتنا هذه السنة فيمن ارسلنا قبلك اليهم انهم اذا اخرجوا نبيهم

من بين اظهرهم او قتلوه ان ينزل العذاب بهم قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا اي اجرى الله تعالى به العادة

لم يبق نبيا لاحد ان يقلبها قال ابن عباس لا خلف لسنتي ولا القضاي ولا لموعدي قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس

زوالها وميلها في وقت الظهر • وكذلك ميلها للغروب وهو دلوكها ايضا • قال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها الى

غروبها عند العرب • والمفسرون مختلفون فيه فقوم يقولون دلوكها زوالها وهو قول الحسن والشعبي وسعيد بن

جبير • ومجاهد وقتادة فقال قوم دلوكها غروبها وهو قول ابن مسعود وعلي والسدي وابن عباس في رواية سعيد بن

جبير • قال الازهري معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف

النهار دالكة • وقيل لها اذا افلت دالكة لانها في الحالتين زائلة قال والقول عندي ان زوالها نصف

النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس والمعنى اقم الصلوة من وقت زوال الشمس الى غسق الليل

فيدخل فيها الاولى والعصر وصلاتا غسق الليل وهما العشاءان ثم قال وقران الفجر والفجر فهذه خمس صلوات

ومعنى غسق الليل سواده وظلمته • قال ابن جريج قلت لعطاء ما غسق الليل قال اوله حين يدخل

وقال ابن مسعود غسق الليل ظلامه • قال الفراء والزجاج يقال غسق الليل واغسق اذا اقبل بظلامه

قوله وقران الفجر قال ابن عباس والمفسرون يريد صلوة الفجر قال الزجاج اي واقم قران الفجر

قال وفي هذا فايدة عظيمة يدل عليه على ان الصلوة لا تكون الا بقراءة حين سميت الصلوة قرانا

من قدماء المفسرين الواحدي رحمة الله عليه

فيه رد من ط

فيه رد من طع

حجة تنصرني على من خالفني • او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر • فاجيبت دعوته صلى الله عليه وسلم بقوله جل وعلا
والله يعصمك من الناس • الا ان حزب الله هم الغالبون • ليظهره على الدين كله • ليستخلفنهم في الارض
اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان
روحه اذا خرج ان الباطل كائنا ما كان كان زهوقا اي شأنه ان يكون مضمحلا غير ثابت • وهو عدة كريمة
الدعاء بالسلطان النصير الذي لقنه • عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت
ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القى جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسر
وننزل من القران وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة
للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى
ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء • فان كل القران كذلك • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران
فلا شفاه الله • او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما يستدعيه
نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء
المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض منه متصف بالشفاء
لكن لا في كل حين بل عند تنزيله • وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسمانية كما في الفاتحة وآيات الشفاء
لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين اي لا يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين
للاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا
كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض
مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات
النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا • وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية
لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض • وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت
والهلاك • واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك لسوء صنيعهم باعتبار
كونه سببا لذلك • وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان
بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه اي الثاني
ان يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرضه وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن
المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل • وفي اسناد المساس الى الشر بعد
اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد والشر ليس كذلك كان يؤسا شديد اليأس من
وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض ونظائره فان ذلك شأن بعض آخرين منهم • وقيل اريد به الوليد بن المغيرة • وقرأ ابن عامر ناء
التعلب كما يقال راء في رأى وآما على انه بمعنى نهض انتهى ابو السعود

قوله وقل رب ادخلني مدخل صدق روى قابوس بن ابي ظبيان عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت هذه الآية والمعنى ادخلني المدينة واخرجني من مكة
والمخرج بمعنى المصدر واضافتهما الى الصدق مدح لهما وكل شيء اضفته الى الصدق فهو مدح نحو قوله قدم صدق
ومقعد صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة بينة تنصرني بها على جميع من خالفني قوله وقل جاء الحق
وزهق الباطل قال السدي الحق الاسلام والباطل الشرك • وقال قتادة الحق القران والباطل الشيطان
زهق بطل واضمحل • وكل شيء هلك وبطل فقد زهق • عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان كل ما كان من الشيطان كان خارجا من الحق قوله وننزل من القران اي من هذا الجنس
فهو قران ما هو شفاء بجميع القران شفاء للمؤمنين قال قتادة اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا
معنى كونه شفاء انه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل • وقال ابن عباس يريد شفاء من
كل داء وعلى هذا معناه انه يتبرك به فيدفع الله تعالى كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله قوله ورحمة للمؤمنين قال ابن عباس يريد ثوابا
لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله ويثيبهم عليها انتهى الواحدي

قوله ان الباطل كان زهوقا

تفسير امام البغوي لمعالم السنة قال المراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج • واختلف فيه
ابن عباس رضي الله عنهما ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة • نزلت حين امر
صلى الله عليه وسلم بالهجرة • وقيل اخرجني مخرج صدق مكة امنا من المشركين وادخلني مدخل صدق
ظاهرا عليها بالفتح • وقال مجاهد ادخلني في امرك الذي ارسلتني به من النبوة مدخل صدق
واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق • وقيل مدخل صدق الجنة
مخرج صدق من مكة • وقيل ادخلني في طاعتك واخرجني من المعاصي • وقيل معناه ادخلني
حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق اي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان
ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله • ووصف الادخال والاخراج بالصدق لما يؤول اليه الخروج والدخول
من النصر والعز والدولة للدين كما وصف القدم بالصدق كما قال تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال مجاهد حجة بينة • وقيل ملكا قويا تنصرني به على من ناواني وعزا ظاهرا
اقيم به دينك فوعده الله تعالى لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعل له • قال قتادة علم
نبي الله ان لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله وحدوده واعانة
دينه انتهى

وقل رب ادخلني مدخل صدق هو مقصد
اي ادخلني القبر ادخالا مرضيا على طهارة من الزلات
واخرجني مخرج صدق اي اخرجني منه عند البعث
اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة •
دليله ذكره على اثر ذكر البعث • وقيل نزلت حين
امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة
او هو عام في كل ما يتدخل فيه ويلابسه من امر او
مكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا
للاسلام على الكفر مظهرا له عليه وقل جاء الحق
الاسلام وزهق وهلك الباطل والشرك او
جاء القرآن وهلك الشيطان ان الباطل كان زهوقا
مضمحلا في كل اوان وننزل وبالتخفيف ابو عمرو
من القرآن من للتبيين ما هو شفاء من امراض
القلوب ورحمة وتفريج للكروب وتطهير للعيوب
وتكفير للذنوب للمؤمنين في الحديث من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الكافرين
الا خسارا ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم واذا انعمنا
على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كأنما
او انعمنا بالقرآن اعرض ونأى بجانبه تأكيد
للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان توليه عرض وجهه
والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره • او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة
المستكبرين • ناء بالامالة حمزة وبكسرهما علي
واذا مسه الشر الفقر او المرض • او نازلة من
النوازل كان يؤسا شديد الياس من روح الله

وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق •
المدخل والمخرج بضم الميم بمعنى الادخال والاخراج •
والصدق بمعنى المرضي يقال صدق اي مرضي الخلق •
وقرئ مدخل ومخرج بفتح الميم بمعنى الدخول والخروج
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج
خروجا • وقيل المراد ادخال مكة ظاهرا عليها واخراجه
منها آمنا • وقيل ادخال الغار واخراجه منه سالما •
وقيل ادخال المدينة واخراجه من مكة • وقيل
ان الغالب ح تقديم الاخراج على الادخال • وقيل ادخلني
فيما امرتني به واخرجني عما نهيتني عنه • والظاهر انه عام
جميع موارده عليه السلام ومصادره دنياوية واخروية
وقيل المراد الادخال في القبر والاخراج منه ليتصل بقوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا واجعل لي من لدنك
قد تفسير لدن في آل عمران سلطانا نصيرا حجة تنصرني على
المخالفة او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون والنصر التمكين من الانتصار من
العدو وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل اي ذهب
الكفر يقال زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا
اي لم يزل مضمحلا وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من
للتبيين كقوله من الاوثان قدم على المبهم
اهتماما اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يستصلحون
به دينهم ويصلحون به في دنياهم فموقعه منهم موقع الشفاء
من المرض • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله او للتبعيض وليس معناه انه منقسم الى ما هو
شفاء والى ما هو ليس بشفاء بل المعنى انه ينزل شيئا فشيئا
فالنازل في كل وقت بعضه هو شفاء كله ورحمة للمؤمنين بتفريج
الكروب وتطهير العيوب وتكفير الذنوب مع ما تفضل به تعالى
من الثواب في تلاوته ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي
نقصانا لتكذيبهم وكفرهم قال قتادة ما جالس احد القرآن
الا قام بزيادة او نقصان واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ونأى بجانبه
تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان توليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ويجوز ان يكون
بمعنى الاستكبار لانه من عادة المستكبرين • وقرئ ناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله

قل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي
الكرامة فوقها • وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة • وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد • وقيل
ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين • وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما • وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه • وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه •
وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا •
انتهى ابن كمال

قوله ولا يزيد القرآن الظالمين المشركين الا خسارا لانهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه
فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين • عن اسيد بن جابر عن اويس القرني
قال لم يجالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان قضاء من الله الذي قضى
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله واذا انعمنا على الانسان قال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد الوليد بن المغيرة اعرض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله في
حال البلوى والمحنة ونأى بجانبه تعظم عنه وتكبر وتباعد بنفسه عن القيام بحقوق
النعم • ونأى معناه بعد • ونأى بالشيء اذا ابعده • وقرأ ابن عباس ناء مثل باع
وهذا على القلب مثل رأى وراء • وقرأ حمزة نأى بامالة الفتحتين اما الف
الهمزة لان الالف منقلبة عن الياء التي في النأي اراد ان ينحو نحوها واما امالة
فتح النون لامالة فتحة الهمزة قوله واذا مسه الشر كان يؤسا قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا
اصابه مرض او فقر يئس من رحمة الله تعالى وهذا من صفة الجاهل بالله وذم له بانه لا يثق
بفضل الله على عباده انتهى الواحدي

بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا • وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. أسهل المدارك

قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة • تعالى طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه ويشهد لذلك قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أسد مذهبا وأبين طريقة ويسألونك عن الروح الذي يحيي به بدن الإنسان ويدبره قل الروح من أمر ربي من الإبداعيات الكائنة بأمر كن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده • وفيه إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته • وهذا القدر من البيان لأنه إن في الإبهام المذكور فيما روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم الروح لأن السؤال كان عن حقيقته وهي باقية على إبهامها • وقيل الروح جبريل عليه السلام • وقيل خلق أعظم من الملك وما أوتيتم من العلم إلا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فإن اكتساب العلوم النظرية من الضروريات المستفادة من المحسوسات غالبا ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما وأكثر الأشياء لا يدركه الحس اهـ [illegible]

قل كل أي كل واحد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي برأكم على هذه الطبائع المتخالفة أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أسد طريقا وأبين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الظاهر أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الإنساني ومبدأ حياته روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح

قل كل أي كل أحد يعمل على شاكلته على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله تعالى أي مما استأثر بعلمه • وعن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه • والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز ولذا رد ما قيل في حده أنه جسم رقيق هوائي في كل جزء من الحيوان • وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام دليله نزل به الروح الأمين وعن الحسن القرآن دليله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ولأن به حياة القلوب من أمر ربي أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر • وروي أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندم على سؤالهم قيل كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربي دليل خلق الروح فكان هذا جوابا وما أوتيتم من العلم إلا قليلا خطاب عام فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون

٥ فإن أجا…
القصتين
من أمر ر…
وفيها من تس…
تا بعلمه…

مطلب في الروح من تفسير الواحدي

اختلف العلماء في ماهية الروح فقال قوم إن الروح هو الدم ألا ترى أن من نزف دمه مات والميت لا يفقد من جسمه إلا الدم • وزعمت طائفة أن الروح استنشاق الهواء ألا ترى أن المخنوق ومن منع نسيم الهواء يموت • وقال عامة المعتزلة والنجارية الروح عرض إلا ابن الراوندي فإنه قال الروح جسم لطيف أسكن البدن • وقال بعض الحكماء إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا تبصر العينان وتسمع الأذنان ويكون طيبا فإذا خرج أنتن الجسد ويكون باقيا فإذا زايله الروح صار فانيا ويكون حيا وبخروجه تصير ميتا ويكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا ويكون الجسد علويا لطيفا ما دام فيه الروح فإذا خرج صار سفليا كثيفا • والاختيار من هذه الأقوال أنه جسم لطيف يوجد به الحياة يدل على هذا قوله في صفة الشهداء بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين والارتزاق والفرح من صفات الأجسام والمراد به أرواحهم لأن أجسامهم بليت في التراب وكذلك أن أرواح الشهداء تعلق من شجر الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش وهذا الفعل لا يتأتى من العرض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن الروح إذا خرج من الإنسان مات الجسد وصار الروح صورة أخرى فلا تطيق الكلام لأن الجسد جسم والروح يصوت من جوفه ويتكلم فإذا فارق الروح الجسد صار الجسد صفرا وصار الروح صورة أخرى ينظر إلى الناس يبكونه ويغسلونه ويدفنونه ولا يستطيع أن يتكلم كما أن الريح إذا دخل في مكان ضيق سمعت له دويا فإذا خرج منه لم يسمع له صوتا وكذلك المزامير فأرواح المؤمنين ينظرون إلى الجنة ويجدون ريحها وأرواح الكفار يعذبون في قبورهم حتى إذا نفخ في الصور النفخة الأولى رفع العذاب وماتت الأرواح عند ذلك أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ورفع العذاب عن الكفار فيما بين النفختين لذلك قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه فالأشياء تفنى ويبقى وجه الله الكريم هذا الذي ذكرنا كله عند التحقيق خروج من التكلف لأن الله تعالى أبهم علم ذلك • قال عبد الله بن بريدة ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما الروح • وقال الفراء الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله به أحدا من خلقه ولم يعط علمه أحدا من عباده فقال قل الروح من أمر ربي أي من علم ربي أي إنكم لا تعلمونه وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أي بالإضافة إلى علم الله تعالى وذلك أن اليهود كانت تدعي علم كل شيء بما في كتابهم فقال الله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا • قال الزجاج ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك حين لم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الروح ولم يبين الله له ذلك قال وما أوتيتم من العلم إلا قليلا يدل على هذا قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك أي أقدر أن آخذ ما أعطيتك كأنه يقول لم تؤت من العلم إلا قليلا من العلم ولو شئت أن آخذ ذلك قدرت قال الزجاج لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يوجد أثره • عن عبد الله رضي الله عنه قال أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى منه الصلوة وليصلين أقوام لا خلاق لهم ويرفع القرآن من بين أظهركم ثم قرأ عبد الله ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا أي لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه إلا رحمة من ربك لكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين

فان اجاب عنها جميعاً او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبيّن لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية **قل الروح** اظهر في مقام الاضمار اظهاراً لكمال الاعتناء بشأنه **من امر ربي** كلمة من بيانية والامر بمعنى الشأن • والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استأثر الله بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك • روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه السلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية • وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما نيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان • او هو من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق • وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر • وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً • ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته وانما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخباراً بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته لحال السائلين لان عدة التعريف لبيان قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك • وقيل جبريل عليه السلام • وقيل القرآن • ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا كلام البشر انتهى ابو السعود رحمه الله عليه رحمة واسعة والجميع المفسرين من اهل السنة والجماعة

وفي معالم التنزيل للبغوي رحمه الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشاً اجتمعوا وقالوا ان محمداً نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفراً الى اليهود بالمدينة وسلوهم عنه فانهم اهل الكتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان اجاب اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي • سلوه عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب • وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره • وعن الروح فسألوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سألتم غداً ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوماً وقيل اربعين يوماً واهل مكة يقولون وعدنا محمد غداً وقد اصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي فشق عليه ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله • ونزلت في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا • ونزلت فيمن بلغ الشرق والغرب ويسألونك عن ذي القرنين • ونزل في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي • واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه • فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال انه جبرئيل عليه السلام • وروي عن علي رضي الله عنه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان • قال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم ايد وارجل ورؤس وليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام قال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقاً اعظم من الروح غير العرش لو شاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيهما بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الآدميين يقوم يوم القيمة صفاً على يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين واقرب الى الله تعالى يوم القيمة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد لولا ان بينه وبين الملائكة ستراً من نور لاحترق اهل السموات من نوره • ومعناه انه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقوله النصارى • وقال قوم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان وهو الاصح • وتكلم فيه قوم قال بعضهم هو الدم الا ترى ان الحيوان اذا مات لا يفوت منه الا الدم

وقال قوم انه نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء الا ترى انه اذا كان موجوداً يكون الانسان موصوفاً بهذه الصفات واذا خرج ذهب الكل والاولى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى وهو قول اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً • وقوله قل الروح من امر ربي قيل من علم ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا في جنب علم الله تعالى • قيل هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم • وقيل خطاب لليهود فانهم كانوا يقولون اوتينا التورية وفيها العلم الكثير وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار كان علماً لنبوته والاول اصح لان الله تعالى استأثر بعلمه انتهى لمعالم للامام البغوي

مطلب من التعريفات للسيد الشريف رحمه الله

الروح الانساني فهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الامر يعجز العقول عن ادراك كنهه وذلك الروح قد يكون مجردة وقد يكون منطبعة في البدن **والروح الحيواني** جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن **والروح الاعظم** هو الروح الانساني مظهر الذات الالهية من حيث ربوبيتها لذلك لا يمكن ان يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم لا يعلم كنهها الا الله تعالى ولا ينال هذه البغية سواه • وهو العقل الاول • والحقيقة المحمدية • والنفس الواحدة • والحقيقة الاسمائية وهو اول موجود خلقه الله على صورته وهو الخليفة الاكبر وهو الجوهر النوراني جوهريته مظهر الذات نورانيته مظهر علمها ويسمى باعتبار الجوهرية نفساً واحدة وباعتبار النورانية عقلاً اول • فكما ان له في العالم الكبير مظاهر واسماء من العقل الاول والقلم الاعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك له في العالم الصغير الانساني مظاهر واسماء بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح اهل الله تعالى وغيرهم وهي السر والخفي والروح والقلب والكلمة والروع والفؤاد والصدر والعقل والنفس انتهى

مطلب

صلا وان هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسري عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب **ثم لا تجد لك به** اي بالقرآن **علينا وكيلا** من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً **الا رحمة من ربك** فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتناناً بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيباً في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيراً من لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها **ان فضله كان عليك كبيرا** كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك **قل** للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر **لئن اجتمعت الانس والجن** اي اتفقوا **على ان يأتوا بمثل هذا القرآن** المنعوت بما لا تدرك العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى • وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة **لا يأتون بمثله** اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازاً عن ان يتوهم ان له مثلا معيناً وايذاناً بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي يأتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان • وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد • او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** اي تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله • وهو عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً • وقد حذف المعطوف عليه حذفاً مطرداً لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثل حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى • وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة • ومحل النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها • وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياتها ببعض • ولا مساغ لكون الاية تقريراً لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه • ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه • فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام **ولقد صرفنا** كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمينان **للناس في هذا القرآن** المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة **من كل مثل** من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول **فأبى اكثر الناس** اوثر الاظهار على الاضمار تاكيداً وتوضيحاً **الا كفورا** اي الا جحوداً • وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيداً لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم كفوراً وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء انتهى ابو السعود رحمه الله

الخ

ثم احتج على المشركين باعجاز القرآن فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية قال المفسرون هذا تكذيب للنضر حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا • وقال مقاتل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم تحداهم اولا فقال فأتوا بعشر سور مثله فعجزوا عن ذلك فتحداهم وقال فأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك فايسهم الله تعالى عن معارضته بمثل ما في هذه الاية • والمثل الذي طلب منهم كلام له نظم كنظم القرآن في اعلى طبقات البلاغة واصدق

ولوصليتين

ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** اي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا **الا رحمة من ربك** ان فضله **كان عليك كبيرا** اي الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد • او يكون على الاستثناء المنقطع اي ولكن رحمة من ربك تركته على غير مذهوب به • وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابا بالقول النضر لو نشاء لقلناه مثل هذا **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** معينا • ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله • يقول لا غائب مالي ولا حرم • لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه لعجزوا عن الاتيان بمثله **ولقد صرفنا** رددنا وكررنا **للناس في هذا القرآن من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه **فأبى اكثر الناس الا كفورا** جحودا • وانما جاز فأبى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا لان ابى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا انتهى المدارك

٤

ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف **ثم لا تجد لك به علينا وكيلا** اي لا تجد بعد الذهاب من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا **الا رحمة من ربك** لكن لان ذلك رحمة من ربك • وقيل الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد • وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا** اذ جعلك سيد ولد آدم واعطاك المقام المحمود وانزل عليك هذا الكتاب وابقاه محفوظا **قل لئن اجتمعت الانس والجن** لم يذكر الملك معهما لانه قادر على الاتيان بمثل لانه مردود بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بل لان الفعل المذكور مما لا يليق بشانه ولا يجوز ان ينسب اليه لانهم معصومون لا يفعلون الا ما يؤمرون به **على ان يأتوا بمثل هذا القرآن** في كمال بلاغته وحسن نظمه وجودة تاليفه **لا يأتون بمثله** جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاها لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا • والعدول عن الضمير الى الاسم الظاهر لتفخيم ما عجز عنه الثقلان • ولما كان الاجتماع على امر قد يوجد بدون المظاهرة فيما بينهم كاجماع المجتهدين على حكم شرعي قال **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ولو تظاهروا على ما اتفقوا عليه من المعارضة باتيان مثله • ولا يبعد هذا ان يكون تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لان القدرة على الاتيان بمثله اصعب من القدرة على استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا ما فوقه **ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن** مر تفسيره في هذه السورة **من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسن موقعه **فأبى اكثر الناس** اي متاول بالنفي اي فلم يرضوا **الا كفورا** اي جحودا انتهى ابن كمال

ردّ ميسّر شيخ طه

ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتها وتبتناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا • وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر • وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم • ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن صلا

ظ ويهديهم الى المقاصد فاما الانس فانما يرسل الملك الى مختار منهم
للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم وبشرا وملكا
حالان من رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت
ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم وشهيدا تمييز
انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم بصيرا
بافعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفرة
انتهى

وقالوا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة
ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات
لن نؤمن لك حتى تفجر قرئ بالتخفيف والتشديد لنا من الارض
ارض مكة ينبوعا هو عين ينبع ماؤه اي يفور يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار هذا بالتشديد بالاجماع
لكان الانهار خلالها وسطها تفجيرا اي يكون لك بستان يشتمل
على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون
قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى
وقرئ كسفا بالسكون وهو فعل بمعنى المفعول كالطحن او مخفف
من المفتوح كسدر وسدر او تأتي بالله والملائكة قبيلا
عيانا والقبيل بهذا المعنى يناسب المقام الخالي عن التعسف مذكور
في الصحاح او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ
به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها يقال رقي في
السلم اذا صعد اليها ولن نؤمن لرقيك ولن نصدق
لرقيك فاللام للصلة يقال امن له اذا اذعن له على ما مر
في سورة يوسف عم حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك
نقرؤه فلا يحتاج الى تعلمك اياه وهذا القيد لعدم اعتمادهم
النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ القرآن قل وقرئ قال اي رسوله
صلى الله عليه وسلم سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه
او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه هل كنت الا بشرا رسولا
كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما
يظهر الله تعالى عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو
الى الله تعالى فما بالهم يتحكمون علي وما منع الناس قدم تفسير
المنع في هذه السورة ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى وما منعهم
عن الايمان بعد نزول الوحي ومجيء القرآن الا ان قالوا ابعث
الله بشرا رسولا الا قولهم هذا وكان المانع اعتقادهم بموجب
ما قالوا من انه تعالى اجل من ان يكون رسوله من جنس البشر
الا انه عبر عنه بالقول تنزيلا واخراجا عن حيز الاعتقاد
قل في جوابهم لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين يقرون
عليها بالمشي قاطنين فيها وليس لهم قدرة الصعود الى السماء
فيسمعوا من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون
اليه فاما انتم فبشر فبعثني اليكم بشرا مثلكم ليكون قلوبكم اليه اسكن
وانتم لكلامه افهم فان مقتضى الحكمة ان يكون الرسل من جنس المرسل اليه وملكا حال من رسولا ويحتمل ان يكون موصوفا به وكذا الحال في بشرا

ولما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات
لزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت
المحجوج المتحير وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
وبالتخفيف كوفي من الارض اي مكة ينبوعا عينا
غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول
من نبع الماء او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر والتشديد هنا مجمع عليه لقوله الانهار خلالها
وسطها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
بفتح السين مدني وعاصم اي قطعا يقال اعطني كسفة
من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة
كسدرة وسدر يعنون قوله ان نشأ نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او تأتي
بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا
بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا
كقوله كنت منه ووالدي بريا او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا او جماعة حالا من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف ذهب او ترقى في السماء تصعد اليها
ولن نؤمن لرقيك لاجل رقيك حتى تنزل علينا
وبالتخفيف ابو عمرو كتابا اي من السماء فيه تصديقك
نقرؤه صفة كتاب قل قال مكي وشامي اي قال
الرسول سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه
هل كنت الا بشرا رسولا اي انا رسول كسائر الرسل
بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله
عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله تعالى
فما بالكم تتحكمون علي وما منع الناس يعني اهل مكة
ومحل ان يؤمنوا نصب بانه مفعول ثان لمنع اذ جاءهم
الهدى اي النبي والقرآن الا ان قالوا فاعل منع و
التقدير وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله
عليه وسلم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا الا شبهة
تمكنت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر
والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فمنفي قضيته
حكمته منكر ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل لو كان في
الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس
ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا
ما يجب علمه مطمئنين حالا اي ساكنين في الارض
قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ظ

في معالم التنزيل للامام البغوي رحمه الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وابا البختري بن هشام وعبد الله بن امية والاسود بن مطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في امره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك وان كنت تطلب الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله تعالى بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله تعالى بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وتبسط لنا بلادنا وتفجر لنا انهارا كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه شيخ صدوق فنسألهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فاسأل ربك ان يبعث ملكا يصدقك وسله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بهذا بعثت ولكن الله تعالى بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء علينا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك مفوض الى الله تعالى ان شاء فعل بكم ذلك وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل منهم ثم سألوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما رأى منهم من مباعدتهم فانزل الله تعالى فقالوا لن نؤمن لك الآية

انتهى المعالم

ولما اجابهم حيث قالوا من يشهد لك بانك رسول الله كفى بالله شهيدا بيني وبينكم نصب شهيدا على التمييز اي كفى الله من حيث
انه شهيد او على الحال اي كفى بالله لك في حال شهادته والعدول عن بيننا الى ما فيه التكرير للتاكيد انه كان بعباده خبيرا
بكيفيات اسرارهم بصيرا مطلقا على ما يظهر من افعالهم واحوالهم فيجازيهم عليه وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكافرين انتهى

ابو البركات رحمه الله

وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما
لا يمكن في العادة وجوده ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب
من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها
كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى
وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف
اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا
مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذه عليها
اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت
من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصل الزخرف الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم
وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا كتابا
فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن
لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة
يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بتلك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم
اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا
من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل
هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي
وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربي
بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على ايديهم حسبما
يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه حتى تتخيروها علي وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته
وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع
او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك
او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا
منكرين ان يكون رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم
بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه
بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها
او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون
به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث
يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه
مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر
في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب
ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه
واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس
فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب علا

علا ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا او يكون موصوفا به
وكذلك بشرا في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعدما قلت
لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده
شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب
والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه صلى الله عليه وسلم رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير
لا يساعده قوله بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة
وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا
محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار

انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن يهدي الله كلام مبتدأ يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد ارشاداً اجماليه اي من يهده الله تعالى
الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب
ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم او ترضير الجماعة او تر الجماعة اعتباراً لمعنى
من عقيب ما او تر في مقابلة الافراد نظراً الى لفظها تلويحاً بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل الضلال وكثرة
الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصاراً يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية
والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي تستدعيه ضلالتهم على معنى لن تجد لاحد منهم ولياً على ما
يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم
ايذاناً بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحباً كقوله تعالى
يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشياً فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على
وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عمياً حال من الضمير المجرور في الحال
الثانية وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا
كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأويهم
جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيراً اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقداً بان بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة
ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكرير مغامرة بعد اخرى ليروها عياناً
حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا
باياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز
ان يكون مبتدأ ثانياً وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلاً من ذلك او بياناً له والخبر هو
الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاماً ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً اما مصدر
مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثاً جديداً واما حال اي مخلوقين مستأنفين اولم يروا اي الم يتفكروا
ولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمهما قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على
ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقاً جديداً وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه
عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر
على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلاً محققاً لا ريب فيه هو القيمة فابى الظالمون وضع موضع
الضمير تسجيلاً عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفوراً اي جحوداً قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي
خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذن لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره
لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه وكان الانسان قتوراً مبالغاً في البخل لان مبنى امره
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن يهدي الله فهو المهتد وبالياء يعقوب و
سهل ووافقهما ابو عمرو ومدني في الوصل اي من
وفقه الله تعالى لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله
ومن يضلل الله اي ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل
وساوس الشيطان فلن تجد لهم اولياء من دونه
اي انصاراً ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
اي يسحبون عليها لقوله تعالى يوم يسحبون في النار
على وجوههم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عمياً
وبكماً وصماً كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون
بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم مأويهم جهنم كلما خبت
طفئ لهبها زدناهم سعيراً توقداً ذلك جزاؤهم
بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً
ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً اي ذلك العذاب بسبب
انهم كذبوا بالاعادة بعد الافناء فجعل الله جزاءهم
ان سلط النار على اجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون
على ذلك ليزيد في تحسيرهم على تكذيبهم البعث
اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم من الانس وجعل
لهم اجلاً لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابى
الظالمون الا كفوراً جحوداً مع وضوح الدليل قل
لو انتم تملكون تقديره لو تملكون تملكون لان لو
تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها
فاضمر تملك على شريطة التفسير وابدل من الضمير
المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر
وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه المقدر
علم الاعراب واما ما يقتضيه علم البيان فهو ان
انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح البالغ خزائن رحمة ربي
رحمة ربه رزقه وسائر نعمه على خلقه اذاً لامسكتم
خشية الانفاق اي لبخلتم خشية ان يفنيه الانفاق
وكان الانسان قتوراً بخيلاً انتهى المدارك اي خشية الفاقة
وقيل خشية النفاد يقال انفق الرجل اي املق وذهب
ماله ونفق الشيء ذهب وقيل لامسكتم عن الانفاق خشية الفقر
من العالم

ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اي هنا
بضمير الجمع تنبيهاً على ان نسبة الضالين الى المهتدين نسبة الجماعة
الى الواحد ولذلك قال اولياء مع ان نفي الولي الواحد ابلغ من دونه
يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون
عليها روي في الصحيحين انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على ارجلهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً انهم يحشرون
على هذه الصفة ثم يخلق لهم ذلك قبل دخولهم النار فابصروا
لقوله ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ونكلوا
دعوا هنالك ثبوراً وسمعوا لقوله سمعوا لها تغيظاً وزفيراً
وقيل لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون ما يقبل منهم ويرده ان قوله اليوم نختم على
افواههم صريح في نفي القدرة على مطلق التكلم عنهم وان قوله
وتكلمنا ايديهم دل على ذلك في الموقف قبل الانصراف عنه
الى النار وبهذا اندفع ان يكون ذلك بعد الدخول فيها
او عند الاستقرار فيها مأويهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
الخبو سكون النار عن الالتهاب وما قيل بان اكلت
جلودهم ولحومهم يرده قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً
لانه صريح في ان النار لا تتجاوز في تعذيبهم على حد الانضاج
الى حد الاحراق والافناء زدناهم سعيراً توقداً وانما قال زدناهم
دون زدناها بناء على انهم وقودها على ما نطق به قوله تعالى
وقودها الناس والحجارة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاماً ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً قدم تفسيره
في صفة السورة اولم يروا اولم يعلموا ذلك علماً يقوم مقام العيان
في حق الايقان ان الله الذي خلق السموات والارض قادر
على ان يخلق مثلهم واذا قدر على خلق مثلهم قدر على اعادتهم
خلقاً جديداً وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه هو الموت او القيمة
فابى الظالمون الا كفوراً جحوداً قل لو انتم تملكون انتم فاعل الفعل
محذوف يفسره ما بعده تقديره لو تملكون فحذف تملك وابدل من
الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط
ما يتصل به من اللفظ كقوله وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
وفيه دلالة على اختصاص المخاطبين في الامساك مع الايجاز
خزائن رحمة ربي اي خزائن نعمه اذاً لامسكتم اي لا مسكتموها
خشية الانفاق لاجل خوف الفقر وكان الانسان قتوراً
مضيقاً للنفقة وزيادة كان لبيان ان الانسان مجبول
على الشح والضنة ومن يوق شح نفسه انما يوق بنعمة الله
اياه وما ذكر جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعاً حتى نتوسع في المعيشة اي لو توسعتم لبخلتم ايضاً
انتهى بما كان

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قد مر تفسيرها في سورة الأعراف وليس انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور منها بدلالة أن الخطاب في قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات لفرعون • وهذه الآيات بعضها بعد هلاكه وبعضها عنده • فاسئل بني إسرائيل أي فاسئل علماء بني إسرائيل إذ جاءهم أي جاء أسلافهم والعامل في إذ محذوف تقديره فاسئل عن حديث أو قصة بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا أي ساحرا قاله الفراء وأبو عبيدة كما تقول هذا مشؤوم وميمون أي شائم ويامن ويشهد لذلك قوله قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر فإنه ظاهر في رد أن يكون تلك الآيات سحرا • وقرأ الكسائي علمت بالضم أي قال موسى عم علمت أنا • وقرأ الباقون بالفتح أي علمت أنت يا فرعون لأنه عاند مع علمه لقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم • يقول ألم تعلم عقلك وسلامة حسك تعلم أن ما جئت به من الآيات ليس بسحر بل هي حجة الله التي لمن تأملها استبصر فيها أي تيقن أنه من عنده تعالى • وانتصب بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره أنزلها بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا هالكا وخاسرا وقيل مصروفا عن الخير • وكان موسى عم عالما بذلك بيقين • وأما قال أظن إلماما للتفريط في تقرير ما ادعاه • وفائدته دفع وهم المبالغة فيه وصولا عن مظنة الإفراط فأراد أن يستفزهم أن يخرج موسى عليه السلام وقومه بالنفي أو القتل وقد قرء في هذه السورة ما يتعلق بمعنى الاستفزاز من الأرض أي أرض مصر والأرض مطلقا فأغرقناه ومن معه جميعا فحاق به مكره وقلنا من بعده من بعد فرعون وإغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي أراد أن يستفزكم منها هذا على تقدير دخول موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ظاهر • وأما على تقدير عدم ذلك على ما ذهب إليه بعضهم فلا بد من تعيين التعريف في الأرض للجنس أو القول بأن الأمر المذكور لأولاد من معه عليه السلام لا لهم فإذا جاء وعد الآخرة يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى قال الأصمعي اللفيف جمع وليس له واحد وهو مثل الجميع وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي ما أنزلنا القرآن إلى سماء الدنيا إلا محفوظا عن اعتراء البطلان وما نزل على الرسول إلا كذلك وتكرير الحق باسمه الظاهر للتفخيم وما أرسلناك إلا مبشرا بالثواب للمطيعين ونذيرا بالعقاب للعاصين وليس لك شيء وراء ذلك وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه اهـ انتهى أبو كمال

وفيه رد على ك ع

وفيه رد على ط

تعرض

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور فاسئل بني إسرائيل فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل وقوله إذ جاءهم متعلق بالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم حين جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك قال موسى لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب السموات والأرض خالقهما بصائر حال أي بينات مكشوفات ولكنك معاند • ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا علمت علي أي إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والأرض • ثم قارع ظنه بظنه بقوله وإني لأظنك يا فرعون مثبورا كأنه قال إن ظننتني مسحورا فأنا أظنك مثبورا هالكا وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما منعك وصرفك فأراد أن يستفزهم يخرجهم أي موسى وقومه من الأرض أرض مصر وينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فأغرقناه ومن معه جميعا فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه وقلنا من بعده من بعد فرعون لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي أراد فرعون أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة أي القيمة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين • قال الراوي اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى الطبيب نصراني فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا إلى أين فقلنا إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولي الله بعدو الله اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل وعوفي في الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام وما أرسلناك إلا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار انتهى المدارك

٧

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله تعالى وهي العصا • واليد • والجراد • والقمل • والضفادع • والدم • والطوفان • والسنون • ونقص الثمرات • وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني إسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الأخيرة ويأباه أن هذه الثلث لم تكن منزلة إذ ذاك الأوليين لا تعلق لهما بفرعون وإنما أوتيهما بنو إسرائيل • وعن صفوان بن عسال أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تشركوا به شيئا • ولا تسرقوا • ولا تزنوا • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق • ولا تسحروا • ولا تأكلوا الربوا • ولا تمشوا ببري إلى ذي سلطان ليقتله • ولا تقذفوا محصنة • ولا تفروا من الزحف • وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه السلام ولكن عده أيضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما أنه المهم لسائل وقبوله لما أنه كان في التورية مسطورا وقد علم أنه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من جهة الوحي فاسئل بني إسرائيل وقرئ فسل أي فقلنا له سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم • أو عن حال دينهم • أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم معك وقرئت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي • وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فاسألهم عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة أو ليظهر صدقك إذ جاءهم متعلق بقلنا أو سأل على القراءة المذكورة • وبآتينا • أو بمضمر هو يخبروك • أو اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون الفاء فصيحة أي فأظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء يعني الآيات التي أظهرها إلا رب السموات والأرض خالقهما ومدبرهما • والتعرض لربوبيته تعالى لهما للإيذان بأنه لا يقدر على إيتاء مثل هاتيك الآيات العظام إلا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات أي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم • ومن ضرورة ذلك العلم العلم بأنه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية • وقرئ علمت على صيغة التكلم أي لقد علمت بيقين أن هذه الآيات الباهرة أنزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم أن يحوم حولي سحر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا مقروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا أي ما صرفك • أو هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون إفك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين فأراد أي فرعون أن يستفزهم أي يستخفهم ويزعجهم من الأرض أرض مصر أو من الأرض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم فأغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالإغراق وقلنا من بعده من بعد إغراقهم لبني إسرائيل اسكنوا الأرض التي أراد أن يستفزكم منها فإذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة أو الحيوة الآخرة أو الساعة أو الدار الآخرة أي قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من أشقيائكم • واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه • أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظا وما نزل على الرسول إلا محفوظا من تخليط الشياطين • ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الأمر وآخره وما أرسلناك إلا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام إثر تحقيق حقية إنزال القرآن انتهى أبو السعود رحمه الله

قوله فاسئل بني إسرائيل يا محمد اسئل من آمن منهم يخبروك وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن آيات موسى عليه السلام لتزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت لتحتج به على من لم يؤمن منهم وليظهر كذبهم مع قومهم • أو سلهم عن موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون إذ جاءهم أي حين جاء آباءهم موسى عليه السلام فقال له فرعون لما جاء بالبينات إني لأظنك يا موسى مسحورا أي مغلوب العقل بالسحر أو مصروفا عن الحق قال له موسى لقد علمت بضم التاء يخبر موسى عم عن نفسه أنه ليس بمسحور كما قال فرعون وأنا من جاء حق • وبفتح التاء خطابا لفرعون أي لقد علمت يا فرعون أني لست بمسحور لأني كنت في تربيتك ولم تكن رأيت مني شيئا يدل على ما قلت في حقي وعلمت ما أنزل هؤلاء الآيات التسع إلا رب السموات والأرض بصائر نصب على الحال من هؤلاء جمع بصيرة وهي ما يتبصر به الحق أي بينات مكشوفات على أني على الحق ولكنك معاند مكابر بعد ظهور الحق عندك من العيون

قوله لقد علمت قراءة العامة بفتح التاء • وهو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرأ الكسائي بضم التاء • وهو قراءة علي رضي الله عنه وكان يقول والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى عم قال الفراء الأجود في القراءة فتح التاء لأن علم فرعون بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة لموسى يحتج بما علم هؤلاء بما علم موسى عم من الواحدي قوله لقد علمت قراءة العامة بالفتح خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه قال لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم • وقيل علمه فرعون لكنه عاند قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما • وقراءة النصب أصح في المعنى وعليه أكثر القراء لأن موسى عم لا يحتج بعلم نفسه • ولا يثبت رفع التاء عن علي رضي الله عنه لأنه يروى عن رجل من مراد عن علي وهذا الرجل مجهول لم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي معالم

وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل و
تثبيت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما يقتضيه الحكم والمصالح
ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه
لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها
نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم
سجدا تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر
للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في
قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من
هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل
بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل
الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة
اي ان الشأن هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول
لتعظيم امر الله او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله
ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل
حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو
يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التوراة والمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو
للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو الاوفق
لقوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء
عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له
للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة
والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على
صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان
ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين
ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا وقصدا فان خير الامور اوسطها والتعبير
عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي
ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد
الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا
وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا
وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولي
من الذل ناصر ومانع عنه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه
الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على
الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه
قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور في ذلك روي انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومئتا اوقية
الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت
انتهى ابو السعود رحمه الله

قوله وقرآنا نصب بمضمر يفسره فرقناه بالتخفيف اي انزلناه متفرقا بالنجوم يعني في ازمان مختلفة او فرقناه بمعنى بيناه بيانا
او جعلناه فارقا بين الحق والباطل قوله على مكث بضم الميم اي مهل وترسل ونزلناه تنزيلا اي في ثلث وعشرين سنة
على حسب الحوادث قل يا محمد تهديدا لهم آمنوا به او لا تؤمنوا فان الله غني عنكم وعن ايمانكم وفيه امر له عليه السلام
بالاعراض عنهم لاحتقار شأنهم ثم اخبر توبيخا لهم وتعييرا بان خيرا منهم وافضل من علماء اهل الكتاب قد آمنوا به
وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي القرآن عليهم خروا سجدا لله تعظيما لامره بقوله ان الذين
اوتوا العلم وهو في معنى التعليل لآمنوا به اي لانهم اعطوا علم كتابهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب من قبله اي قبل القرآن
وقبل محمد عليه السلام فاذا يتلى عليهم اي يعرض عليهم القرآن فيعرفونه يخرون اي يسقطون للاذقان اي على الوجوه فاللام بمعنى على
او المعنى يجعلون الخرور مختصا باذقانهم فاللام للاختصاص وخص الاذقان بالذكر لانها اقرب شيء من الوجه الى الارض
وهو جمع ذقن والذقن ملتقى اللحيين سجدا اي ساجدين شكرا لله تعالى ويقولون في السجود سبحان ربنا اي ننزهه تنزيها
من الشرك ونفي كل نقص في وحدانيته ان كان اي ان الشأن كان وعد ربنا الذي وعده بان يبعث محمدا نبيا من العرب
لمفعولا اي لكائنا حقا ويخرون اي ويسقطون للاذقان اي على وجوههم يبكون بنصب على الحال من ضمير يخرون ويزيدهم اي
نزول القرآن خشوعا اي خضوعا لربهم ولينا للقلب ورطوبة العين فمن اوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ان لا يكون
اوتي علما ينفعه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى وكرر الخرور للاذقان فيه
لاختلاف الحالين حال السجود وحال البكاء قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين قال اهل الكتاب انك لتقل ذكر الرحمن
وقد اكثر الله تعالى في التوراة هذا الاسم فقال تعالى قل يا محمد سموا ربكم الله او سموه الرحمن فالدعاء بمعنى النداء والايهام تعدد الالهة
ويجوز ان يكون نصب الله والرحمن على نزع الخافض تقديره ادعوا ربكم بالله او بالرحمن فلا يلزم ذلك وهو يتعدى الى مفعولين
مثل دعوته زيدا وقد يذكر احدهما ويترك الآخر استغناء عنه نحو دعوت زيدا اي سميته زيدا واو فيه للتخيير وقيل نزل
حين قال ابو جهل ينهانا محمد عن الهتنا وهو يدعو الهين فقال تعالى اياما تدعوا اي اي هذين الاسمين سميتم او ذكرتم فله اي فللمسمى بهذين
الاسمين الاسماء الحسنى اي الصفات العلى فهذان الاسمان منها فيكونان حسنيين والضمير في له يرجع الى المسمى بهذين الاسمين وهو ذاته تعالى
لان التسمية للذات لا للاسم والاصل اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى والمعنى كونها احسن الاسماء
انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم انتهى العيون

الحالين و
في حال كو
وطويه
ابو جهل
الهين وهو
قالوا انك
هذا الاسم
او للتخيير
اما هذا وا
من المضاف
تدعوا وهو
ذكر به وسمي
الى ذات
تدعى فهو ح
لانه اذا حسن
لانها منها
بمعاني التحميد
بقراءة صلوتك
الجهر والمخافتة
افعال واذكار
صوته بقراءته
فامر بان يخفض

في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود ويعضده قوله وأيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى واياما تدعوا فهو حسن
فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام والتنوين
في أيّا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في أي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك على حذف المضاف حتى اذا سمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها كل المخافتة
حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين والمخافتة خفض الصوت وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان خير الامور اوسطها وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فيه رد لمن قال عزير ابن الله ولمن قال المسيح ابن الله ولمن قال الملائكة
بنات الله ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية وفيه رد للثنوية القائلين بتعدد الاله ولم يكن له ولي من الذل
من اليهود لانهم اذل الناس فيه رد لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال الحسين بن الفضل يعني لم يذل فيحتاج الى ولي
وناصر يجيره من الذل لعزته وكبريائه وهذا قول حسن يعضده قوله وكبره تكبيرا التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم
والاجلال وانما اكده بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز والاحتماء
من الذل وقد يكون بالتفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين كان النفي لمن ينتصر به من اجل الذلة اذ كان مورد
الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفي الجهة التي لاجل النقص بخلاف الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق لعدم
احتمالهما الوجهين في شانه تعالى وانما رتب الحمد على وصفه بنفي الولد والشريك والذل لان من هذا وصفه فهو الذي
يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وهذه السورة الكريمة ابتدئت بتنزيه الله تعالى واختتمت به والحمد لله على التمام

قوله قل ادعوا الله الآية قيل كان المشركون اذا سمعوا اذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم او قراءته في
الصلوة لغوا وسبوا لانه كان يرفع صوته بها فامر بالخفض بقوله ولا تجهر بصلوتك اي بقراءتك في الصلوة
ولا تخافت بها ولا تخفها عن اصحابك لينتفعوا بقراءتك وابتغ اي واطلب بين ذلك اي بين فعلك من الرفع والخفض
سبيلا اي طريقا وسطا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل معنى بصلوتك بدعائك لان الصلوة تستعمل بمعنى
وقيل الآية نسخت بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية انتهى العيون

الحمد لله
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله على وحدانيته لانه المنعم بكل نعمة
وبالمنة لا غير ثم وصفه بقوله الذي لم يتخذ ولدا ولدا لا جنس له ولم يكن له شريك
في الملك اذ لا مثيل له فيعاده في عظمته ولم يكن له ولي اي ناصر ينصره من الذل
ان يعرض له المذلة لانه منزه عنه فلا يحتاج الى الناصر قيل كيف لاق
الوصف النافي للاشياء المذكورة بكلمة التحميد اجيب بان الموصوف به هو
الواحد القادر على ايلاء كل نعمة فهو المستحق لكل حمد فحمده وكبره تكبيرا اي بالغ
في تعظيمه على قدر معرفتك عظمته فنزهه كما نزه نفسه عن اتخاذ الولد
والشريك فالولي والذل روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني رجل كثير الدين كثير الهم فقال صلى الله عليه وسلم اقرأ آخر
سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله حتى تختم ثم قل توكلت على الحي الذي لا يموت ثلث مرات
الآية تسمى آية العز وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها الصغير اذا افصح من
بني عبد المطلب

٥

وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه اي فصلناه او
فرقنا فيه الحق من الباطل لتقرأه على الناس على مكث
على مؤده وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا اختاروا لانفسكم النعيم المقيم
او العذاب الاليم ثم علل بقوله ان الذين اوتوا العلم
من قبله اي التورية من قبل القرآن اذا يتلى عليهم
القرآن يخرون للاذقان سجدا حال ويقولون سبحان
ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا
اي اعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به لم يصدقوا بالقرآن
فان خيرا منهم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب قد آمنوا
به وصدقوه فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله
تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به
من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن وهو
المراد بالوعد المذكور ان بمعنى انه وهي تؤكد الفعل كما
ان ان تؤكد الاسم وكما اكدت ان باللام في انهم لمحضرون
اكدت ان باللام في لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون
ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وانما خص
الذقن لان اقرب الاشياء من وجهه الى الارض عند
السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى ذقنه
وخر لذقنه ولوجهه اما معنى على فظاهر واما معنى
اللام فكانه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به
اذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للاذقان لاختلاف
الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم
في حال كونهم باكين ويزيدهم القرآن خشوعا لين قلب
ورطوبة عين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن لما سمعه
ابو جهل يقول يا الله يا رحمن قال انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها آخر نزلت وقيل ان اهل الكتاب
قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله تعالى في التورية
هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء
او للتخيير اي سموا بهذا الاسم او بهذا او اذكروا
اما هذا واما هذا والتنوين في اياما تدعوا عوض
من المضاف اليه وما زيدت للتوكيد واياما نصب
بتدعوا وهو مجزوم باي اي اي هذين الاسمين
ذكرتم وسميتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله يرجع
الى ذات الله تعالى والفاء لانه جواب الشرط اي اياما
تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان
لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة
بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلوتك
بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس اذ
الجهر والمخافتة يعتقبان على الصوت لا غير والصلوة
افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع
صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا
فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين

ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا او معناه ولا تجهر بصلوتك
كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة
الليل وتخافت بصلوة النهار او بصلوتك بدعائك
وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعمت اليهود والنصارى
ولم يكن له شريك في الملك كما زعم المشركون ولم يكن له ولي
من الذل اي لم يذل فيحتاج الى ناصر او لم يوال احدا
من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا وعظمه
وصفه بانه اكبر من ان يكون له ولد او شريك وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم الآية آية العز وكان اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه اياها انتهى المدارك

وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه
لتقرأه على الناس على مكث على تثبت وترسل فانه ايسر للحفظ
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الاسباب
ومقتضى الحكمة قل آمنوا به او لا تؤمنوا يتضمن الاعراض عنهم
والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان ايمانهم بالقرآن
لا يزيده فضلا وامتناعهم عنه لا يورث نقصا وقوله
ان الذين اوتوا العلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واضرابه تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم
من قبله من قبل نزول القرآن اذا يتلى عليهم القرآن يخرون
للاذقان سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز وعده
في الكتب السابقة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم والخرور السقوط
بسرعة وانما ذكر الاذقان مبالغة في التحامل على الجبهة والانف
حتى كانه يلصق الذقن بالارض واللام بمعنى على وقيل
للاختصاص وفيه منافيه وانتصاب سجدا للحال ويقولون
اي في سجودهم سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا
لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان
كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز
الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن يبكون اتى هنا
بالفعل اشعارا بالتجدد فان منشا البكاء وهو التفكر و
التذكر مما يتجدد بخلاف منشا السجود ويزيدهم سماع القرآن
خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله وقد مر تفسير الخشوع قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو اله آخر والمراد التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان
على ذات واحدة وان اختلفا في اعتبار الاطلاق عباراتنا
شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير والدعاء
بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه
واو للتخيير وقيل نزلت حين قالت اليهود انك لتقل
ذكر الرحمن وقد اكثره الرحمن في التورية والمعنى انهما سيان

الله م

سورة الكهف مكية مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
في ترتيب استحقاق الحمد على انزال القرآن تنبيه على عظم
شانه من بين النعم الجسام وذلك بهدايته الى ما فيه كمال
العباد ودعوته الى ما به انتظام صلاح المعاش والفلاح
في المعاد ولم يجعل له عوجا من تتمة الصلة على انه عطف بيان
او المعنى انزل على عبده الكتاب الكامل في بابه • قال ابن
السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود يقال فيه عوج بالفتح
والعوج ما كان في ارض او دين او معاش • وما قيل
انه بالكسر في المعاني مردود بقوله تعالى لا عوجا فيها ولا امتا
وتنكيره لتعميم النفي انواع الانحراف عن سنن الاستقامة من
جهة الاختلال في التركيب والاختلاف في النظم والتنافي
في المعنى قيما على الكتب السابقة بالتغيير والتقرير او بمصالح العباد
فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال • وقيل المراد اثبات
الاستقامة والاعتدال فاتجه عليه السوال عن فائدة الجمع
بينه وبين نفي العوج فان المفهوم من احدهما يغني عما فهم من
الاخر واجيب بان فائدة التاكيد فرب مستقيم مشهود له
بالاستقامة لا يخلو عن ادنى عوج عند السبر والتصفح ويرد
عليه بعد الاغماض عن ان ما ذكر فيما يشهد له العادة ان
ذلك انما يصحح ذكر النفي عقيب الاثبات دون العكس
وبعد التسليم فان التاسيس خير من التاكيد والافادة
خير من الاعادة • وانتصابه على الحال من الكتاب لا من الضمير
في له لما فيه من الركاكة التي يجب تنزيه كلام الله تعالى عنها
ولا حاجة الى تقدير مضمر لان مبناه ان يتعين عطف
ولم يجعل على انزل • وقد عرفت عدم تمام ذلك المبني
لينذر المتروك لعموم الجنس وعدم اختصاصه باحد الفريقين
على ما افصح عنه قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا • وفي
اطلاقه هنا دفع وهم الاختصاص الاتي الى الفهم من قوله
وينذر الذين قالوا باسا عذابا شديدا من لدنه تقدم
الكلام عليه في سورة هود ع م ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم بان لهم وان ضمن يبشر معنى يتبين لم يحتج
الى الباء اجرا حسنا ثوابا جميلا واما نفس الجنة ففي
التبشير بها يكفي الايمان ولا حاجة الى العمل الصالح عند
اهل الحق ماكثين فيه اي في الاجر اي في محله ابدا لا الى
غاية وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالانذار
بعد ما عمم الجميع لغاية فحش صنيعهم • ورتبه على القول
اشعارا بانهم استحقوا الانذار به مع قطع النظر عن
الاعتقاد وابهم المنذر به ليذهب الوهم كل مذهب
وفيه ما لا يخفى من التهويل ما لهم به اي بما قالوا من علم
شيء من العلم لاستحالة المعلوم • والجملة في موضع الحال اي قالوا جاهلين به ولا لآبائهم اي قلدوا فيه آباءهم

سورة الكهف مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
الكتاب القرآن لقن الله تعالى عباده ووقفهم كيف
يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي
نعمة الاسلام وما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
الذي هو سبب نجاتهم ولم يجعل له عوجا اي شيئا
من العوج • والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان
يقال في رايه عوج وفي عصاه عوج • والمراد نفي
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه
من الحكمة قيما مستقيما وانتصابه بمضمر وتقديره
جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له
الاستقامة • وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات
الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر التاكيد
فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو
من ادنى عوج عند التصفح • او قيما على سائر
الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها لينذر انذر
متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا
باسا عذابا شديدا وانما اقتصر على احد مفعوليه
لان المنذر به هو المسوق اليه فاقتصر عليه
من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا
حسنا اي الجنة ويبشر حمزة وعلي ماكثين حال
من هم في لهم فيه في الاجر وهو الجنة ابدا • وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ذكر المنذرين دون
المنذر به بعكس الاول استغناء بتقدم ذكره
ما لهم به من علم بالولد او باتخاذه يعني ان
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط
فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل
ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه
ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء
اما للجهل بالطريق الموصل اليه او لانه في نفسه محال
ولا لآبائهم المقلدين انتهى المدارك للنسفي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيقي باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع

سبحان الذي اسرى

سورة الكهف مكية

الحمد لله تلقين من الله تعالى لعباده كيف يحمدونه على اعظم نعمه الذي هو سبب نجاتهم من العذاب وفوزهم
بالثواب يوم القيمة اي جميع المحامد لله الذي انزل بجبريل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب القرآن
... خص الرسول عليه السلام بالذكر لبيان ان انزال القرآن الذي هو نعمة عظيمة عليه على الخصوص وان كان على غيره
... عموم قيل ذكر التحميد في انزال الكتاب والتسبيح في الاسراء لان مقام التسبيح مبدا درجات كماله
... مقام التحميد نهايتها لكونه مكملا للبشر بالكتاب • قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى كمال الكتاب اي لم يجعل له ريب
لم يجعل الله الكتاب عوجا اي ميلا عن الصواب فهو بالغ في الفصاحة حتى يجب للعاقل ان لا يرتاب فيه
قيما منصوب بتقدير جعله وليس بحال من الكتاب لانه يلزم العطف على الصلة قبل تمامها • ويجوز
... كونه ولم يجعل حالا منه وقيما حالا اخرى ويكون اشارة الى تكميل غيره لان القيم هو القائم بمصالح الغير
... هدى للمتقين اي انزل الله تعالى قيما بمصالح عباده لما فيه من الاحكام والشرائع الموجبة لاستقامة الدين
بل جعله مستقيما لا نقص فيه بوجه ما كالتناقض والاختلاف • ففي نفي العوج عنه ووصفه بالقيم دلالة
... في غاية الاستقامة فيكون ذكره للتاكيد لينذر اي ليخوف عبده بالكتاب الذين كفروا او بالبعث
باسا شديدا اي بالعذاب القوي يعني النار • ولم يذكر المفعول الاول لان المنذر به هو الغرض بالانذار
من لدنه بضم الدال وسكون النون وبسكون الدال وكسر النون اي صادرا من عنده • وقدم الانذار لان دفع
... اهم من تحصيل النفع ويبشر بالكتاب المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان اي بان لهم اجرا حسنا
وهو الجنة ماكثين فيه اي مقيمين في اجر الحسن ابدا لا يخرجون منه وينذر اي ويخوف ايضا الذين قالوا

قالوا اي كفار مكة اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اي ليس لهم باتخاذ الولد لله علم على حقيقته وكان
قولهم به عن جهل مفرط وتقليد الاباء وتسويل الشيطان ولا لآبائهم اي ليس لابائهم من قبلهم من علم
لانه مستحيل في حقه تعالى لا للجهل بالطريق الموصول اليه (انتهى العيون للشيخ عمر السهروردي البكري)

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية اثنى على نفسه بانعامه على خلقه وخص رسوله بالذكر
لان انزال القران كانت نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم قوله ولم يجعل له عوجا قيما
فيه تقديم وتاخير معناه انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا قوله قيما اي مستقيما قال ابن عباس رضي الله عنه
عدلا • وقال الفراء قيما على الكتب كلها اي مصدقا لها ناسخا لشرايعها • وقال قتادة ليس على التقديم والتاخير
بل معناه انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيما • وقيل معناه ولم يجعل له عوجا اي تخالفا
على ما قال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا • وقيل معناه لم يجعله مخلوقا وروي
ابن عباس انه قال في قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج اي مخلوق (انتهى المعالم)

قوله ولم يجعل له عوجا لم يجعل له ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي
قال الزجاج لم يجعل فيه اختلافا كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا يدل على هذا قوله قيما قال
ابن عباس مستقيما عدلا وهذا من التقديم والتاخير • التقدير انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا انتهى
قوله تعالى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا لم ينزل مخالفا التورية والانجيل وسائر الكتب بالتوحيد
وصفة محمد ونعته صلى الله عليه وسلم نزلت مستقيما في شان اليهود حين قالوا القران مخالف لسائر الكتب
من تفسير الفضل الكرماني

جميع المنزل حينئذ كما قرر آنفا • وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد • وايذان بعظم شأن
التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين • وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة
تنبيه على بلوغه صلى الله عليه وسلم الى اعلى معارج العبادة • وتشريف له اي تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون
عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام • وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم
ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف
عن الدعوة الى الحق • وهو في المعاني كالعوج في الاعيان • واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من
الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال
المقاييس الهندسية • ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني • وقيل العوج في
المعاني والعوج في المنتصب كالعود والحائط • والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية
للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير • فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من
الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها • او متناهيا في الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة
كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه • وانتصابه
على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية
فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف • وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل
والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين عليه • والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام
هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر بما فيه الذين كفروا به بأسا اي عذابا
شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم • وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام
الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به
الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه • وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد
الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم
بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه اي
في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه • وهو نصبه على الظرفية لماكثين • وتقديم الانذار على التبشير لاظهار
كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية • وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس الشديد للايذان بكمال فظاعة
حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة
خاصة • وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله • واليهود القائلون عزير ابن الله • والنصارى القائلون
المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في
حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه • وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة
عنهم فيما سبق • وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف
الكفرة عن الانذار والوعيد • وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر النافع
من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم الكريم
عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة • ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب
او ضمير الرسول عليه السلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى من علم مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماده على النفي
ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا
لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا
في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه افهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة
من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم • او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته كما في قوله تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة

في الشناعة

قوله ولم يجعل له عوجا يعني لم ينزل متناقضا فيما بل انزل مستقيما ويقال في الآية
تقديم وتأخير ومعناه الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما مستقيما
ولم يجعل عوجا يعني لم ينزله مخالفا للتورية والانجيل وقال اهل اللغة عوجا بكسر
العين في الاقوال وبنصب العين في الاشخاص ويقال في كلامه عوج وفي
هذا الخشب عوج ابو الليث

صـ

وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم **انا جعلنا ما على الارض** استيناف وتعليل لما في لعل من معنى الرجاء
اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي
جعل لكم ما في الارض جميعا **زينة** مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام
لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا
واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرها لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة
من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك
كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون
تحت الابتلاء **لنبلوهم** متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم **ايهم احسن عملا** فنجازيهم بالثواب
والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة
على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطالع سورة هود واي اما استفهامية
مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته
كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن
خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا
فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد
الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط
لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل
في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها
وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية
للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا **وانا لجاعلون**
فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا **ما عليها** من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير
او لادراج المكلفين فيه **صعيدا** مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي
من الارض وقال الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه **جرزا** ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار
وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي
مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل
ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب
فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك
عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم انتهى ابو السعود رحمه الله
افناء ايدي ازدلا [illegible]

كبرت اي عظمت مقالتهم وميزت بقوله **كلمة تخرج** اي تظهر بخروج النفس من افواههم فيه معنى التعجب اي ما اكبرها
ووصفها بالخروج من افواههم استعظاما لجرأتهم على النطق بها وهو قولهم اتخذ الله ولدا **ان يقولون** اي ما يقولون
الا كذبا فلعلك باخع نفسك اي مهلكها **على آثارهم** اي بعد ذهابهم عن مجلسك بحال الكفر **ان لم يؤمنوا**
بهذا الحديث اي بالقرآن **اسفا** مفعول له اي للاسف وهو اشد الحزن او اشد الغضب او حال من ضمير باخع
انا جعلنا ما على الارض الذي عليها من النبات والاشجار وزخارف الدنيا **زينة لها** ولاهلها **لنبلوهم** اي لنختبر
الناظرين اليها **ايهم احسن عملا** اي ازهد واشكر في الدنيا وهم كفروا ومكان الشكر واغتروا بها مكان الزهد **وانا**
لجاعلون ما عليها اي انا لنجعل عند النفخة الاولى ما على الارض من الزينة والبهجة **صعيدا جرزا** اي ارضا
بيضاء يابسا لا نبات فيها ولا ماء ولا حيوان يتحرك فيها انتهى العيون

فلعلك باخع نفسك قال جماعة المفسرين قاتل نفسك يقال بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا من شدة وجده بالشيء
قوله على آثارهم اي من بعدهم يعني بعد توليهم واعراضهم عنك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن اسفا قال ابن عباس غيظا
وفي مغازي ابن تم الى نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحرص على ايمان قومه حتى يؤدي ذلك الى هلاك نفسه بالاسف
لنبلوهم لنختبر الخلق والمعنى لنعاملهم معاملة المبتلي ايهم احسن عملا اي اعمل اي ازهد قال الحسن ايهم ازهد في الدنيا واترك لها
وقال مقاتل ايهم اصلح فيما اوتي من المال والحسن العمل من زهد فيما زين له من الدنيا ثم اعلم عز وجل انه مبيد ومفني ذلك كله بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا الصعيد المستوي من الارض والجرز التي لا نبات فيها قال مجاهد بلقعا ليس فيها نبات

الايقاع [illegible] كبرت كلمة [illegible] وقال [illegible] تعجب

كبرت كلمة نصب على التمييز وفيه معنى التعجب
كأنه قيل ما اكبرها كلمة والضمير في كبرت يرجع الى قولهم
اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
بها **تخرج من افواههم** صفة كلمة تفيد استعظاما
لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم
كان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس من
المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به بل يكظمون
عليه فكيف بمثل هذا المنكر **ان يقولون الا كذبا**
ما يقولون ذلك الا كذبا وهو صفة لمصدر محذوف
اي قولا كذبا **فلعلك باخع** قاتل نفسك **على آثارهم**
اي آثار الكفار عنه شبهه واياهم حين تولوا
ولم يؤمنوا به وما تداخله من الاسف على توليهم برجل
فارقه احبته فهو يتساقط حسرات على آثارهم
ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم **ان**
لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن **اسفا** مفعول له
اي لفرط الحزن والاسف المبالغة في الحزن
والغضب **انا جعلنا ما على الارض زينة لها** اي
ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا
وما يستحسن منها **لنبلوهم ايهم احسن عملا** وحسن
العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد
في الميل اليها بقوله **وانا لجاعلون ما عليها** من هذه
الزينة **صعيدا** ارضا ملساء **جرزا** يابسا لا نبات فيها
بعد ان كانت خضراء معشبة والمعنى نعيدها
بعد عمارتها خرابا بامانة الحيوان وتجفيف النبات
والاشجار وغير ذلك انتهى المدارك

كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الافتراء على الله تعالى وقراءة
الجمهور بالنصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول اولى
وابلغ لما فيه من الابهام والتعيين وفيه معنى التعجب وترجمه
الى تعظيم الامر في قلوب السامعين كانه قيل ما اكبرها كلمة **تخرج**
من افواههم صفة للكلمة ووصفها بذلك مع ان العلم الضروري
حاصل بان شأن جنسها ذلك فلا بد له من فائدة وهي
الاشعار بانه لا ينبغي هذه الكلمة بقصد قلبي لوضوح بطلانها
فكأنه قيل تخرج بنفسها بلا اخراج منهم ففيه تأييد لقوله
ما لهم به من علم **ان يقولون الا كذبا** الا قولا كذبا **فلعلك**
باخع نفسك لعل للترجي في المحبوب والاشفاق في
المحذور والبخع الاهلاك من شدة الوجد **على آثارهم**
عبر عن ادبارهم وتباعدهم عن التصديق بالقرآن على وجه
فصيح شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا وما تداخله
من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته فهو يتساقط
حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم فالاستعارة
تمثيلية وقرئ على الاضافة وهو للاستقبال ان قرئ
ان لم يؤمنوا بالكسر وللمضي ان قرئ بالفتح بمعنى لان لا يؤمنوا
فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية لتصوير
تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها **بهذا الحديث**
القرآن **اسفا** مفعول له لفرط الحزن ويجوز ان يكون
حالا **انا جعلنا ما على الارض** من الزخارف يرشدك
الى هذا قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
زينة لها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا ويحتمل الحال على انه
بمعنى اوجدنا **لنبلوهم ايهم احسن عملا** في تعاطيه حسن العمل
الزهد فيها وترك الاغترار ثم زهد في الميل بقوله **وانا**
لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ترابا لا نبات فيه
والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز وهو القطع فيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراء المؤمنين عما احتوته ايدي
المترفهين من زينتها انتهى ابن الملك

كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بكبرياء جنابه
والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا
كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضم
وقرئ كلمة بالرفع **تخرج من افواههم** صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والاسناد الخروج اليها مع ان الخارج
هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت الملابسة بها **ان يقولون** اي ما يقولون في ذلك الشأن **الا كذبا** الا قولا كذبا
لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولآبائهم مثل حاله صلى الله عليه وسلم في شدة الوجد على اعراض
القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه
عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له صلى الله عليه وسلم
على الحذر والاشفاق من ذلك **فلعلك باخع** اي مهلك **نفسك على آثارهم** غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط
ذراعيه **اسفا** مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا عليهم ويجوز حمل
النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل صـ

ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم الكهف النقب
المتسع في الجبل وما لم يتسع منه فهو غار ذكره القرطبي رحمه الله
والرقيم اسم الجبل او الوادي او القرية او الكلب او لوح
رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف • وقيل الرقيم
اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح
عمله • وفي هذا خبر معروف اخرج في الصحيحين وقال قوم
اخبر الله تعالى عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشيء
كانوا في بقائهم احياء مدة مديدة بلا غذاء من اياتنا عجبا
اي احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من بين
اياتنا عجبا فليس كذلك بل كل اياتنا عجيب وفي اياتنا
ما هو اعجب منهم • وقال القشيري رحمه الله ازال موضع
الاعجوبة من اوصافهم حيث اضافه الى نفسه بقوله اياتنا
وتقليب العادة من الله تعالى ليس بمستبعد اذ اوى الفتية
الى الكهف حين التجأوا اليه • وروي انهم كانوا فتيانا من
ابناء الاشراف اراد دقيانوس الملك على الشرك فابوا
وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة من خزائن
رحمتك الموجبة للمغفرة والرزق والامن وهيئ لنا من امرنا
الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه مهتدين
او اجعل امرنا كله هدى • والرشد اصابة الطريق المؤدي الى
البغية • وكذا الرشد والرشاد • واصل التهيئة احداث هيئة
الشيء فضربنا على آذانهم اي منعناهم ان يسمعوا • قال قطرب
هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم من
الفساد • وضرب السيد على يد عبده المأذون اذا منعه
من التصرف • وتخصيص الآذان بالذكر لان النوم قلما ينقطع
الا من جهتها ولا يستحكم الا مع تعطلها • اشير الى ذلك
في قوله عليه السلام ذاك رجل بال الشيطان في اذنه • و
الذاهبون الى ان المعنى ضربنا عليها حجابا من ان يسمع يجعلون
عن ان الحجاب لا يناسب آلة السمع ولذلك ادخل السمع
في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة تحت الختم دون التغشية على ما اعترف واكده
وذكره في تفسيره في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا
قال الزجاج اي تعد عددا لكثرتها لان القليل يعرف مقداره
من غير عد فاذا كثر عد • واما قولهم دراهم معدودة فهو على القلة
لانهم كانوا يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم اي
من نومهم تعالى اي احيي او اقيم من نومه مبعوث لانه كان
ممنوعا من الانبعاث والتصرف لنعلم عبارة عن خروج الشيء
الى الوجود ومشاهدته وهذا على كلام العرب والا فقد كان
الله تعالى علم ذكره القرطبي فلا حاجة الى اثبات التعليق لعلمه
تعالى حال او الاستقبال اي الحزبين المختلفين منهم او منهم
وغيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان
لبثهم والامد الغاية • وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه
لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له
مفعول له

ولما ذكر من الآيات الكلية من تزيين الارض بما خلق
فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله
كان لم يكن قال ام حسبت ان اصحاب الكهف و
الرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف
وابقاء حياتهم مدة طويلة • والكهف الغار الواسع
في الجبل • والرقيم اسم كلبهم • او قريتهم • او اسم كتاب
كتب فيه شأنهم • او اسم الجبل الذي فيه الكهف
كانوا من آياتنا عجبا اي كانوا آية عجبا من آياتنا
وصفا بالمصدر • او على ذات عجب اذ اي اذكر
اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من
لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي
المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا
من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا
حتى نكون بسببه راشدين مهتدين • او اجعل امرنا
رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا • او يسر لنا
طريق رضاك فضربنا على آذانهم في الكهف
اي ضربنا عليهم حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة
ثقيلة لا تنبههم الاصوات • فحذف المفعول الذي
هو الحجاب سنين عددا ذوات عدد • فهو صفة
لسنين • قال الزجاج اي تعده عدا لكثرتها لان
القليل يعلم تعداده من غير عد فاذا كثر عد •
فاما دراهم معدودة فهي على القلة لانهم كانوا
يعدون القليل ويزنون الكثير ثم بعثناهم
ايقظناهم من نومهم لنعلم اي الحزبين المختلفين
منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك
وذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين
علموا ان لبثهم قد تطاول • او اي الحزبين من غيرهم
احصى لما لبثوا امدا غاية • واحصى فعل ماض
وامدا ظرف لاحصى ومفعوله • والفعل الماضي خبر المبتدأ
وهو اي والمبتدأ مع خبره سد مسد مفعولي نعلم
والمعنى ايهم ضبط امد الاوقات لبثهم او احاط
علما بامد لبثهم • ومن قال احصى افعل من الاحصاء
وهو العد فقد زل لان بناءه من غير الثلاثي المجرد
ليس بقياس • وانما قال لنعلم مع انه تعالى لم يزل عالما
بذلك لان المراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا
ايمانا واعتبارا او ليكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة

من تفسير العيون

ولما ... ام حسبت نزل حين ارسل اهل مكة خمسة رهط منهم الى يهود المدينة وقالوا اسألوهم
عن امر محمد وصفته فانه من زعم انه نبي مرسل فقالت اليهود سلوه عن قصة اصحاب الكهف
وقصة ذي القرنين والروح فان اخبركم عن القصتين دون الروح فاعلموا انه نبي مرسل فاتبعوه
والا فهو كاذب فسألوه فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله تعالى فرجعوا ولم ينزل عليه جبريل عشر
الليلة اياما في رواية فقالوا ودعه ربه وابغضه فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل به
جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم يا اخي لم ابطأت علي فقال انا عبد مثلك ما ننزل
الا بامر ربك فلما قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم آية ام حسبت الى اخر القصة قالوا هذا ساحر
موسى ولم يصدق قوم • وام بمعنى بل والهمزة وهو يقتضي الاستفهام من قبله لفظا او تقديرا فتقديره
حسبت ان ذلك المذكور من الآيات اي من زينة الارض بما ذكرنا ثم جعلنا اياه كله كان لم يكن قط
عجب من قصة اصحاب الكهف ام حسبت اي بل ظننت وعلمت بالقرآن ان اصحاب الكهف
اي الغار الواسع والرقيم اسم كلبهم • او لوح كتب فيه اسماؤهم على باب الكهف ليقف من بعدهم
على خبرهم • وقيل هو اسم للجبل الذي فيه الكهف كانوا من آياتنا عجبا اي آية عجيبة يعني هم اعجب منها •
نحل من آياتنا حال من عجبا قدم عليه • قيل معناه انهم ليسوا باعجب آياتنا ومعنى ام حسبت
ان خلقنا من السموات والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم • والاول اقرب لان الاضراب عن الكلام
الاول الى الكلام الثاني انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واحسن ليحصل الترقي في قوله تعالى اذ اوى
اي اذكر اذ دخل الفتية جمع فتى وهو الشاب الكامل الى الكهف ليجعلوه مأوى لهم خوفا على
دينهم من قومهم الكفرة فقالوا ربنا آتنا من لدنك اي من خزائن رحمتك رحمة اي مغفرة وامنا
من الاعداء وهيئ اي اصلح لنا من امرنا اي الامر الذي نحن فيه وهو الايمان وترك الكفر رشدا
اي هداية تحفظنا عن الضلالة فضربنا على آذانهم حجابا من ان تسمع اي انمناهم نوما ثقيلا
لا يوقظ فيه صوت ما وقوله في الكهف ظرف لضربنا ومفعوله محذوف وهو حجابا وقوله سنين عددا
ظرف آخر لضربنا اي ذوات عدد يريد الله الكثرة كما اختاره الزجاج لان الكثير يحتاج الى العد
والقليل لا يحتاج الى العد ثم بعثناهم اي ايقظناهم بعدما انمناهم لنعلم اي ليتعلق بعلمنا
ما يظهر في الوجود من امرهم اي الحزبين اي المختلفين منهم في مدة لبثهم احصى اي اضبط
لما لبثوا امدا اي امد اوقات لبثهم اي غايتها • فامدا مفعول به لاحصى لانه فعل ماض
وقوله لما لبثوا في التقدير صفة امدا فلما قدم صار حالا • اي امد الاوقات لبثهم • وقيل احصى
افعل التفضيل بعد حذف الزيادة على غير قياس نحو هو اعطى للمال • فامدا حينئذ منصوب
بفعل دل عليه احصى وهو ضبط لان افعل لا يعمل ولا يعمل فيه لبثوا لانه يخل بالمعنى اذ المقصود
هو العلم بغاية لبثهم لا العلم بلبثهم في الغاية انتهى العيون

من تفسير ابو السعود رحمه الله

ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة
ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها
عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر
من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم
جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وصفا له موضع المضاف ع ١١

او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة
للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي
عندها كالنزر الحقير ● والكهف الغار الواسع في الجبل ● والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت ● وليس بها
الا الرقيم مجاورا ● وصيدهم والقوم في الكهف همد ● وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت
فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف ● وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي
اي جانبه ● وقيل قريتهم ● وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين ● وقيل
اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في
الصحيحين **اذ اوى** ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ **الفتية** اي اصحاب
الكهف ● وايثار الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية
من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف
من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه **الى الكهف** يجعلونه ملجأ لهم
ويتخذونه مأوى **فقالوا ربنا آتنا من لدنك** من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل
العادات ● فمن ابتدائية متعلقة بآتنا ● او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه
لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك **رحمة** خاصة تستوجب المغفرة
والرزق والامن من الاعداء **وهيئ لنا من امرنا** الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة
على طاعتك ● واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا **رشدا**
اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه ● وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلاف معنييهما
وتقديم المجرور الصريح لاظهار الاعتناء بها ● وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما
حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن
كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة ● وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك
على تقدير تعلقه بآتنا ● وتقديم لنا على من لدنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول
مرغوبا فيه لديهم ● او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا
فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة
عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها ● وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك
سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة اذ هي الطريقة
للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق ● وقيل الضرب على الآذان
كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من
التصرف مع عدم ملاءمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع ان المراد قطعا ●
والفاء في فضربنا كما في قوله تعالى فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما
ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية
خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعوتهم **في الكهف** ظرف مكان
لضربنا **سنين** ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه **عددا** اي ذوات عدد او تعد عددا

لما لبثوا حال منه او مفعول له ● وقيل انه المفعول واللام مزيدة ● وما موصولة ● وامدا تمييز ● وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق ● ورد عليه بان بناء اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد
ليس بقياس ... فلا يقاس عليه ● ولان امدا لا ينتصب بافعل لانه لا يعمل ولا بلبثوا لعدم سداد المعنى عليه فان زعمت نصبه
باضمار فعل يدل عليه احصى كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت
ان يكون فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره ولكنه مردود ● اما اولا فلان دعواه الشذوذ مذهب ابي علي وعند سيبويه
هو قياس وبه اخذ الزجاج وعلى اختيار ابن عصفور ان الهمزة اذا كانت لغير النقل كاشكل الامر واظلم الليل يجوز
ان يقال ما اشكل هذه المسئلة وما اظلم هذا الليل والهمزة في احصى ليست للنقل ● واما ثانيا فلان قوله ان افعل لا يعمل ليس بصحيح
لانه يعمل في التمييز ومن زعم ان احصى اسم تفضيل لم يجعله مفعولا به بل جعله تمييزا ومثل ما يقال زيد اقطع الناس سيفا ●
واما ثالثا فلانه يجوز ان يكون نصب امدا على نزع الخافض تقديره لما لبثوا من امدا على ان الامد بمعنى المدة ولعل هذا
مراد الطبري حيث ذهب الى ان نصب امدا بلبثوا ● واما رابعا فلان اسم التفضيل ينصب المفعول به في مذهب الكوفيين
فلا اضطرار الى تقدير فعل انما ذلك على تقدير ثبوت نزول القرآن على مذهب البصريين واني ذلك انتهى ابن كمال

او تعد عددا على انه مصدر ● او معدودة على انه بمعنى المفعول ● ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب
باظهار كمال القدرة ● او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم
كبعض يوم عنده عز وجل **ثم بعثناهم** اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت **لنعلم** بنون العظمة
وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات ● واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز
او بحمله على ما يقع وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا
فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه
تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل ● واما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم
او الاظهار والتمييز ويتسنى نظم شيء من ذلك في سلك الغاية ● وانما الذي ترتب عليه تفرقهم
الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل بحمل النظم الكريم على
التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار
صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى
فأتوا بسورة من مثله ● وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم **اي الحزبين** اي الفريقين المختلفين
في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي **احصى** اضبط **لما لبثوا** اي للبثهم **امدا** اي غاية فيظهر لهم عجزهم
ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته
وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم ● وقد اقتصر هنا من تلك الغايات
الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليه وهذا اولى من تصوير
التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا حسبما وقع في تفسير قوله تعالى
وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان
من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم
عبارة عن الاختبار فاختبر واختر هذا ● وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول
محذوف والجملة المقدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله
الناس اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ● وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين
تداولوا المدينة ملكا بعد ملك ● وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم ● والامد بمعنى
المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية ● وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة
وليس معنى احصائها ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة
العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة
عبارة عما سبق من السنين ● ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث

قال اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد
لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على
الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء
كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروض الزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين
ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى • والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به
الاحصاء في الصورة السابعة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة
الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة الى اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول
ظاهر • واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون
ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية • ويجوز ان يكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان
الذي عبر عنه فيما قيل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما تحققته • وقيل اللام زيدة والموصول مفعول
وامدا نصب على التمييز • واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة
نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك تما الاحصى • ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث
هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من
المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل
ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل • وامتناع عمل انما هو في غير التمييز من المعمولات • واما ان التمييز
يجب كونه فاعلا في المعنى فلا نعم ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا او تقطيعا • او يقال ان امدا
في امدا فعل محذوف تدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله • واضرب منا بالسيوف القوانس
وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر فمع ما فيه من الاعتساف
والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن
الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما • ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز
الكل عنه رأسا • فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه
مردود بانه صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله اعلم انتهى ابو السعود رحمه الله

المنفصلة

ارد في
احصى

٥

أيس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم
قبرا لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وعلا انهم فتية استيناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل
المخاطب • والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي امنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعليته وصف الربوبية
لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه
من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه • وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا الى
التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان و
اجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا
والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم
اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا فقالوا ربنا رب
السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته
لما فيهما اي اقتضاء • وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام
فحينئذ يكون ما سياتي من قوله معولا الى منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو لن نعبد
ابدا من دونه الها معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا • والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى
بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن الحد او قولا هو
عين الشطط على انه وصف بالمصدر بالمبالغة ثم اقيم على الوصف مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول
لما انها لا تعرى من الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه
الها لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم انتهى ابو السعود رحمه الله

نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي خبرهم بالصدق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
بعد الايمان بالتوفيق والتثبيت هدى اي بصيرة في دينهم وربطنا على قلوبهم اي قويناها
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام والصبر على هجران الاوطان وترك اللذات اذ قاموا
بامرنا بين يدي الجبار وهو دقيانوس الملك وكان جبارا اكره اهل الانجيل على عبادة
الاصنام حين دخل مدينة افسوس بعسكره وتسلط عليهم فمن كفر بالله واتبع دينه تركه
ومن لم يتبعه قتله واراد فتية من اشراف قومه اكره على الشرك وتوعدهم بالقتل
فابوا عنه وقاموا باثبات الحجة واظهار الاسلام بعدا ان امرهم بالسجود للاصنام والتشديد
على عبادة غير الله تعالى وقول الكفر فقالوا بالاخلاص والتوكل على الله وادين عليه من غير
مبالاة به ربنا رب السموات والارض لن ندعو اي لن نعبد من دونه اي من دون الله تعالى
الها ولا نسال الا من غيره ولئن دعونا غيره فرضا لقد قلنا اذا قولا شططا اي ذا شطط
وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد انتهى العيون
قوله وزدناهم هدى بصيرة في امر دينهم ويقال ثبتناهم في امر دينهم ويقال ثبتناهم على الايمان
قوله وربطنا على قلوبهم حفظنا قلوبهم بالايمان ويقال الهمناهم بالصبر اذ قاموا اذ خرجوا من عند الملك الكافر
دقيانوس
قوله شططا كذبا وزورا على الله تعالى
من تفسير الكرماني

نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية
جمع فتى والفتوة بذل الندى وكف الاذى و
ترك الشكوى واجتناب المحارم واستعمال المكارم
وقيل الفتى من لا يدعي قبل الفعل ولا يزكي نفسه
بعد الفعل آمنوا بربهم وزدناهم هدى يقينا
وكانوا من خواص دقيانوس قد قذف في قلوبهم
الايمان وخاف بعضهم بعضا وقالوا ليخل اثنان
اثنان منا فيظهر كل منهما ما يضمر لصاحبه ففعلوا
فحصل اتفاقهم على الايمان وربطنا على قلوبهم و
قويناها بالصبر على هجر الاوطان مع الفراق بالدين
الى بعض الغيران وجسّرناهم على القيام بكلمة الحق
والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو
دقيانوس من غير مبالاة حين عاتبهم على ترك عبادة
الاصنام فقالوا ربنا رب السموات والارض مفتخرين
لن ندعو من دونه الها ولئن سميناهم الهة لقد
قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في
الظلم والابعاد فيه من شط يشط اذا بعد انتهى المدارك

نحن نقص قدم تفسيرها في سورة يوسف ثم عليك نبأهم
النبأ خبر ذو شان بالحق بالصدق انهم فتية جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم الرب السيد الناظر في مصلحة عبيده الناظر
والاستعار بذلك عدل عن آمنوا بربنا وزدناهم هدى
بالتثبيت وربطنا على قلوبهم من المجاز ربط الله على قلبه صبره
ومنه رابط الجاش لمكان الخوف والقلق يزعج القلوب
عن مقارها الا ترى الى قوله وبلغت القلوب الحناجر
قيل في مقابلته ربط قلبه اذا تمكن وثبت وهو تمثيل
والعدول من التعدية الى على من باب يجرح في عراقيبها للمبالغة
اذ قاموا على قدم الصدق مجاز يقال قام الى امر كذا اذا عزم
عليه بغاية الجد فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لم يقل ربا لان جهة توحده تعالى الوهيته
لا ربوبيته لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا اذا قولا
شططا والشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه يقال شط
منزل فلان اذا جاوز القدر في البعد مقدر وصف به للمبالغة
انتهى ابن الكمال

نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف
من قوله اذ اوى الفتية الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل
اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عم
نبأهم النبأ الخبر الذي له شان وخطر بالحق اما صفة
لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له
على رأي من كان يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص
قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص
نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل و
عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا
دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين
بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية
يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك
وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء
فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة
الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا
اليه ابدا فاقض ما انت قاض فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى
لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فازمعت
الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا
بالباقي فأووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه وتعالى بالانين والجوار
وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري
ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم
فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه
وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم
وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله عز وجل على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في
طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم

هؤلاء مبتدأ. قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه
آلهة خبره وهو إخبار في معنى الإنكار لولا يأتون لولا
حرف تخضيض بمعنى هلا صحبه الإنكار عليهم على الوهيتهم
بسلطان بين بحجة بالغة ظاهرة فيه دليل على فساد
التقليد في أصول الدين فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك إليه تعالى وإذ اعتزلتموهم خطاب
من بعضهم لبعض والاعتزال يشمل الجسماني والقلبي
من مفارقة قومهم ومعتقداتهم وما يعبدون إلا الله
عطف على الضمير المنصوب سواء كان ما موصولا أو مصدرية
والاستثناء متصل إن كانوا يعبدون الله تعالى مع آلهتهم
ومنقطع إن لم يعرفوه تعالى ويجوز أن يكون ما نافية على أنه
إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ
وجوابه تحقيقا لمضمون الجملة فأووا إلى الكهف ينشر لكم
ربكم يبسط الرزق لكم ويوسعه عليكم من رحمته في
الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون
قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وقوة في رجائهم وقرئ
مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء قال الجوهري من قرأ مرفقا
جعله مثل مقطع ومن قرأ مرفقا جعله اسما مثل مسجد
ويجوز مرفقا أي رفقا مثل مطلع ولم يقرأ به وترى الشمس
إذا طلعت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد
والمعنى أنك لو رأيتهم رأيتهم كذا لا أن المخاطب
رآهم على التحقيق تزاور عن كهفهم تتنحى وتميل فلا يقع
شعاعها عليهم فيؤذيهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء
في الزاي وقرئ بحذفها وقرئ تزور كتحمر وتزاور كتجاور
وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة المسماة باليمين وإذا غربت تقرضهم قال الخليل في
كتاب العين إذا عدلت عن شيء في مسيرك قلت قرضته
يمنة أو يسرة وفي تعدية القرض إياهم دون الكهف على
خلاف تعدية التزاور دلالة على أن الشمس كانت تدخل
الكهف إذا غربت إلا أنه لا يقع شعاعها عليهم لئلا يتشبهوا
فإن شعاع الشمس وحرها تأثيرا في الاشتباه وهذا من
تتمة ما قصد بالقرب على أنهم ذات الشمال يعني
يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه أي هم في
متسع داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وثيابهم
روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الكهف وهذا أيضا من تتمة
ما ذكر قبل وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات
النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق
رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره
تطلع مائلة عنه مقابلة بجانبه الأيمن وهو يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل
عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم ومعناه الغفول عما في تعرضهم من الدلالة على
الشمس في الكهف عند غروبها ثم أن ما ذكره من حكم مقابلة النعش يختلف باختلاف الأقاليم طولا وعرضا ثم أن قوله
ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم إخراج لما وقع في شأنهم من خوارق العادات عن حدها ببيان أسبابها
العادية على ما ذكره لا يصلح سببا كافيا انتهى ابن الكمال

هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه
آلهة خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون عليهم
هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين
بحجة ظاهرة هو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على
عبادة الأوثان محال فمن أظلم ممن افترى على الله
كذبا بنسبة الشريك إليه تعالى وإذ اعتزلتموهم
خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على
الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطفا على
الضمير أي وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم
إلا الله استثناء متصل لأنهم كانوا يقرون بالخالق
ويشركون معه غيره كأهل مكة أو منقطع أي
وإذ اعتزلتم الكفار والأصنام التي يعبدونها
من دون الله تعالى أو كلام معترض إخبار من الله
عن الفتية أنهم لم يعبدوا غير الله فأووا إلى الكهف
يأويكم ينشر لكم ربكم من رحمته من رزقه ويهيئ لكم
من أمركم مرفقا مرفقا مدني وشامي وهو ما يرتفق
به أي ينتفع وإنما قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى
وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم
أو أخبرهم نبي في عصرهم وترى الشمس إذا طلعت
تزاور بتخفيف الزاي كوفي تزور شامي تزاور
غيرهم وأصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في
الزاي أو حذفها وكل من الزور وهو الميل
ومنه زاره إذا مال إليه والزور الميل عن الصدق
عن كهفهم أي تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة
باليمين وإذا غربت تقرضهم تقطعهم ذات الشمال
وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعنى أنهم
في كل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها و
لا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض
لإصابة الشمس لولا أن الله تعالى يحجبها عنهم
وقيل في متفسح في غار ينالهم فيه روح الهواء
وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار انتهى

وهذا يكون كهفهم نحو المشرق وهم في فجوة أي في متسع
أي من الكهف يصل إليهم النسيم ويرفع عنهم وخامة
الغار ولا تصل إليهم الشمس عند طلوع وغروب انتهى العيون

هؤلاء هو مبتدأ. وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم ● وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة وقد مر تحقيقه في سورة هود ● واذ اعتزلتموهم اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم او وعبادتهم الا الله على التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ● ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف اي التجئوا اليه قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت كذا فافعل كذا ● وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا ● او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به ● وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع ● وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده ● وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا الى الكهف ● ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن رأي صائب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ أوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه ● والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ● وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين ● وقرئ بادغام التاء في الزاي ● وتزور كتحمر ● وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي أووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت اي تراها عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق ● وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير انتهى ابو السعود

هؤلاء قومنا الآية انكار منهم لحال قومهم ● وقومنا عطف بيان لهؤلاء ● وهو مبتدأ خبره اتخذوا من دونه اي من دون الله آلهة لعبادتهم ● وهذا اخبار في معنى الانكار بدليل لولا يأتون اي هلا يجيئون عليهم اي على عبادتهم بسلطان بين اي حجة ظاهرة ● وهو تبكيت لهم لان الاتيان بذلك محال ودليل على فساد التقليد ● اذ لا بد في الدين من الحجة على صحته فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي بنسبة الشريك اليه تعالى ● فاخذهم وسلمهم الى آبائهم ليحفظوهم حبسا الى ان يطلبهم ثم هربوا منهم الى الكهف ومروا بكلب في الطريق ● وقيل مروا براع له كلب فتبعهم على دينهم فطردوا الكلب فانطقه الله فقال انا احب من يحب الله تعالى وانا احرسكم فتركوه ومشوا قائلين في طريقهم واذ اعتزلتموهم يعني قال بعض الفتية لبعض اذ اعتزلتموهم اي الكافرين وما يعبدون اي ومعبوديهم الا الله استثناء متصل لانه داخل فيما يعبدون روي انهم كانوا يقرون بالله ويشركون به قوله فأووا الى الكهف مفعول للفتية اي التجئوا بالفرار بدينكم الى الكهف ● والفاء في جواب اذ ● وجواب الامر ينشر لكم اي يبسط عليكم ربكم من رحمته ويبعدكم من اعدائكم ويهيئ لكم من امركم مرفقا بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس ما يرتفق به اي ينتفع المعنى يجعل لكم سهولة بدل الصعوبة قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وتوكلا عليه ● قيل كان بعضهم نبيا يقول لهم ثم ذهب آباؤهم الى الملك واخبروه انهم هربوا من عندهم فتبعهم الملك والناس معه حتى انتهوا الى باب الكهف فوجدوا آثارهم داخلين فيه فدخلوا الكهف فلم يجدوا شيئا لما اعمى الله تعالى عليهم فقال الملك سدوا عليهم باب الكهف ليموتوا من الجوع ويكون قبورهم ثم انصرف الملك والناس معه الى المدينة ● فكتب رجلان مسلمان يكتمان ايمانهما اسماءهم واسماء آبائهم واسم مدينتهم وفرارهم من دقيانوس الملك الكافر في لوح من رصاص فالزقاه من داخل الكهف فمن ظهر عليهم يعلم به انهم مسلمون ● وترى الشمس يا محمد او يا انسان اذا طلعت تزاور بالرفع مع التشديد اصله تتزاور اي تعدل وتميل ● وقرئ تزور من ازور وتزاور بالتخفيف ● والمعنى في الكل واحد وهو الميل عن كهفهم ذات اليمين اي جهة يمين الكهف وهو ظرف لتزاور واذا غربت تقرضهم اي تقطعهم تجاوزهم ذات الشمال يعني تتركهم وتعدل عنهم جهة شمال الكهف قيل كان كهفهم بازاء بنات نعش ولذلك لا يقع عليهم الشمس وقيل ان هذا القول خطأ لان الله تعالى صرف عنهم الشمس بقدرته وحال بينها وبينهم اكراما لهم ص

ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موضع شعاعها من آيات الله
العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى • وهذا قبل ان سد دقيانوس
باب الكهف • وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته
مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي
يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع
عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم • ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على
كهفهم والقرض على انفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى الكهف هذا شأنه • واما جعله اشارة الى حفظ الله
سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اخبارهم
فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق له فهو المهتد الذي اصاب الفلاح •
والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق
او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق
فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا مرشدا
يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح
السين • وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما في نظائره ايقاظا جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان
ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر • وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود اي
نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكر ما سبق من الضرب على آذانهم ونقلبهم في رقدتهم ذات
اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم
قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لأكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة • وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء
وقيل في كل تسع سنين • وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل ينبئ عنه
وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى
فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله تعالى فناموا حتى احرسكم • قيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم
ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم • وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه • واختلف في لونه فقيل
كان انمر • وقيل اصفر • وقيل اصهب • وقيل غير ذلك • وقيل كان اسمه قطمير • وقيل ريان • وقيل تقود • وقيل
قطمورة • وقيل ثور • قال خالد بن معدان ليس من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال
ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل • وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا • والذراع
من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم
وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة • وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا
هربا مما شاهدت منهم • وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد •
واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي
اقبال وادبار • واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر
ورعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز • وذلك لما ألبسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم
مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم • وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم
لبثنا يوما او بعض يوم ولا قوله تعالى ولا يشعرن بكم احدا كما ان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم
وقيل لعظم اجرامهم • ولعل تأخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع
اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو مجموع عليه وللاشعار بعدم زوال
الرعب بالفرار كما هو المعتاد • وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم
فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم
قال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم
ريحا فاحرقتهم • وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد انتهى

ذلك اي ما ذكر من حالهم من ان الشمس تصيبه ولا تصيبهم كرامة من الله تعالى لهم او شأنهم وحديثهم من آيات الله
الدالة على قدرته ثم مدحهم فقال من يهدي الله فهو المهتد بحذف الياء واثباتها وصلا بانهم قد جاهدوا في الله تعالى
واسلموا له فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية • اي من يهده الله تعالى ويسلك طريقته فهو الذي اصاب
الفلاح واهتدى واخلص اياته • ثم ذم من خالفهم فقال ومن يضلل اي يضلله بخذلانه فلن تجد له وليا مرشدا
من يليه ويرشده الى فلاحه بعد خذلان الله تعالى اياه • وتحسبهم ايقاظا اي متنبهين وهم رقود
جمع راقد اي نيام لان اعينهم كانت مفتحة لئلا تذوب فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا • وهي جمع يقظ اي
مستيقظ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال • ويتنفسون مع ذلك ولا يتكلمون قيل لهم تقلبتان في السنة
وتقلب واحد في يوم عاشوراء • وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل ماضيا واذا
اضيف كانت حقيقته معرفة نحو غلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية ومعناه ما ذكره بالوصيد
وهو الباب او الفناء او العتبة • وهو مثلهم في النوم واليقظة والتقلب لو اطلعت عليهم اي لو نظرت اليهم يا محمد
لوليت اي لرجعت خوفا منهم فرارا مقدر بمعنى الفاعل اي هاربا ولملئت مثقلا او مخففا اي لامتلأت منهم رعبا
وهو الخوف الذي يملأ الصدر • قيل ذلك بوحشة مكانهم • وقيل لما ألبسهم الله من الهيبة لئلا يصل اليهم احد
حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله تعالى بقدرته من رقدتهم • وقيل دخل قوم في زمان معاوية لينظروا اليهم فبعث الله
ريحا فاحرقتهم انتهى العيون

ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آيات الله تعالى يعني انما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة ● وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش وهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله تعالى من يهدي الله فهو المهتد مثل ما مر في سبحان ● وهو ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اي من اضله فلا هادي له وتحسبهم بفتح السين شامي وحمزة وعاصم غير الاعشى وجبيرة وهو خطاب لكل احد ايقاظا جمع يقظ وهم رقود نيام ● قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وكلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي بالوصيد بالفناء او العتبة لو اطلعت عليهم لو اشرفت عليهم فنظرت اليهم لوليت منهم لاعرضت منهم فررت منهم وهربت منهم فرارا منصوب على المصدر لان معنى وليت منهم فررت منهم ولملئت منهم وبتشديد اللام حجازي للمبالغة رعبا تمييز وبضم العين شامي وعلي وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة او لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ● وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال اريد ان ادخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما لقد قيل لمن هو خير منك لوليت منهم فرارا فدخلت جماعة بامره فاحرقتهم ريح انتهى المدارك ● قال القاضي رحمه الله وجهه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم الخ فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم انتهى رحمه الله

ذلك من آيات الله قالوا ليس ذلك اشارة الى الايواء ولا الى التزاور والقرض ● بل الى حفظ الله تعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة من تبراء عن اختياره في احتياله ● وصدق رجوعه الى الله تعالى في احواله ● ولم يستعن بغير الله تعالى من اشكاله ● او آواه الى كهف افضاله وكفى جميع اشغاله وحقق ماله محلا يتفياء فيه من برد ظلاله بكمال اقباله من يهدي الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح ● ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله تعالى واسلموا له رجوعهم فلطف بهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة ومن يضلل الله ضلال من الله تعالى بخلق دواعي الضلال عندنا وعند المعتزلة فاول بالخذلان فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده ● والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ● او لكل احد كما في السابق واللاحق وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم وتنفسهم ● واما تقلبهم فانما يقع احيانا فلا يصلح سبب الحسبان لكل من رآهم ● وايقاظا جمع يقظ ● ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان وهم رقود نيام ونقلبهم اضاف التقليب الى نفسه تعالى لانه بتخليقه خاليا عن الاسباب العادية وشرائطها ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس رضي الله عنهما ولو لم يتقلبوا لاكلتهم الارض ● وذات منصوب على الظرف لما مر ان اصلها الجهة ● وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بالفعل تدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم ● وكلبهم اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان يصيد احدهم او زرعه او غنمه ذكره القرطبي خلافا لما في قراءة وكالبهم اي صاحب كلبهم لما قيل انه كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب بل التابع بخلافه اذ الظاهر منها ان يكون الكلب من الفتية ● وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة ● وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الكهف طليعة لهم كما سمي النجم التابع للجوزاء كلبا ● وقد حكى ابو عمرو المطرز انه قرئ وكالبهم وحمل على هذا الرجل اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هيئة الريبة المستخفي بنفسه ● ويحتمل ان يراد بالكالب الكلب باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانها حكاية حال ماضية ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب ● وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من النحويين كونه بمعنى المضي غير مانع عن العمل ● والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى بالوصيد بالباب ولم يكن للكهف باب ● فالمراد منه موضع الباب ولذلك قال ابو روق فم الشعب ● لو اطلعت عليهم اي لو شاهدتهم اهل الاشراف على النبي ناظرا اليه ● ويكنى به عن المشاهدة الكاملة والخطاب لمن في وترى الشمس وقرأ ابن كثير بالتشديد للمبالغة وقرأ بضم الواو لوليت منهم لاعرضت بوجهك عنهم ● وانتصب فرارا على المصدر اما لفررت محذوفه واما لوليت لانه بمعنى لفررت او على العلة او على الحال ولملئت منهم رعبا خوفا مملاء صدرك لما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم واجرامهم ● وقيل لوحشة مكانهم وياباه قوله منهم والصحيح في امرهم على ما قال ابن عطية ان الله تعالى حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها ليكون لهم ولغيرهم فيهم آية ولم ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبناء ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت اهم عنده ● وايضا لما قال بعضهم لبعض لبثنا يوما او بعض يوم ● وقيل لانفتاح عيونهم ...

وكذلك بعثناهم البعث التحريك من سكون اي
ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم
لم يتغير شي من ابدانهم وثيابهم ليتساءلوا بينهم
ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله
تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى
ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم ويستبصروا
به امر البعث قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او
بعض يوم قال الحسن دخلوا الكهف في اول النهار فتنظروا
حين استيقظوا فاذا هو اخر النهار فقالوا لبثنا يوما
ثم راوا من الشمس بقية قالوا او بعض يوم وكان عندهم
كذلك فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يواخذوا به قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم انكارا عليهم من بعضهم استدل ابن عباس رضي الله عنهما
بهذه الاية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة بناء على ان
اقل الجمع ثلثة قيل انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد
الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قالوا ذلك • وفيه نظر من وجه ولما اخذهم ما ياخذ من نام طويلا
من الحاجة الى الطعام قالوا فابعثوا احدكم كانهم قالوا خذوا فيما
يهمكم ودعوا علم ذلك الى الله تعالى بورقكم قرئ بكسر الراء وبسكونها
والنقل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما
وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين على غير حده • والورق
الفضة المضروبة نص عليه في الصحاح والقاموس • كانوا قد استصحبوا
حين خرجوا من دارهم لنفقتهم وكانت حاضرة عندهم فلهذا
اشاروا اليها بقولهم هذه المدينة هي طرسوس فلينظر ايها
الضمير للمدينة • والمراد اهلها بطريق الاستخدام والضمير في امثال هذا
الى الحذف من ضيق العطف ازكى طعاما اكثر بركة قال ابن عباس
وعلي رضي الله عنهم انه الارز فانه يزداد بالطبخ وهو من تدبير
قليل البضاعة • وفي تفسير القرطبي قيل انهم امروه ان يشتري
ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ
كفى جماعة ولذلك قيل ذلك الطعام الارز فلياتكم برزق
منه وليتلطف اي وليتكلف في استعمال دقايق التدبير في
دخول المدينة وشراء الطعام فلا يعلم به في ذهابه وايابه ولا يشعرن
بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم والضمير في انهم عايد
على ما دل عليه المعنى من اهل تلك المدينة انهم ان يظهروا عليكم ان
يطلعوا عليكم او ان يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم برمي الحجارة
او يعيدوكم في ملتهم يصيروكم فيها وقيل العود على معناه •
التابع لانهم كانوا اولا على دينهم ثم امنوا وانما لم تعل الرابع
لانه لا يلزم من العود الى الشي التلبس به ولن تفلحوا اذا
ابدا ولن تفوزوا بخير ابدا ان ارتدتم انتهى بتمامه

وكذلك بعثناهم اي انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل
اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي
ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة •

وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك
ايقظناهم اظهارا للقدرة على الانامة والبعث جميعا
ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا
حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على
عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به
عليهم قال قايل منهم رئيسهم كم لبثتم لم مدة لبثتم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن
وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم بمدة لبثكم انكارا عليهم من بعضهم
كانهم قد علموا بالادلة او بالالهام ان المدة متطاولة
وان مقدارها لا يعلمه الا الله • وروي انهم دخلوا الكهف
غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم
فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك
وقد استدل ابن عباس على ان الصحيح ان عددهم
سبعة بالاية قد قال في الاية قال قايل منهم كم لبثتم
وهذا واحد • وقالوا في جوابه لبثنا يوما او بعض يوم
وهو جمع واقله ثلثة ثم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا
قول جمع اخرين فصاروا سبعة فابعثوا احدكم
كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا
في شي اخر مما يهمكم فابعثوا احدكم اي يمليخا بورقكم
هو الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة وبسكون
الراء ابو عمرو وحمزة وابو بكر هذه الى المدينة هي طرسوس
وحملهم الورق عند فرارهم دليل على ان النفقة و
ما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون
المتكلين على الانفاقات • وعلى ما في اوعية القوم
من النفقات • وعن بعض العلماء انه كان شديد
الحنين الى بيت الله تعالى ويقول ما لهذا السفر الا
شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر
ايها اي اي اهلها فحذف كما في واسئل القرية واي
مبتدا وخبره ازكى احل واطيب او اكثر وارخص
طعاما تمييز فلياتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف
اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او
في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن
الى ما يؤدي الى الشعور بنا من غير قصد منه فسمى ذلك
اشعارا منه بهم لانه سبب فيه والضمير في انهم راجع
الى الاهل المقدر في ايها انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم
يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة او يعيدوكم في ملتهم
ولن تفلحوا اذا ابدا اذن يدل على الشرط اي ولن تفلحوا
ان دخلتم في دينهم ابدا انتهى المدارك

وجعل غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار
على ذكره لاستتباعه لسائر اثاره قال استيناف لبيان تساءلهم قايل منهم هو رئيسهم
واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي جمعهم
لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا
يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا
الى الكذب قالوا اي بعض اخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اي
انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه • وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة
حسن الادب • وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق • وقد قيل القايلون جميعهم ولكن
في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي ان الكلام
جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم
هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء
والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة • ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القايل ناولها بعض اصحابه
ليشتري بها قوت يومهم ذلك • وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو و
بسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله سبحانه وتعالى
فلينظر ايها اي اهلها ازكى احل واطيب او اكثر وارخص طعاما فلياتكم برزق منه اي من ذلك
الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء كيلا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك
فالنهي الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي
اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم
والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها
ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا • وقيل كانوا اولا
على دينهم • وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة • و
تقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه
وتعبير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين
على الاهتمام بالتوصية • فان امحاض النصح ادخل في القبول • واهتمام الانسان بشان نفسه
اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا
لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى انتهى ابو السعود رحمه الله

وكذلك اى كما انمناهم تلك النومة بقدرتنا مثل ذلك بعثناهم اى ايقظناهم من نومهم جياعا ليتساءلوا
بينهم عن حالهم اى يسأل بعضهم بعضا وليتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويزدادوا يقينا
ويشكروا على ما كرموا به واللام لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسؤال قال قائل منهم وهو رئيسهم
مكسلمينا كم لبثتم في نومكم هذا قالوا لبثنا يوما لانهم قد دخلوا الغار عند طلوع الشمس وقاموا عند غروبها فلما رأوا
بقية منها قالوا او بعض يوم ظنا منهم ان اليوم المدخول فيه فلما تيقنوا مدة لبثهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهو
انكار من بعضهم عليهم لما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم فاستيقنوا انهم لبثوا اكثر من يوم وقالوا فابعثوا
احدكم بورقكم بفتح الواو وكسر الراء وبسكون الراء ايضا كان بعضهم قال ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فاتركوه
واشتغلوا بما يهمكم فابعثوا اى ارسلوا واحدا منكم بفضتكم هذه المعدة للنفقة الى المدينة وهي التي خرجوا منها واسمها افسوس
والآن طرسوس ● والورق بسكون الراء مع الفتح والضم والكسر على الواو ومع فتح الواو وكسر الراء الفضة مضروبة
كانت او غير مضروبة فلينظر ايها ازكى مبتدأ وخبر اى اى اهل احل طعاما لانه كان فيهم من يذبح لغير الله فليأتكم
برزق اى بشيء منه وليتلطف اى ليتكلف اللطف في امر المبالغة حتى لا يغبن ● او في امر التخفي في ذهابه وايابه
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا اى لا يفعلن شيئا يؤدي الى الشعور بنا انهم اى قومكم ان يظهروا اى يطلعوا
عليكم يرجموكم اى يقتلوكم بالاحجار ● وكان ذلك عادتهم او يعيدوكم في ملتهم اى في كفرهم بالاكراه ولن تفلحوا
اذا ابدا ان فعلتم ذلك ● فدفعوا الورق الى تمليخا فدخل في طريق المدينة فاشكل عليه لتغيرها ● فقال لعل هذه
غير تلك المدينة فسأل انا ما فقال انها افسوس ● فقال لقد تغير عقلي فلم اعرفها ● فلما دخلها جعل يمشي
بين ظهري سوقها فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فبقي حيرانا فقام مسندا الى جدار المدينة يقول
في نفسه عجبا كان امس من يذكر عيسى بن مريم قتل واليوم كل انسان يذكره ولا يخاف ● فقال في نفسه ايضا
والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان افطن لكنت اكيس فجاء الى الخباز فدفع اليه الدرهم فانكره ● وقال
من اين لك هذا وكان من ضرب دقيانوس فاجتمع اليه الناس واتهموه بانه قد وجد كنزا فتفرقوا تفرقا شديدا
يرتعد ● فذهبوا به الى الملك ● وكان مسلما اسمه بيتفادس الملك فقص عليه القصة فذهب الملك مع اهل المدينة
فابصروهم وحمدوا الله تعالى على الآية الدالة على البعث ● ثم قال الفتية للملك نستودعك الله تعالى
ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم واماتهم الله تعالى فالقى الملك عليهم ثيابه وامر
ببناء المسجد على باب الكهف فاخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وكذلك اى كما انمناهم وايقظناهم لحكمة لنا اعثرنا عليهم
اى اطلعنا الناس على حال الفتية لحكمة ايضا وهي قوله ليعلموا اى ليعلم قومهم المطلعون على حالهم ان وعد الله بالبعث
حق لا خلف فيه وان الساعة لا ريب فيها لان حالهم في نومهم وانتباههم بعده كحال من يموت ثم يبعث ● قيل
بعثهم الله تعالى في زمان عيسى عليه السلام ويكونون مقتفية عسكره ناصرين بدين الاسلام معه قوله تعالى
اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون اى المسلمون والكافرون بينهم امرهم اى امر دينهم
وكان ذلك قبل ان يبعث اصحاب الكهف من منامهم ● وبعد ان ملك المدينة الملك الصالح ● روي ان اهل مملكته
كانوا يتنازعون فيما بينهم في الدين ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم قائلا ببعث الارواح دون
الاجساد ● وبعضهم قائلا ببعث الاجساد مع الارواح ● فدخل الملك يوما بيته واغلق بابه ولبس مسحا
وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله تعالى في نفس راع هدم سد باب الكهف ليجعل حظيرة
لغنمه فايقظهم الله تعالى من نومهم ليرتفع الخلاف وقيل كانوا يتنازعون في امر الفتية من الاسلام و
الكفر قبل الاطلاع على حالهم فقالوا اى المسلمون بعضهم لبعض ممن اطلعهم الله تعالى على حالهم ابنوا عليهم اى
على باب الكهف بنيانا يسترهم عن العيون لانهم كانوا على ديننا ● وقال الكافرون بل نحن نبني عليهم لانهم كانوا
على ديننا ● وذلك القول حين توفى الله تعالى اصحاب الكهف وارادوا ان يحافظوا تربتهم عن تطرق الناس
اليهم فلما لم يتحقق المتنازعون امرهم من المسلمين والكافرين الذين لم يطلعهم الله تعالى على حالهم قالوا ربهم اعلم بهم
قال الذين غلبوا على امرهم اى امر الفتية من المسلمين الذين اطلعوا على حالهم مع ملكهم وهم اولى بالبناء عليهم لنتخذن
عليهم اى على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم سيقولون الضمير فيه لمن خاض في قصتهم من اهل الكتاب
السيد والعاقب واصحابهما من نصارى اهل نجران فانهما اختلفا مع المؤمنين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأل المؤمنون خبرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت الآية اخبارا بما سيجري بينهم

افطن بيا

بلاس

اغل

وان الساعة اى القيامة التي هي ميقات ... بعث الخلائق ...
... فان من ... ونعلا ... في نفوسهم ...

من تنازعهم في عدد الفتية بأن بعضهم يقولون يعني السيد واصحابه هم ثلثة رابعهم كلبهم وبعضهم يقولون
يعني العاقب واصحابه هم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب اي ظنا به او رميا بالخبر الخفي من غير تعين وبأن
المسلمين منهم يعني المؤمنين هم الذين يقولون سبعة وثامنهم كلبهم اسمه قطمير او قمرقين ولونه خلنج
او ابلق روي انه يكون معهم في الجنة • وادخل السين في الفعل الاول دون الآخرين اكتفاء بعطفهما
عليه فيدخلان في حكم السين • والواو في وثامنهم قيل هي الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة
وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت متحقق • والايذان
بأن هذا العدد المذكور بعدها هو الحق خاصة دون العددين قبله والذين قالوا لم يرجموا بالظن بل قالوا
عن علمهم وطمأنينة نفس ويدل عليه قوله في الاولين رجما بالغيب وفي الاخير قل ربي اعلم بعدتهم الخ
انتهى العيون

وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي الذين
اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث
او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا حق صادق لا خلف فيه
او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيمة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق
جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة واكثر
حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور
فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية
بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق • قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث • فمن مقر له وجاحد
وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد • وآخر يقول ببعثهما معا • قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا
مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على
رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب
الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى • روي ان المبعوث
لما دخل المدينة اخرج الدراهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به
الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب
فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا • وقيل لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا • وقيل المتنازع فيه
امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال
والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال • وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة
اي اعثرنا عليهم فرأوا ما رأوا ثم ماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم
من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب
او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين • وقيل هو اي المتنازع فيه
امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول امرهم
فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى
فقالوا معطوف على يتنازعون • وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع
وقيل متعلق باذكر مضمرا • واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت
التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا تخصص لاضافته الى التنازع
وهو مؤخر في الوقوع سيقولون

سيقولون الضمير في الافعال الثلثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة
اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم • قيل قالته اليهود • وقيل قاله السيد
من نصارى نجران وكان يعقوبيا • وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء • ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي
لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن • وانتصابه على الحالية من الضمير
في الفعلين جميعا اي راجمين • او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد • او من محذوف
مستأنف • او وقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما • وعدم ايراد السين
للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون
بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم
بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها
او بوحي آخر كما قيل قل ربي اعلم بعدتهم الخ
انتهى ابو السعود رحمه الله

وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ليعلموا أي الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله حق أي البعث كائن لأن حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة لا ريب فيها فإنهم يستدلون بأمرهم على صحة البعث إذ يتنازعون متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازع أهل ذلك الزمان بينهم أمرهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله تعالى أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا أي على باب كهفهم لئلا يتطرق عليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو من كلام الله تعالى رد لقول الخائضين في حديثهم قال الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله تعالى فناموا وأنا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فضرب الله تعالى على آذانهم وقيل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا وذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم ۞

وحمدوا الله تعالى على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله تعالى أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر بجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا • سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم الضمير في سيقولون لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين وأهل الكتاب سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم • يروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف • فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم • وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم • وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين • وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما ذكرنا من قبل • وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا • ومكسلمينا • ومشلينيا • هؤلاء أصحاب يمين الملك • وكان عن يساره مرنوش • ودبرنوش • وشاذنوش • وكان يستشيرهم هؤلاء الستة في أمره • والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس • واسم مدينتهم أفسوس • واسم كلبهم قطمير • والسين الاستقبال وإن دخل في الأول دون الآخرين فهما داخلان في حكم السين كقولك قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له • ثلاثة خبر مبتدإ محذوف أي هم ثلاثة • وكذلك خمسة وسبعة • ورابعهم كلبهم جملة من مبتدإ وخبر واقعة صفة لثلاثة • وكذلك سادسهم كلبهم • وثامنهم • رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين • والواو الداخلة على الجملة الثالثة هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في قولك جاءني رجل ومعه آخر • ومررت بزيد وفي يده سيف • وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن ثبات علم ولم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم دليله أن الله تعالى أتبع القولين الأولين قوله

قل ربي أعلم بعدتهم [illegible]

وكذلك أعثرنا عليهم المفعول محذوف تقديره أعثرنا أعثرناهم عليهم أي كما أنمناهم وبعثناهم لزداد بصيرتهم أطلعناهم عليهم وأصله أن من عثر برجله على شيء وهو غافل نظر إليه حتى يعلمه فاستعير العثور للاطلاع ليعلموا أي ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله حق بالبعث أو الموعود الذي هو البعث حق لأن نومتهم وانتباههم بعد المدد المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة لا ريب فيها وأن القيامة لا ريب في إمكانها فإن من توفى أنفسهم وأمسكها ثلثمائة سنين حافظا أبدانهم عن التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا إياها إلى أن يحشر أبدانها فيردها عليهم إذ يتنازعون ظرف لأعثرنا بينهم أمرهم أمر الفتية حين أماتهم الله تعالى ثانيا فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة فقالوا ابنوا عليهم أي باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق إليهم الناس والدواب ولا يتعرض لهم السباع ربهم أعلم بهم بأحوالهم أنهم ماتوا أو ناموا قال لم تقل وقال لأنه لم يذكر في معرض المعارضة الذين غلبوا على أمرهم أي قال عظماؤهم بعد الاتفاق على البناء عليهم لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه ويتبرك بمكانهم سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم هم ثلاثة رجال رابعهم كلبهم أي جعلهم أربعة بانضمامه إليهم قيل هو قول اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى وإنما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قاله المسلمون بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام على ما أنبأ إخراج هذا القول عن حيز الرجم بالغيب وأما إتباعه قوله تعالى قل ربي أعلم بعدتهم فلا دخل له في الإنباء المذكور ولا دلالة في قوله ما يعلمهم إلا قليل أن ذلك القليل من جنس الإنس حتى يتمشى أن يقال أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة اه انتهى ابن [illegible] رحمه الله

قل ربي أعلم بعدتهم أي قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم بها بقوله سبعة وثامنهم كلبهم ما يعلمهم إلا قليل قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا من ذلك القليل وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم والأكثر على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد ولا تستفت فيهم منهم أحدا أي ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى تقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم ولا تقولن لشيء لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك غدا أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه أو ولا تقولنه إلا أن يشاء الله تعالى أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال أي إلا ملتبسا بمشيئة الله تعالى قائلا إن شاء الله وقال الزجاج معناه لا تقولن إني فاعل ذلك إلا بمشيئة الله تعالى لأن قول القائل أنا أفعل ذلك إن شاء الله معناه لا أفعله إلا بمشيئة الله تعالى وهذا نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه واذكر ربك إذا نسيت أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا نسيت إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر عن الحسن ما دام في مجلس الذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة وهذا محمول على تدارك التبرك بالاستثناء فأما الاستثناء المغير حكما فلا يصح إلا متصلا وحكي أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه وأمر الطاعن فيه بإخراجه من عنده أو معناه واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا

تشديدا في البعث على الاهتمام بها أو صل صلوة نسيتها إذا ذكرتها أو إذا نسيت شيئا فاذكره ليذكرك المنسي وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا يعني إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة أن يهديني إن نسيت أن يؤتيني أن تعلمني مكي في الحالين ووافقه أبو عمرو ومدني في الوصل ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وسنين عطف بيان لثلاثمائة ثلاثمائة سنين بالإضافة حمزة وعلي على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وازدادوا تسعا أي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه وتسعا مفعول به لأن زاد يقتضي مفعولين فازداد يقتضي مفعولا واحدا انتهى المدارك

قل ربي أعلم بعدتهم فلا دخل في الأنباء المذكور ولا دلالة في قوله ما يعلمهم إلا قليل أن ذلك القليل من جنس الإنس حتى يحتج أن يقال اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فإن عدم إيراد الرابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الأصل نفيه ثم رد الأولين بالاتباع المذكور ليتعين الثالث وأما التمسك بالواو بأن يقال إنها دخلت على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت فضعيف لأنها من المحل لا من الحكاية فدلالتها على الثبوت عند القائل لا عند الله تعالى نعم لو قيل إنها تدل على تصديق القائلين بأنهم سبعة لأنها عاطفة على كلام مقدر تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما إذا قال قائل زيد شاعر وقيل وفقيه أيضا وفي الخبر سئل النبي صلى الله عليه وسلم أنتوضأ بما أفضلت الحمر قال وبما أفضلت السباع قال السهيلي يريد نعم وبما أفضلت السباع وقال جماعة ومنهم الإمام أبو منصور الماتريدية لم يبين الله تعالى ذلك لأهل الكتاب ولا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولو كان أعلمه لم يقل لا تستفت فيهم منهم أحدا لأن علمه به يغنيه فهم عن السؤال عنهم فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله تعالى إليك فحسب من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم أحدا ولا تستفتهم من جملتهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال ذكره القرطبي رحمه الله

فيه رد بين ط

في كهفهم ثلاثمائة سنين يريد لبثهم فيه أحياء مضروبين على آذانهم قرأ حمزة والكسائي بالإضافة
وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا ومن قال على وضع الجمع موضع الواحد
سنة حرفا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وأن الأصل في العدد إضافته إلى الجمع فقد تدافع
الكلام لأن مبنى قوله على وضع الجمع موضع الواحد هو أن يكون الأصل الإضافة إلى الواحد وقرأ
الجمهور بتنوين ثلاثمائة على أنه عطف بيان وحمله على البدلية ضعيف لأنه يلزم أن لا يكون العدد مقصودا
ادوا تسعا قيل إنهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية بحساب الأمم ولما كان الإخبار هنا للعرب
التسع إذ المفهوم عندهم من السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين فهو بيان لما
له فيما قبل وقيل إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم
بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا لبثوا
تعالى قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات الخ
إسمعيل بن الكمال رحمه الله

والتفاوت ف
ان علامة
ول ربي

ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء اتماما فاعل بالتنوين دون الاضافة لمكا
وله غدا وبني ذلك على قاعدة ذكرناها في تفسير سورة البقرة اني جاعل في الارض خليفة الا ان يشاء الله
الا ان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئة قائلا ان شاء الله وهذا نهي تاديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا
اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش فقوله غدا بمعناه الحقيقي لا بمعنى ما
يستقبل من الزمان وعدم اختصاص الحكم به من جهة دلالة النص لا من جهة عبارته واذكر ربك
بمشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث
القرطبي هذا في تدارك التبرك بالاستثناء والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير حكما
لا يصح الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه وقل عسى ان يهدين ربي يدلني لاقرب من هذا رشدا
اقرب رشدا واظهر دلالة على اني نبي من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث
اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر
ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه ان يقول عسى ان يهديني لشيء اخر
بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة منه ولعل النسيان كان خيرا
لقوله او ننسها نات بخير منها الاية

قل ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا
عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد
قال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله تعالى عنه
انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي اخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد
بالواو ولكان المسلمون اسوة لهم في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر
اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان
عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة
في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططيونس
فلا تمار الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم
فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب
وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم
فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شانهم منهم من الخائضين احدا
فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال عطاء الا قليل من
اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد
المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه تمحيص تام في الاول من التكلف في جعل

في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشيا عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه
ووضوح في سبب حذف المفعول في الاثار والمعنى حـ واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا
على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا انطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم
فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لرفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه
او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شان الفتية
ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن
لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه
الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وذي القرنين فسالوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي
حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعده ذلك مفهوم
بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فانه وسعة المجال دليل القدرة
فليتامل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال
ملابسته بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات
الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيته اذن فان النسيان ايضا بمشيته تعالى
ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة استثناء
اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له
اذا نسيت اذا فرط منك نسيانه ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث
ولذلك جوز تاخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك و
التخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى
واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه
او اذكر ربك وعقابه او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء
الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء
اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا
اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاه من البينات
ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة
في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا او ادنى خيرا من المنسي
ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة
مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة سنة
شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر السنة القمرية

قوله وازدادوا

والتفاوت في كل مائة سنة ثلث سنين وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ههنا
ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع انتهى ابو السعود رحمه الله

قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل من الناس قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من القليل فلا تمار فيهم اي
فلا تجادل يا محمد في اهل الكهف مع اهل الكتاب الا مراء ظاهرا اي جدالا ظاهرا لك بالوحي ولا تزد عليه
من تجهيل وتعنيف بهم في الرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا اي لا تطلب الفتوى في اهل الكهف
من احد من اليهود لانك عالم بحالهم فلا تسالهم سؤال استرشاد لان الله تعالى قد عرفك الحق
منهم بالوحي اليك ولا سؤال تعنت لاحد منهم لانه خلاف المداراة به بان يقول شيئا فترده
عليه ولا تقولن لشيء لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
قوله الا ان يشاء الله استثناء من النهي لا من قوله اني فاعل اي لا تقولن افعل ذلك في حال الا ملتبسا بمشية الله
اي قائلا ان شاء الله وقيل معناه الا ان ياذن لك الله تعالى فيه وهذا نهي تادب له عن مولاه حين قال لهم ائتوني
غدا اخبركم ولم يستثن فيه وقد ذكرناه انفا واذكر ربك اي مشية ربك ومعناه قل ان شاء الله او اذكره بالتسبيح
والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها او اذكره اذا نسيت شيئا ما لتذكره واكثر الفقهاء لا يجوز
الاستثناء حتى يكون متصلا وقيل يجوز الاستثناء الى سنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ما دام في المجلس وهو
قول الحسن رحمه الله قوله تعالى وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب بيان لقوله واذكر ربك اذا نسيت يعني اذكر ربك عند نسيان شيء
ان تقول عسى ان يرشدني ربي الى شيء اخر بدل المنسي اقرب من هذا اي من نبأ اهل الكهف وغيره رشدا اي خيرا
ومنفعة فاللام في لاقرب بمعنى الى قوله تعالى ولبثوا في كهفهم الاية بيان لما اجمله في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين
عددا اي ولبثوا احياء نياما في كهفهم ثلث مائة سنين قيل سنين بدل من ثلث او مائة بمعنى سنين او عطف بيان
لا تمييز والا لكان مدة لبثهم عند الخليل ستمائة سنة لان اقل الجمع عنده اثنان وعند غيره تسعمائة لان اقله ثلثة عندهم
هنا على قراءة مائة بالتنوين واما على قراءة اضافة فاقيم الجمع مقام المفرد لان حق المائة ان يضاف الى المفرد ووجه ذلك
ان المفرد في ثلث مائة درهم في المعنى جمع فحسن اضافته الى لفظ الجمع كما في الاخسرين اعمالا فانه مميز بالجمع و
حقه المفرد نظرا الى معناه قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين اشار الى ان ذلك الحساب على اعتقاد اهل الكتاب
شمسي واما عند العرب فهو قمري والقمري يزيد على الشمسي تسعا ولذلك قال وازدادوا تسعا وهو مفعول ازداد
روي ان نصارى نجران قالوا اما الثلثمائة فقد عرفنا واما التسع فلا علم لنا فنزل قل الله اعلم الخ انتهى العيون

فعال

ای رفع به

ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي • والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية • والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر • ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له • او لزيادة الباء كما في كفى به • والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك • وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل احد • ولما دل اشتمال القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امره عليه السلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه عند الالمام ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات • وقيل في طرفي النهار • وقرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تاويل التنكير • والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم • وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل • قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين لرضاء الله تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه • واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره • وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا • وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها • وضمير تريد للعينين • واسناد الارادة اليه مجاز • وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل • ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك • او هو من اغفل ابله اي لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات • وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد • وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة انتهى ابو السعود رحمه الله

نوع

عن الازدراء

ای الاحتقار

قل الله اعلم بما لبثوا اي قل لهم هو اعلم بذلك لبثهم لان علم الخفيات مختص به تعالى ولذلك قال له غيب السموات والارض تقدم له اي لله العلم بما خفي فيهما على غيره تعالى من احوال اهلهما وغيرها ابصر به واسمع الضمير في به لله محله نصب لكونه فاعلا لفعل التعجب • والباء زائدة والهمزة في الفعلين للصيرورة اصله ابصر الله واسمع • فغير من لفظ الخبر الى لفظ الامر وليس بامر اذ لا معنى للامر هنا ومعناه ما ابصره الله وما اسمعه وانما جاء به ليدل على التعجب

بما

من ادراكه تعالى بكل مسموع وكل مبصر خارج عن حد ما عليه ادراك كل سامع وكل مبصر اذ هو يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يغيب عنه شيء ما لهم اي ليس لاهل السموات والارض من دونه اي من غير الله تعالى من ولي اي متول لامورهم ولا يشرك بالياء اي الله تعالى في حكمه اي في قضائه وعلمه احدا منهم يغني عنه • وقرئ بالتاء خطابا مع غير الكاف نهيا للانسان قوله واتل ما اوحي نزل حين قالوا له صلى الله عليه وسلم ائت من السماء بقرآن غيرها او بدله اي اقرأ الذي اوحي اليك من كتاب ربك اي من القرآن واعمل به ولا تطمعهم في طلب التبديل ولا تسمع قولهم فيه لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها سواه تعالى ولن تجد من دونه اي من دون الله ملتحدا اي ملتجأ فالتجاء اليه ان هممت بذلك التبديل رضا قوله واصبر نفسك نزل حين طلب رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين من مجلسه كصهيب وعمار وخباب وغيرهم • وقالوا اطردهم حتى نجالسك فان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء لانهم قوم ارذلون فامره الله تعالى بالقعود معهم اي احبس نفسك مع الذين يدعون ربهم قوله بالغداة والعشي حال دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد الصلوات الخمس او صلوة الفجر والعصر يريدون بعبادتهم وجهه تعالى شيئا اخر من اغراض الدنيا ولا تعد اي لا تنصرف او لا تجاوز عيناك عنهم لرثاثة هيئتهم نظرا الى ذي الاغنياء قوله تريد زينة الحيوة الدنيا حال من ضمير تعد ولا تطع في طردهم من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي القرآن والتوحيد بالخذلان واتبع هواه في الكفر وقيل مشتهاه وكان امره فرطا اي اسرافا ومجاوزة للحد في التفريط لانه نابذ للحق وراء ظهره فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم امر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول الحق الذي ارسل به فقال تعالى وقل الحق الاية

انتهى لقيوى

قل الله اعلم بما لبثوا اى تقوا علم من الذين اختلفوا فيه
عن لبثهم والحق ما اخبرك به او هو حكاية لكلام اهل
الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم والجمهور على ان هذا
اخبار من الله تعالى انهم لبثوا في كهفهم كذا مدة
له غيب السموات والارض ذكر اختصاصه بعلم ما غاب
في السموات والارض وخفي فيهما من احوال اهلهما ومن غيرها
ابصر به واسمع اى واسمع به والمعنى ما ابصره بكل
موجود وما اسمعه بكل مسموع ما لهم لاهل السموات
والارض من دونه من ولي من متول لامورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يشرك
على النهي شامي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا
او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
اى من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل
فانه لا مبدل لكلماته اى لا يقدر احد على تبديلها
وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده ولن تجد
من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك
ولما قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم نح هؤلاء الموالي وهم صهيب وعمار وخباب
وسلمان وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك نزل
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها
معهم وثبتها بالغداة والعشي دائبين على الدعاء
في كل وقت او بالغداة لطلب التوفيق والعشي لطلب
عفو التقصير او هما صلوة الفجر والعصر بالغداة
شامي يريدون وجهه رضاء الله ولا تعد عيناك
عنهم ولا تجاوز عداه اذا جاوزه وعدي بعن
لتضمين عدا معنى نبا في قولك نبت عنه عينه و
فائدة التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى
من اعطاء معنى فذ تريد زينة الحيوة الدنيا
في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من
جعلنا قلبه غافلا عن الذكر وهو دليل لنا على انه تعالى
خالق افعال العباد واتبع هواه وكان امره فرطا
مجاوزا عن الحق انتهى المدارك

قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ما غاب فيهما
وخفي من احوال اهلها وانه هو وحده العالم به ابصر به واسمع
امران معناهما انشاء التعجب والهاء في به في محله الرفع على
الفاعلية عند سيبويه لان اصله صار ذا بصر كاغد
البعير صار ذا غدة ثم نقل الى التعجب وغير الى صيغة
الامر لانه انشاء والتعجب حذر الضمير لان ضمير الغائب
لا يستتر في امر المخاطب وزيد الباء فيه لتاكيد التعجب
ولخلوه عن الضمير لم يختلف صيغته بحسب اختلاف المخاطب

ظ افرادا وتثنية وجمعا وعند الاخفش منصوب على المفعولية
والفاعل ضمير المخاطب وهو كل احد والهمزة للتعدية والباء
مزيدة وعند بعضهم الهمزة للصيرورة والباء للتعدية
والاتيان بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى
في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي ما لهم لاهل السموات والارض من دونه
من متول لامورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم و
لا يجعل له فيه مدخلا وقرئ بالتاء والجزم على النهي واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به
من طلب التبديل لا مبدل لكلماته اى لا يقدر احد غيره على
تبديلها ولن تجد من دونه ملتحدا تعدل اليه ان هممت به واصبر
نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه قدم تفسيره في سورة الانعام ولا تعد
عيناك عنهم اى لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم
من عدوته عن الامر صرفته عنه وما يعرفه العين ليس
الا النظر فحذف لظهوره قيل ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم
وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وفيه ان عدا بمعنى جاوز
يتعدى بنفسه وبعن قال الجوهري عداه جاوزه
وعدا عن فلان معدى اى لا يتجاوز الى غيره ثم ان معنى
الصرف امس بالمقام من معنى التجاوز وقرئ ولا تعد ولا تعد
من اعداه وعداه تريد زينة الحيوة الدنيا حال من
الكاف على المشهورة ومن الضمير المستتر في الفعل على غيرها
والعامل على الاول ايضا الفعل السابق لا مسبق في قوله
فاتبع ملة ابراهيم حنيفا ويجوز ان يكون حالا من الفاعل
وتوحيد الضمير لانهما عضو واحد في الحقيقة او للاتحاد والالتباس
او للاكتفاء باحدهما عن الاخر واستبشاع اسناد
الارادة الى العين مندفع بانها كناية عن ارادة صاحبها
كما يقال يستلذه العين او السمع وانما المستلذ الشخص
ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلت قلبه غافلا عن ذكرنا اياه
بالمؤاخذة واتبع هواه قيل نزلت في امية بن خلف وذلك
انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى تبعيد الفقراء عنه وتقريب
صناديد قريش وكان امره فرطا اى متجاوزا فيه الحد ذكره الجوهري
انتهى كلام ابي السعود

قل الله اعلم بما لبثوا اى بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب
السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما
واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب
ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شأن علمه سبحانه
بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك
المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ه

قل الحق من ربكم الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حال مؤكدة
او خبر بعد خبر اي جاء الحق وزالت العلل فلم يبق الا اختياركم
لانفسكم ما شئتم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
ليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد
وتهديد ● وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من
اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء
من النجدين ● قيل هو لا يقتضي استقلال العبد
بفعله فانه وان كانت بمشيئته فمشيئته ليست
بمشيئته ولكانه زعم ان الامر بالايمان والكفر يكون فيه رد
امرا يجعلهما واجبا وهما حتى قال ما قال والحق ان فيه رد
العبد مامور بالكسب فقط ومعاذ ا بعد الحق الا الضلال
انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها هو ما
يمد فوق صحن الدار ذكره الجوهري فارسي معرب اصله
سراطاق لا سرا پرده كما توهم ● وما في حديث ابي سعيد فيه رد
الخدري رض على ما خرجه الترمذي وقال فيه حسن صحيح من قوله
صلى الله عليه وسلم لسرادق النار اربع جدر يعضد ما ذكرنا
ويرد ما قيل انه الحجرة التي تكون حول الفسطاط ● وما قيل فيه رد
انه الحائط وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء
كالمهل اي يؤتوا بماء كالمهل ● وانما قال يغاثوا على طريقة
تحية بينهم ضرب وجيع ● تهكما ● والمهل هو ما غليظ كدردي
الزيت ذكره ابن عباس رض ويوافقه ما في حديث الترمذي فيه رد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هو كعكر الزيت يشوي الوجوه
من فرط حرارته اذا قدم ليشرب وهو صفة ثانية لماء ● او حال فيه رد
منه لانه قد وصف فحسن مجيء الحال منه او من المهل او الضمير
في الكاف بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف تقديره فيه رد
بئس الشراب هو اي الماء الذي يغاثون به وساءت النار
مرتفقا متكأ ● واصل الاتكاء على المرفق وهذا لمشاكلة قوله
حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء
الا ان يكون كناية عن عدم النوم كما في قوله نام الخلي وبت
الليل مرتفقا ان الذين امنوا وعملوا الصلحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا للتعليل اولئك لهم جنات عدن اقامة
او هو وسط الجنان وانما جيء بلفظ الجمع لسعتها بحيث كان
كل بقعة منها صالحة لان تكون جنة ● ويجوز ان يراد بالجنات
سائر الجنان واضافتها الى عدن لانه معظمها والجملة خبر ان
وما بينهما اعتراض ● او هو ايضا خبر على قيام من احسن
مقام الضمير لان من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات
ينتظمها معنى واحد واما التعليل بان من احسن عملا على
الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيابا التعليل المستفاد من التنكير في عملا او على ان الضمير فيه رد
مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيد ● واما حذفه على ان المعنى من احسن عملا منهم فغير يؤذن تنوع الذين امنوا وعملوا الصالحات فيه رد
الى من احسن عملا والمعنى يحسنه ولا وجه له ٩٥

وقل الحق من ربكم اي الاسلام او القرآن والحق خبر
مبتدا محذوف اي هو فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر اي جاء الحق وزالت العلل فلم يبق الا
اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في
طريق النجاة او في طريق الهلاك ● وجيء بلفظ
الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء
فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من
النجدين ثم ذكر جزاء من اختار الكفر فقال انا اعتدنا
هيأنا للظالمين للكافرين فقيد بالسياق كما ترك
حقيقة الامر والتخيير بالسياق وهو قوله
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو
الحجرة التي تكون حول الفسطاط ● او هو دخان
يحيط بالكفار قبل دخولهم النار ● او هو حائط
من نار يطيف بهم وان يستغيثوا من العطش
يغاثوا بماء كالمهل هو دردي الزيت او ما اذيب
من جواهر الارض وفيه تهكم بهم يشوي الوجوه
اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته بئس
الشراب ذلك المهل وساءت النار مرتفقا متكأ
من المرفق ● وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا
والا فلا ارتفاق لاهل النار ● وذكر جزاء من اختار
الايمان فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا ● اولئك لهم جنات
عدن كلام مستانف لبيان الاجر المبهم ● ولك ان تجعل
انا لا نضيع واولئك لهم خبرين معا ● والمراد من احسن
منهم عملا كقولك السمن منوان بدرهم ولان من
احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما
معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير تجري
من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من للابتداء
وتنكير اساور لابهام امرها
في الحسن من ذهب من للتبيين ويلبسون ثيابا
خضرا من سندس ما رق من الديباج واستبرق
ما غلظ منه اي يجمعون بين النوعين متكئين فيها
على الارائك خص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين
والملوك على اسرتهم نعم الثواب الجنة وحسنت
اي الجنة والارائك مرتفقا متكأ انتهى المدارك

٩٥ او الخبر هو اولئك كلام مستانف لبيان الاجر المبهم ● ويجوز ان يكون الثاني بدلا
من الاول فلا يحتاج الاول الى خبر ● كما في قول الشاعر ● ان الخليفة ان الله سربله
سربال ملك به ترجى الخواتم تجري من تحتهم الانهار قد مر تفسيره في سورة البقرة يحلون يجعل لهم
حليا بني التحلية للمفعول اشعارا بانهم يكرمون بذلك ولا يتعاطونه بانفسهم فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتداء والثانية للتبيين صفة لاساور ● وتنكيرها لابهام امرها في الحسن وهي جمع
اسورة والاسورة جمع سوار بالكسر ● وهو زينة تلبس في الزند من اليد ● وقال ابو عمرو واحد
الاساور الاسوار بالضم وهو بمعنى السوار لا جمعه ويلبسون اسند فعل اللبس اليهم لان الانسان
يتعاطى ذلك بنفسه خصوصا اذا كان بادي العورة وقد روي في ذلك اثر ان لزيد
في ضوء البصر ثيابا خضرا لانها احسن الالوان واكثر طراوة من سندس ما رق من الديباج
واستبرق ما غلظ منه معرب فارسية استبرك جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال خص الاتكاء لانه
هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ انتهى ابن الكمال

وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم ●
او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه
وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ● اما من تمام القول المامور به والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق
ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به
فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء ان يكفر به فليفعل
وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما
ما لا يخفى ● واما تهديد من جهة الله تعالى ● والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على
مضمون المامور به ● والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك
فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد
وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر ولما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة
بلغوهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه
الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين
اي هيأنا للكافرين بالحق بعدما جاء من الله سبحانه ● والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان
مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة
احاط بهم اي يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها
شبه به ما يحيط بهم من النار ● وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط ● وقيل
سرادقها دخانها ● وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل

وقل هو الحق اي ترك طرد المومنين هو الحق من ربكم لا طردهم فانه باطل فمن شاء الايمان فليومن ومن شاء الكفر
فليكفر فلست بطاردهم من عندي لهواكم فاعملوا ما شئتم انا اعتدنا للظالمين اي جاحد الحق نارا احاط بهم
سرادقها وهي تحجب حول الفسطاط كالحائط قيل هي دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل
حائط من نار يحيط بهم في النار وهي اربعة جدر كثف كل جدار اربعون سنة قوله وان يستغيثوا
يغاثوا يشير الى انهم عند ذلك يعطشون فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو صديد اهل النار
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت ثم وصف المهل بقوله يشوي الوجوه اي ينضجها
من حره قال صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه
بئس الشراب ذلك وهو المخصوص بالذم وساءت النار مرتفقا اي متكاء ومتكأ للاستراحة و
اتيانه هنا للمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق ولا اتكاء لاهل النار ان الذين امنوا بالقران
وعملوا الصالحات بما فيه قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا منهم خبر ان الذين ويجوز ان يكون انا لا نضيع الا
اعتراضا والخبر اولئك لهم جنات عدن اي اقامة وخلود دائم تجري من تحتهم الانهار الاربعة من الخمر واللبن
والعسل والماء العذب يحلون فيها اي يلبسون في الجنة من اساور جمع اسورة وهي جمع سوار وهو ما يلبس في اليد
من حلقة من فيه ابتداء ومن في من ذهب بيانه قيل يحلى كل واحد منهم ثلثة اسورة من ذهب وفضة
ومن لؤلؤ وياقوت ويلبسون ثيابا خضرا من سندس جمع سندسة وهي ما رق من الديباج واستبرق
جمع استبرقة وهي ما غلظ من الديباج المنسوج بالذهب وجمع بينهما جمعا بين النوعين قوله متكئين حال
من ضمير يلبسون فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب للعروس
وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم نعم الثواب ذلك وهو المخصوص بالمدح وحسنت
الجنة مرتفقا اي متكاء ومتكأ للاستراحة فيه انتهى العيون

يغاثوا بماء كالمهل كالحديد الذائب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالتقسيم
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم
هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار
مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو المقابلة
قوله وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير
كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مال الفريقين اي ان الذين
امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع
اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من
احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقع الظاهر فان من
احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض
او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية
صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا
خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي ما رق
من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا
اي متكأ انتهى ابو السعود رحمه الله

وقل الحق من ربكم ما ذكر من الايمان والقران معناه قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم
عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال
ليس الي من ذلك شيء فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر هذا على طريق التهديد والوعيد
كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقيل معنى الاية وقل الحق من ربكم ولست بطارد المومنين لهواكم
فان شئتم امنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا احاط بكم سرادقها وان امنتم
فلكم ما وصف الله تعالى لاهل طاعته وعن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الاية من شاء الله له الايمان
امن ومن شاء له الكفر كفر وهو قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله معالم

قل الحق من ربكم قل يا محمد ما ياتيكم من ربكم فهو حق قوله فمن شاء فليومن الاية هذا غاية التهديد
اي ان امنتم ففوائده بانكم مقصورة عليكم وان ابيتم فعذاب الجحود والانكار موقوف عليكم لا نزال
والحق سبحانه وتعالى عزيز لا يعود اليه بايمان الكافر اذا وحده زين ولا من كفر الجميع ان جحدوا
والحق سبحانه وتعالى منزه عن ان يعود اليه من تعذيب هؤلاء
عائد ولا من تنعيم هؤلاء فائدة جلت الاحدية وتقدست الصمدية قشيري رحمه الله
لكن اقتضت انوار صفات الجمالية واسرار نعوت الجلالية واثار مظاهر الربوبية اختلاف
مراتب ارباب العبودية كما اشار اليه في الحديث القدسي والكلام الانسي خلقت هؤلاء للجنة
ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي علي القاري

واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلاً رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان
اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفاً من ان للاولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من
حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلاً حال رجلين مقدرين
او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار
فاشترى الكافر بنصيبه ضياعاً وعقاراً وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل
هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاسد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة
رضي الله عنها اولاً جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل
او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به
وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولاً آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعاً
ليكون كل منهما جامعاً للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين
آتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغاً صالحاً للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه
لم تنقص من اكلها شيئاً كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالباً تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض
الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهراً على حدة ليدوم شربهما
ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس
للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو
عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة
وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له
لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال
من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو
اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك
مالاً واعز نفراً حشماً واعواناً او اولاداً ذكوراً لانهم ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها
وصفاتها وعينها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان
الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبني على سؤال
نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي تفنى
ابداً لطول امده وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه
ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سياتي ولئن رددت
بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيراً منها اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلباً
مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي
وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية
كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن
الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام متضمن لخلقه منه لما ان
خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجاً
منطوياً على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام
من التراب خلقاً للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة
فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلاً اي عدلك
وكملك انساناً ذكراً او صيرك رجلاً والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر و
التلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا قد خلقناكم من تراب
لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ [redacted] كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وهو
ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل
والوقف جميعاً وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء وقرئ لكن يطرح انا وقرئ لكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك
قوله اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احداً فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك

انتهى ابو السعود رحمه الله عليه

واضرب لهم مثلاً امر النبي صلى الله عليه وسلم بضرب مثلهم ليعتبروا فيؤمنوا وتقدير اضرب لهم مثلاً
مثل رجلين اي مثل حال الكافرين من اهل مكة والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل
احدهما كافر اسمه فطروس والآخر مسلم اسمه يهوذا ورثا من ابيهما مالاً عظيماً قيل هو ثمانية آلاف
دينار فاقتسماه فصرف المؤمن ماله في ابواب البر وصرف الكافر ماله في اسباب المكاسب
من البساتين والمزارع ثم وصف حالهما بقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب اي بساتين من كروم
وحففناهما بنخل اي احطناهما باشجار مثمرة من النخل محيطاً بالجنتين وجعلنا بينهما زرعاً
...نبات به اي جمعت ارضهما انواع الفواكه والاقوات وجعلت متواصلة متشابكة
مستحسنات الشكل واللون وافية الاثمار تامة الاكل من غير نقص مستقية بافضل ما
يسقى به وهو النهر الجاري واشار الى ذلك بقوله كلتا الجنتين آتت اكلها اي ثمارها
وافراد آتت حمل على لفظ كلتا ولو قيل آتتا لكان حملاً على المعنى ولم تظلم منه اي لم تنقص
من حملها شيئاً بل اتت به في غاية الكمال وفجرنا اي جرينا خلالهما اي وسطهما نهراً يجري
بينهما وجاز سكون الهاء لغة وكان له ثمر اي حصل لصاحب البستان ثمر بفتحتين جمع ثمرة
وهو المجتنى من الفاكهة وقرئ بالسكون ثمر وبضمتين ثمر جمع ثمار وهي جمع ثمرة وذكر الثمرة بعد
ذكر الجنتين وان كانت الجنة لا تخلو عنها ايذان بكثرة الحاصل له في الجنتين من الثمار وغيرها
فقال الكافر صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن وهو يحاوره اي يكلمه ويراجعه الكلام من حار يحور
اذا رجع قيل انه اخذ اخيه المؤمن يطوف به الجنتين ليريه ما فيهما مفاخراً ومعجباً بما فيهما من المال
...دون اخيه قائلاً انا اكثر منك مالاً واعز نفراً اي انصاراً وحشماً ودخل الكافر جنته
...وحدها مشيراً الى الجنتين المثمرة ارادة للروضة وهو ظالم لنفسه بالكفر والاعجاب بماله قال
ما اظن ان تبيد اي تنعدم هذه مشيراً الى الجنة المثمرة ابداً وما اظن الساعة اي القيامة قائمة اي
كائنة ولئن رددت اي والله لئن رجعت الى ربي اي الى الآخرة بزعمك لاجدن خيراً منها
اي من الجنتين في الدنيا عندي وقرئ منهما مفرداً اي من جنتي منقلباً تمييز اي مرجعاً في الآخرة
قال ذلك استهزاء وقيل ادعاء لكرامته على الله تعالى يدل عليه اقسامه بقوله ولئن
رددت قال له اي للكافر صاحبه المسلم وهو يحاوره اي يراجعه الكلام باستفهام التقرير
اكفرت اي صرت كافراً بالذي خلقك من تراب اي من آدم عليه السلام وهو مركب ثم من
نطفة اي من مني ثم سواك اي عدلك وكملك رجلاً اي انساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال
جعله كافراً بالله جاحداً لنعمه لشكه بالبعث قوله لكنا باثبات الالف وبحذفها استدراك
لمضمون قول الكافر اي انت كافر بالله لكني مؤمن موحد لا اقول كما تقول
انت بل اقول هو الله ربي اي خالقي ورازقي ولا اشرك بربي احداً قوله لكنا اصله
لكن انا حذفت الهمزة بعد نقل الحركة الى النون الاولى وادغمت في الثانية وهو ضمير الشان
اي الشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع اليه منها ياء الضمير في ربي انتهى العيون

واضرب لهم مثلا رجلين ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فجعلاها شطرين فاشترى الكافر ارضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشترى منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف دينار فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله هو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اعطت حمل على اللفظ لان لفظ كلتا مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز اكلها ثمرها ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وتمام الاكل من غير نقص ثم ما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو النهر الجاري وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال من ثمر ماله اذا اكثره اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما له ثمر واحيط بثمره بفتح الثاء والميم عاصم وبضم الثاء وسكون الميم ابو عمرو وبضمها غيرهما فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه انا اكثر منك مالا واعز نفرا انصارا وحشما او اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث

اي يخرجون

ودخل جنته اي احدى جنتيه او سماها جنة لاتحاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما وهو ظالم لنفسه ضارّ لها بالكفر قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اي ان تهلك هذه الجنة شك في بيدودة جنته لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وترى اكثر الاغنياء من المسلمين تنطق السنة احوالهم بذلك وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها اقسم منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلبا اي مرجعا وعاقبة قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقا له ثم من نطفة اي خلقك من نطفة ثم سواك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله لشكه في البعث لكنا بالالف في الوصل شامي ابا قون بغير الف وبالالف في الوقف اتفاق واصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فادغمت الاولى في الثانية بعد ان سكنت هو الله ربي هو ضمير الشان وانا الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وهو استدراك لقوله اكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر وفيه حذف اي اقول هو الله ربي بدليل عطف ولا اشرك بربي احدا

انتهى المدارك

واضرب لهم للكافرين والمؤمنين مثلا رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم والجملة بتمامها بيان التمثيل ولا محل لها من الاعراب او صفة الرجلين وحففناهما بنخل اي جعلته مطيفا بهما وهذا مما يؤثره الدهاقين ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة ومتشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والاختيار هو الاول ولم تظلم منه اي لم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وكان له ثمر اي انواع المال من ثمر ماله اذا كثره فقال لصاحبه والظاهر منه انهما ليسا باخوين وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام ويجاوبه من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا

انا اكثر منك مالا واعز نفرا اولادا دل على ذلك قول صاحبه ان ترن انا اقل منك مالا وولدا والمراد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ودخل جنته بصاحبه ليريه ما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك من المال دونه وافراد الجنة يجرد الكلام لما يتقى له من الفرض وصونا عما يخل امر الغرض والغرض هاهنا بيان ما قاله عند دخوله جنته والتعرض لتعددها فضلة في ذلك وهذا كما تقول اذا رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض وراءهما وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد ان تهلك هذه الجنة ابدا وهذا لاغتراره بامهاله وانطراح النظر في عواقب امثاله وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي اقسام منه لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته ايثما يلقاه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض لاجدن خيرا منها اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانتصابه على التمييز قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل خلق اصله هو آدم عليه السلام او اصل مادته وذلك ان ماء الرجل يتولد من اغذية حاصلة من تراب فنبهه اولا على ما تولد منه بالواسطة ثم على ما تولد منه بالذات فقال ثم من نطفة فانها مادته القريبة ثم سواك رجلا جعلك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال سويا قبيل عدلك وبرتك وقويك فعدلك جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في قدرته تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من تراب كأنه يقول من اعترف بخلقه تعالى اياه لا ينكر عادته منه لانها اهون منه فالانكار للثاني لا يجامع الاعتراف بالاول لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا استدراك من قوله اكفرت لانه استفهام انكار وتوبيخ فهو في الحقيقة اخبار عن كفره واصل لكنا لكن انا فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام وقرئ بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبرا خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا الله ربي

انتهى ابن الكمال پاشا

ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله • او مبتدأ خبره محذوف تقديره ما شاء الله كائن او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله تعالى وان ما تيسر لك من تعميرها وتدبير امرها فبمعونته واقداره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا من رفع اقل جعله خبرا وجعل انا مبتدأ والجملة مفعولا ثانيا لترن ومن نصبه جعل انا فصلا او تاكيدا للمفعول الاول فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي واحده حسبانة قاله الاخفش وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي الصواعق فتصبح دل على اتيان الحساب بالليل صعيدا زلقا ارضا اصطلم جميع ما عليها من النبات كالراس اذا حلق لا يثبت عليه شيء مصدر بمعنى المفعول من زلق راسه زلقا اذا حلقه او يصبح عطف على يرسل على تنويع ما يرجى الى آفة سماوية وآفة ارضية ماؤها غورا اي غائرا مصدر بمعنى الفاعل يقال غار الماء غورا اذا سفل في الارض فلن تستطيع له للماء الغائر طلبا اي لن تقدر على طلبه لعدم بقاء الاثر منه واحيط بثمره الواو فصيحة عاطفة على مقدر هو تحقق ظنه بثمرة امواله • والاحاطة عبارة عن اهلاكه بالكلية • واصله من احاط به العدو فان قوما احاط بهم العدو فلا ينجو شخص ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح يقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر فان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن فكانه قيل يندم على ما انفق فيها في عمارتها فهو متعلق بيقلب • ويجوز ان يكون حالا اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقط عروشها على الارض وسقط الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى امواله • ويحتمل ان يكون توبة عن الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن بالتاء والياء له فئة قدم ما يتعلق باستقاقا فئة في آل عمران لما افتخر بعزة نفره اخبر تعالى انه لو لم يكن له جماعة تجدونه نفعا وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ اي يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك • واما الاتيان بمثله فليس من النصر لانه المعونة بالقهر والغلبة لا مطلق المعونة من دون الله اي هو القادر وحده على ذلك وما كان منتصرا قادرا على الانتصار بنفسه انتهى ابن كمال

قوله احيط بثمره اهلكت ثمرته ان قرأت بالنصب ويقال اهلك ماله ان قرأت بالضم قوله يقلب كفيه يضرب يديه بعضها على بعض ندامة قوله على ما انفق فيها اي في الجنتين ويقال على ما كان فيها من غلتها قوله خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها

ولولا وهلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله • او شرطية منصوبة المحل والجزاء محذوف يعني اي شيء شاء الله كان • والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل ما فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وان امرها بيده ان شاء تركها وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو بمعونته وتاييده • من قرأ ان ترن انا اقل منك مالا بنصب اقل فقد جعل انا فصلا • ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وقوله وولدا ينصر من فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في العقبى ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها او يصبح ماؤها غورا غائرا اي ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا فلا يتاتى منك طلبه فضلا عن الوجود • والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك واحيط بثمره هو عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك فاصبح اي الكافر يقلب كفيه يضرب احداهما على الاخرى ندما وتحسرا • وانما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد • ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي العذاب من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى بستانه حين لم ينفعه التمني • ويجوز ان يكون توبة الى الله من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة ينصرونه يقدرون على نصره من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته ولا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لحكمة وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى انتهى المدارك

ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اى الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره • عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما • وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر • وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال • وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها • وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه • وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق • ومساعدة النظم الكريم فيما سياتي للاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو • وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن • وهو كناية عن الندم دون ما هلك الان من الجنة لما انها انما يكون على الافعال الاختيارية • ولان ما انفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان • وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به • وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها • واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مسندة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى • واما لان الانفاق في عمارتها اكثر • وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه • قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله • وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله تعالى يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه

انتهى ابو السعود رحمه الله

ولولا اي هلا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله اى الامر ما شاء الله بمعنى الامر الذي شاءه الله كان يعني هلا قلت عند دخولك جنتك اذا اعجبك حسن جنتك لتشكره على انعامه عليك لانه اقرار بان كل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى والامر كله بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا بالله اي بعونه لا بقوتي اعترافا بانا ما قويت به على عمارتها انما هو بمعونته لا بنفسك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعطي خيرا فيقول عنده ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها قوله ان ترن شرط مجزوم بان اي ان رايتني انا اقل انا ضمير فصل يقع بين المبتدأ والخبر صلا

والجزم جوابا له بالمعرفة كما فعل التفضيل بين كونه نعتا وخبرا • واقل مفعول ثان لترى والمفعول الاول ياء المتكلم فيه
يعني ان ترني اقل منك مالا وولدا في الدنيا فتكبرت وتعظمت علي فعسى اي لعل ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك
هذه في الآخرة ويرسل عليها اي على جنتك في الدنيا حسبانا جمع حسبانة وهي الصاعقة • او مصدر بمعنى الحساب
وهو الحكم بتخريبها من السماء فتصبح اي فتصير صعيدا زلقا اي ارضا ملساء يزلق عليها قدم او يصبح ماؤها
غورا اي غائرا ذاهبا في الارض فلن تستطيع له طلبا اي حيلة تدركه بها • المعنى اني ارجو ان يرزقني الله
تعالى جنة افضل من جنتك ويهلك جنتك واحيط بثمره اي اهلكت ثمرته فاصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا
كما هو عادة النادمين على ما انفق فيها اي في عمارتها وهي خاوية اي خالية ساقطة على عروشها اي على دعائمها
ثم سقط الكروم عليها قيل ارسل الله تعالى نارا عليها فاحترقت ويقول الكافر يا ليتني لم اشرك بربي احدا فتذكر
موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه به فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله تعالى جنته ولم تكن له فئة
بالتاء والياء اي جماعة ينصرونه من دون الله اي من عذابه وقيل معناه لا يقدر احد غير الله تعالى ان ينصره
وهو القادر على نصره لكنه لا ينصره لاستحقاقه الخذلان بكفره وما كان منتصرا اي ممتنعا بنفسه منه

هنالك ظرف لما قبله اي عند مجيء العذاب • او في القيمة ثم قال الولاية بالفتح النصرة والتولي • وبالكسر الملك والسلطان • او بالفتح
في الدين وبالكسر في الامور • وهي مبتدا خبره لله اي الولاية لله تعالى وحده لا يملكها غيره ويجوز ان يكون هنالك من
هذه الجملة فيكون خبر الولاية ولله صلتها والمعنى في هذا المقام النصرة لله تعالى وحده لا يستطيعها احد سواه وهو تقرير
لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله قوله الحق بالرفع صفة للولاية وبالجر صفة لله هو خير اي الله افضل
ثوابا لمن آمن به وخير عقبا اي افضل عاقبة له من جنة الكافر في الدنيا • والعقب بضم القاف وسكونها والعقبى
كلها بمعنى العاقبة والمنصوبات تميزات والمعنى ثواب الله وعاقبته خير للمؤمنين من الدنيا وما فيها واضرب لهم اي بين
للناس وصف لهم مثل الحيوة الدنيا الفانية هو كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي التف وتكاثف بسبب
الماء نبات الارض حتى خالط بعضه بعضا فاصبح اي فصار النبات هشيما اي متفرق الاجزاء يابسا تذروه
الرياح اي تثيره فتنقلب به • شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الفناء والهلاك بحال نبات حسن
فيبس فتكسر ففرقته الريح فانعدم وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا اي قادرا قوله
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتجمل بهما فيها • فيه تزهيد للمؤمنين فيها وتوبيخ للمفتخرين بها يعني الزينة التي يفتخر
الاغنياء ليست من زاد الآخرة والباقيات الصالحات اي الاعمال الصالحات التي تبقى ثمرتها للانسان • وقيل الصلوات
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك اي افضل ثوابا من صفة الزينة وخير املا اي افضل ما يامله
الانسان ويرجوه عند الله تعالى • او افضل مما يرجوا الكافرون من الثواب وهو النار • روي انه صلى الله عليه وسلم خرج
على قومه وقال خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله أمن عدو حضر قال لا بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال
سبحان الله الخ وهن الباقيات الصالحات • وقال ايضا لأن اقول سبحان الله الخ احب الي مما طلعت عليه الشمس

انتهى الغيوه

هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد • فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها
اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه
او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كان عن اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقرئ برفع الحق على انه صفة
للولاية • وبنصبه على انه مصدر مؤكد • وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها
ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة • او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل
اي هي كماء انزلناه من السماء • ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه
نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه • او نجع الماء في النبات حتى روي ورف
ومقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض • وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في الكثرة فان كلا من
المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفه هشيما مهشوما
مكسورا تذروه الرياح تفرقه • وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو
الهيئة المنتزعة من الجملة • وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن
بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا
واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل • وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية
المحكية آنفا وقوله وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك • وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة
وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين • واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة
الى من بلغ مبلغ الابوة • ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس
من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس ظ

هنالك الولاية لله الحق والولاية بكسر الواو حمزة و
علي فهي بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان
والملك والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال
النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد
سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه
من دون الله او هنالك السلطان والملك لله
لا يغلب او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله
ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه
من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها او هنالك
الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
وينتقم لهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه
المؤمن وصدق قوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده
قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا لاوليائه
او هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله
كقوله تعالى لمن الملك اليوم الحق بالرفع ابو عمرو
وعلي صفة للولاية او خبر مبتدا محذوف
اي هي الحق او هو الحق وغيرهما بالجر صفة
لله تعالى عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وبضمها غيرهما
وفي الشواذ عقبى على وزن فعلى وكلها بمعنى العاقبة
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء اي هو كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف
حتى خالط بعضه بعضا او اثر في النبات الماء
فاختلط به حتى روي فاصبح هشيما يابسا
متكسرا الواحدة هشيمة تذروه الرياح
تنسفه وتطيره الريح حمزة وعلي وكان الله على كل شيء
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا شبه
حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من
الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر ثم
يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا لا زاد العقبى وعلي
العقبى والباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى
ثمرتها للانسان او الصلوات الخمس او سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا جزاء
وخير املا لانه وعد صادق واكثر الآمال
كاذبة يعني ان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله و
يصيبه في الآخرة انتهى المدارك للنسفي رحمه الله
ويقال الباقيات ما يبقى ثوابه والصالحات سبحان الله الخ
كرماني

هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له
وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة
ينصرونه من دون الله وقرئ بالكسر ومعناه السلطان
والملك لله تعالى لا يغلب ولا يمتنع عنه او في مثل تلك الحالة
الشديدة يتولى الله تعالى ويؤمن به كل مضطر فيكون
تنبيها على ان قوله تعالى يا ليتني لم اشرك بربي احدا كان
عن اضطرار وجزع مما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك
لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر
اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن
وصدق قوله فعسى ربي الآية وقيل هنالك اشارة
الى الآخرة اي في تلك الدار الآخرة الولاية لله تعالى
كقوله لمن الملك اليوم ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا
وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرئ بالنصب
على المصدر المؤكد وقرئ عقبا بالسكون وبالضم وقرئ
عقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم ومثل لهم
من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد مثل
الحيوة الدنيا صفتها القريبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كما هو كماء انزلناه
من السماء فاختلط به اي بالماء والباء للسببية اي
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
ويجوز ان يكون للتعدية اي يخرج في النبات حتى روي
ورف وحق هذه الباء ان تدخل في اقل المختلطين
وسلك هنا مسلك القلب للمبالغة في كثرة الماء فاصبح
اي اي امر الله تعالى فاصبح على ما افصح عنه في سورة يونس عم
والفاء فصيحة لكنها للاشعار بسرعة الزوال هشيما
متكسرا من اليبس متفتتا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه والتشبيه تمثيلي شبه الهيئة المنتزعة من
احوال الدنيا بالهيئة المنتزعة من احوال النبات
الا ان ايلاء اداة التشبيه بالماء لا يخلو عن نوع اشعار
بتشبيه الدنيا بالماء في ان قليله يروي وكثيره يردي كما
ورد في الخبر قال صلى الله عليه وسلم ذر الدنيا وخذ منها كالماء
فان القليل منها يكفي والكثير منها يطغي وكان الله على كل شيء
من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون
زينة الحيوة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين
قوة ودفعا والباقيات الصالحات الاعمال الخيرات
تبقى ثمرتها للانسان ابد الآباد من اي نوع كان من انواع القول
والعمل وقيل هي النيات والهمات لان بها تقبل العمل
ويرفع خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير
املا اذ ينال بها صاحبها في الآخرة ما كان يامل بها في الدنيا
انتهى ابن الكمال

ط فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها
مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال
والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو
من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات
الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى
وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا
اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا
خير اي مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ
عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال و
البنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة
الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له
خيريتها عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا
لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا
عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما
من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها
انتهى ابو السعود رحمه الله

ويوم اذكر يوم نسير الجبال من سيرت وقرئ تسير ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي يسير اي في الجو كما يسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب وهذا بعد كونها كالعهن المنفوش ومن ذهب عليهم انما تسير السحاب ذهب الى ان يكون المعنى يذهب بها بان يجعل هباء منبثا فذهب عن صوب الصواب

وترى الارض بارزة ظاهرة ليس عليها ما سترها من جبل ولا شجر ولا بنيان وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم الحشر السوق من جهات مختلفة الى مكان واحد ومجيئه ماضيا بعد تسير وترى لتحقيق الحشر وقيل للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا ويشهدوا ما وعد لهم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك ولا حاجة فيه الى جعل الواو للحال باضمار قد بل لا وجه له ويرده ما دل على ان ذلك قبل الحشر من الآيات كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فلم نغادر منهم احدا بالنون والياء يقال غادره اذا تركه ومنه الغدر لانه ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ولا حاجة الى ما قيل لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم انما الحاجة اليه اذا شبهت حاله بحال السلطان المعروض عليه جنده صفا مفرد نزل منزلة الجمع اي صفوفا ومن غفل عن هذا قال مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا معمول لقول محذوف تقديره وقلنا وهو حال ولا يجوز ان يكون عاملا في يوم نسير لما عرفت انه قبل الحشر وهذا القول بعده كما خلقناكم نعت لمصدر محذوف اي مجيئا مثل مجيء خلقكم اول مرة اي حفاة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة بل للاضراب بمعنى الانتقال من كلام الى كلام ليس بمعنى الابطال زعمتم ان لن ان مخففة من الثقيلة وفصل بينها وبين الفعل بحرف النفي كما فصل في قوله ان لن نجمع عظامه نجعل لكم موعدا مكانا وعدا او زمانا وعد لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث والنشور ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الميزان او في ايدي العباد واحد اريد به الجمع لانه جنس فترى المجرمين مشفقين الاشفاق الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ان لا يقع مما فيه من السيئات ويقولون الواو للحال يا ويلتنا هذه لفظة من وقع في شدة في الويل الهلاك والنداء لمن بحضرتهم كانهم قالوا يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا مال هذا الكتاب ما استفهامية مبتدا ولهذا في موضع الخبر تقديره اي شيء لهذا الكتاب تعجيب شانه لا يغادر جملة حالية صغيرة سيئة صغيرة قدم الانها ادخل في التعجيب ولا كبيرة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها الاحصاء هنا كناية عن الضبط والحفظ واسناده الى الكتاب مجاز ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا لوجوده في الكتاب على ما دل عليه قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا او لا يوجد ... ابدا اعمالهم لا بوجوده في الكتاب لانه اعادة للمعنى السابق ولا يظلم ربك احدا

ويوم واذكر يوم نسير الجبال نسير الجبال مكي وشامي وابو عمرو اي تسير في الجو او يذهب بها بان تجعل هباء منبثا وترى الارض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والاشجار وحشرناهم اي الموتى فلم نغادر منهم احدا اي فلم نترك منهم احدا غادره اي تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا على ربك صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب احد احدا شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عامل النصب في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة او جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا وانما قال وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور او مكان وعد للمحاسبة ووضع الكتاب اي صحف الاعمال فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها حصرها وضبطها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه او يعذبه بغير جرم واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية او سجود انقياد فسجدوا الا ابليس كان من الجن هو مستانف كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود وهو دليل على انه كان مامورا بالسجود مع الملائكة افتتخذونه وذريته الهمزة فيه للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي من دوني ومن ذريته لاقيس موسوس الطهارة والهان موسوس الصلوة والاعور صاحب الزنا وتبر صاحب المصايب ومسوط صاحب الاراجيف وواسم يدخل ويأكل مع من لم يسم الله تعالى وهم لكم عدو اعداء بئس للظالمين بدلا بئس البدل من الله تعالى ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعة الله تعالى ما اشهدتهم اي ابليس وذريته خلق السموات والارض يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في الالهية فنفي مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها او اشاورهم فيه اي تفردت بخلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم

ولا يظلم ربك احدا باحصاء ما لم يعملوا ولا بعدم احصاء بعض ما عملوا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لما بين حال المغرور بالدنيا وكان السبب تسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارفها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة كان من الجن استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره تعالى بترك السجود والفاء للسببية ومن قال هذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى بصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فقد نبي حيث اساء في عبارة التعهد افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للعطف على مقدر تقديره اتعلمون انه عدو الله تعالى وعدو ابيكم فتتخذونه وذريته اولياء من دوني فتستبدلونهم بي قال الشعبي سألني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وهم لكم عدو لم يقل اعداء في مقابلة اولياء ابناء عن اتخاذهم في امر العداوة وشدة اتفاقهم على ذلك بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض توطئة لنفي الاعتضاد الذي ذكره بقوله وما كنت متخذ المضلين نفي ما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال واستبعادا للاعتضاد بهم فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك اي لم استعن بهم ولم اشاورهم وما اوقفتهم على اسرار التكوين فالافضلية لهم دون غيرهم حتى لو امنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا لنصرتهم في الدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يقال فيه رد لاصحاب التنجيم واصحاب الطبيعة والمتبحرين في علم الطب وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد كخدم من عضده اذا قواه والاصل فيه عضد اليد ثم وضع موضع العون والتقوية لان اليد قوامها العضد وانما اوقع الواحد موقع الجمع لانه في سياق النفي ابلغ

بالتخفيف وعضدا

انتهى ابن كمال

ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين تقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالان اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا ٥

وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم
قبل ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو
ترك الوفاء والغدير الذي هو ما يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية
على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك
شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بامره وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عليه السلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار
اللطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف
وتعدده وقد ورد في الحديث يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على
اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير
كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة
دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبل من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز
الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم اول مرة او حال
من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من
الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع
اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من
فصل بحرف النفي بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان
للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع
ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها
واورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف
الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها
يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا
اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما في تضاعيفه
نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوا من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا
ولا يروا هول ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اي اي
شيء له وقوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية
محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ من التعجب
كانه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم
الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم و
قد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر

ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين
كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا
كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية الآتية للفسق لبيان كمال قبح ما فعله
والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام
في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه
ذلك قوله تعالى افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح
عنه تتخذونه وذريته اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم
وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم
بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي
الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ
بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اي
الواضعين للشيء في غير موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين
موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان
عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والفسق
والعداوة اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم
اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك
الضمير ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء
على عود المعنى اليه فان نفي اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء
بناء على ان ادنى ما يصحح التولي حضور الولي خلق المتولي وحيث لا حضور لا مصحح للتولي قطعا واما نفي
اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض
ان كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل
بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح
للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم وانما وضع موضعه المظهر
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا في شأن الخلق او في شأن
من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال
ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان
فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك
للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق
الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شأنهم ان يبلغوا
ذلك المبلغ بامر الله تعالى ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم
كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين ويعضده القراءة
بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل
نفي الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف
وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كخدم وراصد انتهى ابو السعود رحمه الله

واذكر يوم نسير الجبال بالتاء مجهولا وبالنون معلوما اي اذكر يوم نزيلها عن اماكنها وتذهب بها بان نجعلها هباء
منبثا وترى الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم اي جمعنا اهل الايمان
والكفر الى الموقف فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا تحت الارض وعرضوا اي الخلائق يوم القيمة على ربك
اي على حكمه صفا اي مصطفين يرى كل واحد منهم لا يحجب احد احدا كما يعرض الجند على السلطان هنا فيقال لهم ثمة لقد جئتمونا كما خلقناكم فرادى اي عراة لا شيء معكم

وقيل يبرز في
اي احياء فرادى كما ذكر في الانعام وقيل
وقيل عراة غرلا

كما خلقناكم اول مرة وجاء بحشرناهم ماضيا بعد نسيّر وترى ايذانا بان الحشر يكون قبل تسيير الجبال وبروز الارض ليعاينوا تلك الاهوال العظام قوله بل اضراب عن صدق الوعد الذي دل عليه لقد جئتمونا اي ما ظننتم ان يبعثوا ان يصدق الوعد بالبعث بل زعمتم يا كفار مكة ان لن نجعل لكم موعدا اي وقتا لانجاز ما وعدتم من البعث على السنة الرسل قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله كيف يحشر الله الناس يوم القيمة قال عراة حفاة قالت قلت والنساء قال والنساء قالت قلت يا رسول الله انستحيي قال يا عائشة الامر اشد من ذلك لن يهمهم ان ينظر بعضهم على بعض ووضع الكتاب اي اعطي كتاب كل امرئ بيمينه او بشماله وهو الكتاب الذي كتب فيه اعمالهم واحوالهم قبل وجودهم وبعده للحساب فترى المجرمين مشفقين مما فيه اي خائفين مما في الكتاب عند قراءتهم ما فيه من القبائح اعمالهم ويقولون يا ويلتنا اي ينادون يا هلكتنا التي هلكنا بها دون غيرها من الهلكات ما لهذا الكتاب اي ما باله لا يغادر اي لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الزلل تصدر ان عن جانبها الا احصاها اي عدها واثبتها فيه قيل الصغيرة كالتبسم والكبيرة كالقهقهة • وقيل الصغيرة كالمسيس والكبيرة كالزنا ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضرا اي مثبتا في كتابهم ولا يظلم ربك احدا اي لا يكتب عليه ما لم يعمله او لا ينقص من ثواب عمله ولا يزيد في عقابه • واذكر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس الذي الحق بهم وجعل يتعبد معهم كان من الجن لا من الملك حقيقة لان له ذرية ولا ذرية للملك • قيل انه كلام مستانف كالتعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل كان من الجن خلق من نار السموم ولم يكن من الملائكة ففسق اي خرج عن امر ربه والفاء للسببية اي كونه من الجن سبب فسقه ولو كان ملكا لم يفسق عن امر ربه اي عن طاعته لان الملائكة عليهم السلام معصوم دون الجن والانس افتتخذونه اي اتتخذون ابليس يا بني ادم وذريته اولياء من دوني والهمزة فيه للانكار اي اعقيب فسقه عن امره تستبدلونه وذريته بي وتطيعونهم دوني وهم لكم عدو اي اعداء والواو للحال بئس للظالمين بدلا تمييز اي بئس البدل ابليس وذريته لمن ظلم واستبدلهما واطاعهما بدل طاعة الله • قيل يتوالدون كما يتوالد ابن ادم • وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض بيضة فينفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قوله ما اشهدتهم اشارة الى غناه تعالى عن خلقه ونفي مشاركتهم في الالوهية اي ما احضرت ابليس وذريته بزعمكم خلق السموات والارض لا اعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض عندي لعدمهم وعدم حاجتي اليهم وما كنت متخذ المضلين عن الدين اي متخذهم عضدا اي اعوانا اعتضد بهم • ووضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا اعوانا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة وهم ليسوا شركاء في الالوهية ••• ويوم نقول بالنون والياء اي اذكر يوم يقول الله للكفار يعني يوم القيمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي اي ادعوهم ليشفعوا لكم لانكم اشركتموه معي في الالوهية بزعمكم انهم يشفعون لكم فدعوهم اي الهتهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوا لهم ولم يشفعوا لهم وجعلنا بينهم موبقا اي مهلكا من وبق يبق اذا هلك يعني جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وهم الاصنام وعابدوهم • وقيل يعني موبقا عداوة • وقيل حاجزا بينهم فلا يشفع لهم المعبود دون اذا كانوا عزيرا وعيسى والملائكة لان هؤلاء في الجنة وهم في النار ورأى المجرمون اي المشركون النار حين اقروا بالسوق اليها فظنوا اي ايقنوا انهم مواقعوها اي واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا وانصرافا لانها احاطت بهم من كل جانب ولقد صرفنا اي بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل اي من جنس كل مثل مثلنا لهم ليتذكروا فيه وكان الانسان وهو النضر بن الحارث او جميع الناس اكثر شيء جدلا في امر البعث تمييز اي خصومة بالباطل يعني جدال الانسان اكثر من جدل كل شيء وما منع اي لم يمنع الناس ان يؤمنوا محله نصب بمنع اي الايمان بالله وبرسوله اذ جاءهم الهدى اي طريق الفلاح يعني الاسلام او القرآن وان يستغفروا ربهم الا ان تاتيهم محله رفع فاعل منع بتقدير المضاف اي الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الهلاك فيروا عيانا قيل هذا فيمن قتل من المشركين ببدر واحد او انتظار ان ياتيهم العذاب اي عذاب الاخرة قبلا اي اصنافا بضمتين جمع قبيل وبفتحتين مستقبلا ومقابلا وبكسر القاف وفتح الباء مجاهرة او مقابلة وما نرسل المرسلين الا مبشرين للمؤمنين بالجنة ومنذرين للكافرين بالنار ويجادل الذين كفروا الرسل بالباطل ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق الذي معهم والدحض الزلق من ادحاض القدم وهو ازلاقها عن موطئها واتخذوا اياتي اي القرآن وما انذروا اي الذي خوفوا به من العذاب او انذاري هزوا

اي ولا استغفار

هزوا اي سخرية يعني موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ان انتم الا بشر مثلنا • ولو شاء الله لانزل ملائكة وغير ذلك ومن اظلم استفهام على سبيل التوبيخ اي من اشد ظلما ممن ذكر اي وعظ بايات ربه اي بالقرآن وكفدا ذكر بها ولم يعمل بها ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر فيها ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء قوله انا جعلنا على قلوبهم تعليل لاعراضهم ونسيانهم ذلك اي جعلنا اعمالهم على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفهموا القرآن وفي اذانهم وقرا اي ثقلا وصمما لا يسمعونه وان تدعهم شرطه • وان بمعنى لا للنهي اي لا تدعهم يا محمد الى الهدى اي طريق الفلاح وهو دين الاسلام فلن يهتدوا اذا ابدا واذا جواب وجزاء • اما كونه جوابا فلان قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة الاية في معنى لا ندعهم الى الهدى على تقدير كون ان شرطا ثم نزل حرصه صلى الله عليه وسلم منزلة قوله ما لي لا ادعوهم فاجيب بقوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا • واما كونه جزاء فلانه تدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول على معنى انهم جعلوا ما هو سبب لوجود الاهتداء سببا لانتفائه بالاعراض عن دعوته وربك الغفور للمؤمنين وهو البليغ المغفرة ذو الرحمة وهو الموصوف بالرحمة لهم خاصة في الاخرة باعطائهم الثواب وذو الرحمة في الدنيا لهم ولغيرهم بالرزق وغيره من النعم لو يؤاخذهم اي في الدنيا بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب فيها من غير امهال لافراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يعجل بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة فيعذبون فيه لن يجدوا من دونه اي من غيره موئلا اي ملجأ ومنجى من وأل الله اذا انجا ووأل اليه اذا التجأ اليه

انتهى العيون

ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا وتحقيرا • وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم للاغاثة • وفيه بيان لكمال اعتنائهم باغاثتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك • وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار • او عداوة هي في شدة نفس الهلاك • كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا • وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها اي مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي اكثر الاشياء التي يتأتى منه الجدل وهو هنا شدة الخصومة بالباطل ط

ط والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه
وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل **وما منع الناس** اي اهل مكة
الذين حكيت اباطيلهم **اذ جاءهم الهدى** اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون
المعاني الموجبة له **ويستغفروا ربهم** عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم
للحق بالباطل **الا ان تاتيهم سنة الاولين** اي الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار
اتيانها او الا تقديره فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال
او ياتيهم العذاب اي عذاب الاخرة **قبلا** اي انواعا جمع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا
بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا
وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور
المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان
وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط **وما نرسل المرسلين** الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال
الا حال كونهم **مبشرين** للمؤمنين بالثواب **ومنذرين** للكفرة والعصاة بالعقاب **ويجادل الذين
كفروا بالباطل** باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا
ليدحضوا به اي بالجدال **الحق** اي ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وازلاقها وقولهم للرسل
عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها **واتخذوا اياتي** التي تخر لها صم
الجبال **وما انذروا** اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم
هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به **ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه** وهو القرآن
العظيم **فاعرض عنها** ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من
غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما
في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد
ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل
والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها **انا جعلنا على قلوبهم اكنة** اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم **ان يفقهوه** مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم
ان يفقهوا على كنه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه **وفي اذانهم** اي جعلنا فيها **وقرا** ثقلا
يمنعهم من استماعه **وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا** اي فلن يكون لهم اهتداء البتة
مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال
عنايته باسلامهم كانه قال صلى الله عليه وسلم مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير
الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة
المتقدمة باعتبار لفظه **وربك** مبتدا وقوله تعالى **الغفور** خبره وقوله تعالى **ذو الرحمة**
اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة ترك المضار وهو سبحانه وتعالى قادر على
ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا
ما لا يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال هذا

هذا اذ المقام مقام بيان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله تعالى **لو يؤاخذهم** اي لو يريد
مؤاخذتهم **بما كسبوا** من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم
وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات **لعجل لهم العذاب** لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار
المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوها للايذان بان النفي
المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال
وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة
فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حقق في موضعه **بل لهم موعد**
اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيامة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين
بغتة **لن يجدوا** البتة **من دونه موئلا** منجى او ملجا يقال وال اي نجا ووال اليه اي لجا اليه انتهى
ابو السعود
رحمه الله

ويوم يقول الله للكفار وبالنون حمزة نادوا ادعوا
بصوت عال شركائي الذين زعمتم انهم شركائي ليمنعوكم
من عذابي وأراد الجن واضاف الشركاء اليه
على زعمهم توبيخا لهم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا
بينهم موبقا مهلكا من وبق يبق وبوقا اذا هلك
او مصدر كالموعد اى وجعلنا بينهم واديا من اودية
جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا
يهلكون فيه جميعا او الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام
والموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا
لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون
النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
وواقعون فيها ولم يجدوا عنها عن النار مصرفا معدلا ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل يحتاجون
اليه وكان الانسان اكثر شيء جدلا تمييز اى اكثر الاشياء
التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد
خصومة ومماراة بالباطل يعني ان جدل الانسان
اكثر من جدل كل شيء وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى اى سببه وهو الكتاب والرسول عليه السلام
ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين
او يأتيهم العذاب ان الاولى نصب والثانية رفع
وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس
الايمان والاستغفار الا انتظار ان تأتيهم سنة
الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب
يعني عذاب الآخرة قبلا كوفي اى انواعا جمع قبيل
الباقون قبلا اى عيانا وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين ليؤمن به ويتوقف عليه ويتأنف بقوله ويجادل
الذين كفروا بالباطل هو قولهم للرسل ما انتم الا بشر
مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك ليدحضوا
به الحق ليزيلوا ويبطلوا بالجدال النبوة واتخذوا آياتي
القرآن وما انذروا ما موصولة والراجع من الصلة
محذوف اى وما انذروه من العقاب او وانذارهم هزوا
موضع استهزاء بسكون الزاي والهمزة حمزة وبابدال الهمزة
واوا حفص وبضم الزاي والهمزة غيرهما ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليه مذكرا في قوله
ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكرها ولم يتدبر
ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير
متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من
جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم
بقوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان
وهو الغطاء ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ثقلا عن استماع
الحق وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه و
ان تدعهم الى الهدى الى الايمان فلن يهتدوا فلا يكون
منهم اهتداء البتة اذا جواب وجزاء ابدا مدة التكليف كلها

ويوم يقول اي للكفار وقرئ بالنون وانما لم يقل شركاءنا على
هذه القراءة لان المقام مقام اظهار التوحيد نادوا شركائي في
عبادتكم الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي فدعوهم
فدعوهم للاعانة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم
بين الداعين والمدعوين موبقا حاجزا لقوله تعالى فزيلنا بينهم
قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق او جعلنا
تواصلهم في الدنيا مهلكا في الآخرة قال الفراء يقال وبق يبق
وويق يويق وبوقا اذا هلك والموبق اسم مكان او مصدر
ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها رأوها من مكان
بعيد فظنوا انها تأخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر ليرى جهنم
ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة
الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا
او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل
من كل نوع من انواع المعاني العربية وتصريف تنقيله في وجوه
البيان على عكس افهام وكان الانسان اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء
التي يتأتى منها الجدال والجدل شدة الفتل عن المذهب
بطريق الحجاج ولا يلزم ان يكون بالباطل ولذلك احتيج الى
التقييد به في قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وانتصابه
على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى
الرسول والقرآن ويستغفروا ربهم من الاستغفار عن الذنوب
الا تقديره او طلب ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب
عذاب الآخرة قبلا بكسر القاف وفتح الباء عيانا وقرئ بفتحهما
وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى ضروب وقرئ بفتحتين وهو
ايضا لغة وانتصابه على الحال من احد المفعولين وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب للمطيعين
والعاصين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات وانكار كون البشر رسولا من الله تعالى
ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من
ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا آياتي يعني القرآن
وما انذروا والذي انذروه من العقاب او وانذارهم هزوا
استهزاء وقرئ بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر
بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر
ونسي عاقبة ما قدمت يداه اى لم يتذكر ما يترتب على ما فعله
من العذاب والتعبير عن عدم التذكر بالنسيان للمبالغة
وانما حسن التجوز عن الجملة باليدين لان المسند مما يكتسب وهما
اقوى آلته انا جعلنا مرتبط بقوله ويجادل الذين كفروا على انه
تعليل لامرارهم على ما كانوا عليه وما بينهما من قوله ومن اظلم
جملة معترضة في تقبيح حالهم على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم
وقرا قد مر تفسيره في سورة بني اسرائيل وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة لشدة تصميمهم اذا ابدا
مدة التكليف كلها واذا جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم

تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
[illegible] ثم استشهد على ذلك باهمال الاهل مكة مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
[illegible] بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ اليه
انتهى ابو [illegible] رحمه الله

بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا التجأ [illegible] رحمه الله

الحوت سمكة مملوحة فنزلا ليلة على شاطئ عين الحيوة
ونام موسى عم فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده
عاشت ووقعت في الماء فاتخذ سبيله في البحر اي اتخذ
طريقه من البحر الى البر سربا نصب على المصدر
اي سرب فيه سربا يعني دخل فيه واستتر به فلما جاوزا
مجمع البحرين ثم نزلا وقد سارا ما شاء الله تعالى
قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا تعبا ولم يتعب ولا جاع قبل ذلك

اي حيث

انتهى المدارك النسفي

وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وعاد وقوم لوط
واضرابهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدا والقرى صفة
او عطف بيان والخبر اهلكناهم ويجوز ان يكون القرى الخبر
اهلكناهم جملة حالية كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وان يكون
تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة والقرى مجاز
عن اهلها وذلك ضرب من تقدير المضاف ولا بد من احدهما
ليكون مرجع الضمير لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وفيه استعار بعلة
الاهلاك تحذيرا منها وبهذا استدل ابن عصفور على حرفية
لما وانها ليست بمعنى حين لان الظرف لا دلالة فيه على العلة
وانما ترك مفعول ظلموا تنزيلا منزلة اللازم ليذهب
الوهم كل مذهب وجعلنا لمهلكهم بضم الميم وفتح اللام
الاهلاك موعدا وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا
لاهل مكة يوم بدر وقرئ بفتح الميم واللام مفتوحة او
مكسورة لهلاكهم واذ قال موسى متعلق باذكر لفتاه هو
يوشع ابن نون ابن اخت موسى عليهما السلام وانما قيل فتاه لانه
كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم والعرب يسمي
التلميذ فتى وان كان شيخا لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر
لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث
انها غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له ويجوز ان يكون الخبر
حتى ابلغ على ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري فينقلب
الضمير والفعل بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه يعني الزم المسير والطلب
ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقاهما وهما الكر والرس
بارمينية قال السدي وقيل بحرا فارس والروم ويرد عليه
انهما لا يلتقيان ولا يقرب احدهما الى الآخر وفي التيسير كان
البحر الذي يعلمون فيه اصحاب السفينة ما بين فارس الى البحر
الروم واذ لا اتصال بينهما فلا صحة لهذا الكلام ايضا ولعل
فارس محرف من فارس وهي بالمغرب حاضرة البحر من اجل المدن
القديمة ويعضده ما قال محمد بن كعب ان مجمع البحرين
عند طنجة وما قال ابي بن كعب انه بافريقية وقوا حقبا لوسى

ضربنا

وتلك مبتدا القرى صفة لان اسماء الاشارة توصف
باسماء الاجناس والخبر اهلكناهم او تلك القرى نصب
باضمار اهلكناهم على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب
القرى اهلكناهم والمراد قوم نوح وعاد وثمود لما
مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا
لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا
لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وبفتح الميم وكسر اللام حفص وبفتحهما ابو بكر اي
لوقت هلاكهم او لهلاكهم والموعد وقت او مصدر
واذ واذكر اذ قال موسى لفتاه هو يوشع بن نون
وانما قيل لفتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وياخذ منه
العلم لا ابرح لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال
والكلام عليه اما الاول فلانها كانت حال سفر واما
الثاني فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة
تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح
اسير حتى ابلغ مجمع البحرين وهو المكان الذي وعد
فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري
فارس والروم وسمي خضرا لانه اينما يصلي يخضر ما حوله
او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا قيل ثمانون سنة
روي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا
بها بعد هلاك القبط سأل ربه اي عبادك احب
اليك قال الذي يذكرني قال فاي عبادك
اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى
ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه
قال تعالى اعلم منك الخضر قال اين اطلبه
قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب كيف
لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا
يمشيان فرقد موسى عم فاضطرب الحوت ووقع
في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى عليه السلام
الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة
فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني
بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على
علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله
لا اعلمه انا فلما بلغا مجمع بينهما مجمع البحرين نسيا
حوتهما اي نسي احدهما وهو يوشع لانه كان صاحب
الزاد دليله فاني نسيت الحوت وهو كقولهم نسوا
زادهم وانما ينساه متعهدا لزاد قيل كان

عليهما السلام حين سلم عليه واني بارضك السلام يدل على ملاقاتهم لم يكن بحر فارس والروم
لان تلك الارض ارض بني اسرائيل وما يقرب منها وهي ... السلام ومعقد الاسلام
وقرئ مجمع بكسر الميم قال الجوهري الموضع مجمع ومجمع كمطلع ومطلع او امضي حقبا والحقب الدهر
وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون اي اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع بلوغ المجمع او امضي الحقب
روي في الصحيحين ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا
فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله تعالى اليه ان لي عبدا عند مجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى
عليه السلام يا رب وكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمة فاخذ
حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة ووضعا رءوسهما فناما
واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فكان بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وتوضا من
عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبين ظرف
اضيف اليه على الاتساع نسيا حوتهما تفقد امره وما يكون منه على الظفر بالمطلوب ولا وجه
لما قيل نسي موسى عم ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه في
البحر لان هذا النسيان منه قبل ذلك على ما دل عليه قوله فاتخذ سبيله في البحر الفاء فصيحة
تفصح عن مقدر يدل على حيوة الحوت وسقوطه في البحر على ما نقل فيما سبق سربا اي جعل سبيله
في البحر كالسرب وهو النفق الذي يدخل فيه فيسلك منه الى الموضع وفي الحديث الآثار ذكره
وامسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق واما السارب في قوله تعالى
وسارب بالنهار فيمعزل لانه بمعنى الظاهر صرح به الجوهري ودل عليه مقابلته بقوله مستخف بالليل
ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع
البحرين وفي الحديث المذكور فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه
آتنا غداءنا تتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا قيل لم ينصب موسى عم في سفر غيره ويؤيده
التقييد بقوله هذا وفي الحديث المذكور انه صلى الله عليه وسلم لم ينصب حتى جاوز الموعد نصبا
تعبا وعيا قيل عنى به هنا الجوع ولا يخفى ان الفعل وتعديته انما يناسبان الاول وفي وجه الارتباط
بين الكلامين ان القعود للتغدي يتضمن الاستراحة فكانه قال آتنا غداءنا حتى نتغدى ونستريح زمانا

انتهى ابي ... رحمه الله

تلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدا على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى
خبره قوله اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اي وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح
ترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم ولما اما ظرف كما قال
ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم
بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا لهلاكهم موعدا اي وقتا معينا
لا يحيد لهم عن ذلك وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك
ولا يغتروا بتاخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى
اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي
فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد
بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها

من سائر المنافع الجليلة **لا ابرح** من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا
على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله **حتى ابلغ** فان
ذلك غاية تستدعي ذا غاية تؤدي اليها • ويجوز ان يكون اصل الكلام لا يبرح مسيري حتى
ابلغ فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور بالمحل مرفوعا
مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول
اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ **مجمع البحرين** هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق
وقيل طنجة وقيل هما الكر والرس بارمينية • وقيل افريقية • وقرئ بكسر الميم كمشرق **او امضي
حقبا** اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات الطلب • والحقب الدهر او ثمانون سنة • وكان منشأ
هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك
القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب
وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس فقال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه
عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون
قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عم • وقيل ان موسى
عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك
اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك
من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة
قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في
مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان **فلما بلغا** الفاء فصيحة كما اشير اليه
مجمع بينهما اي مجمع البحرين • وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل **نسيا حوتهما**
الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي
يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يأمره فيه بشيء • روي انهما لما بلغا مجمع البحرين
وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة
فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك
بعدما استيقظ يوشع عليه السلام • وقيل توضأ عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء
على الحوت فعاش فوقع في الماء **فاتخذ سبيله في البحر سربا** مسلكا كالسرب وهو النفق •
قيل امسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او للخضر عليهما السلام
وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ • وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق
باتخذ **فلما جاوزا** اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا
الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك **قال لفتاه آتنا غداءنا**
اي ما نتغذى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب **لقد لقينا من سفرنا هذا** اشارة الى ما سار
بعد مجاوزة الموعد **نصبا** تعبا واعياء • قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك • والجملة في محل التعليل
للامر باتيان الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع
واما باعتبار ما في اثناء التغذي من استراحة ما انتهى ابو السعود رحمه الله

وتلك القرى مبتدا مع صفته **اهلكناهم** خبره اي تلك القرى المتقدمة من قبل اهل مكة والمراد من اصحاب القرى كعاد وثمود
وقوم لوط اهلكناهم **لما ظلموا** مثل ظلم اهل مكة **وجعلنا لمهلكهم** بضم الميم وفتح اللام لاهلاكهم **موعدا** اي وقتا معلوما لا يستاخرون عنه
كما جعلنا لاهل مكة يوم بدر ويقرأ بفتح الميم وكسر اللام للهلاك وبفتحهما كذلك • وانما ذكر لهم اي تلك القرى ليعتبروا بها
اي واذكر اذ قال موسى بن عمران **لفتيه** اي لعبده وانما قال لفتيه تعليما للادب قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم فتاي وفتاتي
ولم يقل عبدي وامتي • وقيل يوشع النبي بن نون • وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويأخذ منه العلم • روي انه لما ظهر موسى عم
على مصر مع بني اسرائيل بعد هلاك القبط امره الله تعالى ان يذكر قومه انعام الله تعالى عليهم فقام فيهم خطيبا فذكر نعم الله لهم
رقت القلوب وذرفت العيون فقالوا يا موسى اي الناس اعلم منك قال انا فعتب الله تعالى عليه حيث لم يرد العلم
الى الله تعالى فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان في ايام افريدون الملك قبل موسى عم
فبقي الى ايام موسى عم فقال يا رب اين اطلبه وكيف لي به قال اطلبه على الساحل عند الصخرة وخذ حوتا مملوحا يكون
زادك فحيث فقدت الحوت فهو هنالك ففعل وقال لفتيه **لا ابرح** من برح يبرح بمعنى لا يزال وهو من
الافعال الناقصة تقتضي الخبر وهو محذوف لدلالة الحال عليه وهو حال السفر اي لا ازال اسير **حتى ابلغ مجمع
البحرين** وهو المكان الذي وعد الله تعالى موسى عم لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق
او امضي حقبا اي او اسير دهرا طويلا حتى اجده • والحقب بضم القاف وسكونه ثمانون سنة • وقيل حقوا الدهر
وجمعه احقاب • فذهبا يمشيان وقال موسى عليه السلام لفتيه اذا فقدت الحوت فاخبرني **فلما بلغا مجمع بينهما** اي
بين البحرين وجلسا على شاطئ البحر وفيه الصخرة وفيه عين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي • قيل وضع
يوشع الحوت على الصخرة فرقد موسى عم وتوضأ يوشع من تلك العين فاصاب الحوت شيء من ماء الوضوء
فاضطرب الحوت وخرج من المكتل ووقع في البحر ولما نسي يوشع عند الرحيل حمل الحوت او اخبار موسى من حاله
ونسي موسى تذكره نسب النسيان اليهما فقيل **نسيا حوتهما** في جواب لما **فاتخذ** الحوت **سبيله** اي طريق الحوت
في البحر سربا مفعول ثان لاتخذ • وهو النقب تحت الارض • قيل اذا لم يكن له منفذ يقال له سرب واذا كان
منفذ يقال نفق وانما قال في البحر سربا لان الله تعالى امسك جرية الماء على الحوت فقام الماء عليه مثل الطاق
فصار للحوت سربا ولموسى او للخضر معجزة **فلما جاوزا** اي الموعد وهو الصخرة تلك الليلة والغد الى الظهر والقي
على موسى النصب والجوع ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت **قال لفتيه آتنا غداءنا** وهو ما يعد
للاكل اول النهار والعشاء ما يعد لآخره **لقد لقينا من سفرنا هذا** اي والله لقد لقينا من هذا السفر الذي سرناه
بعد مجاوزة الصخرة **نصبا** اي تعبا فذكر فتاه حين طلب موسى عليه السلام الحوت ما رأى منه **قال ارأيت الآية** انتهى
العيون

مما علمت رشدا اي علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني او مصدر
في موضع الحال والحال الضمير في اتبعك ومفعول علمنا العائد المحذوف وكلاهما مفعولان من علم الذي له مفعول واحد
ويجوز ان يكون علة لاتبعك ▪ وكون موسى عليه السلام صاحب شريعة لاينافي ان يتعلم من غيره ما لا حاجة اليه في
شريعته قال انك لن تستطيع معي صبرا اراد نفي الصبر معه الا انه بلغ فيه حيث نفى استطاعته على ابلغ وجه وآكده
كانه لا يصح ولا يستقيم ودل على ذلك قوله وكيف تصبر والصبر تجرع مرارة حبس النفس ومنعه عما تنازع اليه
على ما لم تحط به خبرا اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد فهذا كالتعليل للنفي السابق ▪ ومجيئه بالواو
شايع ▪ وفيه تدارك لما عسى ان يتوهم انه نسب اليه عدم التثبت ▪ قيل فيه ابداء لحيث لايمكنه الصبر
لما يرى من المناكر لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز لهم السكوت عند ذلك ▪ وفيه ان حاله ليس بمنكر شرعا
ولا عقلا ▪ وايضا قد عرفت ان المنفي نفس الصبر معه لا استطاعته ▪ وخبرا تمييز او مصدر على غير الصدر لان
لم تحط بمعنى لم تخبره والخبر بالامور هو العالم بخفاياه وما يختبر منها قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك
غير منكر عليك ▪ وتعليق الوعد بالمشية للاستثناء ولا بد منه صونا للوعد عن الخلف فانه لا يجوز خصوصا
في حق الانبياء عليهم السلام ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي صابرا وغير عاص كقوله تعالى صافات
ويقبضن اي وقابضات ▪ او على ستجدني فلا محل له من الاعراب ▪ وفيه انه حينئذ لا يكون مقيدا بالمشية
ولا بد منه كيلا يلزم الخلف المذموم حيث وعد ان لا يعصي له في امر ▪ وقد امره بترك السؤال ولم يعطه فيه
وانما قلنا فلا محل له من الاعراب مع انه مقول القول على هذا الوجه لانه لا تاثير للعامل في المعنى وانما اثره
حينئذ في محل اللفظ ▪ والجملة هناك ليست واقعة موقع المفرد وليكتسي حكمه محلا وهذا تواضع آخر من موسى
بعد تمنع من كان الخضر عليه السلام ثم يحكم عليه بوجه آخر على ما افصح عنه قوله قال فان اتبعتني فلا تسالني
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه
وقرئ بالنون الثقيلة
وهذا من الخضر عليه السلام تعليم وارشاد ولوصبر وذاب لراي العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق

قال اي فتاه عليهما السلام ارايت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها ▪ وذكر الاواء اليها مع
ان المذكور فيما سبق مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور عنه
بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة ▪ والرؤية
مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ▪ ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك
من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى ▪ وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب
وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابني يريد بذلك
تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا
على ما يدل عليه من قوله تعالى فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي ▪ وايقاع النسيان
على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل الاحوال
المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت
ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن
ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك ▪ وفي تعليق الانساء بضمير الحوت
اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس
نفس الحوت بل ذكر امره ▪ وقرئ ان اذكره ▪ وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث
عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام
والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف اخر منه
وما بينهما اعتراض ▪ قدم عليه للاعتناء بالاعتذار ▪ كانه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله
فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما ▪ او المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر
محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب ▪ او مصدر فعل محذوف اي اتعجب منه
عجبا ▪ وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال اي موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت

او الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات الياء ▪ والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه
نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما طريقهما الذي جاءا منه
يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الى الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف ▪ والجمهور على انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان ▪ وقيل اليسع ▪ وقيل الياس عليهم السلام آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما خاصا
لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال
نشا من السباق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمني استيذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم مما علمت رشدا اي علما ذا رشد
ارشد به في ديني ▪ والرشد اصابة الخير ▪ وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول
علمت العائد محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ▪ ويجوز كونه علة
لاتبعك ▪ او مصدرا باضمار فعله ▪ ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم
من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ▪ ولقد راعى في
ذلك غاية التواضع معه عليهما السلام قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا
نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله
وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر
والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها ▪ وفي
صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم
علمكه الله لا اعلمه ▪ وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام
ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء
بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ولا اعصي لك امرا
عطف على صابرا اي ستجدني صابرا غير عاص ▪ وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة
ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان ▪ او على ستجدني فلا محل له من الاعراب
والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ ▪ وفيه دليل على ان افعال
العباد بمشية الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد التلبيا والتي
والفاء للتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عليه السلام للصبر والطاعة فلا تسالني
عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة
والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه ▪ وفيه ايذان بان كل ما صدر
عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع
وقرئ فلا تسالني بالنون المثقلة انتهى ابو السعود رحمه الله

فذكر فتاه حين طلب موسى عليه السلام الحوت ما رأى منه قال موسى أرأيت أي أخبرني إذ أوينا
أي نزلنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت عند الصخرة وإنما نسي يوشع الحوت ومثله لا ينبغي
أن ينسى لكونه أمارة لهما على مطلوبهما الداعي إلى الخروج لأجله لأن الشيطان قد شغله
بوسوسته فتفرق فكره فاعتراه النسيان يدل عليه وما أنسانيه بضم الهاء وكسرها الحوت
إلا الشيطان أن أذكره يعني أمر الحوت لك وهو بدل من الهاء في أنسانيه وما أنسانيه
الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك قوله واتخذ أي موسى عليه السلام أو الحوت
سبيله في البحر عجبا أي سبيلا عجبا وهو كونه بسبيل السرب ونصبه مفعول ثان لاتخذ مثل
سربا فيما مر ويجوز أن يكون عجبا من آخر كلام يوشع تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه
لها فيكون مصدر الفعل محذوف آخر أي أعجب من ذلك عجبا قال موسى ذلك أي اتخاذ سبيل
ما أي الذي كنا نبغ بحذف الياء واثباتها أي نطلبه لأنه أمارة المطلوب بالطلبة من لقاء
الخضر فارتدا على آثارهما أي رجعا في درجهما وهو الطريق الذي جاءا منه قصصا أي يقصان
قصصا يعني يتبعان آثارهما اتباعا أو حال من ضمير فارتدا بمعنى مقتصين فأتيا الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا قائما يصلي عند الصخرة وعليه كساء صوف وهو الخضر قيل
كان نبيا من بني إسرائيل وكان ممن ترك الملك وزهد في الدنيا ثم صحبه بتقوى
آتيناه رحمة أي نبوة وشفقة من عندنا وعلمناه من لدنا أي مما يختص بنا من العلم
وهو مفعول به وأراد به علم الباطن وهو الإخبار عن الغيوب بإذنه تعالى فسلم موسى
عليه السلام فقال وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل قال ومن أعلمك أني نبيهم قال
الذي أعلمك بمكاني قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا بضم الراء
وسكون الشين وبفتحهما أي علما ذا إرشاد أرشد به في ديني لا يقال إنه كان ممن
دونه فكيف يأخذ منه العلم وهو أعلم منه لأنا نقول أمر الله تعالى موسى عليه السلام
بذلك فلا ذلة له وقيل أخذ العلم من آخر للزيادة مطلوب إذا لم يكن عند المتخصص
وقيل لا نقيصة للنبي في أخذ العلم من نبي آخر مثله قال إنك لن تستطيع معي صبرا
أي قال الخضر لموسى عليهما السلام لا تصبر صحبتي لأنك ترى ما تنكره وإنما قال ذلك
على وجه التأكيدات لأنه يفعل ما هو منكر والرجل الصالح لا سيما إذا كان نبيا لا يصبر إذا رأى
ذلك ويأخذ في الإنكار ثم عذره في عدم فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز
أي لم يحط به خبرك أي علمك أو مصدر من غير لفظ الفعل لأن لم تحط به بمعنى لم تخبر
حقيقته قال موسى عم رجا موسى عم استطاعة صبره معه ستجدني إن شاء الله صابرا
بعد إظهار عدمها لحرصه على العلم وازدياده فوعده الصبر معلقا بمشيئة الله تعالى
ولا أعصي لك أمرا في محل النصب عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص لك
زاده في الجواب حرصا على طلب العلم وإنما استثنى لأنه لم يكن على ثقة فيما التزم وهذا
عادة الصالحين قال الخضر لموسى عليهما السلام فإن اتبعتني لأخذ العلم فلا تسألني بتشديد
النون مع الياء وبدونها وبالتخفيف مع الياء وبغيرها عن شيء رأيته مني وأنكرته في نفسك
حتى أحدث لك منه ذكرا أي حتى أظهر لك منه توضيحا لحقيقته ووجه صحته ويزول عنك
إنكارك به وهذا من آداب المتعلم والعالم فقيل شرطه للتعلم انتهى العيون

يتبع من يتبع من المتبوع

قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة هي موضع الموعد فإني
نسيت الحوت ثم اعتذر فقال وما أنسانيه وبضم
الهاء حفص إلا الشيطان بإلقاء الخواطر في القلب
أن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني
ذكره إلا الشيطان واتخذ سبيله في البحر اتخاذا عجبا
وهو أن أثره بقي إلى حيث سار قال ذلك ما كنا
نبغ نطلب وبالياء مكي وافقه أبو عمرو وعلي
ومدني في الوصل وبغير ياء فيهما غيرهما اتباعا
لخط المصحف وذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا
أي ذلك الذي كنا نطلب لأن ذهاب الحوت كان
علما على لقاء الخضر عليه السلام فارتدا على آثارهما
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان
قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا قال الزجاج
القصص اتباع الأثر فوجدا عبدا من عبادنا
أي الخضر راقدا تحت ثوب أو جالسا في البحر
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة أو العلم
أو طول الحياة وعلمناه من لدنا علما يعني الإخبار
بالغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن
تعلمن مما علمت رشدا أي علما ذا رشد أرشد
به في ديني رشدا أبو عمرو وهما لغتان
كالبخل والبخل وفيه دليل على أنه لا ينبغي لأحد
أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته وأن
يتواضع لمن هو أعلم منه قال إنك لن تستطيع
معي وبفتح الياء حفص وكذا ما بعده في هذه
السورة صبرا أي عن الإنكار والسؤال وكيف
تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز نفى استطاعة
الصبر على وجه التأكيد وعلل ذلك بأنه يتولى
أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح لا يتمالك
أن لا يجزع إذا رأى ذلك فكيف إذا كان نبيا
قال ستجدني إن شاء الله صابرا عن الإنكار
والاعتراض ولا أعصي لك أمرا في محل النصب
عطفا على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص
أو هو عطف على ستجدني ولا محل له قال
فإن اتبعتني فلا تسألني بفتح اللام وتشديد
النون مدني وشامي وبسكون اللام وتخفيف
النون غيرهما والياء ثابتة فيهما إجماعا عن شيء
حتى أحدث لك منه ذكرا أي فمن شرط اتباعك لي
أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه
خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني في السؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك
وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع انتهى المدارك

قال له فتاه أرأيت أعلمت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة
أي أقمنا عندها فإني نسيت الحوت يعني أمر ذكره في معرض الاعتذار
لما جرى في الحوت من المشاهدة وذلك على ما ذكر في صحيح
البخاري أن موسى عم قال له لا أكلفك إلا أن تخبرني
بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره بدل من الضمير أي ما أنساني ذكره إلا
الشيطان وفي مصحف عبد الله وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان
أي وسوس لي وشغلني بغيره حتى نسيت والحال وإن كانت
لغرابتها أجل من ذلك إلا أنه لما أعتاد بمشاهدة أمثالها
عند موسى عم والفه قل اهتمامه بها فهو اعتذار عن نسيانه
واتخذ سبيله في البحر عجبا اتخاذا عجبا والمفعول الثاني
الظرف وإنما كان عجبا لخروجه من المكتل وحياته بعد كونه مشويا
أو مأكولا بعض منه وإمساك جرية الماء عليه وقيل سبيلا
عجبا وفيه أكثر التعجب ليس بمجال السبيل وأيضا لو كان المعنى
ذلك لقيل واتخذ البحر سبيلا عجبا وهو من كلام يوشع عم
وقيل قال موسى عم في جوابه عجبا أي تعجبا وقيل الفعل لموسى
أي اتخذ موسى عم سبيل الحوت في البحر ويردها تأخير قال
عنه قال ذلك الإشارة إلى فقد الحوت لما مر في الحديث أنه
قيل له حيثما فقدت الحوت فهو ثمة ما كنا نبغ تقديره نبغيه
أي نطلبه لأنه أمارة المطلوب فارتدا على آثارهما أي على
طريق الذي جاءا منه قصصا اتباعا لذلك الأثر وانتصب
على المصدرية بإضمار يقصان على ما أفصح عنه النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الآتي ذكره حيث قال في تفسيره رجعا يقصان آثارهما
حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى
فقال الخضر وأنى بأرضك السلام أنا موسى قال موسى بني إسرائيل
قال نعم قال أتيتك لتعلمني رشدا فوجدا عبدا من عبادنا
إضافة تشريف واختصاص وهو الخضر اسمه بليا شهد بذلك
الحديث المذكور واتفق عليه الجمهور وروى الترمذي عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي الخضر خضرا لأنه
جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء والفروة هنا
وجه الأرض قاله الخطابي آتيناه رحمة من عندنا الرحمة هنا الوحي
والنبوة كما في قوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وعلمناه من لدنا
يختص بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وقدم ما يتعلق بلدنا في العمران
علما هو علم الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن
على صيغة المتكلم بدأ بالاستفهام والاستئذان ووصف
نفسه بالاتباع ومدحه بالعلم وأظهر الرغبة فيما عنده من العلم
وهذا غاية التواضع من موسى عم وتعليم لمن طلب من غيره
ولا ينافيه تقدير الشرط على أن يكون المعنى على شرط أن تعلمني
مما علمت رشدا صلاح

فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فانطلقا
على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها قال
قال اهلها هما من اللصوص وقال صاحب السفينة
ارى فيهما وجوه الانبياء عليهم السلام فحملوهما بغير
نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة
بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى
يسد الخرق بثيابه قال اخرقتها لتغرق اهلها
ليغرق اهلها حمزة وعلي من غرق لقد جئت شيئا
امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال
اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا فلما راى
موسى ان الخرق لا يدخله الماء ولم ينقص من السفينة
قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء
نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته
ولا مؤاخذة على الناسي او اراد بالنسيان
الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا رهقه اذا
غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا
من امري وهو اتباعه اياه اي ولا تعسر علي متابعتك
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل ضرب رأسه
بالحائط وقيل اضجعه ثم ذبحه بالسكين وانما قال
فقتله بالفاء وقال خرقها بغير فاء لان خرقها
جعل جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا
عليه والجزاء قال اقتلت نفسا وانما خولف
بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب
وقد تعقب القتل لقاء الغلام زكية زاكية
حجازي وابو عمرو وهي الطاهرة من الذنوب
اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت
او لانها صغيرة ولم تبلغ الحنث بغير نفس اي لم تقتل
نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان
فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا وبضم الكاف
حيث كان مدني وابوبكر وهو المنكر قيل
النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون
من اغراق اهل السفينة او معناه جئت شيئا
انكر من الاول لان الخرق يمكن تداركه بالسد
ولا يمكن تدارك القتل قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا زاد لك هنا لان النكر فيه اكثر قال
ان سألتك عن شيء بعدها ٥

٥ بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذرا اعذرت فيما بيني وبينك في الفراق
وبتخفيف النون مدني وابوبكر انتهى المدارك

فانطلقا اي انطلق موسى والخضر عليهما السلام واما يوشع
فقد صرفه ثم ورده الى بني اسرائيل وفي الحديث
السابق ذكره فانطلقا يمشيان على ساحل البحر وفي
الحديث المذكور فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم
فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة
ركب متعد وانما يقال في السفينة الظرف نظرا الى ركوبها
خاصة من بين المراكب من معنى الدخول خرقها قال
صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور فلما ركبا في السفينة
لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة
بالقدوم قال ابو العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة
غير موسى ثم وكان عبدا لا يراه الا من اراد الله تعالى
ان يريه ولو رآه القوم حينئذ لمنعوه من خرق السفينة
قال اخرقتها لتغرق اهلها اي فعلت ذلك وغرضك
اغراق اهلها وقرئ بالتشديد للتكثير وقرئ بالياء
ورفع اهلها اي فعلته كي يغرق اهلها وقيل انها لام العاقبة
والاول اولى في مقام الانكار لقد جئت شيئا امرا
منكرا مأخوذ من الامر لانه الفاسد الذي يحتاج ان يؤمر
بتركه ومنه امر القوم اذا كثروا اي احتاجوا الى من
يأمرهم وينهاهم ومنه الامر من الامور اي الشيء الذي
من شأنه ان يؤمر فيه ولهذا لم يكن كل شيء امرا ومن
هنا ظهر وجه ايثار شيئا على امرا مع ما فيه من صنعة
الجناس ولو كان الامر هنا بمعنى العظيم كما قيل اروعي
حسن التناسب لفظا وقيل امرا امر العدم المانع من
جهة المعنى ح قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
ظاهره تذكير للقول السابق وباطنه تقرير لصعوبة
الصبر معه واشارة الى منكر ارتكبه موسى ثم وهو
عدم محافظة الوعد فكانه قصد المعارضة بالمثل ولهذا
ضمن كلامه الاعتذار عن ذلك على ما افصح عنه قوله
قال لا تؤاخذني بما نسيت اي بسبب نسياني والمؤاخذة
على ترك التحفظ لا على النسيان لانه غير مقدور ولذلك
لم يقل على ما نسيت فكانه قال فما صدر عني ما صدر
الا بسبب امر غير مقدور وصيغة النهي كقرينة قد يجيء
للالتماس وهو المناسب للمقام ولا ترهقني الارهاق
ادراك الشيء بما يغشاه ومنه غلام مراهق اذا قارب
ان يغشاه حال البلوغ من امري هو اتباعه اياه عسرا
اي لا تغشني عسرا من امري يعني ولا تعسر علي متابعتك
بالمؤاخذة على ما صدر بسبب النسيان وبيسرها علي بالاغضاء
وعسرا مفعول ثان لترهق وقرئ بضمتين فانطلقا حتى
اذا لقيا غلاما

فيه رد من كسع

في الحديث السابق ذكره ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب
مع الغلمان فاخذ الخضر برأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله مما قيل كان قتله بفتل عنقه وما قيل بضرب
رأسه بالحائط مردود بنص الحديث الصحيح وكذا ما قيل اضجعه فذبحه والفاء هنا للدلالة على عدم
تراخي القتل عن لقاء الغلام بخلاف خرق السفينة فانه لم يتعقب الركوب كذلك فلم يذكر الفاء
ولما كان القتل قتل معصوم حقيقة او ظاهرا على اختلاف لم يتمالك ان يعترض ولا ادخل
لدلالة الفاء على عدم التردي والاستكشاف في صدوره قال اقتلت نفسا زكية
وقرئ زاكية قال الكسائي هما لغتان مثل قاسية وقسية وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت وتابت ولذلك اختار الاول وهذا على ما قال الجمهور انه كان صغيرا غير بالغ
الحسن والكلبي كان بالغا يقطع الطريق ويعضده بغير نفس اي من غير ان قتلت نفسا يقاد منه
لو كان من قتل نفس لم يكن به بأس والظاهر منه كبر الغلام لان الصغير لا يقاد وكان تنبيه فيه
لان القتل لا يباح الا حدا او قصاصا كيف ولا صح للخضر على ما نبهت عليه في تفسير سورة الانعام
لقد جئت شيئا نكرا منكرا وقرئ بضمتين اختلفوا ايما ابلغ امرا او نكرا فقيل القتل هنا واقع
هناك مترقب فنكرا ابلغ وقيل هذا اهلاك واحد وذاك اهلاك جماعة فامرا ابلغ وقال
ابن عطية وعندي ان امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا ابين في الفساد لان
مكروهه قد وقع ومن غفل عن هذا قال ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض
موسى ثم مستأنفا وفي الثانية جعل قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل
اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام فالوجه في التغيير ما قد عرفته
من ان تعقيب القتل للقاء دون الخرق للركوب اقتضى ذلك قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا في زيادة لك مكافحة بالعتاب زجر واغلاظ ليس في الاول لانه
موقعه السؤال ثانية بعد التقدم الى ترك السؤال والاعتذار بالنسيان افظع
وافظع في مخالفة ما كان اخذ على نفسه من وعدم العصيان قال ان سألتك عن شيء
بعدها بعد هذه المرة او هذه المسئلة فلا تصاحبني وان طلبت صحبتك وقرئ فلا تصحبني
الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت من قبلي مبلغا
تعذر به في مصاحبتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك
ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وضم الدال وبالتخفيف
واسكانه وفتح اللام وبضم اللام وسكون الدال وقرئ عذرا بضمتين انتهى ابن كمال

فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى
الى بني اسرائيل قيل انهما مرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى ركبا في السفينة
استعمال الركوب في امثال هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله تعالى لتركبوها وزينة
علي ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها
معنى الدخول خرقها

خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الما، فعند ذلك
قال موسى أخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي
لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل امر فخفف
قال اي الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار
على عدم الوفا، بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته او بشي نسيته
وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه
نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من ان الاول كان
من موسى نسيانا او اخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه
قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب
مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر على
متابعتك ويسرها على بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفا، فصيحة اي
فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان
فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عليه السلام أقتلت نفسا
زكية طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا
المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه
الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر
هنا من جملة الشرطية وابراز ما صدر عن موسى عم في معرض الجزاء المقصود افادته
مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة
لاستشراف النفس الى ورود خبرها لعلة وقوعها في نفس الامر وندرته ووصول خبرها
الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق
منه عليه السلام خرج لوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب
احوال موسى عم هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة
خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة الاولى فكان المقصود افادته ما صدر
عنه عليه السلام فعل ما فعل ولله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة
في شي بل مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل
وندرته ووصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات
وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما
لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه
كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا

ذلك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية قال اي موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة
فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد اعذرت ووجدت
من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك
لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد
انتهى ابو السعود رحمه الله

فانطلقا اي ذهب موسى مع خضر عليهما السلام ويوشع تلميذه الى بني اسرائيل حتى إذا ركبا اي دخلا في السفينة خرقها جزاء الشرط
اي ثقبها قيل ذهبا الى ساحل البحر يطلبان السفينة فمرت بهما سفينة فاستحملا صاحبها فقال اهل السفينة لهما
انا لا نعرفكما فلا تدخلان علينا فقال سيماهما سيما الزهاد فحملهما بغير نول وقيل انه عرف الخضر فاذن لهما
ليدخلا فيها فلما بلغوا اللجج اخذ الخضر الفاس فخرقها فانقلع لوحا من قبل البحر فسد موسى عم الخرق بثيابه
قال له موسى عم أخرقتها اي السفينة لتغرق اهلها يا خضر وهم احسنوا بنا وقرئ بالتاء معلوما من اغرق
وبفتح اليا، والرا، ورفع اهلها فاعلا من غرق لقد جئت شيئا إمرا اي اتيت شيئا عظيما من امر اذا عظم
قال الخضر لموسى عليهما السلام ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال موسى عم لا تؤاخذني بما نسيت اي بالذي
نسيته او بنسياني وهو الترك يعني لا تؤاخذني بما تركت وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني
من رهقه اذا غشيه اي تكلفني من أمري عسرا وامره اتباعه اياه اي لا تعسر على متابعتك ويسرها
على فاني اريد صحبتك ولا سبيل لي اليها الا بالعفو وترك المناقشة قيل جاء عصفور فوقع على
حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال الخضر لموسى عليهما السلام ما علمي وعلمك من علم الله تعالى الا ما ينقص
هذا العصفور من هذا البحر فانطلقا بعد الخروج من السفينة حتى إذا لقيا غلاما فقتله عطف على الشرط بالفاء
اي فقتل عقيب اللقاء اي غلاما اسمه خشنوذ او حيسون لم يبلغ الحنث وكان قتله بضرب رأسه الحائط
وقيل اضجعه وذبحه بالسكين وقيل انه طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا وجزاء الشرط قال
موسى عم أقتلت نفسا زكية بالالف وبغيرها مشددا اي لم تذنب قط لانها لم تبلغ الحنث او مطهرة
من الذنوب لانه لم يرها قد اذنبت بغير نفس اي لم تقتل نفسا فتقتص منها لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا
وهو اعظم من الامر الاول لانه لا سبيل الى تداركه بخلاف الاول قوله تعالى قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع
معي صبرا توبيخ لموسى عم على ترك الوصية وزيادة لك هنا لزيادة العتاب على تركها وكان في الاول
معذورا لان الاولى كانت منه نسيانا ولذلك قال موسى عم إن سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه
الكرة او المسئلة فلا تصاحبني اي لا تكن صاحبي بل ابعدني عنك ان اتبعك قد بلغت من لدني
مخففا ومشددا عذرا اي انتهيت فما بقيت لي عذرا اعتذر به في صحبتك واتباعك لاني
لم احفظ وصيتك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو سكت
لازدادنا الله تعالى منهما عجبا قال النووي هذا حديث صحيح انتهى العيون

خشنوذ
حيسون

استطعاما عن اهل القرية وأباءهم عن التضييف قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا السؤال الاخير سبب فراقنا بحكم ما شرطت على نفسك • واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع • وقرئ على الاصل وتكريره بالاضافة الى احدهما مرة والى الآخر اخرى مع كفاية بيننا لمعنى التاكيد قال سيبويه وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان قول موسى عليه السلام في السفينة والغلام لله تعالى فلم يكن سببا للفراق وكان قوله في الجدار لنفسه في طلب شيء من الدنيا فكان سببا له سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا سأخبرك بما في باطن ما لم تقدر ان تصبر عليه لكونه منكرا او غير مناسب للحال بحسب الظاهر والسين للتاكيد اما السفينة فكانت لمساكين لقوم ضعفاء لعارضتهم البدنية كالزمانة والعمى والخرس او لعجزهم عن دفع الظلم وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وحلة او خطب مسكين رحمة لحاله وشفقة عليه فلا دلالة فيه على ان المسكين يطلق على من يملك مالا اذا لم يكفه يعملون في البحر قدم ما يتعلق بتعيين البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب • تفريع على كون السفينة للمساكين • وقوله وكان وراءهم كالتعليل للتفريع ومجيئه بالواو كثير في القرآن منها قوله وكان الانسان كفورا فعلى هذا نظم الكلام في غاية الحسن ومن لم يتنبه له تكلف في توجيهه وكان وراءهم امامهم • وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم اليه ملك يأخذ كل سفينة صحيحة سالمة • وقرئ بكل منهما غصبا من صاحبها واما الغلام فكان ابواه فيه تغليب مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه ويلحق بهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان او بما لانه [illegible] على طغيانه وكفره حبا • وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه • وقرئ فخاف ربك اي كره كراهة من خاف سوء عاقبته • قيل ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قوله تعالى ولا يلائمه فاردنا ان يبدلهما ربهما ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة للذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما الرحم والرحمة مصدران كالكثر والكثرة اي رحمة وعطفا على والديه • وقرئ رحما بالتخفيف • وانتصابه على التمييز والفعل هنا ليس للتفضيل لان ذلك الغلام الكافر لا زكوة فيه • والمناسب ان لا يكون فيه رحم ايضا على ان التفضيل بين التمييزين بحمل احدهما على التفضيل دون الآخر لا يخلو عن نوع خلل في حسن النظم انتهى ابن كمال باشا

فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية • وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء • وقيل هي برقة • وقيل بلدة باندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما • وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية • ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح وأشنع روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد • وقرئ بالتخفيف من الاضافة • يقال ضافه اذا كان له ضيفا • واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له • وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض • ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يداني ان يسقط • فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك • والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض • ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة • وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة • وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام • وقيل نقضه وبناه • وقيل اقامه بعمود عمده به • قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به • او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر • واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين • وقرئ لتخذت اي لاخذت • وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عليه السلام هذا فراق بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا • وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك • او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا

تأويل رجع الشيء الى مآله • والمراد به هنا المآل والعاقبة اذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية • وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن • واستخراج اليتيمين للكنز • وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة التي خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة • وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك اي امامهم • وقد قرئ به • او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر • وقيل منولة بن جلندي الازدي يأخذ كل سفينة اي صالحة • وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها • وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ • ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدار الكل الاخير للاعتناء بشأنها اذ هي المحتاجة الى التأويل • وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتله فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء • او يقرن بايمانهما طغيانه بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه • وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره • وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبته فغيره • ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه • وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما اي رحمة وعطفا • قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم • وقيل ولدت سبعين نبيا • وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما • وقرئ يبدلهما بالتشديد • وقرئ رحما بضم الحاء ايضا • وانتصابه على التمييز مثل زكوة انتهى ابو السعود رحمه الله

فانطلقا اي ذهبا بعد ما شرطا ذلك حتى اذا اتيا اهل قرية وهي انطاكية • او الابلة وهي ابعد ارض الله في السماء استطعما اهلها اي طلبا منهم الطعام ضيافة • قيل لم يسألاهم ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهما فابوا اي امتنعوا ان يضيفوهما اي من تضييفهما يقال ضيفته اي انزلته ضيفا • قيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يميل الى ان يسقط ويتداعى فالارادة مجاز هنا لانها ممتنعة على الجماد

لكونها نزوع النفس إلى شيء مع حكم فيه بالفعل أو عدمه والإرادة من الله تعالى هي الحكم يقال
انقض الشيء بمعنى أسرع سقوطه فأقامه الخضر عليه السلام بالإشارة بيده وقيل مسحه بيده
فاستوى وقيل نقضه فبناه وقيل كان طوله في السماء مائة ذراع فلما أقام الجدار قال
موسى عليه السلام لضرورة الحاجة إلى الطعام لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي لو طلبت على
عملك جعلا لاندفع به ألم الجوع عنا وقرئ لتخذت بغير الألف وكسر الخاء وإظهار الذال من
التخذ بمعنى الأخذ من باب علم ولتخذت بإدغام الذال في التاء قال الخضر هذا فراق بيني
وبينك أي هذا السؤال سبب الفراق بيننا لعدم صبرك وتعمدك به فقال موسى
عليه السلام أخبرني بعلم ما لم تستطع عليه صبرا قبل المفارقة فقال سأنبئك أي أخبرك بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا أي بعلم ما يؤول إليه ذلك حقيقة أما السفينة فكانت لمساكين
أي لفقراء وضعفاء وكانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة أصحاء يعملون في البحر بالمؤاجرة
طلبا للكسب فأردت أن أعيبها أي السفينة لخوف الغصب بدل عليه وكان وراءهم أي
قدامهم ملك كافر اسمه جلندي يأخذ كل سفينة صالحة غصبا أي غاصبا مصدر في
موضع الحال ويجوز أن يكون تمييزا أو مفعولا له وخوف الغصب سبب للإرادة فعليه لكنه أخر عنها
لقصد العناية بذكرها مقدما قيل فيه دليل على أن للوصي أن ينقص مال اليتيم إذا رأى فيه
صلاحا كما رأى أن يرفع منه مالا شيئا أي سلطان ظالم ليدفعه عن بقية ماله وأما الغلام
فكان أبواه مؤمنين مقرين بتوحيد الله تعالى فخشينا أي خفنا أن يرهقهما أي يكلفهما طغيانا
أي ضلالة وكفرا فيتبعاه بعد الإيمان بمحبتهما إياه فأراد ربك أن يبدلهما بالتشديد
والتخفيف أي يعوضهما ربهما خيرا منه أي من ذلك الغلام زكوة أي صلاحا ونقاء من
الذنوب وهو تمييز وأقرب رحما بضم الحاء وسكونها أي رحمة تمييز وهي البر بالوالدين فأبدلهما الله
بغلام مسلم وقيل بجارية فتولدت منهما ثم تزوجت بنبي فولدت نبيا هدى الله على يديه
أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا قيل قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب
انتهى العيون رحمه الله

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية هي أنطاكية أو الأيلة
وهي أبعد أرض الله من السماء استطعما أهلها استضافا
فأبوا أن يضيفوهما ضيفه أنزل له وجعله ضيفه
قال صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما وقيل
شر القرى التي يبخل القرى فوجدا فيها في القرية
جدارا طوله مائة ذراع يريد أن ينقض يكاد
يسقط استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك فأقامه بيده أو
مسحه بيده فقام واستوى أو نقضه وبناه
كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم
وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة
فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى
لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال
لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي لطلبته على
عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة
لتخذت بتخفيف التاء وكسر الخاء وإدغام الذال
بصري وبإظهارها مكي وبتشديد التاء وفتح
الخاء وإظهار الذال حفص وبتشديد التاء و
فتح الخاء وإدغام الذال في التاء غيرهم والتاء
في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع
من تبع وليس من الأخذ في شيء قال هذا فراق بيني
وبينك هذا إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا
الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني
وبينك وقد قرئ به فأضيف المصدر إلى الظرف
كما يضاف إلى المفعول به سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل
كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون
في البحر فأردت أن أعيبها أجعلها ذات عيب
وكان وراءهم ملك أمامهم أو خلفهم وكان
طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم
الله تعالى به الخضر وهو جلندي يأخذ كل سفينة
صالحة لا عيب فيها غصبا وإن كانت معيبة تركها
وهو مصدر أو مفعول له فإن قلت قوله أردت
أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان
حقه أن يتأخر عن السبب قلت المراد به التأخير
وإنما قدم للعناية وأما الغلام وكان اسمه الحسين
فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا و
كفرا فخفنا أن يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء

أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه
وهو من كلام الخضر عليه السلام وإنما خشي الخضر منه ذلك
لأنه تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وإن كان من قول
الله تعالى فمعنى خشينا فعلمنا أن عاش أن يصير سببا
لكفر والديه فأردنا أن يبدلهما ربهما بتشديد مدني و
أبو عمرو خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب
وأقرب رحما رحمة وعطفا زكوة ورحما تمييز روي
أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا أو
سبعين نبيا أو أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما رحمهما تعالى انتهى المدارك

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية بجزيرة الأندلس روي ذلك
عن أبي هريرة رضي الله عنه وقيل بالجزيرة الخضراء وقيل إنها
برقة وأما ما قيل إنها أنطاكية وما قيل إنها أيلة بقرة
فمبناهما على أن يكون أحد البحرين بحر فارس وقد عرفت
ما فيه وقيل إنها باجروان أرمينية وذلك على ما قيل
أن البحرين نهر الكر والرس استطعما أهلها الاستطعام
سؤال الطعام والمراد به هاهنا بقرينة آخر الكلام سؤال
الضيافة والقرى أهلها كرر ذكر الأهل تفخيما لهم ق
لأن المراد من الأهل في الأول البعض كما هو المعتاد في المعاد
والمراد منه في الثاني الكل فكان المناسب إعادته باسم الظاهر
لأن الظاهر من الضمير عوده على ما ذكر أولا بعينه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كانوا لئاما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها
فأبوا أن يضيفوهما وقرئ أن يضيفوهما يقال ضافه إذا كان
له ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه هذا حقيقة الكلام
ثم شاع الضيافة كناية عن القرى والإطعام وبهذا المعنى
انطبق مقتضى المقام فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض
الانقضاض السقوط بسرعة وانقض انفعل مطاوع
قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ
أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت
السن إذا انشقت طولا والإرادة استعارة للمشارفة
كالهم والعزم فأقامه ذكر في الحديث أي أشار ذكره أنه قال بيده
أي أشار إليه بيده فأقامه وهو الأشبه بسائر أفعاله قال
لو شئت لاتخذت افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس
من الأخذ عند البصريين وقرئ لتخذت أي لأخذت
واختلفوا في إظهار الذال وإدغامها عليه أجرا كانت الحال
حال الاضطرار وافتقار إلى المطعم وقد لزتهما الحاجة إلى آخر
كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار
لم يتمالك موسى عليه السلام لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة
أن قال ذلك وبما قررناه تبين وجه تقديم بيان استطعامهما

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية
المذكورة قبلها وكان تحته كنز لهما هو كل مال مدخور من
ذهب وفضة وروي مرفوعًا انه كان ذهبًا وفضة وعن قتادة
أحل الكنز لمن قبلنا وحرمت الغنيمة ولا دلالة فيه على انه كان
للاب الصالح حتى يحتاج الى الاعتذار بان الكنز المذموم ما لا
يؤدي زكوته وكان ابوهما صالحًا اعتداد بصلاح ابيهما و
حفظ لحقهما فيهما قيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما قوتهما قال الجوهري هو
ما بين ثماني عشرة الى ثلثين والمراد الادراك الى قوة الراي
لا الى الحلم ويستخرجا كنزهما يعني اراد الله تعالى بقاء ذلك المال
مدفونًا محفوظًا عن ايدي التغلب الى زمان بلوغهما مبلغ
الرجال الكاملين في الراي القادرين على استخراج الكنز سالمًا
عن تعدي الغير فان الصبيان والرجال العاجزين عن التدبير
لا يقدرون على ذلك اسند الارادة اولا الى نفسه
لانه المباشر للتعييب وثانيا الى نفسه والى الله تعالى
لان التبديل بمباشرته اهلاك الغلام وخلق الله تعالى البدل
وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له اصلا في بلوغ الغلامين
اشدهما ولان الاول شر والثاني ممتزج ولك ان تقول
في اضافة الفعل الى نفسه على صيغة الانفراد نوع قصور
في مراعات ادب الكلام فلا يلتزم الا لعلة وهي موجودة
في الاول ومفقودة في الثاني ولا مجال للاضافة الى نفسه
في الثالث وتلك العلة صون جناب العزة ان يعزى
اليه ما هو شر ظاهر رحمة من ربك نعمة منه وهي المال الحاصل
بالسهولة الواصل الى صاحبه بلا كلفة الكسب وانتصابه على
الحال وقيل مفعول له على ان الرحمة بمعناها اللغوي او مصدر
منصوب باراده ربك لانه بمعنى رحمهما واما تعلقه بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك فلا يلائمه قوله
وما فعلته اي ما فعلت ما رايته عن امري عن رأيي انما فعلته
بامر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه اصله تستطع فحذف
التاء تخفيفًا انتهى
ابن الكمال

وأما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة
هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع
اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل
اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته
كنز لهما من فضة وذهب كما روي مرفوعًا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة
لمن لا يؤدي زكوتها وسائر حقوقها وقيل كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما صالحًا تنبيه
على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك
ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام
لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما

وأما الجدار فكان لغلامين اصرم وصريم يتيمين
في المدينة اي القرية المذكورة وكان تحته كنز لهما اي
لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن
يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
او مال مدفون من ذهب وفضة او صحف فيها علم
والاول اظهر وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم
علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وكان
ابوهما قيل جدهما السابع صالحًا ممن يصحبني وعن
الحسين بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في
كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح
ابيهما قال فابي وجدي خير منه فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما اي الحلم ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له
او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما
من ربك وما فعلته اي ما فعلت ما رايت عن امري
اي عن اجتهادي وانما فعلته بامر الله تعالى والهاء يعود
الى الكل او الى الجدار ذلك الاجوبة الثلثة تأويل
ما لم تسطع عليه صبرا حذف التاء تخفيفًا وقد ذل
اقدام اقوام من الضلال في تفضيل الولي على النبي
وهو كفر جلي حيث قالوا امر موسى بالتعلم من الخضر
وهو ولي والجواب ان الخضر كان نبيًا وان لم يكن
كما زعم البعض فهذا ابتلاء في حق موسى على ان
اهل الكتاب يقولون ان موسى هذا ليس موسى بن
عمران انما هو موسى بن ماثان ومن المحال ان يكون
الولي وليا بايمانه بالنبي ثم يكون النبي دون الولي
ولا غضاضة في طلب موسى العلم من الولي لان الزيادة
في العلم مطلوبة وانما ذكر اولا فاردت لانه افساد في
الظاهر وهو فعله وثالثًا فاراد ربك لانه انعام محض
وغير مقدور البشر وثانيًا فاردنا لانه افساد من
حيث القتل وانعام من حيث التبديل قال الزجاج
معنى فاردنا فاراد الله تعالى ومثله في القرآن كثير
انتهى المدارك

ويسئلونك

ان يبلغا اشدهما اي حلمهما وكمال رايهما ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته
لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك
مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان
ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلته من الامور التي شاهدتها رحمة
من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله تعالى وما فعلته
عن امري اي عن رايي واجتهادي تأكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في
سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تأويل ما لم تسطع
اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رايته اي مآله وعاقبته
فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال
فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب تنبيه
اختلفوا في حيوة الخضر عم فقيل انه حي وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل
الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطأ
ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل
انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم
هذه فان على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر
حيا لما عاش بعد مائة عام روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال
لا تطلب العلم لتحدث به واطلب لتعمل به انتهى ابو السعود رحمه الله

وأما الجدار فكان لغلامين اسمهما اصرم وصريم يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما اي مال
مدفون من ذهب وفضة وهو الظاهر لاطلاقه وقيل انه صحف علم وقيل لوح من ذهب
مكتوب فيه عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح الخ وكان ابوهما صالحا فحفظا بصلاح
ابيهما في مالهما وانفسهما روي ان الله تعالى يحفظ بالعبد الصالح ولده وولد ولده
وعشيرته واهل دويرات حوله وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء فاراد
ربك ان يبلغا اشدهما اي كمال عقلهما ويستخرجا كنزهما رحمة مفعول له اي لرحمة
من ربك لهما بصلاح ابيهما قيل اسند الخضر عليه السلام الارادة هنا الى الله تعالى
لاختصاص التبليغ اليه تعالى واسندها الى نفسه في جانب العيب لانه فعله
حقيقة بامره تعالى واسندها الى نفسه بتشريك الغير في طلب الخير منه تعالى
لانها في معنى الدعاء الذي يحتاج الى الاستعانة في استجابته وما فعلته اي ما فعلت
ما رايت يا موسى ما رايت مني يا موسى عن امري

عن أمري اي باختياري او من تلقاء نفسي بل انا عبد مامور فعلته بامر الله تعالى وهذا ايضا
ايضاح لما اشكل على موسى عم وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهرا ● وهكذا الطريق بين
المرشد والمرشد في ازالة الشكوك والشبه عنه شفقة له ذلك اي العلم الذي
اخبرتك به تاويل ما لم تسطع عليه صبرا كرره تاكيدا للحفظة تاويله ● واما قال هنا تسطع
وقبله تستطع جمعا بين اللغتين يقال اسطاع واستطاع بمعنى اطاق ● روي ان موسى عم
لما فارق الخضر عليه السلام قال له اوصني فقال لا تطلب العلم لتحدث به الناس واطلبه
لتعمل به قيل ان الخضر عليه السلام ميت الآن لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ● وقيل حي
وسبب حيوته ان ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحيوة وكان الخضر عليه السلام على مقدمته
فوقع الخضر على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق
فعاد عنه ولم يشرب
انتهى

ويسألونك عن ذي القرنين معم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب ● وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس
اليوناني ● وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مرذبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل
اسمه عبد الله بن الضحاك ● وقيل مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن
عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب بن قحطان ● وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره
ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك ● وذكر ابو الريحان
البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عير بن
بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني
حيث قال شعر قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي
اسباب امر من حكيم مرشد ● وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار
وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن ● قال الامام الرازي والاول
هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر
اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ ● يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف
ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية
وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى
ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه
مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند ففتحه وبنى مدينة سرنديب
وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق
ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام ● وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض
من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ
بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له درع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال
هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستمائة سنة ● واغرب منه
ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او ثنتين وثلثين سنة وانه كان
بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما ستذكره ● قلت
وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته
الى الاول ● واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له
في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن
جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك ● وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه
سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم
باسماء الملائكة ● قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها
من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان
المؤيد المنصور وكان الخضر عم على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير ●
وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل عليهما السلام
وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ● ويقال انه اوتي
بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم
عليه السلام بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم ● وقال ابو الطفيل
سئل عنه علي كرم الله وجهه أكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه

صلا بل هي اكثر منها اضعافا مضاعفة مبناه على اصول فلسفية لا تعويل عليها ومنهم من تعمق
وقال لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح نظره غير الما. ولذلك قال وجدها
تغرب ولم يقل كانت تغرب ويرد عليه ان الوجدان يدل على الوجود ولو كان المعنى
على ما ذكر لقيل رآها تغرب ثم ان في اطلاق العين على البحر المحيط ما لا يخفى على ذي بصيرة
ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفارا فخيره فيه بين الامرين قلنا يا ذا القرنين الا

ويسألونك اي اليهود على جهة الامتحان او ابو جهل
واشياعه عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك
الدنيا • قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود • و
قيل كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض واعطاه
الله تعالى العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى
يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن علي رضي الله عنه
انه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله
فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين
لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها • وقيل
كان له قرنان اي ظفيرتان • او انقرض في وقته قرنان
من الناس • او لانه ملك الروم وفارس • او الروم
والترك • او كان لتاجه قرنان او على رأسه ما يشبه
القرنين • او كان كريم الطرفين ابا واما وكان من
الترك قل سأتلو عليكم منه من ذي القرنين
ذكرا خبرا انا مكنا له في الارض جعلنا له فيها مكانة و
استيلاء واتيناه من كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده
في ملكه سببا طريقا موصلا اليه فاتبع سببا واتبع ما
يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك
اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين
فاتبع سببا فاتبع ثم اتبع كوفي وشامي الباقون
بوصل الالف وتشديد التاء عن الاصمعي لحق واتبع
اقتفى وان لم يلحق حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي
منتهى العمارة نحو المغرب وكذا المطلع قال عليه السلام
بدؤ امره انه وجد في الكتب ان احدا من اولاد سام
يشرب من عين الحيوة فيخلد فجعل يسير في طلبها
والخضر وزيره وابن خالته فظفر فشرب ولم يظفره
ذو القرنين وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة
من حمئت البئر اذا صارت فيها الحماة حامية شامي
وكوفي غير حفص بمعنى حارة • وعن ابي ذر رضي الله عنه
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى
الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين
تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب
في عين حمئة • وكان ابن عباس رضي الله عنهما عند معاوية
فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال
معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال كما يقرأ امير
المؤمنين • ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية فوافق
قول ابن عباس ولا تنافي فجاز ان يكون العين جامعة
للوصفين جميعا ووجد عندها قوما عند تلك العين
قوما عراة من الثياب ولباسهم جلود الصيد وطعامهم
ما لفظ البحر وكانوا كفارا اسمهم الكدارك

ويسألونك اليهود امتحانا او مشركوا مكة عن ذي القرنين
هو اسكندر ملك اليوناني المقدوني • وتلقيبه بذي القرنين
لما روي مرفوعا انه ملك قرني الدنيا شرقها وغربها قال الدعبر
وهو التبع اليماني قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا تدين
له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر
من حكيم مرشد • وما قيل انه اسكندر الرومي ملك فارس
والروم مردود بانه تلميذ ارسطو ومذهبه مذهب الفلاسفة
وذو القرنين هذا لا شبهة في اسلامه وولايته انما الخلاف في
نبوته قال القرطبي والظاهر من علم الاخبار ان اسكندر اثنان
احدهما كان على عهد ابرهيم عليه السلام وهو الذي قضى له حين ابرهيم
تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والاخر كان قريبا من عهد عيسى عليه
قل في جوابهم سأتلو عليكم منه من ذي القرنين ذكرا خبرا
انا مكنا له في الارض اي اعطيناه التمكن فيها وزيادة اللام
للاختصاص واتيناه من كل شيء من مهمات الملك سببا
اصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به
الى الغرض فاتبع سببا الفاء فيه فصيحة تقدير الكلام اراد
بلوغ المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه حتى بلغ • وقرئ بقطع
الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
في عين حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة السوداء من حمئت البئر
حماة بالتحريك اذا كثرت حماتها وقرئ حامية اي حارة
وقيل لا تنافي بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين
او يكون حامية من الحماة بتخفيف الهمزة وقلب ياء لانكسار
ما قبلها ويأبى عن ذلك ما حكي بين ابن عباس ومعاوية رضي الله
وتفصيل على ما ذكره القرطبي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال اقرأنيها
ابي كما اقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة • وقال معاوية
هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وانا مع
امير المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها
في التورية فقال اجدها تغرب في عين سوداء فوافق ابن عباس
رضي الله عنهما فانه على تقدير التوفيق بين القراءتين على احد
التوجيهين المذكورين لا يتمشى الخلاف المزبور ففيه تجهيل لهؤلاء
الاعلام وما ذكره القفال ليس المراد انه انتهى الى الشمس
غربا وشرقا حتى وصل جرمها لانها تدور مع السماء حول الارض
من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين
من عيون الارض

صلا

وجد من دونهما من ورائهما قوما هم الترك لا يكادون
يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه إلا بجهد ومشقة
من إشارة ونحوها لا يفقهون حمزة وعلي أي لا يفهمون
السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة
انتهى المدارك

قوله ووجد عندها عند تلك العين قوما كانوا كفارا
فخيره فيهم بين الأمرين قلنا يا ذا القرنين من قال إنه كان
نبيا تمسك بهذا الخطاب ومن أنكره قال كان الخطاب
على لسان نبي في عهده واحتمال الإلهام لا يجدي لأن الدعوة
إلى الحق لا يكون إلا من نبي أو نائبه إما أن تعذب بالقتل
على الكفر وإما أن تتخذ فيهم لم يقل بهم دلالة على الثبوت
والاستقرار حسنا اتخاذ الحسنى فيهم دعوتهم إلى الله تعالى
وتوحيده وما قيل خيره الله بين القتل والأسر وسماه
إحسانا في مقابلة القتل يأباه قوله أما من ظلم إلى آخره
لأنه دل على أنه أثر الدعوة وقد كان في التخيير بلفظ إما
أن تتخذ فيهم حسنا وإنما تعلق التعذيب مع الكل وتعلق
الحسن إياه إلى ترجيح الشق الثاني فتنبه له وإن ما يحق
بالإتيان قال أما من ظلم أما من دعوته فظلم نفسه بعدم قبول
الدعوة والإصرار على الكفر فسوف نعذبه أتى بحرف التسويف
إشعارا بما يتخلل بين أحيانا بعدم قبول الدعوة و
تعذيبهم بالقتل من الأحوال بتكرار الدعوة إظهار الإصرارهم
على الكفر وبنون العظمة في نعذبه على عادة الملوك في قولهم
نحن فعلنا ثم يرد إلى ربه كان خطابه لأتباعه فإنه تعالى
لما خيره بين الأمرين المذكورين أعلم بذلك أتباعه ثم
فصل مخاطبا لهم لا للرب تعالى ثم يرد إلى ربه
فيعذبه في الآخرة عذابا نكرا عذابا منكرا لم تعهد مثله وأما من
آمن وعمل صالحا مما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء
الحسنى جزاء الفعلة الحسنى وقرئ منونا منصوبا على الحال
أي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعل المقدر
حالا أي يجزى بها جزاء أو على التمييز وقرئ منصوبا غير منون
على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا
على أنه المبتدأ والخبر وسنقول له من أمرنا مما نأمره به يسرا
قولا ذا يسر وقرئ بضمتين قيل ويجوز أن يكون إما وإما
للتقسيم دون التخيير أي ليكن شأنك معهم إما التعذيب
وإما الإحسان فالأول لمن أصر على الكفر والثاني لمن تاب
ويأباه تصدير الجواب بأما التفصيلية لأنه يستدعي سبق
الإجمال وعلى ما ذكر لا إجمال في الكلام السابق ثم أتبع سببا
ثم أتبع طريقا آخر وهو الذي يوصله إلى المشرق وقرئ بقطع
الألف مخففة التاء حتى إذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع
الذي يطلع الشمس عليه أولا من معمورة الأرض وقرئ
بفتح اللام قال الجوهري والمطلع والمطلع أيضا موضع طلوعها
فلا حاجة إلى إضمار مضاف وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
أي حجابا يستترون بها عند طلوعها قيل لا جبل فيها ولا شجر

قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا
إن كان نبيا فقد أوحى الله تعالى إليه بهذا وإلا فقد أوحي
إلى نبي فأمره النبي به وإن كان إلهاما خير بين أن
يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين أن تتخذ
فيهم حسنا بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا
أما التعذيب القتل واتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر
إلى القتل إحسان قال ذو القرنين أما من ظلم
فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا
نكرا في القيمة يعني أما من دعوته إلى الإسلام فأبى إلا
البقاء على الظلم العظيم وهو الشرك فذاك هو المعذب
في الدارين وأما من آمن وعمل صالحا أي عمل ما يقتضيه
الإيمان فله جزاء الحسنى فله جزاء الفعلة الحسنى
التي هي كلمة الشهادة جزاء الحسنى كوفي غير أبي بكر
أي فله الفعلة الحسنى جزاء وسنقول له من أمرنا يسرا
أي ذا يسر أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن
بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك
ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها
تطلع على قوم هم الزنج لم نجعل لهم من دونها من
دون الشمس سترا أبنية عن كعب أرضهم
لا تمسك الأبنية ولهم أسراب فإذا طلعت
الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى
معايشهم أو الستر اللباس عن مجاهد من
لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس
أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أي أمر ذي القرنين
كذلك أي كما وصفنا تعظيما لأمره وقد أحطنا بما
لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرا نصب
على المصدر لأن في أحطنا معنى خبرنا أو بلغ مطلع
الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها أو تطلع
على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم
يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه
لمن بقي على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم ثم
أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين بين الجبلين
وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما السدين
وسدا مكي وأبو عمرو وحفص والسدين وسدا
حمزة وعلي وبضمهما غيرهم قيل ما كان مسدودا خلقة
فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح و
انتصب بين على أنه مفعول به ببلغ كما انجر بالإضافة
في هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في لقد تقطع
بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا
وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق

ولا شجر ولا مأوى ولا لهم ثوب يسترهم فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في الأسراب وقيل في النهر
فإذا ارتفعت عنهم خرجوا إلى معاشهم كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه
في رفعة المكان وبسطة الملك أو لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم
من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقد أحطنا
بما لديه من العدد والعدد خبرا تكثير لذلك يعني أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به إلا علم
اللطيف الخبير ثم أتبع سببا ثم أتبع طريقا آخر وهو المعترض بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
إلى الشمال حتى إذا بلغ بين السدين هما على ما ذكره وهب جبلان منيفان في السماء أملسان
يزلق عليهما كل شيء وإنما سميا سدين لسدهما فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة يلج فيها يأجوج
ومأجوج وهذا المكان في منقطع أرض الترك وما قيل هما جبلا أرمينية وأذربيجان وهم
وقرئ بين السدين بالضم قال الكسائي وهما لغتان كالمكث والمكث وقال أبو عمرو والسد
بالفتح الحاجز بينك وبين الشيء وبالضم الغشاوة في العين وههنا قال من قال ما كان من صنعة
بني آدم فهو بالفتح وما كان من صنع الله فهو بالضم وانتصب بين على أنه مفعول به لأنه من
الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يثبت في ذلك شيء
لا يكادون يفقهون قولا لا يفقهونه من إشارة ونحوها إلا بجهد ومشقة فإن زيادة يكاد
قد يكون لإفادة هذا المعنى كما في لا يكاد يبين وذلك لقلة فطنتهم وأما غرابة اللغة فلا تصلح
علة لهذا وقرئ يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه إلا بمشقة لغرابة لغتهم أو
لتلعثمهم انتهى ابن الكمال

خيره الله سبحانه وتعالى بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإيمان وذلك قوله قلنا
يا ذا القرنين إما أن تعذب بالقتل من أول الأمر وإما أن تتخذ فيهم حسنا أي أمرا ذا حسن
على حذف المضاف أو على طريقة إطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة إلى الإسلام
والإرشاد إلى الشرائع ومحل أن مع صلته إما الرفع على الابتداء أو الخبرية وإما النصب
على المفعولية أي إما تعذيبك واقع أو إما أمرك تعذيبك أو إما تفعل تعذيبك
وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر أو كان
ذلك إلهاما لا وحيا بعد أن كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال أي ذو القرنين
لذلك النبي أو لمن عنده من خواصه بعدما تلقى أمره تعالى مختارا الشق الأخير أما من ظلم
من النبي أو منه تعالى بطريق الإلهام
على تقدير كون الخطاب بطريق الوحي إليه
أي نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو
الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن
أعطاه وكساه ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا أي منكرا فظيعا وهو عذاب
النار وفيه دلالة ظاهرة على أن الخطاب لم يكن بطريق الوحي إليه وأن مقاولته كانت
مع النبي أو مع من عنده من أهل مشورته وأما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا
حسبما يقتضيه الإيمان فله في الدارين جزاء الحسنى أي فله المثوبة الحسنى أو الفعلة الحسنى
أو الجنة جزاء على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به أو منصوب
بمضمر أي يجزى جزاء صلا

صلا

والجملة حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المتقدم عليه او حال اى متخذا بامرا او تمييز • وقرئ
منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا
والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور • وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب
الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة الكلام
واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب • ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير
اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقى على حاله والثاني
لمن تاب وسنقول له من امرنا اى مما نامر به يسرا اى سهلا متيسرا غير شاق وتقديره
ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة • وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اى طريقا راجعا من مغرب
الشمس موصلا الى مشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي يطلع عليه الشمس اولا
من معمورة الارض • وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اى مكان طلوع الشمس فانه مصدر • قيل
بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب
وطوى له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس والبناء • قيل
هم الزنج • وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب
او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم • وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسالت عن هولاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش
اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس
قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذ هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا فلما ارتفع النهار
خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم • وعن مجاهد من لا يلبس
الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اى امر ذي القرنين
كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك • او امره فيهم كامره في اهل المغرب
من التخيير والاختيار • ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة
قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم • او سترا مثل
سترکم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب
والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
هذا على الوجه الاول • واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه
وما صدر عنه • كما قاله • فتامل ثم اتبع سببا اى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق و
المغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد
ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان
كما توهم • وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح
وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما ايضا كما ارتفع
في قوله لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك وجد من دونهما الله

٨ في الضم والفتح ما لا يخفى من النكتة منه

وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم • وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم • واختلفوا فانهم من اي قوم من الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك • وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم • وعن قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم • وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة • ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج • انتهى ابو السعود رحمه الله

قلنا بالوحي او بالالهام يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا اي انت مخير في امرهم بعد الدعوة الى الاسلام اما ان تعذب من ابى وكفر بالقتل واما ان تحسن من لم يأب وآمن وعمل بما يقتضيه الايمان بالانعام عليهم • قيل كان يطبخ من كفر ويعطي ويكسي من آمن • وقيل بحسنه بالعفو والاسر وسماها احسانا في مقابلة القتل قال ذو القرنين اما من ظلم بكفره فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا بالنار واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى برفع جزاء بلا تنوين للاضافة اي له جزاء المثوبة الحسنى وهي الجنة او للاضافة بل لالتقاء الساكنين فالحسنى بدل من جزاء والمبتدأ وله خبره • وبنصبه منونا فالحسنى مبتدأ وله خبره • وجزاء مصدر بفعل محذوف اي يجزى به جزاء في موضع الحال من ضمير آمن • وقيل معناه له الخلال الحسنى يجازى بها جزاء او جزاء الفعلة الحسنى بالاضافة وهي كلمة الشهادة وسنقول له من امرنا يسرا اي امرا ذا يسر يعني لا نأمره بما يصعب عليه بل بما يسهل ثم اتبع سببا اي سار ذو القرنين طريقا نحو المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي موضع طلوعها وجدها تطلع على قوم قيل هم الزنج لم نجعل لهم من دونها اي امام الشمس سترا اي بناء يحصنهم من حرها لان ارضهم لا تحمل الابنية ولهم سروب يدخلونها عند طلوع الشمس فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معاشهم في ساحل البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فتنضج لهم • وقيل الستر اللباس اي لا يلبسون اللباس من حر الشمس وهم اكثر من جميع اهل الارض • قيل هم قوم عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه وتعظيما لامره فهو خبر مبتدأ محذوف • وقيل معناه كذلك لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم سترا من الكهوف والجبال والابنية والثياب • فعلى هذا هو صفة موصوف مذكور قبله اي سترا مثل ذلك الستر وقد احطنا بما لديه اي لدى ذي القرنين من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا اي علما تمييز وقيل مصدر من غير لفظ فعله اي اخبرناه خبرا ذكره تكثيرا لذلك ثم اتبع سببا اي اخذ طريقا حتى اذا بلغ بين السدين بضم السين وفتحها اي طرفي الجبلين ينقطع بلاد الترك سد ذو القرنين ما بينهما • السد بالفتح عمل الانسان وبالضم خلق الله تعالى وقيل معناهما واحد وبين نصب بانه اسم مفعول به بقوله بلغ لانه من الظروف المستعملة اسما وظرفا وجد من دونهما اي من قبلهما قوما من الترك لا يكادون يفقهون قولا اي لا يفهمون كلام احد لان لغتهم مجهولة • وقرئ لا يفقهون بضم الياء وكسر القاف ايضا اي لا يفقهون غيرهم قولا الا بمشقة من اشارة ونحوها لانهم كالبكم او بالترجمان بينه وبينهم انتهى العيون

في قراءة ايتوني بكسر النون موصولة الهمزة على معنى جيئوني والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير لانه لا ينافي معنى
الاعطاء غايته لا يعينه حتى اذا ساوى بين الصدفين في الكلام محذوف تقديره فاتوه بالطلب حتى اذا ساوى يعني
البناء بين الصدفين • والصدف منقطع الجبل المرتفع ذكره الجوهري • وقرئ بضمتين وبالضم والسكون وبفتح الاول
وضم الثاني وبالفتح والسكون والكل بمعنى واحد قال انفخوا اي على زبر الحديد بالاكيار حتى اذا جعله نارا اي جعل المنفوخ
ما نفخ فيه كالنار بالاحماء قال آتوني فيه قراءتان الثلاثة في آتوني المتقدمة افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا من القطر
لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الماء • منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه اذ لو اعمل الاول لقيل افرغه اذ لا يضمر في الثاني على الفصيح فما اسطاعوا حذف التاء تخفيفا للقرب من
الطاء • وقرئ بالادغام وهو على غير حده اذ لا يصح الا ان يكون قبل الادغام متحرك او حرف مد ولين ولذلك
قال ابو علي هي غير جائزة • وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما
استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته انتهى ابن الكمال رحمه الله

قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله
من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل ياجوج
من الترك وماجوج من الجيل • واختلف في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على
شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك
وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف • وقيل عربيان من اج الظليم
اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم • وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في
الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع • قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا
اكلوه ولا يابسا الا احتملوه • وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء
لتفريع العرض على افسادهم في الارض • وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال • وقيل الخراج ما على
الارض والذمة • والخرج المصدر • وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد • وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني بالادغام
وقرئ بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب خير اي مما تريدون
ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات
لا بد منها في البناء • والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم
اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج
لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا
وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع • وهذا اسعاف بمرامهم فوق
ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة • وهذا لا ينافي رد خراجهم
لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد
على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل
تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس
اذ هي الركن في السد ووجودها اعز • قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء • وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة
فرسخ وذلك قوله تعالى حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى
اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي • قيل كان ارتفاعه
مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا • وقرئ سوي من التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا

• فان حتى تستدعي التدريج منه

النفخ اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في
الحرارة والهيئة • واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه
العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة ونحوها
آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه • وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد
عند الافراغ • واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في
قوله ساوى وقوله تعالى اجعل فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا
عن تلاقي المتقاربين • وقرئ بالادغام • وفيه جمع بين الساكنين على غير حده • وقرئ
بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان
فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء ياجوج وماجوج
فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه
لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته • وهذه معجزة عظيمة
لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها
فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى
صرف تاثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان
والله على كل شيء قدير • وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد
ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا انتهى ابو السعود رحمه الله

ومن لا يقول بنبوته يجعل ذلك معجزة لنبي ذلك العصر منه

قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج بهمز الالف وبغير الهمز فهما اسمان لقبيلتين من الانسية
وهي سنة الجن لانهم يتحركون ويهلكون ما يتصلون به كالنار • وهما لا ينصرفان بالعلمية
والتانيث • وقيل عجميان وهم اولاد يافث بن نوح عليه السلام • او من احتلام آدم عليه السلام
لانه احتلم وامتزجت نطفته بالتراب فهم منها يتصلون بنا من جهة الاب دون الام
قيل بنو آدم عشر هم لانه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه يحملون السلاح
مفسدون في الارض قالوه له شكاية منهم اي هم يفسدون عند خروجهم الينا بفعلهم الخبيث
فانهم كانوا يخرجون الى قوم صالحين بقربهم فيهلكون زروعهم وضروعهم ويقتلونهم • وقيل
كانوا ياكلون الناس • وقيل كانوا يفعلون فعل قوم لوط فهل نجعل لك خرجا اي جعلا للسد
وقرئ خراجا اي جزية على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي حاجزا لئلا يصلوا الينا قال ذو القرنين
ما مكني بالادغام وفكه فيه ربي خير اي الذي جعلني فيه قويا مكينا من كثرة المال والعلم وطلب ثوابه
افضل مما تعطونني انتم من الخراج يعني لا حاجة لي اليه فاعينوني بقوة اي بالبنائين والصناع
يحسنون البناء والعمل بالآلات اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا عظيما موثقا

قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج هما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف • واهمزهما عاصم فقط • وهما
من ولد يافث • او ياجوج من الترك وماجوج من الجيل
والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس
وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه ولا يموت احد
منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح
وقيل هم على صنفين طوال مفرط الطول وقصار
مفرط القصر فهل نجعل لك خرجا خراجا حمزة وعلي
اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني
بالادغام وبفكه مكي فيه ربي خير اي ما جعلني
فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي
من الخراج فلا حاجة لي فيه فاعينوني بقوة بفعلة
وصناع يحسنون البناء والعمل بالالات اجعل
بينكم وبينهم ردما جدارا حاجزا حصينا موثقا
والردم اكبر من السد اتوني زبر الحديد قطع
الحديد والزبرة القطعة الكبيرة • وقيل حفر الاساس
حتى بلغ الماء • وجعل الاساس من الصخر والنحاس
المذاب • والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما • ثم
وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب
النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط • و
التصق بعضه ببعض • وصار جبلا صلدا •
وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ حتى اذا
ساوى بين الصدفين بفتحتين جانبي الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان • الصدفين مكي
وبصري وشامي • الصدفين ابو بكر قال انفخوا
فيها اي قال ذو القرنين للعملة انفخوا في الحديد حتى
اذا جعله اي المنفوخ فيه وهو الحديد نارا كالنار
قال اتوني اعطوني افرغ اصب عليه قطرا
اي نحاسا مذابا لانه يقطر • وهو منصوب بافرغ
وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه • قال ايتوني
بوصل الالف حمزة واذا ابتدأ كسر الالف • اي
جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لان
التاء قريبة المخرج من الطاء ان يظهروه ان
يعلوا السد وما استطاعوا له نقبا
لا حيلة فيه من صعود لارتفاعه ولا نقب لصلابته

انتهى كذا ادرك المبارك

قالوا يا ذا القرنين دل هذا الخطاب على انه لقب تعظيم وهو في
المعنى الذي ذكرناه فيما سبق دون غيره من المعاني المذكورة في
التفاسير • وقدرة ذي القرنين على فهم قولهم وتفهيمهم من
جملة الاسباب التي اتاه الله تعالى ان ياجوج وماجوج اسمان لقبيلتين
من ولد يافث ممنوعا الصرف • ولا دلالة فيه على عجمتهما لوجود
علتين اخريين التانيث والعلمية • وقرئتا مهموزتين قال الاخفش
من همز جعل الالف من الاصل كانه من اجيج النار • ومن لم يهمز
جعل الالف زائدة وقال ياجوج من يججت وماجوج من مججت •
وقال ابو علي ان همز ياجوج فهو من اجيج النار وان لم يهمز فيمكن
ان يكون خفف الهمزة فقلبت الفا مثل راس • واما ماجوج
فهو مفعول من اج وان لم يهمز فيجوز ان يكون على التخفيف
وان يكون فاعولا من مج مفسدون في الارض بالقتل و
التخريب والاتلاف • قيل كانوا يخرجون الربيع فلا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه • وقيل كانوا ياكلون
الناس فهل نجعل لك استفهام على جهة حسن الادب
خرجا جعلا نخرجه من اموالنا • وقرئ خراجا قال اهل اللغة
الخرج ما يخرج من المال والخراج ما يخرج من الارض • وقيل
كلاهما واحد كالنول والنوال على ان تجعل بيننا وبينهم سدا
يمنعهم عن الخروج علينا • وقرئ سدا بالفتح والضم • قال القرطبي
قال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر • وقال عكرمة
وابو عمرو وابو عبيدة ما كان بخلق الله تعالى ولم يشارك فيه احد
فهو بالضم • وما كان من صنع البشر فهو بالفتح • ويلزم اهل هذه المقالة
ان يقرؤوا ههنا بالفتح وفيما سبق بالضم • وهي قراءة حمزة والكسائي
انتهى • والعجب ان الكسائي ينكر الفرق بينهما معنى فحقه ان
لا يخصص احدهما بموضع والاخر بموضع اخر • وابو عمرو
يعرف بالفرق ومرجحه التخصيص المذكور فكل منهما اخذ
ما هو حق صاحبه قال ما مكني فيه ربي ما جعلني فيه مكينا من
كثرة المال والملك خير مما يبذلون لي من الخراج فلا حاجة الي به •
وقرئ مكنني على الاصل فاعينوني بقوة ارادوا معاونتهم
بعمل اليد وقوة البدن • والتخصيص بقوة العمل من ضعف
الفطنة • وكانه قال اذ رفعت عنكم مؤنة المعونة بالمال
فاعينوني بخدمة بلا اجرة وهذا من تاييدات الله تعالى اذ اجيب
الى ما هو الايسر في حقهم والانفع في حقه والاسرع في قضاء الحاجة
اجعل بينكم وبينهم ردما الردم السد المتراكب من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد
الزبر بفتح الباء وضمها جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ولا يلزم
ان يكون من الحديد دل عليه قوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
ولذلك قيده بالاضافة الى الحديد واعطاؤها من قبيل
تخصيص الالة بالخدمة لانها مما يحصل بمجرد العمل فلا ينافي
ردّه الحج فلا حاجة الى حرف الايتاء عن معناه الى معنى المناولة ولا دلالة على ذلك

فيه رد
فيه رد
فيه رد
فيه رد

فحفروا ما بين السدين حتى بلغوا الماء • وجاؤوه بما امرهم به ثم قال اتوني بقطع الهدم من الابنية
اي اعطوني • ويوصل الهمزة من الايتان اي جيئوني زبر الحديد اي قطعه جمع زبرة فجعل الاساس
من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى اذا ساوى
السد بين الصدفين بفتحتين وبضمتين وبسكون الدال اي جانبي الجبلين يعني ملأ ما بينهما
الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حوله قال انفخوا فنفخوا النار حتى اذا جعله اي الحديد نارا كالنار
قال اتوني افرغ عليه قطرا اي نحاسا مذابا تقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
بدلالة الثاني عليه • والافراغ الصب • فصب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق
بعضه ببعض وصار جبلا واحدا قيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه
اي ما اطاقوا ان يصعدوا على ظهره لملاسته ورفعته وما استطاعوا له نقبا اي خرقا
لصلابته وثخانته

انتهى العبد ...
عمر السهروردي

قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي على عباده فاذا
جاء وعد ربي اي فاذا دنى مجيء يوم القيمة وشارف ان ياتي
تفريع على ما ذكر يعني لما كان وجوده رحمة ينعدم عند انتهاء
زمان الرحمة بانقضاء المستحقين لها جعله دكا مدكوكا مبسوطا
مستويا بالارض فكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا
مستوية وكان وعد ربي حقا كاينا لا محالة وهو اخر القصة
وتركنا جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يضطرب في
بعض فيختلطون انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور
هذه النفخة نفخة الاحياء لا نفخة الافناء دل على ذلك الفاء
التعقيبية في قوله فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وما هو
لقيام الساعة انما هو نفخة الافناء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين وابرزناها لهم عرضا اشار بتنكيره الى خروجه
عن حد التعريف والبيان الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لفرط
صممهم عن الحق وهذا ابلغ من اثبات الصمم لهم لان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به افحسب الذين كفروا افظن
الذين كفروا وقد قرا كذلك ابن مسعود رضي الله عنه
معطوف على قوله كانت وكانوا دلالة على ان الحسبان
ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليه همزة الانكار
ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليه لفظا لا معنى للايذان
بالاستقلال المؤكد للذم وقوله الذين كفروا من وضع
الظاهر مقام المضمر زيادة للذم ان يتخذوا عبادي هم
من عبد الملائكة والمسيح عزير عليهم السلام من دوني اولياء
يعني انهم لا يكونون اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت
ولينا من دونهم وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم في
حسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على
الفعل والفاعل لان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى
الفعل في العمل انا اعتدنا جهنم للكافرين استيناف لبيان
خطاء حسبانهم وفي جعل جهنم نزلا لهم ومعه ما يقام للنزيل
اي الضيف تهكم بهم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب
ما يستغذب ويستلذ جهنم بالنسبة اليه انتهى ابن الكمال

قال هذا رحمة من ربي اي هذا السد نعمة من الله
ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته
فاذا جاء وعد ربي فاذا دنى مجيء يوم القيمة وشارف
ان ياتي جعله اي السد دكا اي مدكوكا مبسوطا
مستويا بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد
اندك دكاء كوفي اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا اخر قول ذي القرنين وابتداء وتركنا
جعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج يختلط في
بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج
وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين
في البلاد وروي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه
وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به
من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة
وبيت المقدس ثم يبعث نغفا في اقفائهم فيدخل
اذانهم فيموتون ونفخ في الصور لقيام الساعة
فجمعناهم اي جميع الخلائق للثواب والعقاب جمعا
تاكيد وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا
واظهرناها لهم فراوها وشاهدوها الذين كانت
اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي التي ينظر
اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه
وكانوا لا يستطيعون سمعا اي وكانوا صما عنه الا انه
ابلغ اذ الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء
كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم افحسب
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء اي
افظن الكفار اتخاذهم عبادي يعني الملائكة وعيسى عليهم السلام
اولياء نافعهم بئس ما ظنوا وقيل انه بصلته سد مسد
مفعولي افحسب وعبادي واولياء مفعولا ان يتخذوا
وهذا اوجه يعني انهم لا يكونون لهم اولياء انا اعتدنا
جهنم للكافرين نزلا هو ما يقام للنزيل وهو
الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم انتهى المدارك

من تفسير ابو السعود افندي رحمه الله

قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم
اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر
عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق
عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي
مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه

ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان
بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في
توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي مدكوكا مستويا بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء
الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود
او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين
لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو اخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من
جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء وتحقيق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء
الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض اخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم
حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج وماجوج يموج في بعض اخر منهم
حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم
ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله تعالى نغفا في اقفائهم فيدخل في اذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم
في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول
المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم
التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع
في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة الاخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت
اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم
اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا
عرضا اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمراى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة
الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن
الايات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري على وجه يليق بشاني او عن القران الكريم وكانوا مع ذلك
لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي الحق الذي
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم
عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة
وللاشعار بعليته ولاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم
في الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب
عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع و
استقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر
يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى
افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون
فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير
عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل ان العطف على
ما قبلها من قوله كانت اعينهم الخ وكانوا لا يستطيعون الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام
وادخل عليه همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليها لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال
المؤكد للذم ياباه ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال
الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا
فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله تعالى وتخصيص الانكار بحسبانهم المتاخر
عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى بعنوان

وحسبوا ان لاتكون فتنة اى افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه
انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم
وقيل مفعوله الثاني محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس
الاتخاذ واعتدادا به في الجملة • وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم ان يتخذوهم اولياء
على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة
ح بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم و
اشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند
ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم
بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل
انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة • وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم
وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما
بالمثوى انتهى

ابو السعود

قال ذو القرنين هذا اى السد رحمة اى نعمة من ربي على وعليكم لعدم خروجهم بسببه فاذا جاء وعد ربي
اى اذا دنى مجيء يوم القيمة جعله اى السد دكا اى مدكوكا مكسورا مستويا بالارض • وقرئ دكاء اى ارضا دكاء
وكان وعد ربي حقا اى واجبا حصوله بالثواب والعقاب بعد بعث الخلائق كلهم هذا اخر كلام ذي القرنين
قيل انهم يحفرون كل يوم الردم حتي اذا ابرق لك الشعاع قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ولم يستثنوا
فيعيده الله تعالى كما كان فاذا بلغت مدتهم قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله فيعودون اليه
وهو كهيئته فيحفرونه ويخرجون على الناس وهم يتحصنون في حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع
وبها كهيئة بالدم فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله تعالى اليهم نغفا في اقفائهم بدعاء
عيسى عليه السلام فيهلكون وتاكلهم دواب الارض وتسمن وتشكر من لحومهم شكرا فهذا انما يكون بعد خروج
الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله بامره تعالى ثم يبارك في الارض فتخرج ثمرها وتردد بركتها فيكون الناس
في نعمة وسعة اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتاخذهم من تحت اباطهم فيقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس
فتقوم عليهم الساعة ثم قال مخبرا عن حال الخلق بعد البعث وتركنا اى جعلنا بعضهم يومئذ اى بعض الخلائق
يوم القيمة يموج اى يختلط كموج الماء في بعض انسهم بجنهم من الحيرة وشدة الخوف • وقيل الضمير ليأجوج
ومأجوج اى يختلطون عند خروجهم من السد مزدحمين في البلاد لكثرتهم ونفخ في الصور اى والحال ان اسرافيل
قد نفخ في صور ارواح الخلائق لان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة فجمعناهم اى الخلائق في
مكان واحد هناك جمعا اى جمع وعرضنا جهنم يومئذ اى اظهرناها يوم القيمة للكافرين اى الجاحدين بالحق
عرضا اى رأوها عيانا ثم وصفهم بقوله الذين كانت اعينهم في غطاء اى في غلاف في الدنيا عن ذكري اى
عن القرآن والايمان به وتامل معانيه وكانوا فيها لا يستطيعون سمعا اى كانوا صما عنه لا استطاعة بهم للسمع
بغضا وعداوتهم محمدا صلى الله عليه وسلم افحسب الذين كفروا ان يتخذوا اى اظن الكافرون اتخاذهم عبادي
من دوني اى ملائكتي وعيسى وعزيرا عليهم السلام او الشياطين اولياء اى اربابا بالشفاعة نافعا لهم
هو مفعول ثان لحسب حذف للعلم به يعني لا ينفعهم عند الله تعالى كما حسبوا ثم بين عذابهم فقال انا اعتدنا
جهنم اى النار والسعير للكافرين نزلا وهو ما يعد للنزيل والضيف اى احضرنا للكافرين جهنم كالنزل
المعد للضيف

انتهى العيون

قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ • والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر وللايذان
بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز • والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان حال الكفرة باعتبار
ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها
غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال
اى ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد
بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد • ويدخل في الاعمال ح ما عملوه من الاحكام
المنسوخة المتعلقة بالعبادات • وقيل الرهبانية الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات
الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة • ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه
قيل من هم فقيل الذين ضل سعيهم الخ • وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على
ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين كفروا بآيات ربهم الخ يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران
الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء
ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع
الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال راسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
اى يحسبون انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا
في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك
وينتفعون باثاره • او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم والحال
انهم يحسنون صنعا والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني
نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين
وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اى
اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد
عقلا ونقلا • والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور
الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اى لاولئك الموصوفين بما مر من
حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا اى فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال
الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع
واما ما هو من اجزية الكفر فيجيء بعد ذلك • او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات
والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك
في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا
ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك • اى الامر ذلك وقوله تعالى
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له • او ذلك مبتدأ والجملة خبره • والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره • او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر
القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر
بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا
باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اى آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات
من الاعمال كانت لهم

كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما
من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس
هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل
هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد
هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس في الجنان
اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة
مائة درجة ما بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى
فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق
بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور
فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس
الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة
من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة
النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها
حولا مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور ان يكون شيء اعز عندهم وارفع
منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود و
الجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا
وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات
الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد
وقرئ بالياء

وقرئ بالياء
ابو السعود

قل هل ننبئكم اي هل نخبركم بالاخسرين اي بالقوم الاغبنين اعمالا وهم المبطلون اعمالهم
بالرياء والسمعة او بطلب المنة والشكر من الخلق على معروفهم في الدنيا وقيل هم الرهبان والقسيسون
واهل الكتابين حبسوا انفسهم في الصوامع واتعبوها في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا
وبوارا وهو معنى الخسران قوله الذين ضل سعيهم استئناف وهو جواب عن السؤال المقدر اعني من هم
فهو خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين بطل عملهم للخير في الحيوة الدنيا وهم يحسبون اي يظنون انهم يحسنون
صنعا اي يعملون عملا ينفعهم في الآخرة ويجوز ان يكون الذين مبتدأ خبره اولئك الذين كفروا
بآيات ربهم اي القرآن ولقائه اي البعث بعد الموت فحبطت اعمالهم اي بطل ثوابها لانهم لم يقبل منهم
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي لا نجعل لهم قدرا يوم القيمة لخساستهم او لا نضع لهم ميزانا لاعمالهم الخير
لانهم انما يأتون بالسيئات بلا حسنات تقابل بها في الحديث رب اكول شروب لا يزن عند الله جناح بعوضة
قيل يأتي اناس باعمال يوم القيمة عندهم هي في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا قوله ذلك
اي المذكور قيل مبتدأ جزاؤهم مبتدأ ثان خبره جهنم والجملة خبر للاول اي عقوبتهم جهنم بما كفروا واتخذوا
آياتي اي القرآن ورسلي هزوا اي استهزاء ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الآمرون بالمعروف
الناهون عن المنكر كانت لهم في علم الله تعالى جنات الفردوس وهو ربوة خضراء في الجنة اعلاها
واحسنها يقال لها سرة الجنة نزلا اي منازل مهيئة لهم خالدين فيها لا يبغون عنها اي لا يطلبون حولا
اي تحويلا عنها وهو الانتقال كناية عن التخليد لانهم لا يريدون فيها الا ما يرغبهم في الاقامة فلا ينتقلون
عنها قال صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسطها وفوقها عرش الرحمن
انتهى العيون

قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا تمييز وانما جمع و
القياس ان يكون مفردا لتنوع الاهواء وهم اهل
الكتاب والرهبان الذين ضل سعيهم ضاع وبطل
وهو في محل الرفع اي هم الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم
فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فلا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار ذلك جزاؤهم جهنم هي عطف بيان
لجزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا
اي جزاؤهم جهنم بكفرهم واستهزائهم بآيات الله ورسله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات والعمل الصالح ما
اريد به وجه الله تعالى كانت لهم جنات الفردوس
نزلا خالدين فيها حال لا يبغون عنها حولا تحولا
الى غيرها رضى بما اعطوا يقال حال من مكانه
حولا اي لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى
اجمع منها لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف
لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح
الطرف الى ارفع منه او المراد نفي التحول
وتأكيد الخلود انتهى المدارك

قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع
لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وانكارهم الحق قيل هم الخوارج
اهل حروراء وقيل هم الرهبان اصحاب الصوامع ويرده
قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا الخ اذ ليس
منهم من يكفر بلقاء الله تعالى والبعث والنشر ومحله
الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال والجر على
الوصف او على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق
اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالدلائل المنصوبة
على التوحيد والنبوة والقرآن ولقائه بالبعث على ما
هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا ينتفعون
بها لا بنيل الثواب ولا بتخفيف العذاب فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا فلا نضع لهم ميزانا يوزن اعمالهم لانحباطها
وقيل فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا او اعتبارا
ويرد عليه ان حقه حينئذ ان يعطف بالواو عطف
احد القرينين على الآخر لان منشأ الازدراء بهم
كفرهم بآيات الله تعالى ولقائه لا حبوط اعمالهم ذلك اي
الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز
ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف
اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدل وجهنم خبره او جزاؤهم خبره
وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك وقد تقدم تفسير الهزء ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم فيما سبق في حكم الله تعالى ووعده جنات الفردوس نزلا قد تقدم معنى النزل
وما فيه من التنبيه والفردوس البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قاله الزجاج وروي مرفوعا انه اوسط
الجنة واعلاها خالدين فيها نصبه على الحال ولما كان ما ذكر في سابق تقديره تعالى لم يحتج هاهنا الى تقدير لا يبغون
عنها حولا اي لا يطلبون عنها التحول اذ لا مزيد عليها حتى ينازعهم اليه انفسهم بل فيها جميع ما تشتهي انفسهم وهذا
غاية الوصف والتحول النقل من موضع الى موضع والاسم الحول ذكره الجوهري وفيه تأكيد الخلود لانهم لم يريدوا
الانتقال عنها لا ينقلون لعدم الاكراه فيها انتهى ابن الكمال

قل لو كان البحر مدادا هو في الاصل اسم لما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط والمراد هنا الحبر وهو اسم خاص لما في الدواة لكلمات ربي
لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر اي لم يبق منه شيء لتناهيه
قبل ان تنفد بالتاء والياء كلمات ربي لعدم تناهيها وفي
نفاده قبل نفادها لا يلزم تحقق نفادها بعد نفاده
ولذلك يقع الطلاق الواحد اذا قال لغير المدخول بها
انت طالق ولحق قبل واحدة ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود
مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافذة ضرورة ان كل ما يدخل
تحت الوجود متناه القدر فلا بد من نفاده بخلاف معلوماته
لان ما لا يتحمل نفاده ومددا تمييز وهو مثل المداد
وقري مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب
فيكتب به وقري بمثله مدادا وسبب نزولها ان اليهود
قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير
ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم في البشرية عن الاحاطة على كلماته الا اني اختصت بالوحي لكم بنزول
الوحي علي وبعض الاحاطة بسببه يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا بقولهم عزير ابن الله ثم
حض على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع الخير في المستقبل وهو الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور
المحمودة وفرقوا بين الرجاء والاغترار بان الرجا يكون مع تمهيد اسباب المرجو والاغترار بدونه اخل بها والمراد من
لقاء الله تعالى لقاء كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن التجوز وهذا يغني عنه
فليعمل عملا صالحا لا يقال لذلك الرجاء ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن جبير لا يرائي في عمله ولا يبتغي الا وجه ربه
خالصا لا يختلط به غيره وروي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله تعالى فاذا
اطلع عليه سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له عليه السلام وعنه عليه السلام اتقوا
الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص
في الطاعة وقري تشرك بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب ثم عاد الى الالتفات من الخطاب الى الغيبة في ربه انتهى القاضي رحمه الله

قل لو كان البحر اي ماء البحر مدادا لكلمات ربي
قال ابو عبيدة المداد ما يكتب به اي لو كتبت
كلمات الله تعالى وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد
بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات
غير نافدة ومددا تمييز نحو لي مثله رجلا
والمراد مثل المداد وهو ما يمد به ينفد حمزة
وعلي قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان
ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى
انتهى المدارك

قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها
ما ذكر من الايات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد
وقري بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات
الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم الاخبار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى
غير داخل في الكلام الملقن جي به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة
على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى
لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع
ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقري
مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقري مدادا انتهى ابو السعود رحمه الله

قل لو كان البحر اي جنسه مدادا اي حبرا نزل حين قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي ان ذلك خير كثير لنا ولكنه قطرة من بحر كلمات الله تعالى لانه لو كان ماء البحر مدادا لكلمات ربي
اي لمتعلقات علمه تعالى فيكتب به لنفد البحر اي لفني ماء البحر قبل ان تنفد بالياء والتاء للتانيث اي لا تفنى كلمات
ربي ولو جئنا بمثله اي مثل ماء البحر مددا اي زيادة عليه لنفد ايضا ولم ينفد كلماته تعالى التي هي متعلقات علمه
واما قيدت الكلمات بالتعلق لان كلام الله تعالى واحد لا تعدد فيه وهي وعده لاوليائه ووعيده لاعدائه وحكمه على خلقه
ونصب مددا تمييز ومنه المداد والمدد جمع مدة وهي اسم ما يمد به الدواة من الحبر للكتابة الكاتب انتهى العيون

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول او فمن كان يخاف سوء لقاء ربه • والمراد باللقاء القدوم عليه وقيل رؤيته كما هو حقيقة اللفظ والرجاء على هذا مجرى على حقيقته فليعمل عملا صالحا خالصا لا يريد به الا وجه ربه ولا يخلط به غيره وعن يحيى بن معاذ هو ما لا يستحيى منه ولا يشرك بعبادة ربه احدا هو نهي عن الشرك او عن الرياء قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء • وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية ايام من كل فتنة تكون فان يخرج الدجال في تلك الثمانية عصمه الله من فتنة الدجال • ومن قرأ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الى آخرها عند مضجعه كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ انتهى الداركي

١١٢٤

وقع تحريري ومطالعتي الى هنا في شهر جماذي الاولى سنة في اليوم السابع يوم الخميس بعونه وتوفيقه الحمد لله ثم الحمد لله

قل انما انا بشر مثلكم الآية نزل حين قال الكفار ما انت الا بشر مثلنا والبشر لا يكون رسولا فقال تعالى قل يا محمد ما انا الا آدمي مثلكم يوحى الي من ربي انما الهكم اله واحد اي ما هو الا متفرد في الالوهية لا نظير له في ذاته ولا شريك له في صفاته يعني انا معترف ببشريتي ولكن الله من علي من بينكم بالنبوة والرسالة فامنوا به ووحدوه ولا تشركوا به شيئا قوله فمن كان يرجو لقاء ربه اي يأمل بعد الموت او يخاف يعني يأمل رؤية ربه او يخاف المصير اليه • شرط جزاؤه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بالايمان به • ولا ينبغي بها الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وجزم لا يشرك للعطف على فليعمل الذي هو جزاء الشرط قيل انما نزلت حين قال رجل يا رسول الله اني اعمل العمل فاذا اطلع عليه سرني او قال آخر اني احب الجهاد واحب ان يرى مكاني اي منزلتي به

قل انما انا بشر مثلكم في العجز عن الاحاطة على كلماته الا اني افارقكم بنزول الوحي علي وبعض الاحاطة بسبب يوحى الي انما الهكم اله واحد نبه على الوحدانية لانهم كانوا الكفار بقولهم عزير ابن الله ثم حض على ما فيه النجاة بقوله فمن كان يرجو لقاء ربه توقع الخير في المستقبل وبمعنى الطمع ايضا لكنه يستعمل في الامور المحمودة • وفرقوا بين الرجاء والاغترار بان الرجاء يكون لمن مهد اسباب المرجو والاغترار لمن اخل بها والمراد من لقاء الله تعالى لقاء كرامته وتقدير المضاف على ان يكون الكلام حسن لقاء ربه لا يغني عن هذا التجوز وهذا يغني عنه فليعمل عملا صالحا لائقا لذلك الرجاء ولا يشرك بعبادة ربه احدا انتهى جامي

قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل • والمراد بلقائه تعالى كرامته • وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعل الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعل الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا • وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا • روي ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له • وروي انه عليه السلام قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به • وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء • وعنه من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه الظاهرة والباطنة

• وقال صلى الله عليه وسلم قال الله انا اغنى الشركاء عن الشرك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل ما روئي فمن يعمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو للذي عمله • وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء • وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ومن قرأ من آخره قل انما انا بشر الا حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلألأ من مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه

ويتلوه جزء سورة مريم

حسبي الله
من الكتب التي وقفها الفقير
الى لطف ربه ذي المواهب
١٢٧٥